دار المخطوطات
وقف السلطان أحمد بإسطنبول

01 | 1443 هـ
2021 مـ

أصول

بالأصول يكون الوصول

حولية محكّمة للمخطوط العربي فكرًا ونصًّا ووعاء



الملف
العلّامة الدّالي

دار المخطوطات
برنامج الإجازة في علوم المخطوط
وقف السلطان أحمد بإستانبول

أُصُول

بِالأُصُولِ يَكونُ الوُصُولُ

حولية محكَّمة للمخطوط العربي فكرًا ونصًّا ووعاء

ع١ 1443هـ / 2021م

İSVA
İSTANBUL SULTANAHMET VAKFI
Darul Makhtutat
ISVA
Darul Irfan
Istanbul

صُورَة الغلاف

نسخةٌ نفيسةٌ من كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل
لبديع الزمان أبي العز إسماعيل بن الرزاز الجزري
نحو ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٠ م

أُصُول

بِالأُصُولِ يَكونُ الوُصُولُ

حولية محكَّمة للمخطوط العربي فكرًا ونصًّا ووعاء

الطباعة: مطبعة الروضة (Ravza Yayıncılık ve Matbaacılık)

Davut PaŞa Cad. Kale İŞ Merkezi No:51 Topkapı/ İSTANBUL

Tel: +902124819411

ISSN: 2980-1842

الهيئة الاستشارية

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

درس المخطوط

أعلامُ التُراث

نصوصُ التُراث

الملف (العلاّمَة الدَّالي)

فاتحة

خمس حواش تثير الأسئلة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على سيِّدنا ومولانا محمَّد سيِّد السادات، وعلى آله وأصحابه النجوم الزاهرات، وعلينا معهم يا ربَّ البريَّات.

وبعد، فهذا العدد فاتحة (أصول)، وفاتحة الشيء عنوانه، والعناوين دالَّة على ما تحتها، وإنا لنرجو أن ندلَّ به على ما وراءه كذلك، فقد أخضعنا بحوثه للتحكيم، وهذا بدهي في مجلَّة محكَّمة، لكننا زدنا فعرضناها على غيرِ محكَّم، وراعينا التنوُّع على غير صعيد؛ وخاصة الصعيد الموضوعي، وأفردنا ملفًّا خاصًّا لعَلَم من أعلام التحقيق رحل مؤخَّرًا، ونحسب أن هذا سبقٌ محمودٌ إلى اللفت إليه والوفاء له.

لن نعرض في فاتحة العدد لـ (أصول)؛ موضوعِها، وسياقها العامِّ، ورؤيتها، ومقاصدها، وهواجسها العلمية والتراثية، وفلسفتها، وتضاريسها الداخلية، وخطوطها الخارجية، فقد أغنانا عن ذلك كلِّه (البيان التأسيسي)، وعليه فإننا ندعو قراءنا إلى قراءة (البيان) وما هو ببعيد، فإنه عقيب فاتحتنا هذه.

إذن ماذا في الجعبة ونحن نقدِّم للعدد؟

إنه خمس حواشٍ عجلة على متون بحوثه؛ حواشٍ ممزوجة، غايتها وضع الأفكار في أطرها الموضوعية وسياقاتها المعرفية بما يكسوها رُواء ويغري بقراءتها، ومن قبل يثير الأسئلة، ويذكي الفضول.

معجم تاريخي (مصور) للخطِّ

يرجع جذر فكرة المعجمية التاريخية لألفاظ العربية ومفهوماتها إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر. وقد انقدحت شرارة الفكرة من عقل غير عربي، وذلك هو المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣م) صاحب (تكملة المعاجم العربية)، الذي دعا في مقدِّمة كتابه هذا إلى إصدار معجم تاريخي للكلمات العربية وانبثاق معانيها في النصوص اللاحقة. ولم تتجسَّد فكرة دوزي إلا في النصف الأول من القرن العشرين، وكان وراء تجسدها عقل آخر غير عربي أيضًا، لكنه هذه المرَّة ألماني، هو أوغست فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩م) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي لم نَرَ من آلاف الجذاذات التي كتبها سوى جزء واحد لا تتجاوز صفحاته الستين، ولم يغادر جذر (أبد).

مفارقة مركَّبة تؤسي وتؤسف، في حاليها (التفكير والتجسيد) وثالثة الأثافي أنها لم تحرك ساكنًا حتى دخلنا أو دخلت علينا الألفية الثالثة، فإذا بهجوم إيجابي محموم بدأ يؤتي ثماره.

بحث (نحو معجم تاريخي مصوَّر لألفاظ الخط العربي ومصطلحاته) يقدح شرارة جديدة، القادح فيها ابن اللغة، فلا تثير أسى، ولا تستدعي أسفًا، لكنها-هذه المرة- محدَّدة النطاق موضوعيًّا، تركِّز على تاريخية لغة الخط. وهي لغة ثرية من جهة، وذات خصوصية من جهة ثانية، وقمينة بالاحتشاد لها من جهة ثالثة، ذلك أنها -على حدِّ تعبير إدهام حنش- «موضوع فريد من نوعه في الدراسات الثقافية والتواصلية التي تقوم على اعتبار الصورة هي الرسالة».

وعلى الرغم من كون تاريخية لغة الخط جزءًا من (تاريخية اللغة)، فإنها ذات خطر، ليس في ذاتها فحسب، وإنما في خدمة القضية الكبيرة وإثرائها ودعمها.

إن المعجمة التاريخية للغة الخطِ لربما كانت أكثر تعقيدًا من المعجمة التاريخية للُّغة بإطلاق، ذلك أنها تحتاج منهجًا مركَّبًا يقوم على ثلاث سوق: ساق التحقيق البصري، وساق التعيين المكاني، إذ هي متباينة تباين الجغرافيا التي ولدت فيها هذه اللغة الموضوعية، ثم ساق الدلالة الشكلية التي تكتسبها من الخصوصية البصرية للخطِّ نفسه. ثم ساق رابعة، هي أن الخطَّ، ومن ثمَّ لغته أنواع عديدة، ولكلِّ نوع عالمه

الجغرافي والتاريخي والفني والثقافي والوظيفي، وانظر إن شئت الملاحق وما تضمَّنته من أمثلة وتطبيقات.

تحضر الفكرة ناضجة، بل بالغة النضج، لكن الخشية من أن يغيب التجسيد، أو يأتي الغريب ليقطف الثمرة، فقد دأبنا على التضييع الذي غدا سيرة، وإن تراوح، فإما يكون جملة، وإما يكون قطافًا، وهذا الأخير أقسى وآلم.

قطوع الورق

بين حنايا العدد بحثان كوديكولوجيان، أحدهما عام (المخطوطة النفيسة)، والآخر خاص، يقع في قلب الدرس المخطوطي، وسنتوقَّف عند هذا الأخير الذي عُني بمبحث دقيق وعويص في آونة معًا، ونحسب أنه جديد يضيف، ذلك أنه يعرض لمصطلحات هذه القطوع وقياساتها المترية، التي -على الرغم من تراكم الدراسات الحديثة حولها منذ وقت مبكِّر- ظلَّت إشكالية، ولم تفلح المقاربات الكثيفة من الوصول إلى (اتفاق) يفضُّ النزاعَ حولها، وسبب ذلك في ما يرى سعيد الجوماني لا يخرج عن أن يكون العينة؛ صغرَها، أو المنهجَ؛ ضعفَه وعدم مناسبته.

وقد انشغل البحث بالأمرين، فاقترح منهجًا، وخلص إلى نتائج، في قياسات القطوع المختلفة: القطع البغدادي الكامل، والناقص، والقطع المنصوري، والقطوع المتولِّدة منها؛ هي في قناعة الباحث أقربُ إلى العلم.

والحقُّ أن مثل هذه الدراسات مهمَّة، ليس في ما يتصل بتاريخ المخطوط/ الوعاء، وصناعته، فحسب، ذلك أنَّ لها أثرها البالغ على النصوص أنفسها، توثيقًا لها، ونظمًا في سياقاتها التاريخية والجغرافية، من طريق التمييز بن النسخ المتعدِّدة للعنوان الواحد التي تصفها المصادر الببليوغرافية الخطية للمكتبات القديمة، وهو ما قد يغفل عنه الكثيرون.

إن مثل هذا البحث كفيل بأن يكشف الغموض الذي يكتنف أوصاف الكتب كما رسمتها المصادر القديمة، على أن بحثًا أو بحوثًا لا تكفي، فما زالت الأبواب -في ما يرى الباحث- مشرعةً والقضايا مثارة، ومن ذلك القطع الشامي بنوعيه الذي يحتاج إلى متابعات جادَّة، أدواتها الرئيسة هي مقارنة ما وصل إلينا من أوصاف مع ما تقوم عليه البحوث من افتراضات وما تستبطنه من نتائج.

(صُوَر) الصوفي و (حُمرة) ابن العميد

وبين حنايا العدد بحثان ذوا صلة بتراثنا العلمي، ومرتبطان بفلكي كبير: عبد الرحمن الصوفي (ت٣٧٦هـ) وكتابه المعروف (صور الكواكب)، وأديب مشارك في علم الفلك هو أبو الفضل ابن العميد (ت٣٦٠هـ)، وقد كشف سائر بصمه جي في بحث الصوفي عن أن لهذا العالم سهمة كبيرة تجلَّت في ثلاثية: التصحيح، والإحكام، والإتقان: التصحيح لأحكام اليونان في أرصاد النجوم، والإحكام للغة الكتابة العلمية، والإتقان في رسم الخرائط النجمية.

ويبدو جوهر هذا البحث في تتبُّع مشروع الصوفي في إصلاح علم الفلك الرصدي بالنقد الذي وجَّهه إلى أربع فئات؛ ثلاث منها عربية، وواحدة يونانية.

وإذا كان الصوفي فلكيًّا خالصًا، فإن ابن العميد الذي لقِّب بـ (الجاحظ الثاني) أديب بارز، بيد أن له مشاركةً في علوم الأوائل، ومنها علم الفلك، الذي ترك لنا فيه (رسالة في الحمرة الحادثة في الجو) وهي الأثر الأول الذي ينشر له في هذا المجال، على أنه -كما يقول محمد علي عطا- مظلوم، لا يزال تراثه الأدبي والعلمي مغيَّبًا. وأهم من هذا أن الرسالة تُثبت ما كانت المصادر أشارت إليه من إتقانه لعلوم الأوائل، بعد أن عَزَّ الوقوف على نتاجه في هذه العلوم، وإن كان باب الأمل لا يزال مفتوحًا للوصول إليها.

عبقرية الإنجاز والإتقان

بعد أربعة عقود من العمل المخلص والعطاء المستمر للتراث وللمخطوط العربي، لربَّما يغدو الحديث عن شخص ما مشروعًا، وإن مازال حيًّا، وإن كانت فيه شبهة المجاملة؛ تلك الشبهة التي نفاها خالد فهمي، هو يكتب عبقرية العقل التراثي كما تجلَّت في مثال واضح، على صعيدَي الإنجاز والإتقان.

يتوقَّف البحث عند عمل فيصل الحفيان في معهد المخطوطات العربية وإدارته له، ويرى أن وصف العبقرية في الحديث عنه محمول على الحقيقة؛ لا على المجاز، وعلى الموضوعية؛ لا على العاطفية، وعلى العلمية؛ لا على الانطباعية، أو الاحتفالية الخِلْوِ من البرهان.

ثلاثة أشكال من المورِّثات المانحة تفسِّر العبقرية، يمكن اختزالها في مخزون

البيئة الحضارية الباكرة، والقدرات المركَّبة من العقل والنفس والعمل، وفاعلية التكوين الثقافي والاختصاص المعرفي. وتحت كلٍّ تفصيلات.

استقرأ البحث ما أسماه (الضوابط الحاكمة) لإنتاجية الحفيان، فرآها متمثِّلة في: الانتماء الأصيل، والوعي بالنموذج المعرفي الخاص، والإيمان بالتراث، والإيجابية العملية والحركية في خدمته.

كما استقرأ كلِّيات عمله ومنجَزه، فوجدها في سبع دوائر: ارتياد الحقول المعرفية والعلمية المجهولة والمنسية، ونقل المعرفة الحديثة وتوظيفها، وتوسيع جغرافية دراسات المخطوطات العربية، وتوطين ثقافة المخطوط في تربة الثقافة العامَّة، والدفع بمعهد المخطوطات العربية إلى صفوف المؤسَّسات الأكاديمية الرفيعة، وتجديد نوافذ العمل الموروثة من جوانب مختلفة، وافتتاح نوافذ جديدة لخدمة التراث ما كانت على خريطة عمل المعهد.

ومن خلال فحص خطاب خصائص تلك العبقرية تكشَّفت ملامح الصرح الذي شيَّده على سبعة أركان: التخطيط الذي استحال بجهوده حقلًا معرفيًّا، والحركة الاستيعابية الواسعة التي شملت مساحات مترامية الأطراف من العمل التراثي، وارتياد المناطق المجهولة، والاستصلاح التراثي، واستثمار اللحظة، وتوظيف التقنية الحديثة، وأخيرًا الحضور الذي تمثَّل في نتاجه العلمي الخاصِّ والمميَّز منهجيًّا؛ ومعرفيًّا؛ على مستوى الكمِّ والكيف والتنوُّع. وهو ما يدلُّ عليه ثَبَت كتبه وبحوثه.

المحقِّق الصَّناع

رحل محمد أحمد الدالي، فكان رحيله انتقاصًا من أطراف (صنعة) التحقيق في العقود الثلاثة أو الأربعة الماضية، ليس في ذلك مبالغة، فقد أخلص إخلاصًا لهذه الصنعة، وجلَّى فيها تجلية، بزَّ فيها الكبار، بل - والحق يقال - فاقهم. وقد نصَّصنا على (صنعة) لأن العمل - في ما يبدو- شغله عن النظر، فلم يترك لنا - في ما أعلم - شيئًا في هذا الأخير.

(أصول) في عددها الأول لم تر أولى منه في أن يكون موضوعًا لـ (ملفِّها الأول)، وهي واعية أنه لا يغني، فمازالت هناك جوانب قمينة بالبحث، لكنها عجَّلت لتؤسِّس

نواة صلبة، تمثَّلت في ثلاثة بحوث: أحدها في قلب صنعة التحقيق؛ ذلك أنه معني بالتوثيق، وبالتحديد توثيق النصوص النثرية، ونهض له محمد علي عطا، نزَّل فيه المنهج الذي صاغه في أطروحته للدكتوراه. وثانيها في ما برع فيه الدالي، وعرف به من خدمة النصوص بالكشافات والملاحق والمستدركات، واختصَّ به تلميذه ضياء الدين القالش. أما ثالث البحوث فإنه بمداد محمد مصطفى الكنز الذي صرف همَّه إلى البحث اللغوي عنده، ومعلوم أن الدالي إنما دلف إلى التحقيق من بابة العربية، وليس هو وحده بدعًا في ذلك، فمعظم المحقِّقين الكبار منها دخلوا.

طالت الفاتحة على غير إرادة منَّا، لكنها حرقة البدايات التي ترنو إلى نهايات مشرقة، وأول خيوط الإشراق إغراء القارئ المتصفِّح بالإبحار بشراع وقارب في مياه معرفة تنساب انسيابًا، بلا قفز، ولا عجلة، لتحقيق أقصى فائدة وأعلى متعة.

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

وكتب محمود أحمد مصري

أُصُول

بالأُصُول يكونُ الوُصُول

البيان التأسيسي

الحمد لله الذي أمر أوَّل ما أمر بالقراءة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ -والقراءة نافذةُ المعرفة أو هي المعرفة ذاتها- وثنَّى، فربط العلم بالقلم ﴿ٱلَّـذِى عَلَّـمَ بِٱلۡقَلَـمِ﴾ في سياق مَنٍّ، لم يفصل فيه بين الأمر بالقراءة والتعليم بالقلم إلا بالخلق والإيجاد. والصلاة والسلام على محمدﷺ: الأمِّيِّ الذي هدى الناس، وعلَّم العلماء.

وبعد، فهذا (بيان) بولادة حوليَّة جديدة متخصِّصة، نرجو أن تكون إضافة نافعة لأهل التراث والمعنيين بشؤون المخطوط العربي في كلِّ مكان.

الموضوع

المخطوط العربي الإسلامي عالم رحب رحابة أفق الحضارة التي ينتمي إليها. الكَمُّ بالملايين: ملايين العناوين، أو ملايين النسخ! هو في الحالين أضخم تراث حيٍّ اليوم. والكيفُ ذخيرة نفيسة من المعرفة والعلم والقيم: معرفةٌ لا تزال قادرة على الاستمرار، وعلم لم ينل منه الزمن، وقيم صاغها خالق الناس للناس. مثل هذا التراث يحتاج احتشادًا بعمل كثير على أصعدة مختلفة؛ حفاظًا عليه، وإفادة منه، وبناء عليه، واستثمارًا له.

السياق العام

في زمن الحداثة وما بعدها أصبح القبض على الأشياء قبضًا على الجمر. فكأننا مصداق الحديث الشريف: (يأتي على الناس زمان، القابض على دينه كالقابض على الجمر)، على

أنَّنا تجاوزنا اليوم (الدين) حتى إنَّ المفهوم المجرَّد (القبض) ومتعلَّقه (المقبوض عليه) ما عادا ممكنين، ودخلا في دائرة التعذُّر؛ بل الاستحالة! سال كلُّ شيء، حتى المعلومةُ، والمعرفة، والعلم؛ بل حتى القيم. وإذا ما طالت (السيولة) ذلك كلَّه، فإنَّ البشرية تكون -أو هي حقًّا- على جُرُف هار على وَفْق التعبير القرآني. ودع عنك الحلى والشيات والألوان وبريق الأدوات، وإبهار السرعة، وطيَّ المسافات أو إلغاءها، فما ذلك إلا هواء.

في هذا الزمن تمَّحي الألوان جميعًا، فلا أسود ولا أبيض ولا ما بينهما! وفي تلك الحداثة (السائلة) يرتفع شعار التفلُّت من كلِّ شيء، حتى من الأصول والمناهج والضوابط لتغدو قيودًا تكبِّل الجديد؛ بل تخنقه. وسط هذا الزحام والاختلاط والذُّهول، تُصدر (الدار) حوليَّة لتستدعي زمنًا آخر؛ شعاره المعلومة الموثَّقة، والمعرفة المكتملة، والعلم الحقُّ، والقيم الجميلة والخيّرة للكائنات والكون جميعًا.

ليس الاستدعاء استدعاءً لماضي المعلومة والمعرفة والعلم والقيم للسكن فيه لِواذًا، أو احتماء، أو تغنِّيًا، أو تبجيلًا، لكنه استدعاء للإفادة منه، ولاستثماره، ولجعله وقودًا يدفع بنا دفعًا إلى الأمام، فنحن ندرك أنَّ مرمى النظر لا بدَّ أن يكون باتجاه المستقبل، ولكن من قال إنَّ النظر إلى المستقبل يتعارض والتفتيش في الذاكرة وتقليب صفحات كتاب التجارب؛ تجارب العقل في نجاحاتها وفي انكساراتها على السواء. يصدق هذا أكثر ما يصدق على الأمم التاريخيَّة عمومًا، والأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة خصوصًا التي أعطت قرونًا طويلة؛ معرفة وعلمًا وقيمًا، من غير أن ترفع جُدُرًا عالية وسميكة بين المعرفة والعلم من جهة، والقيم من جهة أخرى.

ثلاثيَّة الرؤية والعمل والمقاصد

يحتاج العمل التراثي اليوم إلى أصول:

أصول في الرؤية؛ لتتحقَّق معادلة الثبات، والحركة؛ في آنٍ واحدٍ: الثبات بالتأسيس على أرض صلبة؛ وبالتماسك الذي لا خلخلة فيه. والحركة بالانطلاق الراشد الذي يعرف فلا يضلُّ، ويستشرف فلا يتخبَّط. بالأمرين معًا (الثبات والحركة) تجتمع أطراف العمل وجوانبه وإن تباعدت، فلا يَنِدُّ طرف، ولا ينأى جانب.

وأصول في العمل، تتجلَّى فيه الرؤية حراكًا علميًّا؛ لا أَمْت فيه، ولا عوج، يستقيم فيه الدرس، ويسير على سَنَنٍ واحد لا يتخلَّف.

وأصول في المقاصد؛ لتسمو الرؤية، ويثمر العمل.

ثلاثيَّةُ الرؤية المستقرَّة المحيطة، والعمل المستقيم المنهج، والمقاصد العالية النبيلة، هي التي تنهض عليها حوليَّة (أصول).

هاجسان في هاجس

(أصول) كلمة مفردة لكنَّها ذات حمولة معرفيَّة وقيميَّة ثقيلة، لذلك كان اختيارنا لها لتكون عنوانًا لحوليتنا المعنيَّة بالمخطوط العربي تدور في فلكه لا تخرج عنه. وقد جاء الاختيار خادمًا للغرض، فـ (الأصول) والأصالة والأصل، معانٍ يلزم أن تكون هاجسًا ساكنًا فينا نحن العربَ والمسلمين في زمن نعاني فيه على الأصعدة جميعًا: الاجتماع والثقافة والسياسة والاقتصاد...نحن اليوم غائبون أو شبه غائبين عن الحضور في العصر، بمعنى أننا نعيش مأزِقًا حضاريًّا كبيرًا. هذا الذي نقول قد يجد فيه البعض مفارقة، فإذا كنَّا خارج العصر، فإنَّ العقل يقضي أن نتحدث عن المعاصرة والعصر والحضور والاستشراف وما يحيل عليه من الحاضر والعيش فيه والمشاركة في صنعه، والنظر إلى المستقبل وصياغته، فما بالنا نستدعي التراث والتاريخ والماضي! هل هي غفلة في ترتيب الأوليات، في وقتٍ؛ الغفلةُ فيه إثم عظيم، أم لعلَّه هروب كبير من الواقع إلى حلمٍ؛ سراب بقيعة، لن نجد عنده الماء!

هاجس (الأصول) وهاجس (الحضور) هما في الحقيقة هاجس واحد مُصْمَت يستحيل الفصل بين جزأيه، بمعنى أن (الأصول) وما يحيل عليه داخلٌ في نسيج (الحضور) وما يحيل عليه، وأنَّ (الحضور) وما يحيل عليه لا يتحقَّق إلَّا إذا نهض على ساق (الأصول) وما يحيل عليه. لذلك فإنَّ دعاة القطع مع (الأصول)، وما أكثرهم اليوم! ودعاة القفز إلى (الحضور) وما أكثرهم اليوم أيضًا! كلاهما على ضلال مبين، وكلاهما يُيَمِّمان الخبيث لا الطيب، ويكدَّان في غير نفع، ويسافران إلى الوجهة الغلط، بل إلى الوجهة المعاكسة، التي كلَّما أوغلوا فيها، اتسعت الشُّقَّة إلى الصواب، وغَدَوا أبعد عن الغاية.

الوصل مع (الأصول) قيمة (إيجابيَّة) في حدِّ ذاته، والقطع معه قيمة (سلبيَّة) في حدِّ ذاته أيضًا، والسعي إلى (الحضور) قيمة إيجابيَّة في ذاته، والقفز إليه قيمة (سلبيَّة) في حدِّ ذاته أيضًا.

الأصول حضور، والحضور أصول، فلا حضور بلا شراع الأصول، ولا أصول إذا لم يصل بنا إلى مستقرِّ حضور.

ولذلك فإنَّ حديث الأصول هو في الوقت نفسه حديث الحضور، والعكس صحيح، بيد أنَّ نقطة البداية مختلفة، ونحن بحكم تخصُّصنا والدائرة التي اخترنا العمل فيها، نتكلَّم في الأصول غيرَ بعيدين عن الحضور، ولغيرنا أن يتكلَّم في الحضور، من غير أن يقطع مع الأصول، وبالأمرين معًا يكون الوصول الذي هو غاية الغايات، إذا ما خلصت النيات وصدقت العزمات.

فلسفة ورؤية

تنظر (أصول) إلى المخطوط نظرة كليَّة، فلا تختزله في (النصِّ) والعمليات المعرفيَّة الموضوعيَّة التي تدور في فلكه، ولا تحصره في (الوعاء) وتقاليد الصنعة (الأثريَّة) التي تتصل به، ولا تأسرها (الخوارج) أو (القيود) التي هي على الأعراف بين النصِّ والوعاء، ولا تجتذبها فنونه وقيمه الجماليَّة، ولا تتوقَّف عند فتح مصراع واحد على التاريخ وأسئلته. إنَّها تجمع شمل: النصَّ والوعاء والخوارج والفنون، مضافًا إلى ذلك كلِّه الحاضرُ وأدواته وتقنياته الخادمة؛ صيانة، وحفظًا، وترميمًا، ورقمنة، وحوسبة، وبرمجة...إلخ.

المخطوط العربي في مرآة (أصول) قضيَّة كبيرة؛ حقل معرفي مركَّب ومتكامل؛ كائن تاريخي بالغ الخصوبة، حاثٌّ على الاستثمار، وكائن حضاري فعَّال قابل للتثوير. وفي سبيل ذلك تسعى جاهدة لاستقطاب الحراك الفكريِّ والمعرفيِّ والمنهجيِّ في أعلى درجاته، من الجميع؛ أساتذة كبارًا، وباحثين واعدين، عربًا، ومسلمين، وأجانب؛ إذ إنَّها تؤمن إيمانًا عميقًا بأنَّ (الحكمة) هي الضالَّة التي ينبغي أن تُنْشَدَ، وذلك بشرطين: شرط جدارة المادة العلميَّة، وشرط الالتزام بالقيم التراثيَّة والدينيَّة والحضاريَّة التي استحالت ثوابت انعقد عليها الإجماع.

ومن الاستثمار إلى التثوير مساحة واسعة من العمل التراثي المتشابك والمتنوِّع على أصعدة عديدة، منها التفكير الإستراتيجي الذي يستنفر الماضي ويثوِّر التاريخ ليحيل العمل في الماضي بناء للحاضر واستشرافًا للمستقبل، وذلك بربطه بقضايا الهويَّة والخصوصية وتحقيق شهود حضاري جديد.

هذا التفكير الإستراتيجي تغفل عنه الدوريَّات التراثية العتيدة في زحام انشغالها بقضايا العمل، تاركة هذا المجال الحيويَّ للدوريَّات ذات الطابع الفكري الخالص، والتي تكون غير منتمية إلى التراث وقيمه، وفي أحيان كثيرة تصدر عن مواقفَ معاديةٍ له.

خريطة وتضاريس

أبرز التضاريس: (المحور) الذي تحرص (أصول) على حضوره الدائم، وتثير فيه قضيَّة من قضايا المخطوط العربي، سواء كانت (موضوعيَّة) مجردة؛ أو تاريخيَّة خاصَّة؛ أو خليطًا: تاريخيَّة عصريَّة، أو كانت مرتبطة بعَلَمٍ من الأعلام في القديم، أو في الحديث، وفي التضاعيف ما يتصل بذاك العَلَم وما أثار وما أُثير حوله من إشكاليَّات تراثيَّة. المهمُّ في (المحور) أنَّه يرسم (نقطة) معرفيَّة، ثم يحشد أو يحتشد لها من زوايا نظر عديدة، ومن علماء وباحثين ذوي انشغالات وتخصُّصات مختلفة.

من الخطوط المهمَّة على خريطة (أصول) ما لفتْنا إليه آنفًا، ونعني التفكير الإستراتيجي في التراث. ومنها -أيضًا- ما يعكس روح الثقافة الإسلاميَّة التي هي بطبيعتها ثقافة إنسانيَّة عالميَّة؛ لا عولميَّة، تُعطي وتأخذ؛ تُعطي بلا مَنٍّ، وتأخذ بلا كِبْر، نشير هنا إلى الانفتاح، وذلك بفتح الباب مشرَعًا للترجمات، وبخاصة في المجالات التي قطع فيها الآخر شوطًا في خدمة المخطوطات الشرقيَّة، ومنها العربيَّة، وفي خدمة مخطوطاته الإغريقيَّة واللاتينيَّة؛ إذ العمل في التراث ذو قواسم مشتركة أيًّا كانت انتماءاته ولغاته، هذا إضافة إلى أنَّ المنجز التقنيَّ الذي جلَّى فيه الغرب غدا اليوم جزءًا لا يتجزَّأ من التنمية التراثيَّة بمفهومها العام الذي يشمل خدمة المخطوطات والإفادة منها وتوظيفها واستثمارها.

التضاريس الأخرى لـ (أصول) ليست أقلَّ أهمِّية فهي تتسع لتشمل علوم المخطوط العربي، فثَمَّ مساحات واسعة للبحوث الببليوغرافية الخاصة بالمخطوطات، وللنصوص المحقَّقة المستوفية لشروط النشر النقدي، وللدراسات العلميَّة المنهجيَّة القائمة عليها، وللمتابعات النقديَّة (الموضوعيَّة) للحَراك العلمي في مختلف المجالات، ولعروض الكتب (المهمَّة) لكنها العروض التي لا تنهج منهج الوصف، وإنما تربط وتُسَكِّن المعرفة محلَّ العرض في سياقها، وتُسائلها، وللاستدراكات والتذييلات التي تَجْبُر ما نقص من الطبعات، أو تضيف إليها ما يجعلها أكثر اكتمالًا ونضجًا وعلميَّة، وثَمَّ مساحة خاصة لتاريخ الكتاب ورحلة المخطوط العربي وإعادة بناء المكتبات التراثية..

على خريطة (أصول) أيضًا كلُّ ما يتعلق بالتوثيق، فنحن -كما قال الإمام الشافعي- أمَّة السند، وما السند إلَّا التوثيق. تُعْنى (أصول) كثيرًا بمسائل توثيق عناوين النصوص، وتدقيق أسماء المؤلفين، وتحقيق نسبة النصوص إلى أصحابها، وهو ما يتصل بعلم الفهرسة والتصنيف، ويخدمه مباشرة.

وإذا كان ما سبق كلُّه عملًا في النصوص ودورانًا في فلكها، وهو أمر بالغ الأهميَّة، فإنَّ مجالات علم المخطوط (الكوديكولوجيا) الثريَّة؛ هي في ذاتها على الدرجة نفسها من الأهميَّة، فالوعاء والخوارج أو القيود بما تختزنه من تاريخ ثقافيّ واجتماعيّ وحضاريّ هي في نظر (أصول) جزء من النصِّ أو من المعرفة التي يحملها النصُّ، لا يكتمل؛ بل لا يستقيم إلا بالاعتماد عليها.

(أصول) تؤمن

(أصول) حوليَّة؛ ليست فصليَّة، ولا نصف سنويَّة، فهل اخترنا الزمن المتسع لكي تكون مادَّتها العلميَّة مختارة أو مصطفاة، ثمَّ محكمة أو محكَّكة؟

و(أصول) تولد راشدة، لن تمرَّ بمرحلة طفولة، ولن تتعثَّر وتتعلَّم من تجاربها. ستشبُّ

عن الطوق سريعًا، وعينها على التفصيلات في أدقِّها، بدءًا من الفكر والعلم والمعرفة والمنهج، وليس انتهاء بالحرف والشكل والإخراج. السَّيْر الناظم لحَراكها هو العلم النافع والقيم الراشدة.

و(أصول) تؤمن بأنَّ أرض المخطوط العربيِّ تَسَعُ الجميع، وأنَّ التنافس الشريف، بل التكامل، هو الكفيل بأن يصل بها إلى أبعد غاياتها، بعيدًا عن المزاحمة، فالأرض كلُّها حقول أبكار تحتاج عملًا لا حدود له، ولذلك فإنّها تهلّل لعمل الآخرين وتسعد به وكأنَّه عملها.

و(أصول) تؤمن إيمانًا بالنقد؛ لأنَّه يبني، وتزهد زُهدًا بالتجريح؛ لأنَّه يهدم، وهي تسعى إلى البناء لا الهدم. ولذلك فإنَّها تفتح صفحات قلبها، وتستقطب الأقلام المترعة بمداد هو مزيج من العلم والأدب.

و(أصول) تؤمن بالعمل الصامت، وترى أنَّ الصخب والضجيج ينال من العمل ويشوِّش عليه. إنَّهما كِفَّتان متقابلتان، إذا ثقلت إحداهما شالت الأخرى. وليس أبلغ في هذا السياق من قول أبي نُواس:

مُت بداء الصمت خيرٌ　　　لك من داء الكلام

حَرْد (البيان)

فُرِغ من تحرير هذا (البيان) بعون الله وحُسن توفيقه يوم الخميس الحاديَ عشرَ من شهر محرَّم الحرام؛ من سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية، الموافق التاسعَ عشرَ من شهر آب (أغسطس) من سنة إحدى وعشرين وألفين من ميلاد السيد المسيح، وذلك في إسطنبول العامرة، والحمد لله ربِّ العالمين.

خُطَّة النشر

الشروط والضوابط والإجراءات

(**أصول**) حولية محكمة شاملة للمخطوط العربي، تُعنى به فكرًا؛ ووعاء؛ ونصًّا، وتستوعب هذه المجالات الثلاثة؛ بتنويعاتها المختلفة، على وَفق شروط علمية ومنهجية حاكمة للبحوث؛ لا تغادرها، وضوابط شكلية وطباعية؛ لا تقفز عليها، وإجراءات في حركة التعامل والتواصل مع الباحثين؛ وفي قلبها التحكيم العلمي؛ لا تخرج عنها.

الشروط العلمية والمنهجية

١- أن يكون البحث مستوفيًا لشروط المنهجية العلمية من: أصالة الفكرة، وانضباط الإشكالية، واستحضار الأدبيات، واستيفاء الموضوع، واتساق التناول، وسلامة اللغة.

٢- ألا يكون منشورًا، أو مقدَّمًا للنشر؛ في أي وعاء من أوعية النشر؛ ورقيًّا كان أو إلكترونيًّا. ويُرفَق خطابٌ يفيد بذلك.

٣- يُكتب اسم الباحث بالحروف الإنجليزية، إضافةً إلى العربية، ويُقيَّد لقبه العلمي، والمؤسَّسة العلمية التي ينتمي إليها. كما يُكتب عنوان البحث بالإنجليزية كذلك.

٤- يتضمَّن البحث:

ملخصين بالعربية والإنجليزية، على ألا يزيد عدد كلمات كلٍّ منهما عن مئة كلمة.

سبع كلمات مفتاحية.

مقدِّمة مكثَّفة في: الأهمية؛ والأسئلة؛ والبنية؛ والمنهج.

خاتمة فيها النتائج والاقتراحات.

كشَّافًا أو أكثر (للنصِّ المحقَّق) عند الحاجة.

ثَبَتًا بأهم المصادر والمراجع.

٥- لا تُنظم المادة العلمية في أبواب وفصول ومباحث، بل في فقرات رئيسة معنونة؛ مرقَّمة أو غير مرقَّمة، وما يندرج تحتها من فقرات كذلك.

٦- يُراعى انضباط التفقير المتوافق مع الأفكار، ويُلتزم بعلامات الترقيم وتوحيد سَنَنها، وتُضبط الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثال، والأعلام، والمشكل من الكلمات ضبطًا مستوفيًا.

٧- تُحرَّر الحواشي بتركيز، ويوحَّد منهج صياغتها، حتى لا يكون هناك فضول، وتغدو متَّسقة، وتُسلسل أرقامها في كلِّ صفحة على حدة.

٨- يُبنى ثبت المصادر والراجع على عناوين الكتب؛ لا على أسماء المؤلِّفين، وتُرتَّب بيانات النشر على هذا النحو:

عنوان المصدر أو المرجع؛ كما هو على غلافه.

اسم الشهرة للمؤلِّف، فاسمه العلم واسم أبيه، فنسبته، فتاريخ وفاته، بين قوسين هلاليَّين.

اسم المحقِّق أو المترجم؛ واسم المراجع؛ كما هي على الغلاف.

اسم المؤسَّسة أو الدار الناشرة؛ كما هو على الغلاف.

اسم البلد التي فيها الناشر.

رقم الطبعة (إن لم تكن الأولى).

تاريخ النشر؛ كما هو على الغلاف.

عنوان السلسلة ورقمه فيها؛ إن وجدا.

وبين كل بيان والآخر (،).

٩- ترفق البحوث بالسيرة الذاتية للباحث.

الضوابط الشكلية والطباعية

١- يتراوح عدد كلمات البحث بين (٦٠٠٠) و(١٥٠٠٠) كلمة؛ شاملة الحواشي والملاحق والكشافات، ولا تدخل فيها -بالطبع- الرسوم والأشكال والصور.

٢- يكتب البحث على قياس صفحة A4، بخط تراديشينال أربك، قياس ١٤ للمتن، و١٢ للهامش.

٣- وجود مسافة بادئة للسطر الأوَّل من الفقرات.

٤- لا يترَك فراغ قبل علامات الترقيم، ولا قبل ما حُصر بين الأقواس ولا بعده، ولا بعد حرف العطف (و).

إجراءات الحركة والتحكيم

١- يُقدَّم البحث مكتوبًا باللغة العربية منضَّدًا على الحاسوب، ويُرسل باسم رئيس التحرير على البريد الإلكتروني: Usul@darulmakhtutat.org

٢- يُعلَم صاحب البحث خلال شهر بتسلُّمه، ويُفاد بالقرار النهائي بالنشر أو عدمه خلال ثلاثة أشهر، وليس على (أصول) أن تعرب عن سبب أو أسباب عدم النشر.

٣- أولوية النشر مركَّبةٌ من خمسة أسس:

تاريخ التسلُّم.

جاهزية البحث من دون تعديلات.

التنوُّع الموضوعي للمادَّة العلمية للعدد.

التنوُّع الجغرافي للباحثين.

عدم النشر للبحث نفسه في العددين السابقين.

٤- يمرُّ البحث بمرحلتين:

الإجازة من الهيئة العلمية.

العرض على محكَّمَين. فإن أجمعا على عدم القبول لم يُنشر، وإن اختلفا كان العرض على محكَّم ثالث للفصل.

٥- تُرجِع (أصول) البحث إلى صاحبه إذا احتاج إلى تعديلات جوهرية؛ سواءً على مستوى المنهج، أو المادة، أو الشكل. فإن تأخَّر في إعادته تأجَّل نشره إلى العدد اللاحق.

٦- تلتزم (أصول) بتصويب الأخطاء الإملائية واللغوية في البحث، ولا تتدخَّل في النصوص المنقولة والمقتبسة؛ إذ هي مسؤولية صاحب البحث.

حقوق الباحث

١- مكافأة مالية رمزية.

٢- ثلاث نسخ من العدد الذي نُشر فيه البحث.

نقطة

يعبِّر البحث عن وجهة نظر صاحبه؛ فكريًّا وعلميًّا، وليس من الضروري أن يتوافق مع توجُّهات (أصول) وآرائها.

نحو معجم تاريخي مصوَّر
لألفاظ الخطِّ العربي ومصطلحاته

أ. د. إدهام محمَّد حنش

الجامعة الأردنية - عمان

ملخص

إن الخطَّ هو مقوِّمٌ أساسٌ من مقومات اللغة الثلاثة التي هي: المعنى واللفظ والخطُّ، وهو عنصرٌ حيويٌّ في وجود اللغة واستدامتِها المعرفية والثقافية والحضارية، بل هو قسيم اللفظ وشريكُه المطلق في تصوير المعنى وتداوله.

ولكن الخطَّ يبدو موضوعًا شبه مسكوتٍ عنه في حركة البحث العلمي والتحقيق اللغوي والتأليف المعجمي؛ إذ لم تعتن المعاجم اللغوية العربية بالخطِّ مثلَ عنايتها باللفظ الذي يكاد يكون هو الموضوع الوحيد لكل تلك المعاجم القديمة والحديثة والمعاصرة.

ومن هنا؛ يدعو هذا البحث المتواضع إلى تأليف معجمٍ تاريخيٍّ لألفاظ الخطِّ العربي ومصطلحاته؛ يقوم على منهج التحقيق البصري والتعيين المكاني والدلالة الشكلانية لما يسمِّيه أبو حيان التوحيدي (معاني الخط) بوصفها موضوعًا فريدًا من نوعه في الدراسات الثقافية والتواصلية التي تقوم على اعتبار الصورة هي الرسالة، وبوصفه موضوعًا جديدًا في الدراسات اللغوية والمعجمية التي تقوم على العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وبوصفه موضوعًا رائدًا في صناعة المعجم التاريخي التي تقوم على تعيين الألفاظ والمعاني والخطوط في حزمةٍ لغويةٍ واحدة.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ الخطِّ، أشكال الخطِّ، معاني الخطِّ، تحقيق الخطِّ وتعيينه.

Towards an Illustrated Historical Dictionary For Terminology of Arabic Calligraphy

Prof. Dr. IDHAM M. HANASH

Abstract

Calligraphy is a basic component of the three components of language: Meaning, Pronunciation, and Writing. It is a vital element in the existence of the language, as well as its cognitive, cultural and civilizational sustainability.

However, calligraphy appears to be an almost silent topic in the movement of scholarly research, linguistic investigation, and lexical composition; The Arabic language dictionaries did not take care of calligraphy like they did about the word, which is almost the only subject of all those ancient, modern and contemporary dictionaries.

This modest research calls for the creation of a historical dictionary of Arabic calligraphy Terminology. It is based on the approach of visual investigation, spatial determination, and formal significance of what Abū Ḥayyān al-Tawḥīdī calls :(Meanings of Calligraphy) as:

● a unique topic in the cultural and communicative studies, which is based on considering the image as the message.

● a new topic in linguistic and lexical studies that is based on the relationship between words and meanings.

● a pioneering subject in the historical lexicon industry, which is based on identifying words, meanings, and calligraphy in one linguistic package.

Keywords: Historical Dictionary, Terminology of Calligraphy, Calligraphic Shapes, Meanings of Calligraphy, Realizing & Designating the Meanings of Calligraphy.

مقدِّمة

لم تعتن المعاجم اللغوية بالخطِّ مثلَ عنايتها باللفظ، على الرغم من أنَّ بِنية اللغة العربية تقوم على مقوِّمات ثلاثةٍ، هي: المعنى واللفظ والخطُّ. وهذه المقوِّمات الثلاثة تتعالق في ما بينها تعالقًا عضويًّا عميقًا في نسق متوازن الأهمِّيَّة والمكانة والوظيفة والدور في النظام اللغوي.

لقد عُنيت هذه المعاجم القديمة والحديثة والمعاصرة كثيرًا بالمسائل اللغوية والأساليب البيانيَّة والعلاقات الوظيفيَّة المبنيَّة على الترادف في ما بين اللفظ والمعنى، على حين لم تكن عنايتُها كافيةً وافيةً بموضوع الخطِّ وأبعاده اللغوية والفنِّيَّة والثقافية والمعرفية؛ وبخاصَّةٍ: تلك الأبعاد التي ترتبط بتطوُّرات الشكل وتحوُّلات الصورة المتعلِّقة بحروف المعجم الخطِّيَّة.

وربَّما جاء هذا التباين في العناية المعجمية بكلٍّ من اللفظ والخطِّ؛ نابعًا من أهمِّيَّة المعنى ومكانتِه، ودوره في التعارف والتواصل والتعايش الإنساني البنَّاء والمثمر، فالمعنى هو جوهر اللغة وروحها المقاصدي ونقطتُها المركزية الدائرية في الدرس المعرفي ومساراته المنهجيَّة التي غالبًا ما تعتمد على اللفظ في حمل المعنى ورعاية بيانه بأوفى تعبير وأحسن أسلوب وأجزل عبارةٍ وأصحّ كلمةٍ وأفضل لفظٍ يؤثِّث لبيت اللغة الأوَّل؛ وهو: المعجم.

ومن هنا؛ صارت العلاقة العضوية الحميمةُ في ما بين المعنى واللفظ وطيدةً لازمةً؛ وثيقةً راسخةً؛ تستوطن معاجم اللغة؛ قائمةً على الترادف الدلالي في ما بين الألفاظ، وبعيدًا -إلى حدٍّ ما- عن الخطِّ الذي هو "قسيم اللفظ في تصوير المعنى"[1] وبيانه اللغوي.

يبدو الخطُّ في مختلف المعاجم اللغوية وغيرِ اللغوية موضوعًا حاضرًا غائبًا؛ يتمثَّل حضورُه المتواضع في بعض التلميحات والإشاراتِ الاعتبارية النادرة والعابرة التي لا تعطي صورةً معرفيةً متكاملةً عن هذا الموضوع. ويتمثَّل غيابُه الواضحُ في

١ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣/ ٨.

ما يبدو كأنَّه موضوعٌ شبه مسكوتٍ عنه في فضاء البحث اللغوي المعمَّق، والتأليف العلمي الجادِّ، والنشر المتخصِّص المقصود، فالمكتبة العربية التراثية تكاد تكون نادرةَ الاقتناء والتناول والتداول لمؤلَّفات علم الخطِّ وكتبه الثقافية والفنِّيَّة الأصيلة في رؤيتها المعرفية المتكاملة، وفي حيويَّتها المنهجيَّة العميقة، وفي وقفتها الأدبيَّة الجادَّة لدراسة أنواع الخطِّ العربي الكثيرة جدًّا بطبيعتها، وتصنيفها فنِّيًّا ووظيفيًّا، والتأليف العلمي الموسوعي فيها. أمَّا المحاولات التأليفيَّة الحديثة والمعاصرة عن هذا الموضوع؛ فأغلبُها -على العموم- يكاد لا يُغني ولا يسمن من جوع المعرفة الخطِّيَّة الصحيحة والمتكاملة.

ولعلَّ إدراك مكانة الخطِّ الأساسية في بِنية اللغة وتكوينها المعرفي، وأهمِّيَّته التواصليَّة الوسيطة في ما بين اللفظ والمعنى في صناعة المعجم وبِنيته اللغوية، ووظيفته الحضاريَّة الكبرى التي تجمع بين (الكتابة) و(القراءة) بوصفهما العِلْمَين الأساسيين من علوم المنطق والآلة التي تظهر بها "خاصَّةُ النوع الإنساني من القُوَّة إلى الفِعْل"[١] = يجعل هذا التجاهل المعجمي للعلاقة في ما بين اللفظ والخطِّ في رعاية المعنى؛ علَّةً منهجيَّة تقلِّل -إلى حدٍّ ما- من شأن المعجم؛ أيًّا كان نوع هذا المعجم واتِّجاهُه على صعيد اللغة والثقافة والمعرفة، وإشكاليَّةً معرفيَّةً في الدراسات التاريخية المتعلِّقة بحياة اللغة العربية وتطوُّرِ وسائلها الوظيفيَّة في التعبير والتواصل والتخليد من الصفة الشفاهية التي تقوم على الألفاظ والكلام والأدب (شعرًا ونثرًا) إلى الصفة الكتابية التي تقوم على الخطِّ والتدوين والفنِّ (رسمًا وصورة).

ويمكن القول إنَّ تاريخ اللغة العربية يقوم -بشكل كبير- على الأدب وعصوره المتوالية منذ العصر الجاهلي (أو: عصرِ ما قبل الإسلام). وغالبًا ما يمثِّل الشعر الروح السرمدية لحياة اللغة، والعصبَ المحرِّك لتاريخها، والمصدر الأوَّل والأوثق لمعاجمها في نشاة الألفاظ وتطوُّرِها الدلالي، في حين كانت الشواهد الكتابية الخطِّيَّة مصدرًا ثانويًّا لمعاجم اللغة في هذا السياق التاريخي، ومادَّةً علميةً لم يلتفت مؤرِّخو اللغة العربية كثيرًا إلى دراستها التاريخية المتوازية مع نشأة الألفاظ وتطوُّرها

١ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ٤٠.

الدلالي، فصار تاريخ الخطِّ العربي منفصلًا عن تاريخ اللغة العربية، وصار مكانه المعرفي بعيدًا عن معاجمها المختلفة؛ قريبًا من عناية علم الآثار وتاريخ الفنِّ.

معجمة الخطِّ ودراساته السابقة

كادت معاجم اللغة العربية تقتصر في معالجتها لموضوع الخطِّ على الترادف في ما بين اللفظين المعروفين: الخطِّ والكتابةِ، فنصَّ أغلب هذه المعاجم على أنَّ معنى كلمة "خطَّ بالقلم وغيره خطًّا: كَتَب كِتَابة".[١]

ولم تكن معاجم اللغة وقواميسها المعرفية هي المؤلَّفاتُ الوحيدةُ قليلة العناية بألفاظ الخطِّ ومصطلحاته، فأغلب دراسات الخطِّ الأخرى كذلك؛ ولا سيَّما تلك المؤلَّفات التاريخية التي تُعنى بسِيَر الخطَّاطين وطبقاتهم التي توزَّعت على الأجيال، أو الخطوط التي كان هؤلاء الخطَّاطون يتعاملون بها أكثرَ من غيرها، فاشتهرت أعمالهم الخطِّيَّة بها. وانماز بعض دراسات الخطِّ بعنايته المتواضعة بتفاصيل المعرفة الخطِّيَّة ودقائقها الفنِّيَّة المتعلِّقة بالتقنيات والأساليب والمدارس التاريخية. ولكنَّ كلَّ تلك الدراسات التاريخية لم تعنَ عنايةً واضحةً بألفاظ الخطِّ ومصطلحاته التي ظلَّ الاهتمام بها هامشيًّا ملحقًا ببعض تلك المؤلَّفات التي وضع مؤلِّفوها في أواخرها كشَّافاتٍ ومساردَ لألفاظ الخطِّ ومصطلحاته مرتَّبةً على حروف المعجم العربي بالنسبة للكتب العربية مثل كتاب إبراهيم جمعة عن تطوُّر الكتابات الكُوفيَّة؛ إذ احتوى هذا الكتاب على ما يقرب من أربعين مصطلحًا مهمًّا من مصطلحات الخطِّ الكوفي،[٢] أو مرتَّبةً على حروف المعجم الأجنبي بالنسبة للكتب الصادرة باللغات الأخرى، كالتركية مثلًا؛ حيث وضع الخطَّاط والباحث محمود بدر الدِّين يازير (ت ١٣٥٢ هـ/ ١٩٥٢م) في نهاية كتابه عن جماليَّة الخطِّ في الحضارة الإسلامية؛ كشَّافًا كبيرًا نسبيًّا؛ ضمَّ ما يقرب من أربع مئة مصطلح خطِّي.[٣]

١ على سبيل المثال لا الحصر: المخصَّص، مج٤/ ٤، أقرب الموارد إلى فصيح العربيَّة والشَّوارد، ١/ ٢٥٨.

٢ دراسة في تطوُّر الكِتَابات الكُوفيَّة، ١٠٣.

٣ Kalem Guzeli, 1/ XIII-XVIII.

ويكاد (معجم مصطلحات الخطِّ العربي والخطَّاطين) لمؤلِّفه عفيف البهنسي يكون العمل المعجمي الرائد في هذا المجال، ولكنَّه عملٌ متواضعٌ لم يخْلُ من بعض الهنات والهفوات والزَّلَّات والأخطاء والإشكاليَّات المعرفية والمنهجيَّة التي أضرَّت بجودة العمل المعجمي وإتقانه. وربَّما كان ذلك ناجمًا عن افتقاره إلى رؤيةٍ علميةٍ واضحةٍ لطبيعة الموضوع الخطِّي وحقيقته؛ فضلًا عن معرفة ألفاظه ومصطلحاته معرفةً دقيقةً وصحيحة. (**الشكل رقم ١**).

تاريخ الخطِّ وتحقيبه

تكاد مناهج البحث العلمي الحديثة والمعاصرة المتعلِّقة بدراسة الكتابات الخطِّيَّة تجتمع على المستويات العامَّة والأساسية الثلاثة الآتية:

• المستوى التاريخي الذي يَدرُس الخَطَّ من حيث تطوُّره زمنيًّا على أصعدة الشكل والأسلوبِ والوظيفةِ، وقد اصطُلِح على هذا المُستوى بأنَّه الـ(Palaeography).

• المستوى الدلالي الذي يَدرُس الخَطَّ من حيث كونه نقشًا Inscription دلاليًّا وظيفيًّا على الأبنية والأضرحة والنُّقود والمَوادِّ الآثاريَّة الأخرى، وقد اصْطُلِح على هذا المستَوى من الدَّرس الخطِّي بأنَّه الـ(Epigraphy).

• المستوى الجَمَالي الذي يَدرُس الخَطَّ من حيث كونه فنًّا Art، وقد اصطُلِح على هذا المستَوى الدراسي بأنَّه الـ(Calligraphy).

ولكنَّ هذه المناهج والمستويات لا تخرج عن كلٍّ من السياق والإطار والمرجعية اللغوية للكتابة الخطِّيَّة، فقد أصبح الخطُّ اليوم موضوعًا مشتركًا في ما بين علوم اللغة والثقافة والاتِّصال، وعلوم الحضارة والآثار وتاريخ الفنِّ.

وعلى الرغم من أنَّ التاريخ يكاد يهيمن على عموم دراسات الخطِّ العربي؛ فإنَّنا لا نستطيع العثورَ على دراسةٍ علميةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الإحاطة بأطراف الموضوع وسياقاته التاريخية بشكلٍ واضحٍ متكامل، فهناك الكثير من الحقب التاريخية والأمكنة الجغرافية والدورات الحضارية الإسلامية التي يكاد الخطُّ العربي يكون فيها مجهولًا

غير معلوم المكانة والدور، أو مضطربًا غيرَ واضح الصورة والهوية، ولا سيَّما أنَّ جهود بعض الباحثين الذين حاولوا كتابة تاريخ هذا الخطِّ؛ كانت جهودًا فرديَّةً لا مؤسَّساتية، ممَّا جعلها تعاني من صعوبة الإحاطة بأطراف الموضوع وتحقيبه التاريخي.

ولعلَّ أوَّل الكتب الحديثة الصادرة في هذا السياق؛ هو كتاب (تاريخ الخطِّ العربي وآدابه) لمؤلِّفه الخطَّاط والباحث والمؤرِّخ محمَّد طاهر الكردي المكِّي (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م). صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٥٩م. وهذا الكتاب "كتابٌ تاريخيٌّ اجتماعيٌّ أدبيٌّ؛ مزيَّنٌ بالصور الخطِّيَّة والرسوم الفوتغرافية" لبعض الخطوط وبعض الخطَّاطين. أمَّا آخر هذه الكتب الحديثة الصادرة في هذا السياق؛ فهو (تاريخ الخطِّ العربي عبر العصور المتعاقبة) لمؤلِّفه عبد العزيز حميد صالح. صدر في ثلاثة أجزاء عن دار الكتب العلمية ببيروت عام ٢٠١٧. ولكنَّ هذا الكتاب التاريخي اعتمد التوزيع الجغرافي في تتبُّع نشأة الظاهرة الخطِّيَّة وتطوُّرها في كلٍّ من: الجزيرة العربية قبل الإسلام، والحجاز، وبلاد الشام، والعراق، ومصر، والمغرب، والأندلس، وإيران، وبلاد ماوراء النهر، وبلاد الأناضول، وشبه القارَّة الهندية.

ولم تكن هناك دراساتٌ جادَّةٌ ولا مؤلَّفاتٌ مختصرةٌ أو شاملةٌ بين هذين الكتابين الرئيسين لتاريخ الخطِّ العربي الذي ظلَّ تحقيبه يقوم على التمييز الجغرافي أكثر من قيامه على التوصيف الفنِّي لأنواع الخطِّ وعلاقاتها البينيَّة بوصفها النسيج الحيوي لنشأة هذا الخطِّ وتطوُّره الذي يمكن أن يقوم على عصور الخطِّ التاريخية التي يمكن تعريفُها على النحو المتسلسل الآتي: عصر التمهيد، عصر الولادة، عصر الظهور، عصر التنوُّع، عصر الازدهار، عصر الإحياء، عصر التجديد.

عصور الخطِّ العربي

تباين اللغويُّون والمؤرِّخون في دراسة الخطِّ العربي؛ فقد سلك اللغويُّون المنهج الفنِّي الوظيفي الذي يشتغل على (الهجاء) الذي يجمع بين الصورة الخطِّيَّة والهيئة اللفظية لرسوم حروف المعجم وأشكالها اللغوية الفنِّية. أمَّا المؤرِّخون فقد سلكوا

المنهج الآثاري في تعقُّب أصول الخطِّ الثقافية ومصادره الحضارية وأنواعه الفنِّيَّة وتطوُّراته الشكلانيَّة وتحوُّلاته الفكرية العابرة لحدود المكان والزمان في الغالب، ولكنَّ أغلب هؤلاء المؤرِّخين ركَّزوا دراساتهم الخطِّيَّة على (السيرة الذاتيَّة) لأعلام الخطَّاطين، و(السلسلة التعليمية) لطبقاتهم في السياق التاريخي لقيام مراكز الحضارة العربية الإسلامية وتحوُّلاتها الجغرافية (بغداد، القاهرة، الأندلس، إستانبول، مثلًا لا حصرًا) أو السياسية (العبَّاسيون، المماليك، العثمانيُّون مثلًا لا حصرًا) بالدرجة الأولى.

وقد يُعتبر هذا المنهج الدراسي وحيثيَّاتُه التاريخية نوعًا من (التحقيب -Period-ization) الذي سلكه مؤرِّخو الفنون الإسلامية المحدَثون؛ إذ تقوم البِنية المعرفيَّة لمفهوم التحقيب على الحقب الزمنية والفترات الحضارية والعهود السياسية في دراسة نشأة هذه الفنون وتطوُّرها التاريخي. وربَّما كان تاريخ الأدب العربي أكثرَ الأمثلة الإبداعية وضوحًا في قيامه على منهج التحقيب؛ فقد قسَّمه المؤرِّخون إلى: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي، والعصر العبَّاسي، وهكذا الأمر بالنسبة للجغرافية الحضارية: الأدب الأندلسي. وقد خضعت أنواع الخطِّ العربي لبعض محاولات التحقيب التاريخي. (**الشكل رقم ٢**).

وكان من أبرز المسائل المحيِّرة معرفيًّا ومنهجيًّا؛ التي واجهت هؤلاء المؤرِّخين في هذا السياق: مسألة نسبة الشعراء مثلًا -ولا شكَّ في أنَّ هذه المسألة تنطبق على الخطَّاطين وغيرهم من أصناف المُبدعين وطبقاتهم- الذين يجايلون عصرين أو أكثر، فأطلقوا عليهم مصطلح (المُخضرمون) في تأكيد من هؤلاء المؤرِّخين على انحيازهم المطلق إلى التاريخ أكثرَ من انحيازهم إلى المعرفة في دراسة واقع العلوم والآداب والفنون العربية الإسلامية من خلال السير التاريخية لأعلامها المبدعين وطبقاتهم النخبوية.

وقد يستدعي هذا الموضوع الإشكالي رؤيةً ومنهجًا جديدين (نوعًا ما) في سبيل الكشف التاريخي الحقيقي عن الطبيعة المعرفية لهذه العلوم والآداب والفنون؛ يمكن تركيبهما (الرؤية والمنهج) في ما يمكن أن نسمِّيه هنا: التحوُّلاتِ (-Trans

formations) الذاتية الموضوعية المتطوِّرة في البِنية المعرفية، والمتنوّعة في الشكل الفنِّي، والمتغيِّرة في الدور الوظيفي، والمتواصلة في الحركة التاريخية والفترات الزمنية والعصور المتعاقبة لهذه العلوم والآداب والفنون؛ ومنها: الخطُّ العربي الذي يمكن تأشير تحوُّلاته التاريخية على التحقيب المعرفي الآتي:

- عصر التمهيد (قبل الإسلام): نظريَّات السلسلة التاريخية لأصل الخطِّ العربي ومصادره الكتابية من الكتابات والخطوط القديمة، كالخطِّ المسماري، والسرياني، والنَّبطي، والمسند، والحضري وغيرها من الكتابات والخطوط التي يعتقد كثير من العلماء بأنَّها كانت تمهيدًا حضاريًّا وفنِّيًّا لنشأة الخطِّ العربي وتطوُّره.

- عصر الظهور (قبيل الإسلام وبعيده): نظريَّات الظهور التاريخي لأصل هذا الخطِّ ومصادره الثقافية والحضارية العربية الأولى من النصوص اللغوية والأدبية كالشعر وغيره، ومن الروايات التاريخية المتعلِّقة باختراع الكتابة العربية قبل الإسلام، ومن الوثائق والآثار المادِّيَّة المكتشفة للكتابات الخطِّيَّة والتي تعود إلى حِقبة ما قبل الإسلام وبعده بقليل.

- عصر الولادة: خطوط: الجزم، والمكِّي، والمدني، والبصري، والكوفي (القرن الأوَّل حتَّى الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

- وهكذا؛ عصور الخطِّ الأخرى المتعاقبةِ في أحوالها المعرفية المتمثِّلة في كلٍّ من: عصر التنوُّع، وعصر الازدهار، وعصر التجديد، وعصر الإحياء.

نحو معجم تاريخي جديد

ولذلك كلِّه؛ يدعو هذا البحث إلى التأسيس اللغوي والتحقيق الفنِّي والتأليف الموسوعي؛ في كلِّ ما يتعلَّق بالخطِّ العربي من الألفاظ والمصطلحات والمفاهيم والمقاصدِ التي يمكن إطلاقها في مشروعٍ معرفيٍّ كبير لصناعة معجمٍ تاريخيٍّ رائدٍ وجديدٍ من نوعه في الدراسات اللغوية والثقافية والحضارية الضرورية في الحفاظ المطلق على وجود الأمَّة وهويَّتها وحيويَّتها الفاعلةِ في التفكير والتعبير والتواصل

والحوار الإنساني مع اللغات والثقافات والشعوب الأخرى.

ولعلَّ ما يسوِّغ دعوتَنا هذه إلى هذا النوع التاريخي من المعاجم الموسوعية هو عنايته بنشأة اللفظة اللغوية وتطوُّرها الدلالي عبر دورات حياتها الثقافية والحضارية، لا سيَّما أنَّ المعاجم يُمكن تصنيفُها -بشكل عامٍّ- إلى ثلاثة أنواع عامَّة ورئيسة؛ هي:

- المعاجم اللغوية؛ التي تُعْنى بالألفاظ من حيث الوضعُ أو التَّأثيل أو التَّرجمة.

- المعاجم الدَّلالية؛ التي تُعْنى بالأشياء والموضوعات من حيث الدلالةُ والتخصُّص.

- المعاجم الموسوعية الشاملة لكلٍّ من العناية بالألفاظ والعناية بالموضوعات لتعريف المادَّة المَعْجَمية.

ولأنَّ المعجم التاريخي هو معجم موسوعي بامتياز؛ يُعْنَى بسيرة الكلمة في اللغة وبصيرورتها الدلالية عبر السياقات المعرفية والوظيفية والتواصلية والتداولية المتنوِّعة، فإنَّ رياديَّة المعجم التاريخي المصوَّر وجِدَّته تتمثَّلان في تبنِّي الخطِّ ركنًا من أركان اللغة؛ شأنُه في ذلك شأن اللفظ في تصوير المعنى وتعيينه في المدوَّنة الكلِّيَّة والشاملة للغة العربية بكلِّ مقوِّماتها وعناصرها من المعاني والألفاظ والخطوط.

المعاني والألفاظ والخطوط

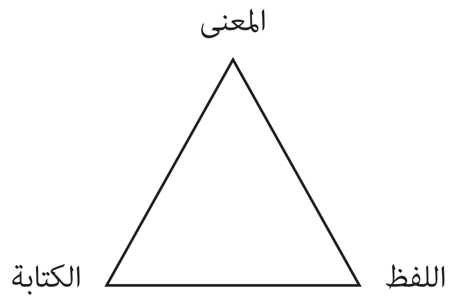
الحروف هي عنصر التكوين والوظيفة في اللغة، فهي: "مدار الكلام والكَتْب والأصوات واللغات والعبارات كلِّها"[١] التي يتمُّ بها التعبيرُ، ويجري بها التواصل، ويقوم عليها الحوار الإنساني.

وتنقسم هذه الحروف عند فلاسفة اللغة وعلمائِها إلى ثلاثة أنواعٍ؛ هي:

١ رسالة في حروف العربية، ٩٦.

الحروف المعنوية، والحروف اللفظية، والحروفُ الخطِّيَّة. وتُعرَّف الحروف الخطِّيَّة بأنَّها "نقوشٌ خُطَّت بالأقلام في وجوه الألواح وبطون الطوامير، مدرَكةٌ بالقوَّة الناظرة بطريق العين. والحروف الخطِّيَّة وُضعت ليُدلَّ بها على الحروف اللفظية، والحروف اللفظية وُضعت ليُدلَّ بها على الحروف المعنوية التي هي الأصل"،[1] فالحروف الخطِّيَّة هي أشكالٌ بصريةٌ رمزيةٌ؛ وظيفتُها الأساس هي: تمثيل ألفاظ اللغة والتعبير عن معانيها، والدلالة على الأشياء في الوجود، إذ يتمثَّل وجود الأشياء في أربع مراتبَ، هي: الأعيان، والأذهان، والألفاظ، والخطوط.[2]

تتربَّع المعاني على رأس الهرم اللغوي، فهي صاحبة السيادة ومالكة السياسة في اللغة والثقافة والمعرفة، وهي جنسٌ من الأفكار والمعارف الذهنية. والألفاظ هي قوالبُ المعاني وجنسٌ من الأصوات. أمَّا الخطوط فهي النقوش الكتابية التي ترسم حدودَ الألفاظ وتقيِّدها، وتصوِّر خيالات المعاني وتمثِّلها. ومن ثَمَّ فإنَّ كلًّا من الألفاظ والخطوط يقع في نفس المستوى الأدنى من قاعدة الهرم اللغوي؛ خدمةً للمعاني.



الهرم اللغوي

١ الكلِّيَّات، ٢/ ٣٩٩.

٢ أدب الكتَّاب، ٤٢.

الكتابة والخطُّ

مفهومان شديدا التعالق والتداخل والترابطِ والتكامل؛ فلا بدَّ للبحث في أحدهما من الركون إلى المعرفة بالآخر، فدراسة الخطِّ لا بدَّ لها من الركون إلى علاقته الطبيعية المتطوِّرة بالكتابة، وذلك لكون الكتابة هي الأصل اللغوي والمعرفي للخطِّ، من حيث إنَّ الكتابة هي نظامٌ لغويٌّ من أنظمة الاتِّصال والتواصل الإنساني؛ يقوم على ركيزتين أساسيَّتين؛ هما: الإنشاءُ والخطُّ.[١]

والإنشاء هو أسلوب بلاغيٌّ لإظهار المعنى بواسطة الألفاظ والكلام الذي جعل من الكتابة حقلًا معرفيًّا لا لغويًّا؛ عامًّا وشاملًا لمعانٍ ومدلولات ومفاهيمَ حقيقيَّةٍ ومجازيَّةٍ كثيرةٍ؛ أهمُّها: النَّسْخُ والنساخة والتدوين والتسجيل والإملاءُ والتأليف والمراسلة والعقد والقضاء والغرض والجمع والتهيئة والمشاركة والتبرُّع والمساهمة والحرفة والوظيفة والمؤسَّسة والآلة وغيرُها.[٢]

أمَّا الخطُّ فهو واحدٌ من معاني الكتابة ومفاهيمها الواقعيَّة المادِّيَّة والحسِّيَّة البصرية التي تقوم على الهجاء والإملاء والزَّبْر والرقم والرسم والنقش والنسخ والتصوير والتدوين والتسطير وما شاكل ذلك من معاني الكتابة الخطِّيَّة ومقاصدِها المتحقِّقة بواسطة اليد الجسمانية وآلة القلم الصناعية لتصوير ألفاظ اللغة وتمثيل معانيها بشكلٍ مباشرٍ يجعل الخطوط قسيمًا لازمًا للألفاظ في الدلالة اللغوية، فالخطُّ هو "لسان اليد"[٣] ومنطِقُها البصري القادر على تحويل اللغة إلى "هندسةٍ روحانيةٍ"،[٤] وتحويلِ الكلام إلى بِنية "جسدانيةٍ"[٥] تتألَّف -في حقيقتها اللغوية المستدامة- من الفكرة والصوت والصورة، أو المعنى واللفظ والخطِّ.

١ جواهر الأدب، ٢/ ٢١.
٢ المعجم العربي الأساسي، ١٠٢٧.
٣ الرسالة العذراء، ٣٣.
٤ رسالة في علم الكتابة، ٢٣.
٥ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣/ ٤٦.

الخطُّ صورة الكتابة

لعلَّ العلاقة العضوية العميقة والحميمةَ بين الإنشاء والخطِّ بوصفهما وجهَي العملة الواحدة بالنسبة لمفهوم الكتابة اللغوي المعرفي العامّ؛ تفتح الباب واسعًا لوعي أهمِّيَّة الخطِّ، والتأمُّل في طبيعته، والتفكير في مكانته المركزية في اللغة، ودوره الحيوي في تعيينها وتثبيتها وديمومتِها، ولا سيَّما أنَّ (حقيقة الخطِّ)[١] أو (نَفْس الخطِّ)[٢] تتمثَّل في كونه -من حيث المعنى والمفهوم والتعريف: "صورةَ الكتابة"، وهو - من حيث الأهمِّيَّةُ والدور والوظيفةُ: "مصوِّرُ المعاني والألفاظ".[٣] ومن هنا؛ يصبح الخطُّ هو مناط الكتابة ووسيلتها اللغوية لتحقيق القراءة الواضحة:

فالخطُّ أجوَدُه الجليلُ الموضحُ   بَيِّن وغَلِّظ في الكتابةِ خطَّها[٤]

يقول بعض فلاسفة اللغة: "الخطُّ ما يُقرأ، وما زاد فهو نقشٌ"، والنقش باب الفنِّ في الخطِّ بمعانٍ إبداعيةٍ من الكتابة والتسطير، والزخرفة والتحسين، والرسم والتصوير، وما شاكل ذلك من معاني التنويع والتفنين الهادف أوَّلًا وأخيرًا إلى متعة النظر وتمام الفهم لوضوح النصِّ وسهولة القراءة وبيان المعنى.

إنَّ "أحسنَ الخطِّ أبينُه، وأبينَ الخطِّ أحسنُه"[٥] صناعةً عمليةً وصورةً فنِّيَّةً في سياق لغويٍّ وثقافيٍّ وحضاريٍّ مركَّبٍ من الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات التي تؤطِّر كلًّا من:

أوَّلًا: صناعةِ الخطِّ ومزاولته الإبداعية اليدوية التي يقوم بها الخطَّاطون المجيدون.

ثانيًا: علمِ الخطِّ وثقافته اللغوية والجمالية والفنِّيَّة التي يشتغل عليها علماء اللغة

١ إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ٣٩.
٢ صُبْح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣/ ٣.
٣ مِنْهَاج البلغاء وسِرَاج الأدباء، ١٨.
٤ أدب الإملاء والاستملاء، ٦٨.
٥ ديوان المعاني، ٢/ ٣٩٥.

وأدباؤُها الفقهاءُ في المعرفة الخطِّيَّة.

المعرفة الخطية

وهي عبارةٌ تصنيفيَّةٌ جامعةٌ لعلوم الخطِّ العديدة والمتنوِّعة التي تتجاوز النظريَّة اللغوية البسيطة لماهيَّة الخطِّ ووظيفته التمثيليَّة لألفاظ اللغة ومعانيها؛ إلى النظريَّات الفلسفية والفنِّيَّة والوظيفية لطبيعة الخطِّ المعرفيَّة ومكانته الثقافية ودوره الحضاري في تصنيف العلوم العربية الإسلامية وترتيبها الأبستمولوجي بعامَّة، وفي تصنيف الخطِّ نفسه من حيث هو صنعةٌ وفنٌّ وعلمٌ بخاصَّة.

فعلى الصعيد العامِّ؛ يذهب بعض المصنِّفين إلى أنَّ عدد العلوم العربية والإسلامية يفوق المائة علم، وإنَّ هذه العلوم جميعًا يمكن ترتيبُها في سبعة مراتبَ؛ هي: العلوم الخطِّيَّة، والعلوم التعبيرية، والعلوم الذهنية، والعلوم العملية، والعلوم النظرية، والعلوم الشرعية، والعلوم الحكمية.

أمَّا على الصعيد الخاصِّ بالخطِّ العربي؛ فقد رتَّب هذا البعضُ العلومَ الخطِّيَّة في "شعبتين" اثنتين:

تضمَّنت الشعبة الأولى: "العلومَ المتعلِّقة بكيفيَّة الصناعة الخطِّيَّة"، وهي: علم أدوات الخطِّ، وعلم قوانين الكتابة، وعلم تحسين أشكال الحروف، وعلم كيفيَّة توليد الخطوط عن أصولها، وعلم ترتيب حروف التهجِّي.

وتضمَّنت الشعبة الثانية: "العلومَ المتعلِّقة بكيفيَّة إملاء الحروف المفردة "، وهي: علم تركيب أشكال بسائط (= أجسام وهياكل) الحروف، وعلم إملاء الخطِّ العربي، وعلم خطِّ المصحف، وعلم خطِّ العروض.[١]

وإذا ما حاولنا إنعام النظر في هذا الموضوع؛ سنكتشف العديد من العلوم الخطِّيَّة القديمة والحديثة والمعاصرة التي تقوم على حيويَّة الخطِّ ودوره المتجدِّد في اللغة والعمران والتواصل الإنساني؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ١/ ٧٤.

– علمُ الصورة الخطِّيَّة بوصفها شكلًا هندسيًّا ورمزًا لغويًّا ونصًّا ثقافيًّا.

– علمُ نحو الخطِّ وقواعده التي تقوم على آداب الكتابة ورسومها اللغوية والفنِّيَّة والتقنيَّة في رسم الحروف وتركيبها في السطور والنصوص والمخطوطات.

– علمُ جمال الخطِّ ونقده الفنِّي الذي كان يُعرف تراثيًّا بعنوان (حسن الخطِّ) الذي يقوم على حسن أشكال الحروف الخطِّيَّة المفردة، وعلى حسن أوضاعها الكتابية التي غالبًا ما ينتظم تشكيلُها أو تركيبُها وفقًا لمقولة إنَّ "حسن الخطِّ لا حدَّ له"[١] من الإبداع والفنِّ والجمال.

أمَّا نقد الخطِّ؛ فتقوم نظريَّتُه العامَّة على اعتبار هذا الفنِّ إبداعًا إنسانيًّا عالميَّ اللغة؛ "يُعْجِبُ رائيه ولو كان أعجميًّا لا يعرف قراءتَه". ويشترط بعض البلاغيين القدامى لوصف الخطِّ بالجودة والحسن والفنِّ؛ خروجَه "عن نمط الورَّاقين، وتصنُّع المحرِّرين، وخيِّل إليك أنَّه متحرِّك وهو ساكن".[٢]

ويُعنى مؤرِّخو هذا الفنِّ ونقَّادُه بطبقات الخطَّاطين وأساليبهم، فالخطَّاط "إذا ما بلغ في تعلُّم هذه الصناعة غايةَ قدرته، وقفت يده عند حدٍّ؛ عرف من ذلك الحدِّ خطُّه؛ من معانٍ تخصُّه عند أهل التمييز وذوي النقد والتحريز، كما تعرف وجوه الناس وإن تشابهت أعضاؤها، وتشاكلت أجزاؤها، بمعانٍ تخصُّ كلَّ وجهٍ منها، تعرفها القلوب، وتشهدها العيون، وقد تقصر عن هذه الفواصل العبارةُ، وتعجز عن تبيينها الإشارةُ".[٣]

ويُعنى هؤلاء النقَّاد كثيرًا بوظيفة الخطِّ وأبعاده الإنسانية والاجتماعية القائمة على اعتبار الخطِّ وسيلةً لغويةً ورسالةً ثقافيةً وخطابًا حضاريًّا للتعبير والتواصل والبيان القائم على المقولة التراثية الشهيرة في أدبيَّات هذا الفنِّ: "حسنُ الخطِّ يزيد الحقَّ وضوحًا".[٤]

١ الرسالة العذراء، ٣٣.

٢ أدب الكتَّاب، ١٤.

٣ رسالة في الكتابة المنسوبة، ١٢٣.

٤ ديوان المعاني، ٢/ ٣٩٥.

وكان من أبرز نقَّاد هذا الفنِ القدامى على سبيل المثال لا الحصر: قدامةُ بن جعفرٍ (ت ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) الذي ألَّف كتابًا في نقد الخطِّ المنسوب إلى ابن مقلةَ (الوزير؛ ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، على غرار كتبه النقدية الأخرى: (نقد الشعر)، و(نقد النثر). وسمَّى هذا الكتاب: (النجم الثاقب).[١]

– علم المصطلح الخطِّي؛ الذي كان القَلْقَشنديُّ (أحمد بن علي، ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م) أوَّل من نظَّر له، وقسمه إلى ثلاثة أقسامٍ هي:[٢]

١. المصطلح العامُّ؛ المتعلِّق بعموم الكتابة بوصفها ركنًا من أركان اللغة.

٢. المصطلح الخاصُّ؛ المتعلِّق بكتابة المصحف الشريف وكتابة عَروض الشعر فقط.

٣. مصطلح الكتَّاب؛ بوصف الكتابة مجالًا وظيفيًّا لإنشاء الوثائق الرسمية وإدارتها في دواوين الدولة وأروقة المجتمع.

لغة الخطِّ المعرفية

يتفرَّد الخطُّ العربي من بين الخطوط والكتابات واللغات الإنسانية كلِّها بخاصِّيَّة التنوُّع المفتوح واللا محدودِ في تكوين أشكال حروف المعجم اللغوية، وصورها الفنِّيَّة، وأساليبِها الكتابية المتغيِّرة بتغيُّر الأشخاص والمهارات والمعارف والتعاليم والبيئات والأزمان وغير ذلك من العوامل التي جعلت هذا الخطَّ متغيِّرًا بطبيعته اللغوية؛ متنوِّعًا بأشكاله التاريخية؛ متعدِّدًا بمعانيه ودلالاته ومفاهيمه الثقافية المتمثِّلة في الألفاظ والأسماء والمصطلحات والعلوم التي أدَّت تطوُّراتُها الدراسية إلى صيرورة لغةٍ معرفيَّةٍ خاصَّةٍ بهذا الموضوع الفنِّي الواسع.

لقد تقلَّبت لغة الخطِّ المعرفيَّة في المعنى والدلالة والمفهوم بين اللغة والفنِّ والعلم والمصطلح الخطِّي الذي يتوَّفر اليوم على ذخيرة لغويةٍ تاريخيةٍ كبيرةٍ من

١ الفهرست، ٢٦٣.

٢ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣/ ٥٣.

الألفاظ المتطوُّرة في معانيها ودلالاتها ومفاهيمها المرتبطة بالسياقات الثقافية والحضارية والفنِّيَّة والتقنية المتنوِّعة بتنوُّع الأزمان والأماكن والأشخاص والطرائق والمقاصد.

وربَّما تفتح هذه الحقيقة البابَ واسعًا أمام الصناعة المعجمية لدراسة تطوُّرات الخطِّ الدلالية، وتحوُّلاته النوعية المتواترة منذ القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي إلى يومنا هذا، ولا سيَّما أنَّ المعجم العربي القديم والحديث والمعاصر يكاد يكتفي بالإشارة والعابرة إلى علاقة الترادف الظاهريَّة لما بين الكتابة والخطِّ من المعنى اللغوي المجرَّد.

إنَّ موضوع الخطِّ العربي هو موضوعٌ واسعُ الآفاق المعرفية، ومتعدِّد الاتِّجاهات المنهجيَّة، ومتنوُّع المصطلحات الفنِّيَّة التي قد يصعب استيعابها في معجم خاصٍّ بألفاظ الخطِّ وأشكاله، أو معجمٍ تاريخيٍّ عامٍّ لألفاظ اللغة العربية ومعانيها، ولا سيَّما أنَّ موضوع الخطِّ العربي يقوم على الأنساق المعرفية الآتية:

- ألفاظ الخطِّ (الأسماء والمصطلحات).
- أشكال الخطِّ (الرسوم والصور).
- معاني الخطِّ (التحقيق والتعيين).

حروف المعجم

يذهب فلاسفة اللغة وأدباؤُها إلى أنَّ الخطَّ هو الذي يعطي الحروف طبيعتَها المعرفية من خلال تعيينه المكاني والبصري لها، فالحرف هو ما "يتَعَيَّن له صورةٌ في النُّطْق وفي الكتابة معًا"، ومنشأ هذه الصورة هو الأصل الفلسفي لمفهوم الكتابة الخطِّيَّة بوصفها أثرًا يتشكَّل هَندسيًا في صُورةٍ تُعَيِّن الحرف،[1] إذ يندفع بالحركات اللازمة لنشوء الصورة الخطِّيِّة وتكوُّنها الجسداني.

---

١ الكلِّيَّات، ٢/ ١٠.

والحركة هي عبارةٌ عن "صورةٍ واحدةٍ" فقط، فإذا ما "الحروف اندفعت بالحركات؛ كانت الصورة الخطِّيَّة التي هي الحروف الشكليَّة؛ محفوظة العيان بامتلائها بها؛ محروسةً بانتسابها إليها".[١]

وتتباين أعداد حروف المعجم من حيث طبيعتُها اللغوية والفنِّيَّة في ما بين الألفاظ والأشكال، فعدد حروف المعجم هو ثمانيةٌ وعشرون حرفًا. أمَّا عدد أشكال هذه الحروف وصورها فهو "ثماني عشرة صورةٍ؛ لتشابه صور الحرفين منها والثلاثة كالباء والتاء والثاء، وكالدال والذال، وكالراء والزاي، ونحو ذلك. ولولا التشابه لكانت لكلِّ حرف منها صورةٌ. وقد تَؤُول هذه الثَّماني عشرة صورة إلى خمس عشرة صُورة أيضًا في الاتِّصال لتشابه صُور"[٢] بعض الحروف عند الابتداء والتوسُّط.

ومع ثبات العدد اللغوي لحروف المعجم، كثيرًا ما تغيَّرت أشكال هذه الحروف وصورها الخطِّيَّة. ولعلَّ أيَّ استقراءٍ تحليليِّ تاريخيٍّ لآثارها الكائنة في النقوش وشواهد القبور والبرديات والمصاحف والمخطوطات وغيرها من الوسائط الكتابية، يكشف عن أعدادٍ كبيرةٍ جدًّا من تحوُّلاتها الشكلانية وتبايناتها النوعيَّة التي قد يصعب استقصاؤها ويتعذَّر إحصاؤُها حتَّى بالنسبة للحرف الواحد من حروف المعجم، فعلى سبيل المثال لا الحصر: يرى بعض مؤرِّخي الآثار الخطِّيَّة العربية أنَّ حرف الهاء وحدَه يكتب خطًّا بحوالي مئات الهيئات والصور والأشكال.[٣]

ويمكن لنا أن نشير في هذا السياق إلى أبرزها المعروفة بأسماءِ: الهاء الأولى، والهاء الوسطى، والهاء المدغمة، والهاء المثلَّثة، والهاء المفردة، والهاء المحقَّقة، والهاء الرادفة، والهاء المدغمة، والهاء المشقوقة، والهاء اللامية، والهاء المخطوفة، وأذن الفَرَس، وغيرِها. (**الشكل رقم ٣**).

---

١ المقابسات، ٢٥٥.

٢ كتاب الكتاب، ٦٦.

٣ الخطُّ، الفنُّ العربيُّ الأصيل، ٣٢.

ومنذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؛ صارت (تصاوير الأحرف)[1] موضوعًا مهمًّا وأساسيًّا وأثيرًا في مؤلَّفات الخطِّ العربي التراثية التي منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب (**جامع محاسن كتابة الكُتَّاب**) الذي جمعه وكتبه الخطَّاط محمَّد بن حسن الطيِّبي سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، فقد عُني هذا الكتاب بأسماء أشكال الحروف الخطِّيَّة وصورها الفنِّيَّة، وبتمييز أنواع الخطِّ بعضِها عن بعضٍ بواسطة الصورة، فكشف لأوَّل مرَّةٍ عن العلاقة المصطلحية في ما بين الاسم والمسمَّى أو اللفظ والشكل من أنواع الخطِّ منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وكان أبرز الألفاظ والأسماء والمصطلحات التي يعرضها هذا الكتاب لتصاوير الحروف الخطِّيَّة هي: الموقوف، والمبسوط، والمجموع، والمحرَّف، والمطلق، والمشغر، والمختلس، والأرتق، والمسبل، والملوز، والمقور، والملفوف، والمربَّع، والمتسلسل، والطويل، والقصير، والمذهَّب، والمعلَّق، والمردوف، وغير ذلك من أشكال الحروف الخطِّيَّة وأوضاعها الكتابيَّة. (**الشكل رقم ٤**).

أنواع الخطِّ

تواتر عديد المصادر القديمة والحديثة والمعاصرة في سرد قوائم أنواع الخطِّ التاريخية التي تفيد بوجود ما يزيد على أكثر من مائة نوعٍ من أنواع الخطِّ التاريخية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

- يذكر محمَّد بن إسحاقَ النديم صاحب (الفِهْرِست) أنَّ **الخطَّ الجليل** (أو: قلم الطومار) هو أبو **الأقلام الأصلية الموزونة** كلِّها؛ لأنَّها جميعًا تناسلت منه. ويقرب عدد هذه الخطوط المتناسل بعضُها من بعضٍ حتَّى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي من أكثر من **أربعين نوعًا**. (**الشكل رقم ٥**).

- ويذكر **الراوندي** (محمَّد بن علي، ت + ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) مؤلِّفُ كتاب (**راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية**) أنَّه كان قد اطَّلع على **سبعين نوعًا من أنواع الخطِّ** التي كانت شائعةً قبله وفي زمانه من القرن السادس الهجري/ الثاني

١ جامع محاسن كتابة الكتاب، ٤٢.

عشر الميلادي.

- يؤكِّد الزفتاوي، محمَّد بن أحمد (ت ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣م) على تعلُّم أكثر من اثنين وأربعين نوعًا ناشئًا عن أربع عشرة طريقةِ أصولٍ.[١] ويوضِّح القَلْقَشنديُّ أنَّ هذه الأربع عشرة طريقةً تتراوح بين الطُّومار أكبرِ الخطوط العربية حجمًا وأكثرها وزنًا، وغبارِ الحلبة أصغرها حجمًا وأدقِّها سماكة.

- ويوثِّق بدر الدين محمود يازر (ت ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) أكثر من تسعة عشر نوعًا من أنواع الخطِّ التي كانت مستخدمةً في كتابة الوثائق التاريخية لأوقاف الدولة العثمانية في إستانبول.[٢]

- ويشير مؤلِّف كتاب جواهر الأدب[٣] إلى وجود أكثر من سبعين نوعًا من الخطوط العربية؛ خمسون منها هي أنواع الخطِّ الكوفي، أمَّا العشرون نوعًا الأخرى فهي أنواع الخطِّ المنسوب.

- ورسم المؤرِّخ المعاصر لفنِّ الخطِّ المهندس ناجي زين الدين المصرف (ت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٥م) صاحب الموسوعات الخطِّيَّة الكبيرة؛ أوَّل من حاول رسم شجرةٍ وارفةٍ لأنواع الخطِّ؛ تحتوي تقريبًا على أكثر من ثمانين نوعًا مستخلصًا من المصادر التراثية.[٤] (**الشكل رقم ٦: أ + ب**).

ولعلَّ هذه الأمثلة الإحصائية التاريخية فتحت شهيَّة بعض المؤلِّفين المعاصرين في تاريخ الخطِّ العربي على ذكر أعدادٍ مفتوحةٍ لأنواع الخطِّ يفوق بعضُها المئة والخمسين نوعًا، لكنَّ الحقيقة العلميَّة الصادمة لهذه الأعداد المتزايدة تؤكِّد وجود فجوةٍ كبيرةٍ بين أسماء أنواع الخطِّ ومسمَّياتها المعلومة والمجهولة، فقد قمنا بإحصاء مائة واثني عشر اسمًا من أسماء أنواع الخطِّ الواردة في أغلب المصادر القديمة والحديثة والمعاصرة.

١ منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، ١٩٢.

٢ Kalem Guzeli, s111

٣ جواهر الأدب، ٢/ ٢٠.

٤ بدائع الخطِّ العربي، ٤٦٥.

ولكنَّ دراستنا المصطلحية التحليليَّة الدقيقة لما هو معلوم وما هو مجهول من هذا العدد الكبير لأنواع الخطِّ؛ تفيد بأنَّ الخطوط العربية المعلومة الأشكال والصور الخطِّيَّة قليلةُ العدد بما لا يصل إلى (٢٠) عشرين اسمًا معلوم العلاقة الفنِّيَّة مع مسمَّاه المتمثِّل في الشكل والصورة الخطِّيَّة الأكيدة. (**الشكل رقم ٧**).

لقد ظلَّت هذه الإشكالية المعرفيَّة لأنواع الخطِّ قائمةً بقوَّةٍ حتَّى اليوم؛ بسبب عدم وجود دراسات تحقيقيَّة تعيينيَّة تشخيصيَّة دقيقة وصحيحة لما يسمِّيه بعض فقهاء اللغة والثقافة والمعرفة الخطِّيَّة العربية: (معاني الخطِّ)[١] التي تضبط العلاقة الفنِّيَّة المصطلحية بين اسم الخطِّ ومسمَّاه؛ أو بين ألفاظ الخطِّ وأشكاله.

معاني الخطِّ

لا شكَّ في أنَّ المعنى هو جوهر الأشياء وغايتها في الوجود، وله من الأهمِّيَّة المطلقة والمكانة الجليلة ما يجعله يتربَّع على الرأس الأعلى لهرم اللغة الحقيقيَّة أو المجازيَّة، ليخدمه كلٌّ من اللفظ والخطِّ اللذين يتولَّيان مهمَّة تصوير المعنى وتبريزه؛ تعبيرًا عنه أو دلالة عليه؛ سواء كان هذا المعنى نظريًّا في الذهن أو عمليًّا في الواقع.

وغالبًا ما يستوطن المعنى المعجم اللغوي الذي هو بمنزلة بيته الأوَّل المبني من الألفاظ ومعانيها، حيث تكون معاني الألفاظ هي المادَّة المعرفية والثقافية لأغلب المعاجم العامَّة والمتخصِّصة، بل إنَّ معاجم اللغة العربية تكاد تقوم بالمطلق على معاني الألفاظ، على حين تغيب "معاني الخطِّ" عن هذه المعاجم.

ولا نقصد بغياب المعنى الخطِّي عن أعمال هذه المعاجم وموادِّها غيابَ المعنى اللفظي لكلمة "خطَّ بالقلم وغيره خطًّا: كتب كتابةً"؛ وهو ما اكتفت المعاجم اللغوية العربية القديمة والحديثة بسرده اللفظي الثابت المتواتر الذي يتوقَّف عند الحدود المعنوية الأوَّلية والقيم الدلالية الدنيا لعمليَّة الكتابة الخطِّيَّة، بل نقصد: إنَّ هذا السرد اللفظي لا يتعدَّى ترادفَ المعنى الظاهري بين كلٍّ من الخطِّ والكتابة، في حين إنَّ

١ رسالة في علم الكتابة، ٣١.

العلاقة بين الاثنين لا تقوم على الترادف المطلق في المعنى أو التطابق الهندسي في الدلالة، فالخطُّ هو – أوَّلًا وأخيرًا– عبارةٌ عن صورةٍ؛ وتحديدًا صورة الكتابة الحاملة لكلٍّ من المعاني والألفاظ.

ومن هنا؛ فإنَّ معاني الخطِّ الحقيقيَّة لا تظهر -بجلاءٍ- إلَّا عبر الرسم التشكيلي والسرد البصري لأشكال حروف المعجم وتصاويرها التي تجعل هذه المعاني الخطِّيَّة المنظورة ركنًا من أركان اللغة (أوَّلًا وقبل كلِّ شيء)، ووجهًا من وجوه الفنِّ البصري (أخيرًا)؛ حيث تقوم العلاقة العضوية العميقة والحميمةُ في ما بين المعنى الساكن الثابت، والمعنى المتحرِّك المتغيِّر الكائنَين في كلٍّ من: الألفاظ والخطوط؛ فقد يكون كلُّ واحد من معاني الألفاظ أو معاني الخطوط ساكنًا ثابتًا من حيث هو هو في طبيعته اللغوية ووظيفته التواصليَّة، ويكون المعنيان الآخران متحرِّكين متغيِّرين:

– فالمعنى هو المعنى في طبيعته الذهنية التصورية التجريدية، ولكنَّه يتغيَّر دلاليًّا في السياق اللغوي التاريخي المتحرِّك لمقامات الألفاظ وأساليبها الكلامية، أو لأشكال الخطوط وصورها الكتابية.

– واللفظ هو اللفظ في طبيعته اللسانية الصوتية الهوائية المتعيِّنة في الزمان والسمع، ولكنَّه قد يتبع التطوُّر الدلالي للمعنى في سكونه الكامن في الألفاظ، وفي حركته الدلالية الرمزية الماثلة في العلامة الخطِّيَّة.

– أمَّا الخطُّ فيصفه البلاغيُّون بالساكن المتحرِّك؛ إذ إنَّ الخطَّ هو الخطُّ في طبيعته اليدوية الصورية المتعيِّنة في المكان والبصر، ولكنَّه يتابع المعنى واللفظ في تطوُّراتهما الدلالية، ليعينهما معًا بالصورة المكانية والزمانية المناسبة.

ومن هنا؛ فإنَّ فلسفة المعجم وبِنيتَه اللغوية تقوم -في الحقيقة- على هذه العلاقة المعجميَّة المتوازنة بين المعنى واللفظ والخطِّ؛ حيث يمثِّل المعنى روح اللغة وجوهرها المشترك والثابت والكامن في كلٍّ من اللفظ والخطِّ، فيمكن القول يقينًا بأنَّه مثلما يكون للفظ معنًى لغويٌّ مجرَّدٌ يُدرك ويفهم نظريًّا بواسطة السمع والذهن والتخيُّل والتصوُّر، يكون للخطِّ أيضًا معناه الهندسي المتجسِّد والمحسوس

بواسطة البصر وعينه الطبيعية، ولا بدَّ لبيانه وتوضيحه وفهمه من الشكل والصورة والوسيلة الإيضاحية.

ولا شكَّ في أنَّ الطبيعة النظريَّة التجريديَّة بالنسبة للفظ، والعمليَّة التجسيديَّة بالنسبة للخطِّ، تؤثِّر كثيرًا في تمييز أنواع المعنى ومقاصده الدلالية التي تتباين في ما بينها: نظريًّا بالنسبة لألفاظ الخطِّ، وعمليًّا بالنسبة لأشكال الخطِّ. وتؤدِّي العلاقة العضوية بين هذين المعنيين (اللفظيّ النظريّ والخطِّيّ العملي) معنى ثالثًا هو أشبه ما يكون بمعنى المعنى ومقصوده العملي الدالِّ على الألفاظ الخطِّيَّة؛ يمكن تسميته: (المعنى التعييني).

ونقصد بالتعيين هنا: تحقيقَ المعنى وتثبيتَه بواسطة الشكل الكتابي والصورة الخطِّيَّة.

وتتجلَّى أهمِّيَّة المعنى التعييني ودوره اللغوي والفنِّي في التمييز بين كلٍّ من: (معاني اللفظ) و(معاني الخطِّ):

فأوَّلًا: تتمثَّل (معاني اللفظ) في ما يمكن تصويرُه بواسطة الكلام والأنغام والموسيقى وغيرِها من الصناعات الإنسانية الإبداعية المتَّصلة بإيقاعات الزمان وفضاءاته المفتوحة التي تدرَك بواسطة السمع.

وغالبًا ما تكون مفردات هذه المعاني اللسانية شبه ثابتةٍ رسمًا في اللغة؛ وخطًّا في الفنِّ، ولكنَّها تتطوَّر دلاليًّا في السياق التاريخي لتداولها الوظيفي الذي غالبًا ما يكون هو العامل المؤثِّر في إحداث هذا التغيُّر الدلالي في البنية العميقة للكلمة من معناها الأوَّل إلى معنى ثانٍ، وربَّما ثالثٍ، وهكذا يتأثَّر معنى الكلمة ورسمُها الخطِّي أحيانًا.

ولعلَّ هذا الرسم الخطِّي التشكيلي هو عين الحقيقة التي عناها أبو حيَّان التوحيدي (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) بعبارة "معاني الخطِّ" التي أطلقها على أصول الكتابة العملية وقواعدها التقنيَّة المنتجة لأشكال الحروف الخطِّيَّة؛ والصانعة لصور الكلمات صحيحة الرَّسْم في اللغة؛ وحَسَنةِ المنظر في الفنِّ.

وقد مثَّل أبو حيَّان التوحيدي "معاني تحقيق الخطِّ" هذه في عدد من الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات الدالَّة على العمليَّات الكتابية المطلوبة لبناء شكل كلِّ حرفٍ من حروف المعجم؛ بناءً لغويًّا صحيحًا وفنِّيًّا جميلًا.

وهذه الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات هي: "التحديق، والتحويق، والتخريق، والتعريق، والتشقيق، والتنسيق، والتوفيق، والتدقيق، والتفريق. وكلُّها تعمل على إبانة الحروف كُلِّها، منثورِها ومنظومِها، ومفصولها وموصلها، بمَدَّاتها وقَصراتها، وتفريجاتها وتعريجاتها، حتَّى تراها كأنَّها تبتسم عن ثغورٍ مُفَلَّجَةٍ، أو تضحك عن رياضٍ مُدَبَّجَةٍ".

مثلًا لا حصرًا: يعني "التَّشقِيْقُ: تكنُّف الصاد والضاد والكاف والطاء والظاء وما أشبه ذلك، ممَّا يحفظُ عليها التَّناسب والتَّساوي"[١] (**الشكل رقم ٨: أ + ب**).

المصطلح الخطِّي

يبدو مفهوم معاني الخطِّ ماثلًا في كلٍّ من ألفاظ الخطِّ وأشكاله معًا؛ حيث يتوحَّد الاثنان في معنًى واحدٍ مشتركٍ ثابتٍ وكامنٍ في كلٍّ من اللفظ والخطِّ، على الرغم من التباين والاختلاف والتنوُّع في طبيعة كلٍّ من: (أوَّلًا) اللفظِ؛ حيث يكون معنى اللفظ: نظريًّا مجرَّدًا، و(ثانيًّا) الخطِّ؛ حيث يكون معنى الخطِّ: عمليًّا مشخَّصًا.

وتؤدِّي العلاقة العضوية بين هذين المعنيين (اللفظيِّ النظري والخطِّيِّ العملي) معنى ثالثًا هو: **المعنى التعيينيُّ** (الشكلُ الكتابي والصورةُ الخطِّيَّة) الذي هو معنى المعنى بالنسبة للألفاظ الخطِّيَّة التي غالبًا ما تكون مفرداتها اللفظية شبه ثابتةٍ في اللغة، ولكنَّها تتطوَّر تاريخيًّا (أي: تتغيَّر شكلًا وصورة ونوعًا) في كلٍّ من معنى الكلمة ورسمها، أي تطوُّر المعنى اللفظي الخطِّي المشترك.

ومن هنا؛ يمكن القول بأنَّه ينبغي الالتفات المعجمي إلى أهمِّيَّة الخطِّ ومكانته ودوره في نشأة اللغة واستدامتها، وفي الحفاظ عليها وجودًا وتمثيلًا وتطوُّرًا تاريخيًّا،

١ رسالة في علم الكتابة، ٣١.

ولا سيَّما أنَّ تطوُّر هذا المعنى التعييني وتحوُّلَه عبر اللفظ هو حاصلٌ عبر الخطِّ أيضًا، والعكس صحيحٌ في علاقةٍ متبادلةٍ بين (الشكل الخطِّي) و(اللفظ الخطِّي) اللذين يشتركان معًا في تكوين (المصطلح الخطِّي) الذي يتألَّف -عادةً- من كلٍّ من (الاسم: اللفظ) و(المسمَّى: الشكل) بوصفهما ثابتًا ومتغيِّرًا في السياق التاريخي للغة والثقافة والمعرفة الكتابية، فقد يكون اسمُ الخطِّ ثابتًا وشكلُه متغيِّرًا، وقد يكون شكل الخطِّ ثابتًا واسمه متغيِّرًا، كما هو الحال -على سبيل المثال لا الحصر- في كلٍّ من مصطلحَي (خطِّ الثُلث) و(خطِّ الثُّلثَيْن)، فقد ظلَّ المصطلح الأوَّل ثابتًا من حيث اللفظ، ولكنَّه كان يتطوَّر من حيث الصورة الخطِّيَّة التي كانت أشكالها الفنِّيَّة التاريخية جميعًا تسمَّى بخطِّ الثلث؛ ولكنَّها تتميَّز في ما بينها بأوصاف فنِّيَّةٍ ومكانيةٍ وزمانيةٍ وغيرِها. (**الشكل رقم ٩**).

أمَّا (خطُّ الثُّلُثَيْن) الذي انطلق مشتقًّا من (خطِّ الطُّومار) في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فإنَّه واحدٌ من تلك الأنواع الخطِّيَّة الثانوية التي تكاد أشكالُها المتوالدة من شكل خطِّ الطومار الموزون لا تتباين في ما بينها إلَّا بفروقٍ قليلة من حيث الدِّقَّة والغِلَظ في الشَّكل؛ إذ إنَّ الصفات الأسلوبية والوظيفية لهذه الأشكال قد تحوَّلت بالتقادم الزمني والاستعمالي، إلى أسماء صارت تُطلَق على الأشكال المتباينة في الوظيفة، فتعدَّدت بذلك أسماء النوع الواحد من أنواع الخطِّ، فمثلًا: (خطُّ الثلثَين) هو (خطُّ السِّجلَّات)،[1] ويُعتقد بأنَّه (خطُّ التوقيع) أيضًا. ويتقلَّب لفظ (التوقيع) هذا من حيث هو اسم لنوعٍ معيَّنٍ من أنواع الخطِّ في لغة هذا الفنِّ المعرفية إلى (التواقيع والتوقيعات). وخطُّ التوقيع أو التواقيع هذا هو كذلك: (القلم الرياشي أو الرِّئاسي)[2] الذي يُرَجَّح أنَّه هو ذاته: (قلم النِّصْف).[3] ويُطْلَق على خطِّ التوقيع أيضًا اسمُ: (قلم التَّعليق). (**الشكل رقم ١٠: أ + ب + ج + د**).

هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى: فليس ثمَّة فرقٌ كبيرٌ في الشكل بين خطَّي (التَّوقيع) و(الرِّقاع) إلَّا الغِلَظ في الأوَّل، والدِّقَّة في الثَّاني حتى يبدو أشبهَ ما يكون

١ البرهان في وجوه البيان، ٣٤٤.

٢ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ١٩٥.

٣ الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب، ١/ ١٧٠.

بخطِّ (دقيق التَّوقيع)[١] المستعمل في تحرير ما وُصِف من المكتوبات بأنَّه المؤامرة والمشاورة، فأصبح لذلك يُسَمَّى -أيضًا- بخطِّ (المؤامرات).

وتعني "المؤامرة: عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة في مدَّة أيَّام الطمع، ويوقِّع السلطان في آخره بإجازة ذلك، وقد تعمل المؤامرة في كلِّ ديوان، وتجمع ما يحتاج إليه من استئمارٍ واستدعاءٍ وتوقيع".[٢] وقد أخطأ بعض الباحثين في فهم المعنى المطلوب هنا لمصطلح (المؤامرة) فظنَّه ذا معنًى سياسيٍّ خالصٍ، فلا "يعقل أن يُخْتَرع خطٌّ خَاصٌّ للمؤامرات" السياسية، ولهذا اقترح أن يكون اسم هذا الخطُّ: (المسامرات).[٣] وكان المؤرِّخ جُورجي زيدان قد سبق إلى مثل هذا التفسير، فاقترح احتمالًا اصطلاحيًّا آخر لخطِّ (المؤامرات)؛ ذلك هو: خطُّ (المُدَمِّرات).[٤]

إنَّ (خطَّ المؤامرات) هو (خطُّ مفتح الشَّاميِّ) أو (صغير المنشور) أيضًا. وخطُّ الرِّقاع هذا هو (خفيف الثُّلُث) أيضًا، وهو خطٌّ كان يستعمل لكِتَابة الحوائج والظُّلامات، فصار يُعرَف باسم (الحوائجي).[٥]

المعجم التاريخي المصوَّر

تعني المَعْجَمة: المعرفة والبيان. ويكاد هذا المصطلح يكون علمًا -Lexicography يَختَصّ بدراسة الألفاظ وصناعة المعاجم أو القواميس. وهذا العلم هو اتِّجاهٌ معرفيٌّ ومنهجيٌّ قديم وحديث ومتجدِّد من اتِّجاهات اللسانيَّات التطبيقيَّة المتعلِّقة باللغة والمعرفة والثقافة والحضارة.

ويمكن القول إنَّ ابن منظور (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م) كان أوَّل من وضع قواعد صناعة المعجم؛ وهي تتمثَّل -بشكلٍ أساسٍ- في كلٍّ من: الجمع والوضع، فالجمع

١ العمدة، ١٢.

٢ مفاتيح العلوم، ٣٨.

٣ نشأة وتطوُّر الكتابة الخطِّيَّة العربية، ١٣٥.

٤ تاريخ التَّمدُّن الإسلامي، ٣/ ٥٨.

٥ البرهان في وجوه البيان، ٣٤٤.

أو ما يطلق عليه اليوم: الحقل المعجمي؛ يستوجب اختياراتٍ عديدةً، منها: ضبط حجم المعجم ومداخلُه ومفرداتُه وهدفُه وغير ذلك. أمَّا الوضع فهو ترتيب الموادِّ المعجمية بامتياز.

غالبًا ما يقوم المعجم التاريخي على مساردِ الألفاظ والمفاهيم والمصطلحاتِ التي ترتَّب ترتيبًا ألفبائيًّا ينطلق من أصل اللفظة اللغوي ويتابع تطوُّرَها المعنوي والدلالي والاصطلاحي والتداولي والاستعمالي العامَّ والخاصَّ عبر الزمان والمكان والثقافة والمعرفة والصناعة والحضارة، وذلك من خلال مسارات عملٍ رئيسةٍ ثلاثةٍ، هي:

- **مسارُ الجمع**؛ وهو يُعنى برصد الكلمات (الألفاظ والمعاني) التي تشكِّل متنَ اللغة ومادَّةَ المعجم.

- **مسارُ الترتيب**؛ ويهتمُّ بالمنهج المتَّبع في ترتيب المواد المعجمية (المداخل).

- **مسارُ التعريف**؛ ويتولَّى شرح معاني الألفاظ التي تشكِّل مداخل المعجم.

ولعلَّ الالتفات إلى أهمِّيَّة الخطِّ ومكانته ودوره في بناء هذا الصرح اللغوي الثقافي المعرفي الكبير؛ قد يوجب إضافة مسارٍ معرفيٍّ ومنهجيٍّ رابعٍ لعمل المعجم وصناعته؛ يقوم على ما سمَّاه أبو حيَّان التوحيدي: (تحقيق الخطِّ)، ويمكن أن نطلق عليه:

- **مسار التعيين.**

ونعني بالتعيين هنا: تشريحَ معاني الخطِّ وتحقيقَها عمليًّا لرسم أشكال الحروف وتصويرَ هياكل الكلمات وتمثيل ألفاظ اللغة ومعانيها ودلالاتها ومفاهيمها المفتوحة التي لا تتحقَّق بواسطة الكتابة الإنشائية (الألفاظ) فقط؛ بل تتحقَّق بشكل أدقَّ وأوضح وأفضل- بواسطة الكتابة الخطِّيَّة (الخطوط).

إنَّ هذا المسار المنهجي والتقني الأخير اللازمَ لصناعة المعجم التاريخي هو عملٌ لغويٌّ جديدٌ لم يشتغل به معجمٌ من قبل، فهو إضافةٌ منهجيَّةٌ غيرُ مسبوقةٍ في

صناعة المعاجم، وهو إضافةٌ معرفيَّة رائدةٌ في وضع المعادلة المعجمية في مسار الموازنة الدلالية في ما بين كلٍّ من المعنى واللفظ والخطِّ في السياق التاريخي لبيان حقيقة اللغة العربية وهُويَّتها الثقافية وصورتها الحضارية.

ولعلَّ أفضل الحلول الثقافية النموذجية لصناعة هذا المعجم التاريخي المتكامل لغويًّا ومعرفيًّا ومنهجيًّا؛ هو العمل المؤسَّسي الجادُّ لتأليف معجمٍ تاريخيٍّ مصوَّرٍ لألفاظ الخطِّ ومصطلحاته اللغوية والتاريخية والفلسفية والفنِّيَّة والوظيفية؛ يقوم على جمع وترتيب وتعريف وتعيين ألفاظ الخطِّ ومصطلحاته (اسمًا ومسمًّى، أو مفهومًا نظريًّا وشكلًا عمليًّا) في ضوء القواعد المرجعية الثلاث (اللغةِ والفنِ والتاريخ) لدراسة كلٍّ من:

أوَّلًا: نشأة المعنى الخطِّي وتطوُّره التاريخي في ألفاظ اللغة وكلماتها بعامَّة، وذلك من خلال تعيين أصل الكلمة اللغوي ومنطلَقِ نشأة معناها الأوَّل وتعقُّب تطوُّرها الدلالي في سيرة حياةٍ لغويةٍ معرفيةٍ مشتركة تستقرُّ عند تحوُّلات المفردة من كونها كلمةً لها معنًى مجرَّدٌ في المعجم اللغوي إلى صيرورتها مصطلحًا له مفهومٌ خاصٌّ بعلم الخطِّ.

ثانيًا: نشأة الشكل الخطِّي وتطوُّره التاريخي في حروف المعجم وأنواع الخطِّ ومجالاته المعرفية والوظيفية الأخرى، وذلك من خلال تعيين الشكل الكتابي الأوَّل للمفردة اللغوية، وتعقُّبِ تطوُّرات هذا الشكل وتحوُّلاتِ رسم الحروف والكلمات عبر النقوش والمخطوطات والوثائق التاريخية.

ثالثًا: إثبات الصورة الخطِّيَّة المعبِّرة عن كلِّ تلك التطوُّرات والتحوُّلات والسِّياقات الدلالية الخاصَّة بالمفردة اللغوية المصطلحية المعجمية بعامَّة، وبألفاظ الخطِّ ومصطلحاته بخاصَّة.

موادُّ المعجم ومصادره

ومهما يكن من احتمالات العناية المعجمية بالخطِّ؛ فإنَّ موادَّ المعجمة التاريخية

العامَّة والأساسيَّة لمعاني الخطِّ العربي تتألَّف -بشكلٍ مترافقٍ- من المسارين الرئيسين الآتيين:

الأوَّل: **ألفاظ الخطِّ اللغوية والمعرفية** المتعلِّقة بكلٍّ من:

١. حروفِ المعجم (اسمًا ولفظًا وخطًّا).

٢. أجناسِ الخطِّ وأنواعه وطرائقه اللغوية والفنِّيَّة.

٣. النظريَّاتِ والحركات والمدارس الخطِّيَّة.

٤. التقنيَّات والأساليب والآثار الخطِّيَّة.

٥. أعلامِ الخطَّاطين وطبقاتهم ووظائفهم وألقابهم.

٦. آلاتِ الخطِّ وأدواته، كالأقلام والمحابر والمساطر وغيرها.

٧. خاماتِ الخطِّ وموادِّه، كالأحبار والأوراق والليق.

الثاني: **أشكال الخطِّ وصوره التعيينية والتاريخية** المأخوذة من المصادر المادِّيَّة والمؤلَّفات الثقافية الآتية:

١. المصاحف الشريفة المخطوطة عبر التاريخ.

٢. البرديَّات والوثائق التاريخية والمخطوطات التراثية (الرقِّية والورقية).

٣. النقوش الكتابية الأثريَّة على الحجارة والعمارة والمسكوكات والمنسوجات والمصنوعات المعدنية والمشغولات الخشبية وما شاكل ذلك من الآثار الخطِّيَّة على الموادِّ والخامات.

٤. مؤلَّفات الخطِّ من الكتب والرسائل والمنظومات الشعرية وغيرها.

٥. إجازات الخطَّاطين ولوحاتهم الفنِّيَّة بأنواع الخطوط المختلفة.

طريقة عمل المعجم

١. حصر موادِّ المعجم ومداخلِه من الألفاظ والأشكال الخطِّيَّة.

٢. تأليف المقالة المعجمية وكتابتها بأسلوبٍ نظريٍّ مجرَّد من الأمثلة العملية (الأشكال والصور).

٣. تعيين الأمثلة التاريخية من الأشكال والصور الخطِّيَّة المناسبة، وتوطينُها عمليًّا في صلب المقالة.

٤. مراجعة المقالة وتدقيقها وضبطها وتنسيقُها مع موادِّ المعجم ومداخله الأخرى.

(**ينظر: الملحق رقم ١: أ + ب + ج: أمثلة وتطبيقات لمقالات المعجم وموادِّه**).

العاملون في المعجم

١. **هيئة الإشراف والإدارة العامَّة** (إدارة المحتوى وتنسيق المداخل، استكتاب الباحثين، متابعة التأليف والمراجعة، الأعمال الدوريَّة: المراسلات واللقاءات والاجتماعات والتقارير الإدارية والتنظيمية والإعلامية).

٢. **الهيئة العلمية** (العلماء والخبراء والباحثون: التأليف والمراجعة والتدقيق).

٣. **الهيئة الفنِّيَّة** (الخطَّاطون والمصمِّمون والمصوِّرون والمبرمجون والمحلِّلون الفنِّيُّون: استخراج الأشكال والصور الخطِّيَّة من مصادرها التاريخية. التحليل الفنِّي لها. تصميم النماذج الفنِّيَّة المطلوبة وصناعتها المعجميَّة).

الخاتمة

يدعو بحثنا المتواضع هذا إلى تأليف معجمٍ تاريخيٍّ مصوَّرٍ لألفاظ الخطِّ العربي ومصطلحاته. وتقوم هذه الدعوة على عدد من الأسباب والدواعي؛ لعلَّ من أبرزها:

– مكانة الخطِّ وأهمِّيَّته ودوره اللغوي؛ فهو من حيث المكانة اللغوية: مقوِّمٌ أساسٌ من مقوِّمات اللغة الثلاثية، التي هي: المعنى واللفظُ والخطُّ، وهو من حيث الأهمِّيَّة: عنصرٌ عضويٌّ من عناصرها الحيويَّة في وجود اللغة واستدامتها الثقافية والحضارية، وهو من حيث الدور: قسيمُ اللفظ وشريكُه المطلق في تصوير المعنى وتداوله اللغوي.

– مكانة الخطِّ وأهمِّيَّته ودوره الثقافي؛ فهو من الناحية الثقافية: عنوانٌ من عناوين هويَّة الأمَّة، ورمزٌ من رموزها الأصيلة، وفضاءُ إبداعها الفنِّي الجميل؛ فالخطُّ هو الفنُّ العربي الإسلامي الخالد والمتميِّز بين فنون الحضارة الإنسانية.

– عدم عناية المعاجم اللغوية القديمة والحديثة والمعاصرة بالخطوط مثل عنايتها بالألفاظ والمعاني.

– حاجة الخطِّ العربي إلى البحث العلمي والتحقيق اللغوي والتأليف المعجمي الشامل والصحيح والدقيق.

وتكتسب هذه الدعوة أهمِّيَّتها من كون هذا المعجم المقترحِ قد يحمل صفات الريادة والجدَّة في الدراسات اللغوية والثقافية والحضارية الضرورية في الحفاظ المطلق على وجود الأمَّة وهويتها وحيويَّتها الفاعلة في التفكير، والتعبير والتواصل والحوار الإنساني مع اللغات والثقافات والشعوب الأخرى.

إنَّ موضوع الخطِّ العربي هو موضوعٌ واسع الآفاق المعرفية، ومتعدِّد الاتِّجاهات المنهجيَّة، ومتنوِّع المصطلحات الفنِّيَّة التي قد يصعب استيعابُها في معجمٍ خاصٍّ بألفاظ الخطِّ وأشكاله، أو معجمٍ تاريخيٍّ عامٍّ لألفاظ اللغة العربية ومعانيها، لا سيَّما أنَّ موضوع الخطِّ العربي يقوم على الأنساق المعرفية الآتية:

- ألفاظِ الخطِّ (الأسماء والمصطلحات).
- أشكالِ الخطِّ (الرسوم والصور).
- معاني الخطِّ (التحقيق والتعيين).

ومن هنا؛ فالتوصية الأهمُّ التي يمكن أن يخرج بها هذا البحث تتمثَّل في دعم عملٍ مؤسَّسيٍّ لإطلاق مشروعٍ معرفيٍّ كبيرٍ لصناعة المعجم التاريخي المصوَّر لألفاظ الخطِّ العربي ومصطلحاته؛ يقوم على تبنِّي الخطِّ ركنًا من أركان اللغة؛ شأنُه في ذلك شأنُ اللفظ في تصوير المعنى وتعيينه في المدوَّنة الكلِّيَّة والشاملة للغة العربية بكلِّ مقوِّماتها وعناصرها من المعاني والألفاظ والخطوط.

الأشكال

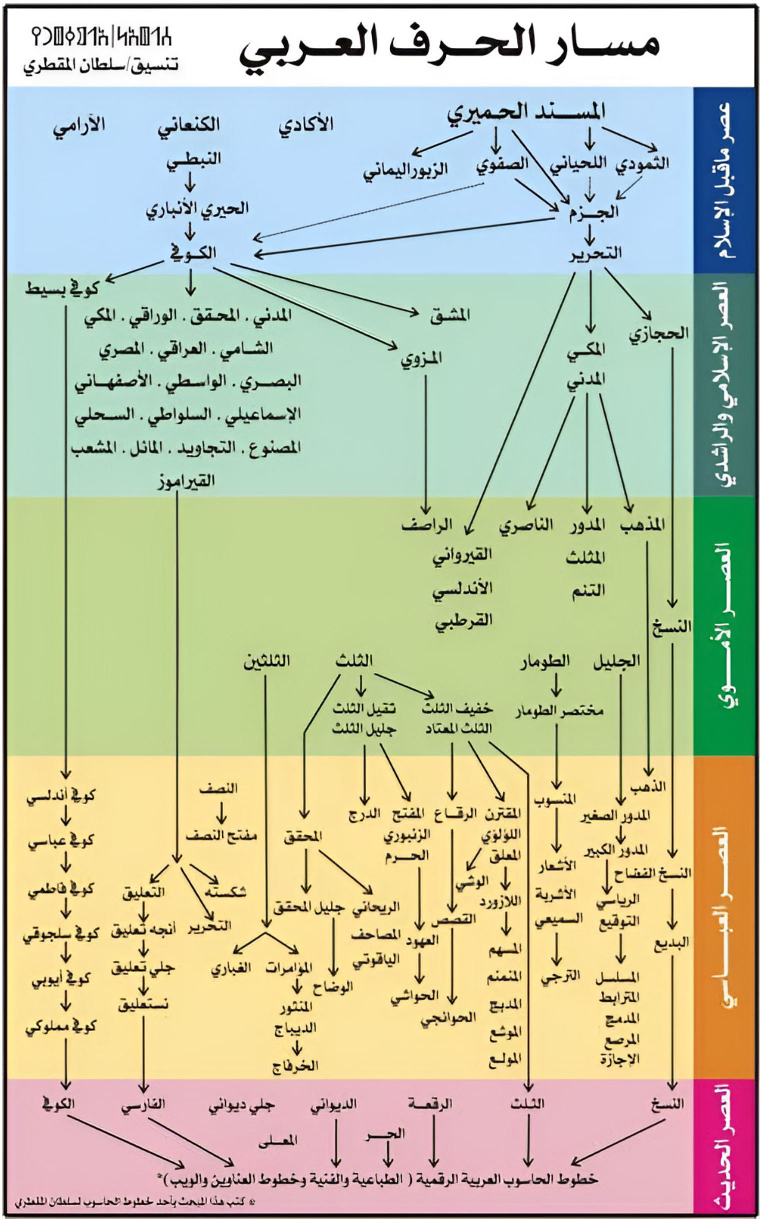
(الشكل رقم ١)

تحليل إحصائي لموادِّ (معجم مصطلحات الخطِّ العربي والخطَّاطين)

ت	الموضوعات الداخلة في المعجم		عدد موادها فيه	نسبة وجودها	تعلقها بالمصطلح الفني للخط	
					نعم	لا
١	المصطلح اللغوي للخط		١٣	١,٩٥		✓
٢	لوحات الخط ووثائقه		٦	٠,٩٠	✓	
٣	اعلام الخط		١٤٥	٢١,٨	✓	
٤	عمليات الخط وتقنياته		٥٧	٨,٥٧	✓	
٥	اشكال وعلامات خطية		٤٨	٧,٢٢	✓	
٦	الانواع الفنية للخط		٩٤	١٤,١٤	✓	
٧	اسماء اشكال الحروف		١٣٦	٢٠,٤٥	✓	
٨	الكتابة	موادها	٣٢	٤,٨١		✓
		ادواتها	٧	١,٠٥		✓
٩	الزخرفة		١٣	١,٩٥		✓
١٠	نقوش وكتابات تاريخية		٣٨	٥,٧١		✓
١١	علوم ومعارف ذات صلة بالخط		٦	٠,٩٠		✓
١٢	مؤلفات في الكتابة والخط		٣	٠,٤٥	✓	
١٣	مناطق ومدن		١٢	١,٨٠		✓
١٤	حقب تاريخية		١	٠,١٥		✓
١٥	مؤسسات		٣	٠,٠٥		✓
١٦	الألوان		٢٩	٤,٣٦		✓
١٧	موضوعات متفرقة اخرى		٢٢	٣,٣١		✓
	المجموع		٦٦٥		٤٨٩	١٧٦

(الشكل رقم ٢)

محاولة التحقيب التاريخي لأنواع الخطِّ



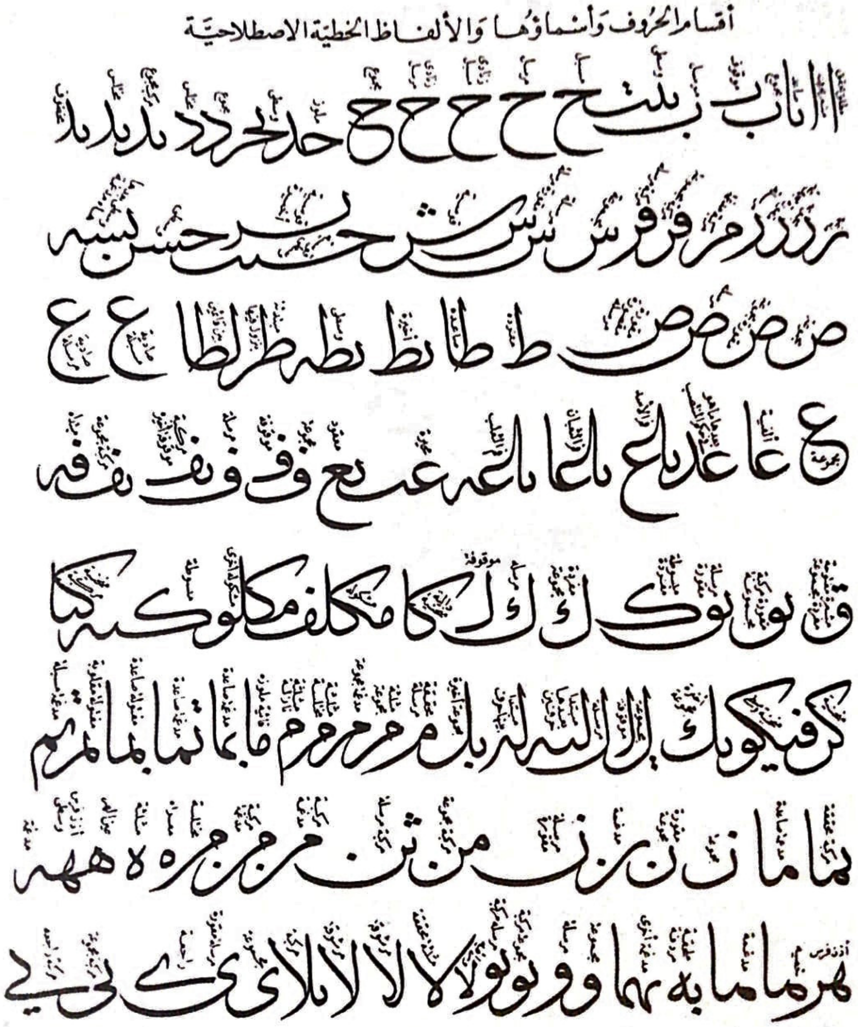
(الشكل رقم ٣)

تطوُّر أشكال حروف المعجم وصورها في ما بين اللغة والفنِّ

حروف المعجم	صور الحروف في المصطلح اللُّغويّ	صور الحروف في المصطلح الفنِّيّ					
		المحقَّق	الثُّلث	النَّسخ	التَّعليق	الدِّيوانيُّ	الرُّقعة
الألف	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
الباء التَّاء الثَّاء	ث	ث	ٮ	ٮ	ٮ	ٮ	ٮ
الجيم الحاء الخاء	ج	ج	ح	ج	ج	ح	ح
الدَّال الذَّال	ذ	د	د	د	د	د	د
الطَّاء الظَّاء	ظ	ط	ط	ط	ط	ط	ط
العين الغين	غ	ع	ع	ع	ع	ع	ع
الفاء	ف	ف	ف	ف	ف	ف	ف
القاف	ق	ق	ق	ق	ق	ق	ق
الكاف	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
الهاء	هـ	ه	ه	ه	ه	ه	ه
الواو	و	و	و	و	و	و	و
الياء	ي	ى	ى	ى	ى	ى	ى
28	18	عدد غير محدود، بسبب التَّنوُّع المفتوح في الشَّكل					

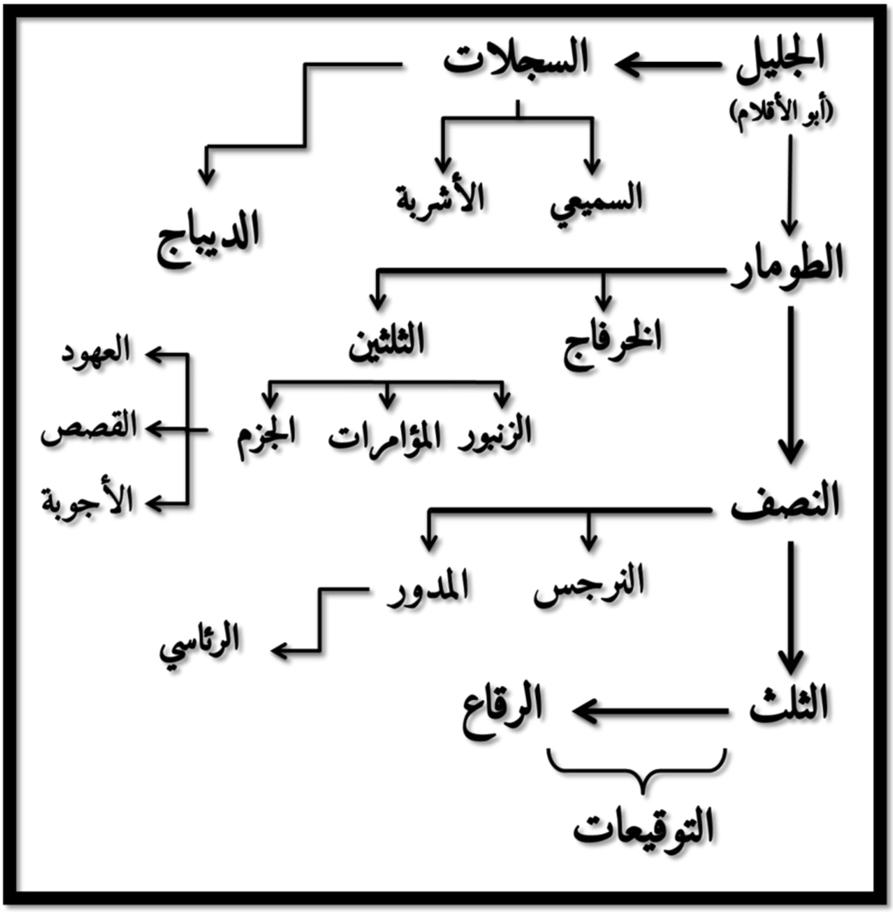


(الشكل رقم ٤)



(الشكل رقم ٥)

التطوُّر التاريخي لخطِّ الجليل



(الشكل رقم ٦: أ + ب)

السرد التاريخي لأنواع الخط في المصادر التراثية

المصادر											أنواع الخطوط المتكرِّرة وعدد مرَّات تكرارها	
كتاب الكتاب لابن درستويه ق ٣ هـ	كتاب الكتاب وصفة الدواة لابو القاسم البغداديُّ ق ٣ هـ	الرِّسالة العذراء لابن المدبر ق ٣ هـ	البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ق ٤ هـ	صناعة الكتاب لأبو جعفر النَّحَّاس ق ٤ هـ	الفهرست لابن النَّديم ق ٤ هـ		رسالة في علم الكتابة للتَّوحيديُّ ق ٤ هـ	رسالة في الكتابة المنسوبة لمؤلف مجهول ق ٤ هـ	عمدة الكتاب وعدة ذوي اللباب المعزُّ بن باديس ق ٤ هـ	الإقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسيُّ ق ٦ هـ		
السِّجلاَّت	الجليل	السِّجلاَّت	الثُّلُثيُّ	الثُّلُث	المكيُّ	الثُّلُثين	الإسماعيليُّ	التَّوقيعات	الطُّومار	الثُّلُثين	السِّجلاَّت	٦
الجليل	الثُّلُثين	المسلسل	السِّجلاَّت	الجليل	المدنيُّ	الزُّنبور	المكيُّ	النَّسخ	الرِّئاسيُّ	الطُّومار	الجليل	٥
المؤامرات	الثُّلُث	اللاَّزورد	الطُّومار	الثُّلُثين	التَّيم	المفتَّح	المدنيُّ	المحقَّق	الثُّلُثين	الشَّاميُّ	المؤامرات	٨
الثُّلُثين	الرِّئاسيُّ	النَّرجس	الشَّاميُّ	النِّصْف	المثلَّث	الجزم	الأَندلسيُّ	الذَّهب	النِّصْف	المؤامرات	الثُّلُثين	٧
الأَجوزة	النِّصْف	الموشَّع	المؤامرات	خفيف الثُّلُث	المدوَّر	المؤامرات	الشَّاميُّ	الحواشيُّ	الثُّلُث	النِّصْف	الرِّئاسيُّ	٥
المفتَّح	خفيف	المدبَّج	النِّصْف	المسلسل	الكوفيُّ	العهود	العراقيُّ	الثُّلُث	خفيف النِّصْف	الرِّئاسيُّ	النِّصْف	٧
	النِّصْف	المولَّع	الرِّئاسيُّ	غبار الحلبة	المشق	النِّصْف	العبَّاسيُّ	خفيف الثُّلُث	خفيف الثُّلُثين	الثُّلُث	المسلسل	٤
	خفيف الثُّلُث	المنمنم	المشور	المؤامرات	التَّجاويد	القصص	البغداديُّ	الرِّقاع	الوشي	المنشور	غبار الحلبة	٦
	المسلسل	المسهم	الرِّقاع	القصص	السُّلواطيُّ	الأَجوبة	المشعَّب	الرَّيحانيُّ	المنمنم	الرِّقاع	القصص	٤
	غبار الحلبة		الحلبة	الحوائجيُّ	المصنوع	الرِّئاسيُّ	الرَّيحانيُّ	المتن	غبار الحلبة	الحلبة	الحوائجيُّ	٣
	المؤامرات		غبار الحلبة		المائل	الرِّقاع	المجرَّد	المصاحف	المؤامرات	غبار الحلبة	الطُّومار	٥
	القصص				الرَّآصف	التَّوقيعات	المصريُّ	الكوفيُّ	السِّجلاَّت	المؤامرات	الجزم	٤
	الحوائجيُّ				الأَصفهانيُّ	النَّرجس			الجزم	الجليل	النَّرجس	٢
	المحدَّب				السِّجليُّ	المحقَّق				المسلسل	المدمج	٢
	المدمج				القيراموز	الأَمانات				القصص	المنمنم	٢
	الطُّومار				النَّاصريُّ	الدِّيباج				الحوائجيُّ	الشَّاميُّ	٣
	السِّجلاَّت				المدوَّر	المدبَّج				المحدَّث	الرِّقاع	٤
	الجزم				الجليل	المرصَّع				المدمج	المكيُّ	٢
	السِّجلُ				السِّجلاَّت	النَّشاجيُّ				الجزم	المدنيُّ	٢
					الدِّيباج	الثُّلُث				المشق	المشق	٢
					السُّميعيُّ	المنثور					التَّوقيعات	٢
					الأَشربة	الوشي					المحقَّق	٢
					الطُّومار	غبار الحلبة					الوشي	٢
					الخرفاج	البياض					الرَّيحانيُّ	٢
					المكتبات							

(الشكل رقم ٧)

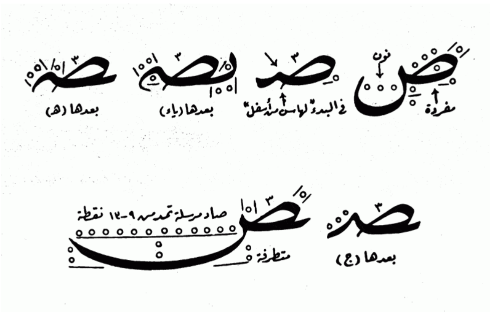
لوحة بخمسة عشر نوعًا من أنواع الخطِّ العربي



(الشكل رقم ٨: أ + ب + ج)

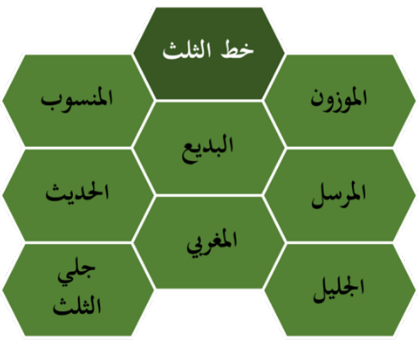
(أ)	(ب) التحويق
	

(ج) التشقيق



(الشكل رقم ٩)

التطوُّر التاريخي لخطِّ الثلث



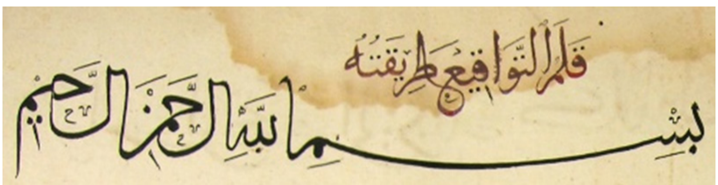
(الشكل رقم ١٠: أ + ب + ج +د)

تماثلات الشكل وتغايرات الاسم لبعض أنواع الخطِّ









الملاحق

الملحق رقم ١

أمثلة وتطبيقات لموادِّ المعجم ومقالاته

المثال الأوَّل

حرف الألف: أوَّل حروف المعجم وأبرزها أهمِّيَّةً ومكانةً وصدارةً في صناعة أيِّ معجمٍ، وغالبًا ما تكتفي معاجم اللغة التراثية والمعاصرة باستعراض معناه اللغوي المتعلِّق باللفظ، وغالبًا ما يكون حرف الألف في هذا السياق اللغوي: مهموزًا أو موصولًا أو مقطوعًا.

وإذا كانت هذه الأسماء أو الأوصاف الثلاثة (المهموزُ والموصول والمقطوعُ) تعبِّر عن المعاني اللفظية والأحوال الصوتية والمواقع الكلامية لحرف الألف في اللغة العربية، فإنَّ المعاني الخطِّيَّةَ والأحوالَ البصرية والمواقع الكتابية لحرف الألف؛ تقوم على أساسين معرفيَّين هما: الهندسةُ والفنُّ بوصفهما المرجعية المصطلحية لتعريف حرف الألف بأنَّه عبارةٌ عن شكلٍ هندسيٍّ مركَّبٍ من خطٍّ عموديٍّ منتصبٍ مستقيم.

نشأ المعنى الهندسي لحرف الألف عندما عرف العرب الهندسة بوصفها واحدًا من علوم الحكمة الضابطة لتأسيس الأشكال ومقاديرها الرياضية المتناسبة، وظهورُ نظريَّة "هندسة الخطِّ" في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، على يد الخطَّاط الرائد أبي عليٍّ محمَّد بن مقلةَ الوزير (ت ٣٢٨ه/ ٩٣٩م) " الذي هندس الحروف، وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخطُّ في مشارق الأرض ومغاربها" (ابن مقلة خطَّاطًا وأديبًا وإنسانًا، ص ٤٦).

ويتمثَّل هذا المعنى الهندسي لشكل حرف الألف في قطر الدائرة الذي هو عبارةٌ عن خطٍّ هندسيٍّ مستقيمٍ؛ يشكِّل البعدَ المساحي المتحرِّك لسطح الدائرة

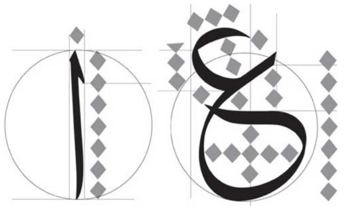
باتِّجاه محيطها الذي هو عبارة عن خطٍّ هندسيٍّ مُنحنٍ أو مقوَّسٍ؛ يشكِّل الصورة المتكاملة للدائرة الهندسية التي صارت مصدرًا هندسيًّا لكلِّ أشكال الحروف الخطِّيَّة وصورها.

أمَّا المعنى الفنِّي الذي غالبًا ما يقوم على تعدُّد الأشكال الهندسية للحروف، وتنوُّعها المنضبط بمقياس النقطة المربَّعة المرسومة بصدر قلم الخطِّ، وأجزائها النصفية بخاصَّة.. فيوضِّحه عبد الله بن عليٍّ الهيتي (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) في رسالته (العمدة: رسالة في الخطِّ والقلم)؛ حيث يذهب إلى أنَّ شكل حرف الألف القائم المنتصب يكون على أنواعٍ ثلاثةٍ بقياس النقطة:

الأوَّل: بطول تسع نقطٍ، ويحمل على أنواع الخطِّ: المُحقَّق والثلث.

الثاني: سبع نقطٍ، ويحمل على خطوط التواقيع الثلثية.

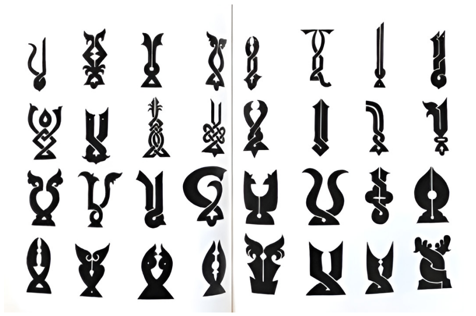
الثالث: خمس نقطٍ، خطُّ الرِّقاع. (موسوعة تراث الخطِّ العربي، ص ٤١٨).



وقد تنوَّع هذا الشكلُ عبر الزمان والمكان والثقافة والصناعة والفنِّ والوظيفة، فصورةُ الألف الخطِّيَّة في زمن الكتابة على الحجر وفي الرقوق (القرن الأوَّل الهجري/ السابع الميلادي مثلًا) تختلف عن صورته في زمن الكتابة على الورق ونساخة المخطوطات (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي مثلًا)، وهاتان الصورتان تختلفان عن صورة حرف الألف وتشكيله في أعمال الخطَّاطين الحديثة وفي لوحاتهم الفنِّيَّة المعاصرة. (**الشكل رقم ١**).







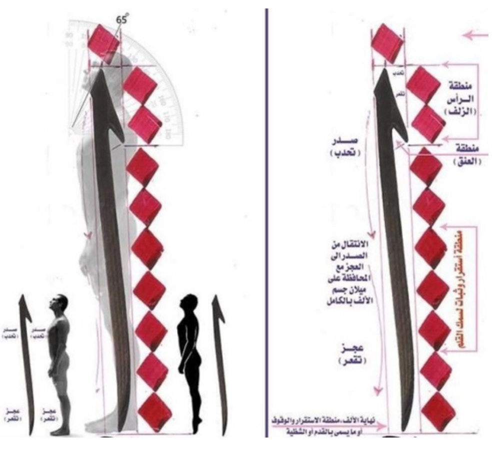
ومن هنا؛ صار لحرف الألف الكثيرُ من المعاني والأوصاف والأسماء والمصطلحات المختلفة بحسب تطوُّرات أشكاله وصوره التاريخية، ولعلَّ من أبرز هذه الأسماء التي ذكرتها بعض مصادر هذا الفنِّ التراثية والمعاصرة: الألف المحرَّف، والألف المرتَّب، والألف المشعر، والألف المطلق.

يقوم الشكل العامُّ لحرف الألف على مُحاكاة انتصاب قامة الجسد الإنساني بوصفها أجلَّ أشكال الحَيَوان، وأجملَها خِلْقةً وأعلاها درجةً. ومقدار طول قامة الإنسان ثمانية أشبارٍ بشبره سواء؛ أي أنَّ مقدار التَّناسب بين عَرْض جُثَّته وطوله هو: الثُّمُن. وقد استلهم فقهاء الخطِّ ونقَّاده الجماليون أعضاء الجسد الإنساني في تشريح أجزاء حرف الألف وتسميتها؛ حيث لرأس الألف: هامة؛ وتسمَّى أيضًا ترويسة

أو كشيدة. وله بدنٌ أو جسدٌ يعرف بالطنب (جمعه: أطناب) له من اليمين: قفا وخاصرة، ومن اليسار: جبينٌ وقدَّامٌ وبطنٌ، ومن الوسط: خاصرةٌ ورُكبةٌ وتحت الركبة. (المصطلح الفنِّي في الخطِّ العربي، ص ١٠٨).

ويعدُّ هذا الشكل العامُّ لحرف الألف أصلَ أشكال حروف المعجم ومثالَها الطبيعي الذي تتولَّد هندسيًّا منه، فقد "قال المُحَرِّر الحَاذِق المُهْنِدس: ينبغي لمن يريد أنْ يكون خطُّه جيِّدًا وكتابتُه صحيحةً أنْ يجعل لها أصلًا يَبْنِي عليه حروفَه، وقانونًا يقيس عليه خُطُوطه، والمِثَال في ذلك في كِتَابة العربيَّة هو أنْ يَخُطَّ الألف أوَّلًا بأيِّ قَدْر شاء ويجعل غِلَظُه مناسبًا لطوله، وهو الثُّمُن، وأسفله أدقُّ من أعلاه، ثُمَّ الألف قُطْر الدَّائِرة، ثُمَّ يَبْنِي سَائِرَ الحروف مناسبًا لطول الألف ولمحيط الدَّائِرة التي الألف مُسَاوٍ لقُطْرها". (رسائل إخوان الصفا، ١/ ٢١٩). **(الشكل رقم ٢)**.





المثال الثاني

التجليل مفهومٌ عربيٌّ إسلاميٌّ نابعٌ من اللغة والثقافة والمعرفة القرآنية التي اختصَّت الله (سبحانه وتعالى) بالجلال والإكرام ﴿تَبَـٰرَكَ ٱسۡـمُ رَبِّـكَ ذِى ٱلۡجَلَـٰـلِ وَٱلۡإِكۡـرَامِ﴾، [الرحمن: ٧٨] فالله هو الجليل أي العظيم القدر الذي يجلُّ عن أن تدركه الحواسُّ، ويجلُّ عن أن تحيط به الأفهام والعلوم. (عمدة الحفَّاظ في أشرف الألفاظ، ١/ ٣٣٠).

وقد كان لهذه الحقيقة الإلهيَّة المتعالية دورٌ كبيرٌ في نشأة المعرفة الإسلامية وتطوُّرها على مصطلحين أساسيَّين هما: الجليلُ والدقيقُ، فقد قام علم الكلام على هذين المصطلحين قيامًا كلِّيًا، فجليل الكلام يتناول مباحث ما وراء الطبيعة من الأمور الإلهيَّة العالية المتعلِّقة بالتوحيد، أمَّا دقيق الكلام فيتناول المباحث الطبيعية المتعلِّقة بصفات العالم وأحواله من الجوهر والعرض، والحركة والسكون، وغير ذلك من الظواهر الطبيعية. وصار لكلِّ علم من علوم اللغة والدين والعمران جليلٌ ودقيقٌ من المسائل التي هي عبارةٌ عن أصولٍ وفروع. (رسالة في بيان جليل الكلام ودقيقه، ص ١٣).

وكان هذان المصطلحان (الجليلُ والدقيقُ) من أهمِّ المسائل الفنِّيَّة التي قامت عليها صناعة الخطِّ وثقافته؛ ففي علم الخطِّ؛ يجدر بنا أن ننطلق في الحديث عن هذا الموضوع من قول الفيلسوف العربي يعقوبَ بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م): "لا أعلم كتابةً تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات". (الفهرست، ص ١٣).

وكان التناسب في ما بين جليل الخطِّ ودقيقه من أصول الجمال الفنِّي وشروطه، فقد "سئل بعض الكتَّاب عن الخطِّ: متى يستحقُّ أن يوصف بالجودة؟ فقال: إذا اعتدلت أقسامُه، وطالت ألفه ولامه، واستقامت سطوره، وضاهى صعوده حدوره، وتفتَّحت عيونه، ولم تشتبه راؤه ونونه، وأشرق قرطاسه، وأظلمت أنقاسه، ولم تختلف أجناسه، وأسرع إلى العيون تصوُّره، وإلى العقول تثمره، وقدِّرت فصوله، واندمجت وصوله، وتناسب دقيقه وجليله، وخرج عن نمط الورَّاقين، وبعد عن

تصنُّع المحرِّرين. وقام لصاحبه مقام الشَبَه والحلية كأنَّه حينئذ كما قيل:

إذا ما تَـجَلَّلَ قرطاسـه   وساوره الـقلمُ الأرقـشُ
تَضمَّـن مـن خطِّـه حُلَّـةً   كنقـش الدنانير بل أنقش
حروفًا تُعيدُ لعين الكليلِ   نشاطًا ويقرؤها الأخفش[١]

ولكنَّ هذه الخصائص المتقابلة للكتابة العربية المعروفة بأداء إملائها السلس، وبشكل حروفها المرن، وبحركة رسومها المطواعة التي تعطي لكاتبها فرصة الجمع بين التجليل والتدقيق.. لم تكن تحظى عند فقهاء اللغة والكتابة والفنِّ بنفس الأهمِّيَّة والمكانة والتقدير، فقد كان هؤلاء العلماءُ يؤكِّدون أهمِّيَّة التجليل دون التدقيق في الخطِّ والتأنِّي دون السرعة في الكتابة، والفتح في عيون الحروف دون طمسها وانغلاقها.

ولعلَّ من أبرز الأمثلة القولية التراثية على ذلك؛ نصيحة الخليفة الراشد عليّ ابن أبي طالبٍ (كرَّم الله وجهه) أحدَ كُتَّاب المصاحف بقوله: "اجْلُل قلمك".. ففعل الرَّجل، فقال الخليفة: "هكذا، نَوِّرْه، كما نَوَّرَه الله". (العقد الفريد، ٤/ ١٩٦). أمَّا أوَّل الأمثلة العملية وأبرزها على أهمِّيَّة تجليل الخطِّ؛ فتتمثَّل في كتابة المصحف الإمام، فمن المعروف أنَّ الصحابي الجليل زيد بن ثابت (رضي الله عنه) كاتِب المصحف الإمام، كتبه أوَّل ما كُتِبَت المَصَاحِف "بقلمٍ جليلٍ مبسوطٍ". (منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، ص ٢٣٨).

وكان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ/ ٧١٤م) " أوَّلَ من كتب في الطَّوامير [أي: الصُحُف]، وأمر أنْ تُعَظَّم كُتُبه، وأنْ يجلَّل الخطُّ الَّذي يُكَاتب به". (الوزراء والكُتَّاب، ص ٣٨).

ومن هنا؛ كان تجليل الخطِّ أَوَّلَ المفاهيم والأساليب والأشكال الفنِّيَّة المؤسِّسة لأدب الكتَّاب في دواوين الإنشاء والرسائل الحكومية، فقد تطلَّبت تقاليدُ الكتابة من الخلفاء وإليهم أن يقوم الخطُّ على التكبير في الشكل والتعظيم في الشأن، حتَّى سُمِّي الخطُّ الرسمي الأوَّل والأساسُ الذي كتبت به المصاحف الأولى والوثائق

١ (زهر الآداب، ٢/ ٥٥٥).

العليا للخلافة الأموية: الخطُّ الجليل (الفهرست، ص١٠)، وزاد عليه البعض بوصف النسبة إلى الشام فقال: الجليل الشامي (كتاب الكُتَّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، ص٧٤)، ورجَّحَ الخطَّاط والباحث يوسف ذنُّون أن تكون كتابات الفُسَيْفِسَاء في قُبَّة الصَّخرة المُؤرَّخة سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م؛ هي النموذج الأوَّل لهذا الخطِّ (**الشكل رقم ١**)؛ فهو جليلٌ بمساحة حروفه العظيمة التي تزيد على عَرْض أربعٍ وعشرين شَعْرةً، وهو كذلك خطُّ أهل الشام، ولم يستبعد الصلة بين تسميته وبين جبال الجليل كجبالٍ معروفةٍ أُطْلِق اسمها قديمًا على سلاسل جِبَال الشَّام. (فلسطين موطن ولادة فنِّ الخطِّ العربي، ص١٢١).



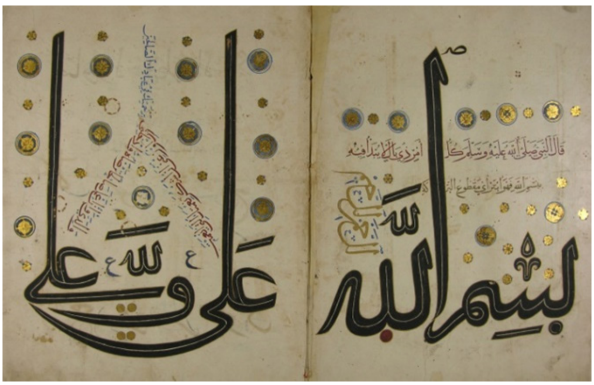
الشكل رقم ١

من كتابات الفُسَيْفِسَاء في قُبَّة الصَّخرة المُؤرَّخة سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م

ومن هنا أيضًا؛ كان تجليل الخطِّ أوَّلَ المفاهيم والأساليب والأشكال الفنِّيَّة المؤسّسة لعلم الخطِّ وجماليته؛ فقد كان الكُتَّاب المُجِيدون يُوصَفون باعتبار تقدُّم أدائهم في الخطِّ الجليل، بل صار هؤلاء الخطَّاطون يتبارون في توليد ما كان يسمَّى بالأقلام "الأصليَّة المَوْزُونة". (الفهرست، ص١٠)، ويوصف بالأقلام الجَيّدة، ويعرف بالأقلام الجليلة (عُمْدة الكُتَّاب وعدَّة ذوي الألباب، ص ٧٠)، فقد ظلَّ الواحد منها كالطُّومار أو الثُّلث أو غيرهما يُوصَف حتَّى فترةٍ متأخِّرةٍ بأنَّه: قلمٌ جليلٌ، إذ كان مصطلح (الخطُّ الجليل) يعني: الخطَّ الكبير الواضحَ الذي "لا يليق به الطَّمس" في الحروف إطلاقًا.

لقد وصف النديمُ (الفهرست،١٠) خطَّ الجليل الشامي بأنَّه "أبو الأقلام كلِّها"؛ لأنَّه كان أكثرها وَزْنًا وأكبرَها عَرْضًا في القلم، وأصلَها الذي اشتقَّت منه أنواع الخطِّ الأولى. وكان الخطَّاط الأموي قُطْبَة المُحَرِّر (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م) أوَّلَ صانعٍ لمثل هذه الأنواع الخطِّيَّة الأولى، فقد ذكر النديم في الفهرست أنَّ هذا الخطَّاط الأموي قد استخرج من الخطِّ الجليل الأوَّل خطوط الطومار والثُّلُثَيْن والنِّصف والثُّلُث.

كانت الكِتَابة به أوَّل أمره في الطَّوامير الكبيرة، فسمِّي أيضًا باسم: قلم (الطومار)؛ وذلك لأنَّ الكتابة في هذا الورق الواسع المساحة الكبير الحجم تجعل طمسَ هذا الخطِّ غير لائقٍ. كان قلم الطُّومار يُوصَف عادةً بأنَّه "القلم الجليل الذي لا قَلَمَ [جليلًا] فوقه"، فهو الخطُّ الجليل الأوَّل الذي يكتب به في قطع كبير الحجم من الورق، قَدَّر الكتَّاب مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرةً من شعر البِرْذون. ومن قلم الطومار هذا؛ اشتُقَّت الأنواع الخطِّيَّة الأولى على أساس كسور العدد (٢٤)، فقلم (الثلثين) بعَرض سِتَّ عشرة شَعرةً، و(قلم النِّصْف) بِعَرض اثنتي عشرة شَعرةً، وقلم (الثُلث) بِعَرْض ثماني شَعْرات. (صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٣: ٥١). ويستدرك ابن باديس (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) على ذلك كلِّه بأنَّ "أدقُّ تلك الأقلام الأصلية الموزونة؛ هو ما كان على أربع شَعْرات، وقد يُعمَل ما هو أدقُّ من ذلك. (عمدة الكُتَّاب وعدَّة ذوي الالباب، ص ٧٩). **(الشكل رقم ٢)**



الشكل رقم ٢

قلم الطومار ومشتقَّاته الخطِّيَّة

اعتمد خطَّاطو الدولة العبَّاسية الأولى في الكتابة على خطَّاطي الشام المجوِّدين من واضعي أسس الخطِّ الجليل، إذ يذكر أبو جعفرٍ النحَّاس في كتابه الموسوم بعمدة الكتَّاب (ص ٣٥٠) أنَّ جودة هذا الخطِّ الجليل كانت قد انتهت إلى رجلين من أهل الشام، يقال لهما: الضحَّاك وإسحاق بن حمَّاد اللذان كانا قد خدما الخلافة العبَّاسية في عهد كلٍّ من أبي العبَّاس السفَّاح (ت ١٣٦هـ/ ٧٥٣م)بالنسبة للضحَّاك، والمنصور(ت ١٥٨هـ/ ٧٧٤م)، والمهدي (ت ١٦٩هـ/ ٧٨٥م) بالنسبة لإسحاق بن حمَّاد الذي أخذ عنه بعض الخطَّاطين العبَّاسيِّين أصول الخطِّ الجليل، فجوَّدوا الخطوط الأصلية المشتقَّة منه، وزادوا عليها، حتَّى عدَّهم بعض المؤرِّخين مخترعي هذه الخطوط التي منها: خفيف الطومار، المسلسل، لأنَّه حروفٌ متَّصلةٌ، ليس بينها شيءٌ ينفصل، غبار الحلبة، خطُّ المؤامرات، خطُّ القصص، وقلمٌ مقموعٌ سمِّي: الحوائجي.

ويبدو أنَّ لفظة الجليل لم تنته عند كونها صفةً لغويةً مجرَّدةً يمكن أن تطلق أحيانًا على بعض الخطوط، كما هو الحال في ما يتعلَّق بالخطِّ الجليل اسمًا علمًا لما كان يعرف بأنَّه أبو الأقلام كلِّها، بل كانت حتَّى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي اسمًا توكيديًّا يضاف إلى أسماء بعض الخطوط لتمييز كبيرها شكلًا، وواضحها قراءة، وعاليها مرتبةً، وخاصِّيِّها وظيفةً، عن معتادها أو عاديِّها، إذ كان الطيِّبي قد عرض في جامعه الرائد لمحاسن كتابة الخطَّاطين: (قلمَ جليل الثلث) مختلفًا عن (قلم الثلث المعتاد)، و(قلم جليل المحقق) غيرَ (قلم المحقق). **(الشكل رقم ٣)**



(الشكل رقم ٣)

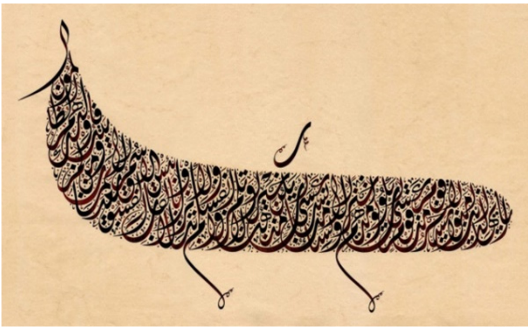
وفي ما بعد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حتَّى اليوم، عُني الخطَّاطون الأقدمون والمحدَثون والمعاصرون بما يعرف بالجلي أي جلي الخطِّ. وهي لفظةٌ جاءت من تخفيف لفظة الجليل، فقد كان لكلٍّ من لفظتي (الجليل) و(الجلي) دلالةٌ واحدةٌ، ولكنَّهما استُخدمتا بنفس أسلوب الإضافة إلى أسماء الخطِّ لتوكيدها. ولكنَّ الفرق الدقيق بينهما يكمن في أنَّ الجلي نشأ وتطوَّر فنِّيًا من أساليب الخطَّاطين العثمانيين الذين بدأ هذا الأسلوب وتطوَّر على أيديهم مع خطِّ الثلث، فكان عندهم أوَّل ما كان: جلي الثلث.

اشتهر العثمانيُّون بأسلوب الجلي في كتابة خطِّ الثلث على العمائر بخاصَّة وفي بعض خطوطٍ أخرى كالتعليق والديواني، فقد استخدم العثمانيُّون أسلوب الجلي عند الكتابة بخطِّ التعليق، فتميَّز التعليق العثماني بأنَّه (جلي التعليق) (**الشكل رقم ٤**) الذي لم ينتبه إليه أحدٌ من قبل، والذي يتميَّز عن أساليب التعليق الأخرى بما تميَّز به جلي الثلث عن الثلث العادي بالجسامة والوضوح وخصوصيَّة التنفيذ.



(الشكل رقم ٤): جلي التعليق

ولم ينحصر استخدام هذا الأسلوب في الثلث والتعليق فحسب، بل كان هذا الأسلوب قد استخدم أيضًا في أداء خطوطٍ أخرى يعدِّدها محمود يازير على نحو: الكوفي، المحقق، الريحاني، التوقيع، النسخ، الديواني، الرقعة، ولكن ذلك لم يكن ذا شهرةٍ ومزاولةٍ معروفتين بين الخطَّاطين إلَّا (جلي الديواني) (**الشكل رقم ٥**) الذي صار يختلف اختلافًا واضحًا عن الديواني في أدائه أوَّلًا وفي شكله النهائي ثانيًا.



(الشكل رقم ٥): جلي الديواني

لا يمكن تشبيه علاقته بأصله الديواني، بعلاقة جلي الثلث بخطِّ الثلث كما يقول البعض، فإذ يميل جلي الثلث إلى تعظيم الثلث ذاتِه، واستقرارِه في التركيب، وثباته في الجريان، والإشباع في أشكال حروفه بقصد تحقيق الوضوح الممكن والنهائي له.. صار جلي الديواني يميل إلى التباين الأدائي والشكلي والتركيبي والوظيفي عن الديواني الذي ارتبط به وظيفةً وتاريخًا، فأداؤه - مثلًا - لا يكون إلَّا بقلمين (القلم: الأداة وليس الخطُّ)، وأشكَّال حروفه كبيرةٌ واسعةٌ مبسوطةٌ، وعبارته مشكولةٌ، ووضعيَّة تركيبه تكون على سطرين بارزين؛ مكتظَّين بتقارب الحروف؛ وممتلئين بعلامات التشكيل والتزيين؛ ممَّا يجعله عسيرَ القراءة؛ محدودَ العبارة. وهو بهذه الصفات وبغيرها، يختلف عن الديواني ذي القلم الواحد، والحروف المنقبضة المصطفَّة وأحيانًا غير المصطفَّة على سطرٍ واحدٍ؛ واضح العبارة سهل القراءة (المدرسة العثمانية لفن الخط العربي، ص ٢٧٣).

المثال الثالث

الخِطاطة: يفرِّق اللغويون والنقَّاد العرب القدامى بين نوعين رئيسين من أنواع الكتابة؛ فالنوع الأوَّل هو الكتابة الإنشائية اللغوية الأدبية التي تعتمد الحروف اللفظية أداتَها الأولى في التعبير، أمَّا النوع الثاني فهو الكتابة التي تعتمد الحروف الخطِّيَّة أداتها الأولى في التواصل.

وربَّما يكون هذا النوع الكتابي قد اخترع لتوكيد تمييز الخطِّ عن الكتابة (نشأة وتطوُّر الكتابة الخطِّيَّة العربية، ص ٧٦)، فالعلاقة بين الاثنين تقوم على كون الخطِّ هو "صورةُ الكتابة" (منهاج الأدباء وسراج البلغاء، ص٧١). وتكمن حقيقة الخطِّ في كونه صورةً، والصورة أقرب ما تكون انتماءً معرفيًّا إلى الفنِّ منها إلى اللغة.

تباين فقهاء اللغة ونقَّاد الفنِّ في تسمية الصورة الخطِّيَّة تباينًا واضحًا على الرغم من محاولات التِّبيان الواضح لمفهوم الخطِّ وحدوده المعرفية، فقد قدَّم طاش كوبري زاده (أحمد بن مصطفى، ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م) نظريَّته التصنيفية لما سمَّاه: "العلومَ الخطِّيَّة" (مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ١/ ٨٥) التي تنوَّعت بحسب الجوانب اللغوية كالكتابة والإملاء، والصناعيةِ كالموادِّ والأدوات، والوظيفية المتعلِّقة برسم المصحف ووزن الشعر، لكنَّه لم يلتفت كثيرًا إلى جوانب الخطِّ الجمالية، فلم يُعرها كبيرَ اهتمامٍ في قائمته التفصيلية الهامَّة لعلوم الخطِّ، فظلَّت صورة الخطِّ الجمالية -بعيدة الى حدٍّ ما- عن المصطلح العلمي والتصنيف المعرفي، على الرغم من أنَّ كثيرًا من المؤلَّفات التراثية اللغوية والأدبية والتاريخية وغيرها كانت تستخدم عبارة "حسن الخط" في التعبير عن تلك الجوانب الجمالية.

ليس من السهل تحديدُ المصدر التراثي الأوَّل لاقتراح تسمية "حسن الخطِّ" وإشاعتها معرفيًّا وتاريخيًّا، ولكنَّ هذه التسميةَ كانت مصطلحًا مستقرًّا وشائعًا، غيرَ محتاجٍ إلى شرحٍ أو تفسيرٍ في مؤلَّفات القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي؛ لا سِيَّما المُتَعَلِّقة منها بأدب الكُتَّاب على الأقلِّ (تأويل مختلف الحديث، ص ١٩٢)، ثُمَّ ظلَّ هذا المصطلح متداولًا بكلِّ أريحيةٍ أدبيةٍ ومقبوليةٍ معرفيةٍ حتَّى نهاية العصر العثماني الذي كانت أدبيَّات التعليم الرسمي ومؤلَّفاته الرسمية والشعبية

فيه، تستخدم هذه التسميةَ بلفظها اللغوي التركي: " **حُسْني خط**" (الخطُّ العربي في الوثائق العثمانية، ص ٨٩).

وكان المصطلح الآخر الشبيهُ بحسن الخطِّ، وتداولتْه المؤلَّفات العربية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على الأقل؛ هو صنعةُ الخطِّ وصناعته (الأوائل، ص ٥٧). وقد ظلَّ هذا المصطلح متداولًا عند العثمانيِّين في التعبير عن حسن الخطِّ أيضًا (صنعتنا الخطية، ص١).

ولكنَّ المفهوم الجمالي لطبيعة الخطِّ وصورته، تأثَّر كثيرًا بالإشكالية اللغوية الناشئة عن ترجمة بعض المصطلحات الثقافية والحضارية الأجنبية المتعلِّقة بعلمَي الآثار Archaeology والجمال Aesthetics إلى اللغة العربية؛ وبخاصَّةٍ ترجمة مصطلح Art إلى مصطلح فنٍّ الذي صار تعبيرًا عن كلِّ مظاهر الإبداع الإنساني والجمال الصناعي والهوية الثقافية والوظيفة الحضارية، كما تُرجم المصطلح العلمي الأجنبي الخاصُّ بالكتابة الخطِّيَّة اليدوية الفنِّيَّة Calligraphy إلى علم جمال الخطِّ أو فنِّ الخطِّ، فنشأت في الثقافة العربية المعاصرة منذ بدايات القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي تسمية الاتِّجاه الإبداعي العامِّ الذي ينزع إليه الخطَّاطون في كتاباتهم الخطِّيَّة باسم "فنِّ الخطِّ".

ويكاد هذا المصطلح الحديث نسبيًّا يكون أكثر المفاهيم الجمالية تداولًا ثقافيًّا في تسمية الكتابة الخطِّيَّة اليدوية الإبداعية (المصطلح الفنِّي في الخطِّ العربي، ص ٣١)، لكنَّه ليس أحدثها ولا آخرها، فقد ظهرت في ما بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي تسميةٌ عربيةٌ علميةٌ جديدةٌ لفنِّ الخطِّ؛ انطلقت من لفظة الخطِّ نفسِها، وصِيغت على أصول القياس اللغوي التي أقرَّها بعض مجامع اللغة العربية لصياغة أسماء الحِرْفة وما شابهها على وزن فِعَالة كالصِّناعة والوِرَاقة والنِّجَارة وغيرها (القياس اللغوي وأهمِّيَّته في تطوير اللغة، ص ٤٧). وقد تمثَّلت هذه التسميةُ الجديدة في كلمة "الخِطاطة".

ولعلَّ أوَّل من صاغ هذه التسمية التأصيلية البديلَ عن مصطلح "فنِّ الخطِّ"؛ هو الباحث التونسي عثمان العَكَّاك، في مقاله الذي نشره عام ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥م في

مجلَّة المكتبة العربية (القاهرة) بعنوان "الخِطاطة التونسية" (المكتبة العربية، ص١٩). وقد اعتمد مكتب تنسيق التعريب؛ التابع لـجامعة الدول العربيَّة هذا المصطلح في مقابلة مصطلح الـخطِّ بمفهومه الفنِّي الأجنبي Calligraphy (معجم التربية والوسائل السمعية البصرية، ص ٣٠).

وقد انتشر مصطلح "الخطاطة" بشكلٍ واسعٍ وملحوظٍ في الأوساط الثقافية والعلمية لدول المغرب العربي، وبشكلٍ قليلٍ ونادرٍ في الأوساط الثقافية والعلمية للمشرق العربي. وقد صدر مؤخَّرًا كتابٌ بعنوان "الخِطاطة؛ الكتابة العربية" لعبد العزيز الدالي.

المصادر والمراجع

- **ابن مُقلة خطَّاطًا وأديبًا وإنسانًا**، هلال ناجي، دار الشؤون الثقافية العامَّة، بغداد، ١٩٩١م.
- **أدب الإملاء والاسْتِملاء**، عبد الكريم السمعاني، ت مكس ويسلر، مطبعة بريل، لندن، ١٩٥٢م.
- **أدب الكتَّاب**، أبو بكر الصُّولي، ت محمَّد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، د.ت.
- **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**، ابن سَاعِد السِّنْجَاري، ت طاهر بن صالح الجزائري، بيروت، ١٣٢٢هـ.
- **الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب**، ابن السَّيِّد البَطَلْيُوسي، تحقيق مُصْطَفى السَّقَّا وحامد عبد المجيد، ط ٢، دار الشُّؤون الثَّقافيَّة العَامَّة، بغداد، ١٩٩٠.
- **أقرب الموارد إلى فصيح العربيَّة والشَّوارد**، سعيد الخوري الشَّرتوني، د. ط، د. م، د. ت.
- **الأوائل**، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٧م.
- **بدائع الخطِّ العربيِّ**، ناجي زين الدين المصرف، مُؤسَّسة رمزي للطِّباعة، بغداد، ١٩٨٢م.
- **البرهان في وجوه البيان**، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠١٢.
- **تاريخ التَّمدُّن الإسلامي**، جُورجي زيدان، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٢٢م.
- **تأويل مختلف الحديث**، ابن قُتَيْبة الدَّينوري، مطبعة كُردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- **جامع محاسن كتابة الكُتَّاب**، محمَّد حسن الطِّيِّبي، ت عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٤هـ.
- **جواهر الأدب**، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ٢١، ١٩٦٤م.
- **الخطُّ العربيُّ في الوثائق العُثْمَانيَّة**، إدهام محمَّد حنش، دار المناهج، الأردن، ١٩٩٧م.
- **الخطُّ، الفنُّ العربي الأصيل**، حسن الباشا، فصل في: حلقة بحث الخطِّ العربيِّ، المجلس الأعلى لرعاية الفُنُون والآداب والعُلُوم الاجتماعيَّة، القاهرة، ١٩٦٨م.
- **الخِطَاطة التُّونسيَّة**، عثمان العكاك، المكتبة العربيَّة (مجلَّة)، م القاهرة، ج ١، ع ٣، ١٩٦٥م.
- **الخطاطة: الكتابة العربية**، عبد العزيز الدالي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **دراسة في تطوُّر الكِتَابات الكُوفيَّة على الأحجار في مِصْر في القرون الخمسة الأولى للهِجْرة**، إبراهيم جمعة، دار الفكر العربيِّ، القاهرة، ١٩٦٩م.
- **ديوان المعاني**، أبو هلال العسكري، ت أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٤م.

- **الرسالة العذراء**، ابن المُدبَّر، نشر: زكي مبارك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣١م.
- **رسالة في بيان جليل الكلام ودقيقه**، سعيد فوده، دار الذخائر، بيروت، ٢٠١٥م.
- **رسالة في حروف العربيَّة**، أبو العبَّاس أحمد الرازي، ت رشيد عبد الرَّحمن العُبَيْدي، مجلَّة معهد المَخْطُوطات العربيَّة، مج ٢٠، ج ١، مايو، ١٩٧٤م.
- **رسالة في علم الكتابة، أبو حيَّان التوحيدي**، ت إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١م.
- **رسائل إخوان الصفا وخلَّان الوفا**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، القلقشندي، ت حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- **صَنْعَتُنا الخطِّية**، محيي الدين سرين، تر: شكري خارشو، دار التَّقدُّم، دمشق، ١٩٩٣م.
- **العِقْد الفريد**، ابن عبد ربِّه، الزَّفتاويُّ، تحقيق: أحمد أمين وزملاؤه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٢م.
- **عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السَّمين الحلبي، ت محمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- **عمْدة الكُتَّاب وعُمْدة ذوي الألباب**، المُعِزُّ بن باديس، تحقيق عبد السَّتَّار الحَلْوجيّ وعلي عبد المحسن زكي، مجلَّة معهد المَخْطُوطات العربيَّة، مج ١٧، ج ١، مايو، ١٩٧١م.
- **العُمْدَة**، عبد الله الهيتي، ت هلال ناجي، مطبعة المَعَارِف، بغداد، ١٩٧٠م.
- **فلسطين موطن ولادة فنِّ الخطِّ العربيِّ**، يوسف ذنون، المجلَّة العربيَّة للثَّقافة، س ١، ع ١، تونس، آذار، ١٩٨٢م.
- **الفهرست**، ابن النديم، ت يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- **الفهرست**، النديم، ت رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
- **القياس اللُّغَويُّ وأهمِّيَّته في تطوير اللُّغَة**، شاكر العيساوي، اللِّسان العربيُّ (مجلَّة)، المغرب، مج ١٤،ج ١، ١٩٧٦م.
- **كتاب الكتَّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها**، أبو القاسم الضرير البغدادي، ت هلال ناجي، مجلَّة المورد، بغداد، مج٢، ع٢، ١٩٧٣م.
- **كتاب الكتَّاب**، ابن درستويه، نشر لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٧م.

- **الكلِّيَّات،** أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمَّد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.
- **المخصَّص**، ابن سيده، المكتب التِّجاريُّ، بيروت، د. ت
- **المدرسة العثمانية لفنِّ الخطِّ العربي**، إدهام محمَّد حنش، مكتبة الإمام البخاري للنشر، القاهرة، ٢٠١١م.
- **المصطلح الفنِّي في الخطِّ العربي**، إدهام محمَّد حنش، مؤسَّسة البصائر، إستانبول، ٢٠٢٠م.
- **معجم التَّربية والوسائل السَّمعيَّة البصريَّة**، عبد العزيز بن عبد الله، اللِّسان العربي، المغرب، مج ١٥، ج ٢، ١٩٧٧م.
- **المعجم العربي الأساسي**، المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعُلُوم، طبعة لاروس، تونس، ١٩٨٩م.
- **مفاتيح العلوم**، الخوارزمي، ت إبراهيم الأبياري، مطبعة الشَّرق، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
- **مفتاح السَّعادة ومصباح السيادة**، طاش كوبري زاده، تحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهَّاب أبو النُّور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د. ت.
- **المقابسات،** أبو حيَّان التوحيدي، ت حسن السندوبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٩م.
- **منهاج الأدباء وسراج البلغاء**، القرطاجني، ت الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- **منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة**، الزفتاوي، ت هلال ناجي، المورد، مج١٥،ع ٤، ١٩٨٦م.
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، حازم القرطاجني، ت محمَّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٨١م.
- **موسوعة تراث الخطِّ العربي**، هلال ناجي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **نشأة وتطوُّر الكتابة الخطِّيَّة العربية**، فوزي سالم عفيفي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.
- **الوزراء والكُتَّاب**، الجهشياري، ت مُصْطَفى السَّقَّا، القاهرة، ١٩٣٨م.

قطوعُ الورق العربيِّ
مصطلحاتُها وقياساتُها المتريَّة[1]

د. سعيد الجوماني، جامعة هامبورغ، ألمانيا

ملخص

إنّ مبحثَ قطوعِ الورقِ ركنٌ أساس في الدرسِ الكوديكولوجي للمخطوطات؛ فهو المنفذُ الرئيسُ للدخول إلى صناعة المخطوطات، وتشكيلِ الكرَّاسات، وإخراجِ الصفحات (جَدْوَلَةً وتسطيرًا)، ومن ثَمَّ وصف هذه المخطوطاتِ في الفهارس القديمة، وعلى الرغم من هذه الأهمِّيَّة، لا نكاد نهتدي إلى مدلولات مسمَّياتِها المتعدِّدة في المصادر التراثيَّةِ العربيَّةِ، علمًا أنَّ محاولاتِ تحديد قياساتِها المتريَّة لم تنقطع منذُ نهايات القرنِ التاسع عشر، ومع ذلك لم تتَّفق نتائجُ أيٍّ منها؛ وأغلب الظنِّ أنَّ السببَ وراء ذلك إمَّا عائدٌ إلى صِغَر حجم العيّنة المدروسةِ، وإمَّا إلى المنهج المتَّبع في تحقيق هذه القضيَّةِ البحثيَّة.

ولأهمِّيَّة تحديدِ القياسات المتريَّة لقطوع الورقِ، ستُقدِّم هذه الدراسةُ المنهجَ الآمنَ لخوض غمار هذا المبحث، كما ستقدِّم خلاصةَ نتائجِها حولَ القياساتِ المتريَّةِ للقطع البغداديِّ الكامل، والقطع البغداديِّ الناقصِ، والقطعِ المنصوريِّ، والقطوع المتوالدة منها، وذلك بعد استعراضِ الدراساتِ السابقة ومناقشتِها.

الكلمات المفتاحية: قطوع الورق، القطع البغداديُّ الكامل، القطع البغداديُّ الناقص، القطع المنصوري.

---

١ هذا البحث مُمَوَّل من قِبَل مؤسسة الأبحاث الألمانيَّة (DFG)، في إطار استراتيجية التميز الألمانيَّة – EXC ٢١٧٦ – "فهم المصنوعات اليدويَّة المكتوبة: المواد والتفاعل والانتقال في ثقافات المخطوطات"، المشروع رقم: ٣٩٠٨٩٣٧٩٦. أُجري البحث في نطاق مركز دراسة ثقافات المخطوطات (CSMC)، في جامعة هامبورغ.

Formats of Arabic Sheets of Paper
Terms and Measurements[1]

Dr. Said Aljoumani, University of Hamburg, Germany

Abstract

Research on the formats of sheets of paper is a crucial part of the codicological study of manuscripts. Formats allow researchers to understand the production of manuscripts, the shaping of the quires, the constitution of the layout of the page – both rule-borders and geometry. If we consider this, we can better understand the description of manuscripts in historical catalogues. Despite the importance of this insight, we have not so far gained a precise idea of the numerous terms used in Arabic historical sources, although attempts to measure sheets have been undertaken since the end of the nineteenth century and they still are. The results, however, are not agreeing with each other. I argue that there are two reasons for this: either researchers draw on a limited sample of manuscripts, or methodology influences the results.

Because of the importance of measurements for the format of manuscript pages, this study proposes a new methodology for determining them. The study will also offer results for measurements of the formats al-baghdādī al-kāmil, al-baghdādī al-nāqiṣ, al-manṣūrī, and the formats deriving from them. This follows on an overview of previous research and scholarly discussions about this matter.

Keywords: Formats of sheets of paper, al-baghdādī al-kāmil, al-baghdādī al-nāqiṣ, al-manṣūrī.

1 The research for this article was funded by the Deutsche Forschungsgemeinschaft (DFG, German Research Foundation) under Germany´s Excellence Strategy – EXC 2176 'Understanding Written Artefacts: Material, Interaction and Transmission in Manuscript Cultures', project no. 390893796. The research was conducted within the scope of the Centre for the Study of Manu-script Cultures (CSMC) at Universität Hamburg.

كثيرًا ما يواجه الباحثُ في مصنَّفات التراثِ العربيِّ، خاصَّةً في الأعمال البيبليوغرافيَّة كفهارس المكتبات المخطوطة،[١] وفي كتب التاريخ،[٢] وكتبِ التراجم،[٣] التي تسرد أعمال مؤلِّفين معيَّنين، مصطلحاتٍ مثل (قطع الكامل، قطع النصف، قطع الربع، قطع الثمن). والغرضُ من هذه المصطلحات حسب سياقاتِها هو وصفُ أحجام الورقِ/ الكتب. ومن المعروف أنَّ قَطْعَ الورقِ مصطلحٌ يُشير إلى طول دَرج الورقِ وعرضه، وهو بذلك مختلفُ القياسات والأسماء؛ بل مختلفٌ حسب الأقاليمِ الجغرافيَّة؛[٤] أي أنَّ قطعَ الورقِ اسمُ جنسٍ لمسميَّاتٍ كثيرةٍ تندرج تحته، ولكلٍّ منها دلالتُها الخاصَّة وأبعادُها المُختصَّة بها، كما أنَّهُ مصطلحٌ يشير إلى نمطِ طيِّ الكرَّاسات،[٥] وكلَّما زاد عدد مرَّاتِ طيِّ الفرخة[٦] نتجَ عن ذلك قطوعٌ مختلفةُ الأبعادِ، وبناءً عليه فإنَّ هذا المصطلحَ يدلُّ على أبعاد الصفحةِ وطريقةِ طيِّ الكرَّاسة معًا.

وإن كانت هذه المصطلحاتُ معروفةَ الدلالةِ عند مستخدميها القدامى وكذلك عند جمهورِ المتلقِّين لها حينذاك؛ فإنَّها اليوم أشبهُ بالطلاسم لا نكاد نهتدي إلى ضبطها أو تمييز الفارق بينها، فما السبيلُ إلى تحديد قياساتِها المتريَّة؟ وما الفائدةُ المرجوَّةُ من ذلك في مجال دراساتِ المخطوطاتِ العربيَّة؟

نداءاتٌ ومحاولات

في عام (١٨٨٧م)، نشر الباحثُ يوسف كاراباتشيك Joseph von Karabacek مقالًا عن الورق العربيِّ، معتمدًا في دراسته على مجموعة رينر The Rainer

١ على سبيل المثال: دفتر كتب حضرة مولانا قطب العارفين أبي البهاء ضياء الحق والحقيقة والدين مولانا الشيخ خالد النقشبندي المجددي، في:
The Library of Shaykh Khalid al-Shahrazuri al-Naqshbandi (d. 1242/1827). A Facsimile of the Inventory of his Library (MS Damascus, Maktabat al-Asad, No. 259), Jan Just Wikam, Frederick de Jong, in MME 2 (1987), pp. 74-87.

٢ مثل "ذُكِر أنه كتبَ في يومٍ واحد ستَّة عشر كراسًا قطع الثمن"، تاريخ الإسلام، ١٤/ ٤٨١.

٣ مثل "ورأيت هذه النسخة في ثلاث مجلَّدات قطع النصف"، مجمع الآداب، ٣/ ٣١٧.

٤ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٠- ١٩٣.

٥ المدخل إلى علم الكتاب المخطوط، ١٢٤.

٦ الفرخة: الورقة الكاملة قبل الطيّ، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ٢٦٢.

Collection المكوَّنة من ١٢٠٠٠ ورقة، وهي عبارةٌ عن وثائقَ إداريَّةٍ وسياسيَّةٍ، أقدمها يعود إلى سنة (٧٩٦م) وأحدثُها يعود إلى سنة (١٣٨٨م). واختتم دراستَهُ بوضع جدولٍ فيه القياساتُ المتريَّةُ للورق الذي كان مستخدمًا في مصرَ والعراق. ولاحقًا تبنى آدم جاسك قياساتِه[١] وكانت نتائجُ كاراباتشيك على النحو الآتي:[٢]

الجدول رقم (١). قياسات كاراباتشيك للورق العربيِّ

الورق البغدادي.	**القياس المتري**
الورقة الكاملة.	١٠٩,٩ × ٧٣,٣سم
نصف الورقة.	٧٣,٣ × ٤٨,٨سم.
الورق المصري.	**القياس المتري.**
الطومار الكامل.	١٠٩,٩ × ٧٣,٣سم.
البغدادي.	٧٣,٣ × ٤٨,٨سم.
بغدادي غير مكتمل.	٩٧,١ × ٦٥,١سم.
قطع الثلثين.	٤٨,٨ × ٣٢,٥سم.
نصف المنصوري.	٣٦,٦ × ٢٤,٤سم.
ثلث المنصوري.	٢٤,٤ × ١٦,٢سم.
ورق العادة.	٢١,٣ × ١٤,٢سم.
ورق الطير.	٩,١ × ٦,١سم.
الورق المنصوري/ [أيضًا مصري].[٣]	**المقياس المتري.**
المنصوري الكامل.	٧٣,٣ × ٤٨,٨سم.
ثلثي المنصوري.	٤٨,٨ × ٣٢,٥سم.[٤]

١ تقاليد المخطوط العربي، ٢٥٠- ٢٥١.

٢ Arab Paper, 56.

٣ "الورق المصري وهو أيضا على قطعين: القطع المنصوري وقطع العادة". كتاب صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

٤ هكذا في الأصل والصواب: ٤٨,٨ × ٣٦,٦ سم. وهذا حسب معادلة الطي التي سيأتي ذكرها، ويؤكد ذلك طول قطع نصف المنصوري.

نصف المنصوري.	٣٦,٦ × ٢٤,٤سم.
ثلث المنصوري.	٢٤,٤ × ١٦,٢سم.[١]
ربع المنصوري.	١٨,٣ × ١٢,٢سم.
سدس المنصوري.	١٢,٢ × ٨,١سم.[٢]
مثيل المنصوري.	٦٧,٢ × ٤٤,٨سم.

والملحوظُ على قياسات هذا الجدولِ: أنَّه عدَّ القطعَ المنصوريَّ الكاملَ مساوٍ للقطع البغداديِّ، وهو أساسُ القطوعِ بمصرَ، ومنه توالدَ (ثلثي المنصوريِّ، ونصفُ المنصوريِّ، وثلثُ المنصوريِّ، وربع المنصوريِّ، وسدسُ المنصوريِّ).[٣] فهل كان قالبُ القطعِ المنصوريِّ هو نفسُه قالبُ القطعِ البغداديِّ؟

في الحقيقة هذا لا يتَّفقُ مع وصفِ القَلْقَشنديِّ للقطوع؛ إذ بيَّن أنَّها مختلفةُ الأحجامِ والجودةِ، وبعضُها أصغرُ من بعضٍ. أوفرُها حجمًا القطعُ البغداديُّ، وأصغرُ منه القطعُ الشاميُّ بنوعيه: الحَمَوي والشامي، والشاميُّ أصغرُ من الحَمَويِّ، ودونهم في الرتبة الورقُ المصريُّ بنوعيه: المنصوري والعادة، والمنصوريُّ أكبرُ من العادة،[٤] أي كان لكلِّ قطعٍ من القطوع السابقةِ قالبُهُ الخاصُّ، ومن ثمَّ قطوعُه الخاصَّةُ المتوالدةُ عنه، وعندما أراد تحديد قياساتِها انطلق من طول الطومارِ/ الفرخةِ الكاملةِ لكلِّ قطعٍ على حدةٍ، مع تعيينه لطول فرخةِ القطع البغداديِّ فقط.[٥]

أمَّا بالنسبة إلى القياس المتريَّ الذي ذكره يوسف كاراباتشيك للقطع البغداديِّ؛ فإنَّه يختلف عن القياس المتريِّ الذي حدَّده القَلْقَشنديُّ لهذا النوع، فبحسب قياسِ

١ هكذا في الأصل والصواب: ٢٤,٤ × ١٨,٣ سم، ويؤكد ذلك طول قطع ربع المنصوري.

٢ هكذا في الأصل والصواب: ١٢,٢ × ٩,١ سم.

٣ سُمِّيَت هذه القطوع على أساس نسبة طول القطعِ المُوَلِّدِ إلى طول القطع البغدادي/ المنصوري الكامل؛ فطول قطع ثلثي المنصوري مساوٍ لثُلثي طول قطع المنصوري الكامل، وطول قطع نصف المنصوري مساوٍ لنصف طول القطع المنصوري الكامل وهكذا.

٤ كتاب صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

٥ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٠- ١٩١.

القلقشنديّ (ت ١٤١٨م)،[١] المُعتمِدِ على ذراع القماشِ المصريّ، يكون مقاسُ القطعِ البغداديّ الكاملِ: ٨٦,٣١×٥٧,٥٤سم،[٢] على اعتبار أنَّ طولَ ذراعِ القماشِ المصريِّ هو: ٥٧,٥٤ سم. بينما جاء مقاسُ القطعِ البغداديّ الكامل عند كاراباتشيك: ١٠٩,٩ × ٧٣,٣ سم، وهذا ينتج من اعتبار طولِ ذراعِ القماش المصريّ ٧٣,٣ سم.

ولكنَّ القَلقَشنديَّ حدَّد لنا المقصودَ بذراع القماشِ عند قوله: "وأمَّا الأقمشةُ، فإنَّها تُقاس بالقاهرة بذراعٍ طوله، ذراعٌ بذراع اليدِ، وأربعِ أصابعَ مطبوقةٍ[٣] لقد اجتهد عددٌ من العلماء في تحديد قياسِ الذراعِ الواردة في الكتب التراثيَّةِ العربيَّةِ، وقام كلٌّ منهم بتجارُبِه وقدَّم نتائجَه، فأتت هذه القياساتُ متقاربةً أحيانًا ومتباعدةً أحيانًا أخر". ولقد ناقش محمد فاخوري وصلاح الدين خوَّام نتائجَ هؤلاءِ العلماءِ، وخلصوا إلى أنَّ نتيجةَ محمود بك الفلكيّ المعتمِدةِ على قياسات بركة المدرسةِ الطيبرسيَّة، أقربُهم إلى الصواب؛ لأنَّها مستنتَجةٌ بطريقةٍ سليمةٍ.

وبحسب قياساتِ محمود بك الفلكيّ،[٤] فإنَّ الذراعَ تساوي ٤٩,٣٢ سم،[٥] وبما أنَّ الأصابعَ الأربع المطبوقةَ تساوي حسب هنتس، سُدس الذراعِ، فهذا يعني أنَّ قياسَها: ٨,٢٢ سم[٦] وبهذا ستكون ذراعُ القماشِ المصريّ: ٥٧,٥٤ سم.[٧]

وأغلبُ الظنّ أنَّ منبعَ الاختلافِ بين القيمتين، ناتجٌ عن سوء فهمِ كاراباتشيك للمقصود بالذراع، فالذراعُ: هو المسافةُ الممتدَّةُ من طيِّ المرفق إلى آخر الأصبعِ

١ أيَّ أن جزءًا من الورقات التي درسها كاراباتشيك تعود إلى فترة القلقشندي.

٢ سيأتي تفصيل ذلك.

٣ كتاب صبح الأعشى، ٣/ ٤٤٧.

٤ موسوعة وحدات القياسات العربية، ٢٥.

٥ وهذا أضبط من القياس الذي ذكره قاسم السامرائي للذراع بأنَّه: ٤٦,٢٠ سم، يُنظر علم الاكتناه، ٢٧٨؛ لأنَّه اعتمد ذراع القماش المصري في القرن التاسع عشر وليس في زمن القلقشندي، وهو أضبط من القياس الذي أوردته جونفييف هومبرت وهو: ٨,٨٤ سم، ومن ثم كانت مقارنتها مجانبة للصواب. يُنظر المخطوطات العربية وورقها، ٦٤٢، ٢٥٢.

٦ المكاييل والأوزان، ٨٤. وهذا يتطابق من قيمة الأصبع الذي قدمه محمد فاخوري وصلاح الدين خوَّام، وهو: ٢,٠٥ سم، أي ٤ × ٢,٠٥ = ٨,٢ سم. ينظر موسوعة وحدات القياس العربية، ٢٦.

٧ الغريب أنَّ محمد فاخوري وصلاح الدين خوَّام عندما حاولا إعطاء قياس عرض دَرْج القطع البغدادي قالا: إنَّه: ٥٦,٣٧ سم، وهذا غير صحيح، وبناءً عليه فإنَّ جميع المقاييس التي أعطوها لعرض القطوع غير صحيحة، تُنظر موسوعة وحدات القياس العربية، ١٤٩- ١٥٢.

الوسطى،[1] وليس بين رأس الأصبع الوسطى وعظم الكتف، التي سيكون متوسَّطُها ٧٣,٣ سم، والراجحُ أنَّهُ لم يميّز بين ذراع اليدِ وذراع القماشِ، وأنَّهُ لم يُضف إلى حسابه مسافةَ الأصابعِ الأربعِ المطبوقة.

ومع أنَّ كراباتشيك يُقرُّ بعمليَّة توالدِ القطوع من بعضها البعضِ عن طريق الطيّ، فإنَّه بتطبيق معادلةِ الطيّ[2] المستنتجةِ في الأسفل على قياساته، ستظهر تناقضاتٌ لا يمكن قبولُها، ولم يَقمْ هو بتعليلها. خاصَّةً في قياس عرضِ القطوع الثلاثةِ (ثلثي المنصوريِّ، وثلث المنصوريِّ، وسدس المنصوريِّ). كلُّ هذا يجعل الاطمئنانَ إلى قياساته صعبًا.

وفي عام (١٨٩٤م)، قدَّم كلٌّ من شارل وفيكتور مورتي جدولًا بمقاسات الورقِ المُصنَّع في الغرب، وأعطوا القطوعَ مسمَّياتٍ حسب العلامةِ المائيَّة الظاهرةِ فيها والدالةِ على الصانع، فذكروا أربعة عشر قطعًا، أكبرها ١٢١ × ٩٠ سم، وأصغرها ٤٠ × ٣١ سم. والملحوظُ على هذه القطوعِ أنَّها مستقلَّةٌ عن بعضها، وغيرُ متوالدةٍ عن طريق الطيّ؛ أي أنَّ كلَّ قطع منها ناتجٌ عن قالب ورقٍ مستقلٍّ بذاته،[3] ولكن يُمكن لكلٍّ منها أن يطوى ويُولِّد قطوعَه الخاصَّةَ به؛[4] أي سيكون لكلٍّ منها قياسٌ خاصٌ للقطع الكاملِ مختصٌ به، وكذلك لقطع النصفِ، والربعِ، والثمنِ. ويُمكِن القولُ إنَّ القطعَ المُسمَّى Cavalier هو أقربُ القطوعِ الغربيَّةِ إلى القطع البغداديّ؛[5] إذ جاءت أبعادُه:

الجدول رقم (٢). أبعاد القطع Cavalier

عدد الطيَّات.	القياس المتري.
الفرخة الكاملة.	٦٠ × ٤٦سم.
بعد طيَّة واحدة.	٤٦ × ٣٠سم.

١ منح الجليل، ١/ ٤٠١.
٢ يُنظر الشكل رقم (١).
٣ Le format des livres, 3.
٤ Le format des livres, 17.
٥ يمكن المقارنة مع الجدول رقم (١١)، ابتداءً من الطيَّة الأولى.

بعد طيَّتين.	٣٠ × ٢٣سم.
بعد ثلاث طيَّات.	٢٣ × ١٥سم.
بعد أربع طيَّات.	١٥ × ١١,٥سم.

أمَّا محاولةُ القياسِ الثانيةِ للورق العربيّ؛ فجاءت في منتصف القرنِ العشرين حيث كان حبيبُ الزيَّاتُ المهتمُّ بالوِراقة والتأريخِ لها، من الرعيل الأوَّلِ الذي تنبَّه إلى ضرورة تحديدِ مصطلحاتِ قطوعِ الورقِ الواردةِ في الكتب التراثيَّة ودراستها فقال: "ولا يجهل أحدٌ شأنَ هذا الدرسِ وفائدتَه الجليَّ في تاريخ الوِراقة".[١] ولكنَّه مع ريادتِه في هذا المضمارِ لم يُقدِّم أيَّ تحديدٍ لأيِّ قطعٍ من قطوع الورق، ومع ذلك فإنَّه أشار بذكائه المعهودِ وبلفتةٍ موجزةٍ مكثَّفةٍ إلى السبيل الوحيدِ لتحقيق ذلك.[٢]

ثمَّ جاء الدكتور حسين علي محفوظ – في سبعينيَّات القرنِ الماضي- وقدَّمَ مبادرةً لبناء أركانِ علم المخطوطاتِ العربيّ، وذكر أنَّ أحد أركان هذا العلم هو وضعُ معجمٍ لمصطلحاتِه، فلكلِّ علمٍ مصطلحاتُه ولكلِّ مصطلحٍ دلالتُه التي لا بدَّ من ضبطها، وللتدليل على ذلك سردَ عشراتِ المصطلحاتِ المُغْلَقةِ المُحتاجةِ إلى تبيان دلالاتِها وضبطها، منها ما هو في باب التزيّين، وما هو في باب التجليدِ، وما هو في باب التصويرِ، وكذلك في باب الأشكالِ، وباب الأقلامِ، وباب أجزاء الخطِّ، ولكنَّ سَرْدَه ذلك جاء على سبيل التمثيلِ دون التعيّين؛ إذ لم يكن قصدُه فكَّ مغاليقِ تلك المصطلحاتِ أو شرحِها؛ بل التوكيدُ على أنَّ هذا العلمَ ما زال بلا قواعدَ فإنْ كانت مصطلحاتُه غيرَ مقنَّنةٍ ولا منضبطةٍ، وهي مفاتيحُ أيَّةِ دراسةٍ وأيِّ نقاشٍ سيدور

١ صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام، حبيب الزيات، مجلَّة المشرق، س ٤٨ (تشرين الثاني/ كانون الأول ١٩٥٤م). ٦٣٧.

٢ كالمثال الذي ضربه عن وصف ابن قاضي شهبة لأحد كتب ابن شاكر الكتبي بأنه في قطع نصف الحموي وبخطِّه، وأن بعض أجزائه موجودة في الخزانة التيمورية ومن ثمَّ "يسهل قياسها وتحديد مقادير الورق الحموي فيها". صحف الكتاب وصناعة الورق في الإسلام، حبيب الزيات، مجلَّة المشرق، س ٤٨ (تشرين الثاني/ كانون الأول ١٩٥٤). ٦٣٧. أي أنَّ المنهج، بشكل عام، هو: الربط بين قَطْعِ النسخة الموصوفة في الكتب التراثية وقياسها المتريّ، بعد التأكد من أنَّها النسخة المعنيَّة، ولكن على أرض الواقع الأمر أعقد من ذلك، فقد تكون النسخة الموصوفة في المصدر التراثي تعرضت بعد ذلك لعمليات إعادة تجليد فنقصت أبعادها، وبناء عليه لا بدّ من استشارة أكبر عيّنة من القَطْع المراد قياسه.

لا حقًا، فأيُّ تطوُّرٍ يُرجى له!

ولهذا أرجأ التفصيلَ في ذلك إلى كتابٍ يُعدِّه،[1] ومن المؤسف أنَّه مات ولم يُخرجه. ومع ذلك أُدْرِجَت هذه المداخلُ المصطلحيَّةُ التي ذكرها تحت كلِّ بابٍ، في معجم مصطلحاتِ المخطوطِ العربيِّ من دون أيِّ تفسيرٍ مصاحبٍ لها، سوى نسبتها إلى الباب الذي خصَّصه لها الدكتور حسين علي محفوظ.[2] ممَّا يجعلُ الأسفَ كبيرًا؛ لأنَّ شطرًا مهمًّا من المعرفة في هذا العلمِ غاب معه، ولم يتصدَّ أحدٌ إلى الآن لاستجلاءِ مقاصدِ تلك المصطلحات.

ولكنَّ من حُسن الحظِّ أنَّ الدكتور حسين محفوظ خرج عن صمته في باب قطوعِ الورق فقال: "ولا بدَّ في تفهيم القطوعِ القديمةِ – مثلًا- من تحويلها إلى المقياس المتريِّ"، وهذا جدولُ القطوعِ الاثني عشر المعروفة:

الجدول رقم (٣). قياساتُ حسين محفوظ للورق العربيِّ

القطع.	المقياس المتريّ.
المعضدي.	٣ x ٢سم.
الإبطي.	٦ x ٤سم.
المصلائي.	١٢ x ٧سم.
الحمائلي.	أعرض من المصلائي.
نصف الربعي.	١٨ x ١٠سم.
الوزيري الصغير.	٢٢ x ١٤سم.
الوزيري.	٢٤ x ١٦سم.
الوزيري الكبير.	٣٠ x ٢٠سم.
السلطاني.	٤٠ x ٣٠سم.

١ علم المخطوطات، حسين علي محفوظ، مجلَّة المورد، ع١ (فبراير ١٩٧٦م). ١٤٥.

٢ ينظر على سبيل المثال المصطلحات الآتية: (المبرج، المُحيَّز، المضلع، المطرف)، ستجد عندها جميعًا عبارة "نوع من الأشكال الزخرفية"، وهو الباب الذي وضعها فيه الدكتور حسين علي محفوظ، من دون أي تفسير لها. معجم مصطلحات المخطوط العربي، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٩، ٣٤٠.

الرحلي الصغير.	٤٠ X ٢٥سم.
الرحلي.	٥٠ X ٣٠سم.
الرحلي الكبير.	٦٠ X ٣٥سم.
وعندهم أيضا:	
الخشتي.	٢١ X ١٧سم.
الخشتي القصيف.	٢١ X ١٤سم.[١]

ويتَّضح من هذا الجدولِ أنَّ القياساتِ المتريَّةَ التي أوردها تختلفُ تمامًا عمَّا أورده كاراباتشيك، إلَّا في ما يخصُّ قطعَ الخشتي القصيفِ، الذي سمَّاه كاراباتشيك الورق العادة، ولكن من غير المعروفِ كيف توصَّل حسين محفوظ إلى هذه القياسات، وكيف طابقَها مع المسمَّيات، وما المنهجُ الذي اتَّبعه، وما المقارناتُ التي أجراها، أو العيِّنةُ التي درسها؟ إذ لا بدَّ من الاعتراف أنَّ عمليَّةَ الوصولِ إلى تحديد القياساتِ المتريَّةِ لكلِّ قطعٍ من قطوع الورقِ ليست أمرًا هيِّنًا، ودونه عقبات كؤود.

وفي عام (١٩٩٣م)، قدَّم جان إيرغوين Jean Irigoin محاولَته في رصد القياساتِ المتريَّةِ للورق العربيِّ؛ فأتت على النحو الآتي:

الجدول رقم (٤). قياساتُ جان إيرغون للورق العربيّ

القطع الكبير.	٧٢/٦٦ × ٥٦/٤٩سم.
القطع المتوسط.	٥٦/٤٩ × ٣٨/٣٢سم.
القطع الصغير.	٣٧/٣٢ × ٢٨/٢٣,٥سم.

والملحوظُ: أنَّ قياساتِه لكلِّ قَطْعٍ تتراوح بين قيمتين وليست ثابتةً، وأنَّها لا تتَّفقُ مع ما أورده كاراباتشيك، إلَّا في ما يخصّ قطعَ الثلثين (٤٨,٨ × ٣٢,٥ سم)، المُقاربَ لأحد قيمتي القطع المتوسِّطِ (٤٩× ٣٢ سم)، كما أنَّها تختلف عمَّا أورده حسين محفوظ، والملحوظُ أيضًا أنَّه لم يُحدِّد لنا العيِّنةَ التي درسها، أو المنهجَ الذي

١ علم المخطوطات، ١٤٥.

اتَّبعه في القياس حتى وصل إلى هذه النتيجةِ، عدا عن أنَّه استنتجَ ثلاثَ قطوعٍ فقط (كبير، وسط، صغير)، في حين أنَّنا ندرس هنا أربعةَ قطوعٍ، ولكن ما يُحسب له هو تمييزُه بين مقاساتِ الورقِ حالةَ خروجِه من المصنع، ومقاساتِه عند تصنيعِ الكتبِ وتجليدِها، وأيضًا ملاحظتُه لكيفيَّةِ اشتقاقِ القطوعِ بعضها من بعض.[١]

ومن بعدهم لخَّصَ أسامةُ النقشبنديُّ محاولتَه في رصد أقيسةِ الورقِ/ الكتب بقوله: " لقد وجدنا من خلال دراستِنا للمخطوطات في الفترة العباسيَّة أنَّ قطوعَ أوراقِ المخطوطاتِ لم تُحدَّد بصورةٍ دقيقةٍ ولا يُمكِن تحديدُ مقاييسَ معيَّنةٍ لها، إلَّا أنَّ نسبةَ طولها تكاد تكونُ من ثلثين إلى ثلث، ومن ثلاثة أرباعٍ إلى ربع".[٢] ومن الملحوظ أنَّ نتائجَهُ كانت غامضةً ولم تقدِّم أيَّ قياسٍ متريٍّ، وأنَّ عبارةَ ثلثينِ إلى ثلثٍ، وثلاثةِ أرباعٍ إلى ربعٍ غيرُ مفهومةٍ؛ فأغلب الظنِّ أنَّ هناك خطأً في الصياغة وقعَ فيه، وأنَّه أراد أنَّ نسبة طولِها إلى عرضِها تكون واحدًا إلى ثلثين، وواحدًا إلى ثلاثة أرباع، كما سيأتي.[٣]

القياساتُ المتريَّة للورق/ الكتبُ، ومنهجُ البحث

إنَّ المنهجَ الوحيدَ الموصلَ إلى ذلك هو: الوقوفُ على وصفٍ بيبليوغرافيّ لمخطوطةٍ تحمل إحدى المصطلحاتِ المرادِ قياسُها، ثمَّ تتبُّعُها في مكتبات اليوم، والتأكُّد بدايةً من أنَّها النسخةُ المقصودةُ بالوصف، ومن بعد قياسِ أبعادِها المتريَّةِ؛ ولهذا السبب فإنَّ الطريقَ الآمنَ هو الاعتمادُ على الفهارس المخطوطةِ للمكتبات التراثيَّةِ القديمةِ التي وصلنا شيءٌ من مخطوطاتِها، فهي المصدرُ الأكثرُ إيرادًا لمثل هذا الوصفِ البيبليوغرافيّ، مع التأكيدِ على أنَّ ليس كلُّ الفهارسِ المخطوطةِ اهتمَّت بذكر عنصرِ قطع الورق في الوصف البيبليوغرافيِّ لمقتنياتها. فعلى سبيل المثال: لدينا

١ .Les papiers non filigranés, 302- 303

٢ الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية، النقشبندي، أسامة ناصر، وهو منشور على موقع المؤسسة. https://al-furqan.com/ar/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D9%82-%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/

٣ يُنظر الجدول رقم (٩).

أفضلُ فِهرِسٍ لمكتبةٍ تراثيَّةٍ استطاع محقِّقُه من تتبُّع كمٍّ كبيرٍ من مخطوطاتِها وتحديدِ أماكنِ حفظها، والمقصود فِهرِس مكتبةِ ابنِ عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، ومع ذلك فإنَّ ابنَ عبد الهادي لم يذكر قطوعَ الكتبِ المقتناةِ في مكتبتِه ولا مرَّة واحدةً مع أنَّ عددَ عنواناته بلغ (٢٩١٨ عنوانًا).[١] والشيءُ نفسُه يُقال عن فِهرِس المكتبةِ الرضائيَّة في حلب،[٢] وكذلك عن مسرد كتبِ مدرسةِ محمَّد باشا العظم.[٣]

ويشذُّ عن الأمثلة السابقةِ ثلاثةُ فهارسَ كان تحديدُ القطعِ عنصرًا رئيسًا من عناصر الوصف البيبليوغرافيِّ المستخدمةِ في اثنين منهما، هما: بيانُ الكتبِ التي كانت موجودة في كتب خانةِ جامع النُّور أحمديَّة بعكَّا كُتِبَ سنة (١٢١٥هـ)،[٤] ودفترُ الشيخ خالد النقشبنديّ المجدديّ كُتب سنة (١٢٧٠هـ) في دمشقَ، وبشكلٍ أقلَّ في دفتر أسماءِ الكتبِ التي أوقفها محمَّد صنع الله الخالديُّ،[٥] كُتب سنة (١٢٠١هـ) في القدس، أمَّا الفِهرسان الأوَّلان فقد التزم كاتباهما بذكر قَطْعِ الكتاب مع كلِّ مفردةٍ جاءت في الفِهرس تقريبًا. ومن حسن الحظِّ أنَّ في المكتباتِ اليوم بعضًا من نُسَخ هاتين المكتبتين ويمكن ربطهما مع الفِهرسين؛ أي أنَّ هناك إمكانيَّةً للتأكد من أنَّ النسخةَ الموصوفةَ في الفِهرس هي النسخةُ التي بين أيدينا اليوم، ومن ثمَّ يُمكِننا معرفةُ قياساتِها المتريَّة ومقارنتها بقطوعها الموصوفةِ بها، مع التنبيه على أنَّهُ لا بدَّ من استشارة أكبرِ عيّنةٍ ممكنةٍ من المخطوطات الموصوفةِ والباقيةِ إلى اليوم للحصول على نتائجَ يمكن الركونُ إليها.

ويحسن قبل الولوجِ إلى سرد العيّنةِ الموقوف عليها واستنتاج قياساتِها المتريَّة، التنويهُ بمصطلحٍ كثيرًا ما ارتبط بقطوع الورقِ، وهو "محيَّر". فجاء "قطعٌ كاملٌ

---

١ Hirschler, A Monument, 514- 554 وينظر الجوماني/ هيرشلر، مؤلفات يوسف بن حسن، ٤٧٢- ٣١.

٢ ينظر مكتبة مدرسة في حلب، ٧١- ١٧٧.

٣ ينظر مسرد كتب مدرسة محمَّد باشا العظم، سعيد الجوماني، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، مج ٦١، ج٢ (نوفمبر ٢٠١٧). ١١- ٧٣.

٤ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، أنقرة، Vakiflar Um. Md. Lügü Arsivi, 1058, P. 14- 72

٥ مخطوطة المكتبة الخالدية في القدس، رقم ١١٢٦، الورقة ١٥أ.

محيَّرٌ"،[1] أو "قطع النصف محيَّر"،[2] أو "قطعُ الربعِ محيَّر".[3] ومن خلال تتبُّعِ ظهوره في بيان الكتبِ التي كانت موجودةً في كتب خانة جامعِ النُّور أحمديَّة، ودفترِ أسماءِ الكتب التي أوقفها محمَّد صنع الله الخالديُّ،[4] تبيَّن أنَّه جُعِل للتنبيه على أنَّ الورقَ/ الكتابَ ليس من قطع الكاملِ بالضبطِ، أو النصفِ بالضبط، أو الربعِ بالضبط؛ بل إنَّ الورقَ تعرَّضَ لقصِّ أطرافِه فنقص عن الحدِّ المعياريِّ لقطعِه الأصليِّ؛ فأصبحَ بين منزلتين (بين الكامل والنصفِ/ أو بين النصفِ والربعِ/ أو بين الربعِ والثمن). وهنا احتمالان إمَّا أنَّ الكتابَ صُنع منذ البداية من قطعٍ آخر غير البغدادي الكامل،[5] وإمَّا أنَّ الكتابَ عند تجليدِه نال مقصُّ المُجَلِّد من حوافِّه.

وطالما أنَّ هذه القطوعَ الأربعةَ ناتجةٌ عن طيِّ فرخِ الورق إلى مرَّة (قطع النصف)، أو مرَّتين (قطع الربع)، أو ثلاثِ مرَّات (قطع الثمن)؛[6] إذن تكفي معرفةُ القياسِ المتريِّ لقطعٍ واحدٍ، حتى تُستنتَجَ منه باقي القطوعِ؛ فإذا ما علمنا -على سبيل المثال- القياسَ المتريَّ لقطع الربعِ: الطول × العرض، عندها سيكون طولُ قطعِ النصفِ هو (عرض قطع الربع × ٢)، وعرضُ قطعِ النصفِ هو (طول قطع الربع) نفسه، وبناءً عليه سيكون طولُ قطعِ الثمنِ هو نفسُه (عرض قطع الربع)، وعرضُ قطع الثمنِ هو (طول قطع الربع ÷ ٢). وهكذا حسبَ معادلةِ الطيِّ الآتيَّة:

١ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، الصفحة ١٥.

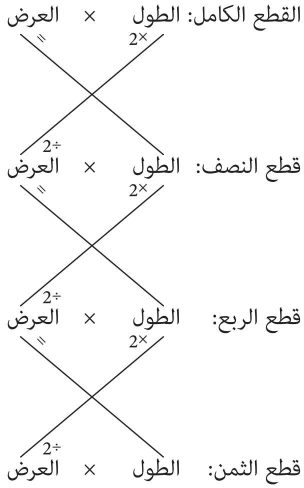
٢ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، الصفحة ١٤.

٣ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، الصفحة ١٤.

٤ مخطوطة المكتبة الخالدية في القدس، رقم ١١٢٦، الورقة ١٥أ.

٥ تنظر قياسات القطع البغدادي الناقص، والقطع المنصوري وما قيل هناك.

٦ المدخل إلى علم الكتاب بالخط العربي، ١٢٣- ١٢٤.



الشكل رقم (١). معادلةُ توالدِ القطوعِ من بعضها

ويُمكِن الآن عرضُ ما تمَّ الوقوفُ عليه من المخطوطات المُدرجةِ في الفهارس الثلاثةِ وجرى التأكُّدُ من أنَّها المقصودةُ في الوصف، ومن بعدها تُناقشُ البياناتُ الواردةُ.

الجدول رقم (٥) قطعُ الربعِ في بيان كتب النُّور أحمديَّة

رقم المخطوط في البيان.	العنوان.	القطع.	القياس المتري.[1]
٨٤٨.	معرب في النحو.[2]	قطع الربع.	٢٤ X ١٤,٥سم.
١٨٦.	الإشراف على فضل الأشراف[3]	قطع الربع.	٢١ X ١٥سم.

١ أخذت جميع القياسات المتريَّة من فهارس المكتبات الحافظة لهذه المخطوطات.

٢ هذه النسخة محفوظة في مكتبة الجزَّار بعكا برقم ٣٤، وصورتها في المكتبة البريطانية برقم EAP399/1/2 https://eap.bl.uk/archive-file/EAP399-1-2

٣ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس. الرقم AKDI 01699 1125 https://w3id.org/vhmml/readingRoom/view/510065

١٥٠	فتح الباري شرح صحيح البخاري.[1]	قطع الربع.	٢١ x ١٤,٥سم.
١٢٦٨	إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين.[٢]	قطع الربع.	٢٠,٧ x ١٥,٢سم.
٩١	ترتيب زيبا.[3]	قطع الربع.	٢٠,٣ x ١٣سم.
١٣٧٠	البرق اليماني.[٤]	قطع الربع.	٢٠,٣ x ١٥,٢سم.
٣١١	بشرى الكئيب.[5]	قطع الربع.	٢٠ x ١٥سم.
١٤٨٢	كتاب الجفر.[٦]	قطع الربع.	٢٠ x ١٤,٥سم.
١٣٥٤	الطبقات السنية.[٧]	قطع الربع.	٢٠ x ١٤سم.
١٠٠٤	مختصر المكاتبات البديعة.[8]	قطع الربع.	١٨ x ١٣,٥سم.
٢١٢	الدرَّة الفاخرة.[٩]	قطع الربع.	١٥,٥سم x ١٢سم.

١ هذه النسخة محفوظة في مكتبة جامعة النجاح بنابلس رقم (NL 211508)
https://manuscripts.najah.edu/node/594?page=2

٢ هذه النسخة محفوظة في معهد دراسات الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو برقم [2148] Ms.76
http://ricasdb.ioc.u-tokyo.ac.jp/daiber/db_ShowImg.php?ms=76&txtno=&size=S&page=2

٣ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية، برقم ٨٧٤. أرشدنا إليها الأستاذ محمود جبر.

٤ هذه النسخة محفوظة في المكتبة البريطانية برقم، Or. ١١٨٣

٥ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الأزهرية برقم ٨٣٣١٨، وهي عبارة عن مخطوط متعدد النصوص للجلال السيوطي.

٦ هذه النسخة محفوظة في المكتبة السليمانية برقم ٧٥٩.

٧ هذه النسخة محفوظ في مكتبة الدولة ببرلين برقم Landberg 9
https://digital.staatsbibliothek-berlin.de/werkansicht/?PPN=PPN74130158X&PHYSID=-PHYS_0007

٨ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس ٩٦٦. AKDI 00966 0700
https://w3id.org/vhmml/readingRoom/view/509463

٩ هذه النسخة محفوظة في مكتبة جامعة لايبزيغ برقم Vollers 118
https://www.refaiya.uni-leipzig.de/receive/RefaiyaBook_islamhs_00000015?&page=vollers_118_003.jpg&derivate=RefaiyaBook_derivate_00000181&zoom=3&x=0&y=0&tosize=screen&maximized=true&rotation=0

من الملحوظ التفاوتُ بين القياساتِ المتريَّة لقطع الربعِ في هذه المخطوطاتِ، وأنَّهُ لا يُمكِن من خلالها الوصولُ إلى نتيجةٍ ثابتةٍ، مع ملاحظةِ تمركُزِها بين (٢٠- ٢١ سم للطول، و١٣- ١٥ سم للعرض). فكيف يُمكِنُ تفسيرُ هذا التفاوتِ؟ من البداهة أنَّ المُفَهْرِس استخدم مقياسًا متعارفًا عليه في زمنه لوصف هذه المخطوطاتِ المتنوّعةِ جغرافيًّا وزمانيًّا، وإذا ما وضعنا في الحسبان الأمرين الآتيين لزال اللَّبْسُ المتعلِّقُ بالقياسات المرفقةِ مع قطعِ الربع في الجدول رقم (٥)، الأوَّل: أنَّه لم يستخدم مسطرةً في القياس وإنَّما اعتمد على خبرته النظريَّةِ، والثاني: أنَّه ربما نسيَّ كتابةَ كلمةِ "محيَّر" مع هذه القطوع المحيَّرة، خاصَّة أنَّ المُفَهْرِسَ نسيَ فعلًا تحديدَ نوعِ القطعِ في أماكنَ متعدِّدةٍ فكتب "قطع"، ونسيَ تحديدَ حجمِه.[١]

الجدول رقم (٦) قطع المحيَّر في بيان كتب النُّور أحمديَّة

رقم المخطوط في البيان.	العنوان.	القطع.	القياس المتري.
١١١١	شرح الشافية.[٢]	قطع الربع محيَّر.	٢٢ x ١٥سم.
٤٣٨	شرح الجامع الصغير.[٣]	قطع الربع محيَّر.	٢١,٣ x ١١,٨سم.
٩٩٩	فهرسة النديم.[٤]	محيَّر النصف.	٢٢,٦ x ١٧,٧سم.

١ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، الصفحات، (١٨، ٢٣، ٤٠، ٥٣).

٢ هذه النسخة محفوظة في مكتبة الجزَّار بعكا برقم ٤٠، وهي ضمن المجموع رقم ١. وصورته في المكتبة البريطانية برقم EAP399/1/34،
https://eap.bl.uk/archive-file/EAP399-1-34

٣ هذه النسخة محفوظة في مكتبة تشستربيتي برقم Ar. ٣٣١٦

٤ هذه النسخة محفوظة في مكتبة تشستربيتي برقم Ar. 3315
/https://viewer.cbl.ie/viewer/image/Ar_3315/13

٧٥٠	التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل.[١]	قطع النصف.	٢٧ x ٢٠سم.[٢]

من هذا الجدول يتبين أنَّ القياسَ: (٢٢,٦ x ١٧,٧سم)، هو أصغرُ من قطع النصفِ، وبالتالي فإنَّ القياسَ (٢١,٣x١١,٨سم)، هو أكبرُ من قطع الربعِ؛ أي إنَّ طولَ قطع الربعِ أصغرُ من ٢١,٣ سم.

الجدول رقم (٧) قطعُ الربعِ في دفتر الشيخ خالد النقشبندي

رقم الورقة	العنوان.	القطع.	القياس المتري.
٧ب	شرح الحكم العطائيَّة.[3]	قطع الربع.	٢١ x ١٤سم.
٨أ	الدرَّة الفاخرة.[4]	قطع الربع	٢١ x ١٤سم
٩ب	العقود الجوهريَّة في حل الأزهريَّة.[٥]	قطع الربع	٢٢ x ١٦سم
٢أ	حاشية السعد على الكشَّاف.[٦]	قطع النصف	٢٩ x ٢١سم

الملحوظُ هنا أنَّ قطعَ الربعِ أكثرُ استقرارًا، وبالمقارنةِ مع ما جاء في الجدول رقم (٥)، يمكِن اعتبار (١٤ سم) العرض الأقرب لقطع الربع.

الجدول رقم (٨) قطعُ الربع في دفتر أسماءِ الكتب التي أوقفها محمَّد صنع الله الخالديُّ

رقم الورقة.	العنوان.	القطع	القياس المتري.
٧ب	الأشباه والنظائر.[٧]	الربع	٢١ x ١٢سم.

١ هذه النسخة محفوظة في مكتبة تشستربيتي برقم Ar. ٣٣٤٢

٢ وضعنا هذا المثال لتبيان أن قطع النصف أكبر من (٢٢,٦ x 17.7سم).

٣ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الوطنية بدمشق برقم ٦١٦٩ت.

٤ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الوطنية بدمشق برقم ٦٦٠٣ت.

٥ هذه النسخة محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق برقم ٣١.

٦ هذه النسخة محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق برقم ٦٦.

٧ هذه النسخة محفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس برقم AKDI 00493 0217
https://w3id.org/vhmml/readingRoom/view/509128

وبالمقارنة بين الجدولين (٧، ٨) مع ما جاء في الجدول رقم (٦)، يمكن اعتبارُ (٢١ سم) الطولَ الأقربَ لقطع الربع، وإذا ما علمنا أنَّ الفهارسَ المخطوطةَ الثلاثةَ التي تمَّ استخراج العيّنة المدروسةِ منها، نُسخت ثلاثتُها في بلاد الشام في مطلع القرنِ الثالثِ عشر الهجريِّ ونهايته وهي: (دفترُ أسماءِ الكتب التي أوقفها محمَّد صنع الله الخالديُّ سنة ١٢٠١هـ، بيان الكتب التي كانت موجودةً في كتب خانة جامع النُّور أحمديَّة سنة ١٢١٥هـ، دفترُ كتب حضرةِ مولانا قطب العارفين أبي البهاءِ ضياءِ الحق والحقيقة والدين مولانا الشيخ خالد النقشبنديّ المجدِّدي سنة ١٢٧٠هـ). إذن أمكن القولُ: إنَّ مقياس قطعِ الربعِ المتعارفِ عليه في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريَّين كان (٢١ x ١٤سم). وهو يتطابقُ مع قطع الخشتي القصيفِ الذي أورده الدكتور حسين محفوظ، ومع ورق العادةِ الذي أورده كاراباتشيك، ومن خلاله يمكِن استنتاجُ باقي القطوع حسب المعادلةِ السابقة للطيّ.

القطعُ الكامل: ٤٢ x ٢٨سم

قطعُ النصف: ٢٨ x ٢١سم

قطعُ الربع: ٢١ x ١٤سم

قطعُ الثمن: ١٤ x ١٠,٥ سم

والمُفاجئُ أنَّ هذه الأقيِسةَ تتطابقُ مع التعديل المقترحِ على صياغة ملاحظاتِ أسامةَ النقشبديّ؛ أي (١ ← ⅔)، و(١ ← ¾). الخاصَّة بمخطوطات الفترةِ العباسيَّةِ التي رصدها، وهذا التطابقُ يكون على النحو الآتي:

الجدولُ رقم (٩). نسبةُ طولِ الورق إلى عرضه

القطع	القياس المتري	النسبة	المعيار.
قطع الكامل.	٤٢ x ٢٨سم.	١ ← ⅔	⅓ = ١٤سم.
قطع النصف.	٢٨ x ٢١سم.	١ ← ¾	¼ = ٧سم.
قطع الربع.	٢١ x ١٤سم.	١ ← ⅔	⅓ = ٧سم.

قطع الثمن.	١٤ x ١٠,٥سم.	١ ← ¾	¼ = ٣,٥سم.

فهل يعني هذا أنَّ قطوعَ الورقِ التي كانت معروفةً في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالثِ عشر هي نفسُها المستخدمةُ قبلًا في العصر العباسيّ على اتساع رقعته الجغرافيَّة؟ في الحقيقة لا يُمكِن التسليمُ بذلك بسهولةٍ لعدَّة أسبابٍ، منها: أنَّنا لا نعرف شيئًا عن العيِّنة التي درسها أسامةُ النقشبديُّ لا من حيث أقيستُها المتريَّةُ، ولا من حيث منهجُه في استخلاص هذه النتيجةِ، وأهمُّ من ذلك أنَّه يتعارض مع كلام القَلْقَشنديِّ عن اختلاف قطوعِ الورق حسب الأقاليمِ الجغرافيَّة.[1]

ولكن من الممكن الإجابةُ عن السؤال السابقِ، إذا ما أخضعنا عيِّنةً مناسبةً من مخطوطات العصر العباسيِّ للقياس المتريِّ، ولتحقيق ذلك تمَّ استخلاصُ المخطوطات المنسوخةِ في العصر العباسيّ والمحفوظةِ اليوم في مكتبة الدولة ببرلين، وتسجيلُ قياساتِها المتريَّةِ المثبتةِ عنها في فِهرِس آلفات؛[2] ويتلخَّصُ منهجُ العملِ في هذه الجزئيَّةِ بالآتي: تمَّ الرجوع إلى قائمة تواريخِ نُسخِ المخطوطاتِ في المجلَّدِ العاشر (الصفحتان ٩٣- ٩٤)، فكانت النتيجةُ الحصولَ على (١٩٠) مخطوطةٍ تتراوح سنوات نَسْخِها ما بين (سنة ٣٦٤هـ)، وهو تاريخُ نسخ أقدمِ مخطوطةٍ، وما قبل (سنة ٦٦٠هـ)؛ أي تاريخ سقوطِ بغدادَ سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). ثم أُخذ رقم استدعاءِ كلِّ مخطوطةٍ، ومن بعدها تمَّت مراجعتُها في مكان وصفِها في المجلَّدات العشر، وتسجيلُ ما كتبه المُفَهْرِس عن أبعادها بالسنتمتر؛ والمُفاجئُ أنَّ جميعَ قياساتِها المتريَّة لم تتجاوز التعيِّين السابقَ لقطوع الورق، فأكبرُ حجمٍ كان (٣٥ x ٢٥سم)،[3] وأصغرُ حجمٍ كان (١٣,٥ x ١٢سم)؛[4] أي تراوحت ما بين (قطع الثمن محيَّر، وقطع الكامل محيَّر)، على اعتبار تحديدِ معيارِ المحيَّر على النحو الآتي:

---

١ كتاب صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

٢ Verzeichniss der arabischen Handschriften.

٣ مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين، رقم Wetzstein 1091

٤ مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين رقم Wetzstein 1534

الجدولُ رقم (١٠) مقياسُ المحيَّرِ المقترَحِ حسب طول الورقةِ/ الكتاب.

طول الورقة/ الكتاب بالسنتيمتر	القطع.
١١ ← ١٧سم.	الثمن محيَّر.
١٨ ← ٢٤سم.	الربع محيَّر.
٢٥ ← ٣١سم.	النصف محيَّر.
٣٢ ← ٤٢سم.	الكامل محيَّر.

وهذا يعني أنَّ المقياسَ الذي استخدمه المُفَهْرِسون الثلاثةُ في القرن الثالثِ عشر الهجريّ كان مستخدمًا نفسُه في العصر العباسيّ (من ٣٦٤هـ إلى ٦٦٠هـ)، ولكن هذا يتعارض مع ما يُفهم من كلام القَلْقَشنديّ: من أنَّ الورقَ مختلفُ التسمياتِ والقياساتِ حسب الأقاليمِ الجغرافيَّة.

بادئَ ذي بدءٍ لا بُدَّ من التنبُّهِ إلى أنَّ القَلْقَشنديَّ نفسَه عندما أراد تحديدَ أقيسةِ الورق المستعملِ في ديوان الإنشاءِ بالأبواب السلطانيَّةِ (بالديار المصريَّة) في زمنه، اعتمد ذراعَ القماشِ المصريّ وحدةً للقياس، فقال عن القطع البغداديّ الكاملِ: "وعرض دَرْجِه عرضُ البغداديّ بكماله، وهو ذراعٌ واحدٌ بذراع القماشِ المصريّ، وطولُ كلِّ وصلٍ من الدَّرْج المذكورِ ذراعٌ ونصفٌ بالذراع المذكورِ"؛[1] أي أنَّ نسبةَ طول القطعِ إلى عرضه هي: (١ ← ⅔). وسبق القولُ إنَّ طولَ ذراع القماشِ المصريّ كان (٥٧,٥٤ سم).[2] وهو يُمثِّل عرض القطع البغداديّ الكاملِ، وبناءً عليه أصبح بالإمكان تحديدُ طولِ القطعِ البغداديّ الكامل على النحو الآتي: ٥٧,٥ سم ÷ ٢ = ٢٨,٧٧ سم. ومنه ٥٧,٥٤ سم + ٢٨,٧٧ سم = ٨٦,٣١ سم. ومن ثمَّ تكون قياساتُ

١ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٠.

٢ المكاييل والأوزان، ٨٥.

القطوعِ المتوالدةِ عن القطع البغداديِّ الكاملِ هي:

الجدول رقم (١١). القياساتُ المتريَّةُ للقطع البغداديِّ الكاملِ ومتوالداتُه

عدد الطيَّات.	القياس المتري.	اسم القطع.	النسبة
قطع البغداديّ الكامل.	٨٦,٣١ * ٥٧,٥٤سم.	الفرخة الكاملة.	١ ← ⅔
بعد طيَّة واحدة.	٥٧,٥٤×٤٣,١٥سم.	ثلثي البغدادي.	١ ← ¾
بعد طيَّتين.	٤٣,١٥×٢٨,٧٧سم.	نصف البغدادي.	١ ← ⅔
بعد ثلاث طيَّات.	٢٨,٧٧×٢١,٥سم.	ثلث البغدادي.	١ ← ¾
بعد أربع طيَّات.	٢١,٥×١٤,٣سم.	ربع البغدادي.	١ ← ⅔
بعد خمس طيَّات.	١٤,٣×١٠,٨سم.	سدس البغدادي.	١ ← ¾

وبنظرةٍ واحدةٍ إلى هذه القياساتِ نجد أنَّه منذ الطيَّةِ الثانية للقطع البغداديِّ الكاملِ ينتج – تقريبًا- القطعَ الكاملَ للكتب السابق استنتاجُه، وإذا ما استبعدنا عاملَ المصادفةِ؛ جاز طرحُ الفكرة الآتيةِ: أنَّ الورَّاقاتِ؛ (أي مصانع الورق)، في بغدادَ كانت تعتمد قالبًا بالأبعاد التالية (٨٦,٣١×٥٧,٥٤ سم). لإنتاج فرخ الورق الرئيس، وأنَّ هذا الفرخ الضخم كان مُعدًا لتكتب فيه عهود الخلفاء وبيعاتُهم، ثمَّ في زمن القلقشنديِّ بمصرَ صارت تُكتب فيه عهودُ أكابرِ الأمراء؛[١] أي إنَّ هذا القياسَ كان منتشرًا في مصرَ زمن القلقشنديِّ، وليس في بغدادَ فحسب. ومن خلال الطيَّة الثانيةِ لهذا الفرخِ تبدأ القطوعُ المخصَّصةُ لورق الكتبِ بالظهور. ويمكن تلخيصُ ما سبق بالآتي:

- إنَّ المقاساتِ والتسمياتِ التي اعتمدها آدم جاسك أخذها من كاراباتشيك، وكاراباتشيك أخذَ المسمَّياتِ من القلقشنديِّ نقلًا عن محمَّد بن عمر المدائنيِّ، وكلُّ ما ساقه القَلْقَشنديُّ خاصٌّ بأوراق الوثائقِ في الدواوين وليس بورق الكتبِ الذي نتعامل معه.

- إنَّ القطع البغداديَّ الكامل عند القلقشندي: ٨٦,٣١ × ٥٧,٥٤ سم. في حين

١ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٠.

كان مقاس القطع البغدادي عند كاراباتشيك: ١٠٩,٩ × ٧٣,٣سم. وهو ناتج عن خطأ حسابه لذراع القماش المصري.

- إنَّ القطعَ البغداديَّ الكامل عند القلقشنديّ خاصٌ بالوثائق كما نُوِّه، ولكن من خلال الطيَّة الثانيةِ منه؛ أي بعد طيتين ينتج القياس: ٤٣,١٥×٢٨,٧٧ سم؛ أي يظهر القطعُ الكاملُ الخاصُّ بالكتب. في حين لا يمكِن أن يظهرَ ذلك من قياسات كاراباتشيك.

وإذا ما أُخذ في عين الاعتبارِ أنَّ أقيِّسةَ الورقِ بعد خروجها من المصنع شيءٌ، وأقيستَها بعد وصولِها إلى مرحلة تصنيع الكتابِ، خاصَّةً مقصَّ المجلَّد، شيءٌ آخر؛ إذ لا بدَّ من فقدانها شيئًا من قياسها الأصليّ جرَّاء التصنيعِ كما هو موضح في الجدول رقم (١٢).

الجدول رقم (١٢). الفارقُ بين قياساتِ ورق المَصْنَع والورقِ بعد عمليَّة التصنِّيع

الطيَّات.	قياسات المصنع.	القطع.	القياسات بعد التصنيع
الطيَّة الثانية.	٤٣,١٥×٢٨,٧٧سم.	القطع الكامل.	٤٢ x ٢٨ سم.
الطيَّة الثالثة.	٢٨,٧٧×٢١,٥سم.	قطع النصف.	٢٨ x ٢١ سم.
الطيَّة الرابعة.	٢١,٥×١٤,٣سم.	قطع الربع.	٢١ x ١٤ سم.
الطيَّة الخامسة.	١٤,٣×١٠,٨سم.	قطع الثمن.	١٤ x ١٠,٥ سم.

من خلال هذا الجدول يمكِن القولُ إنَّ أقيسةَ الورقِ المستنتجةِ من حساب طولِ ذراع القماش المصريّ ترتبط بالورق لحظةَ الخروج من الورَّاقات، وإنَّ أقيِسة الورق المستنتجةِ من حساب أبعادِ الكتبِ طولًا وعرضًا ترتبط بالكتب بعد عمليَّة تصنيعِها، وإنَّ هاتين النتيجتين متقاربتين إلى حدٍّ لافتٍ، ممَّا يجعل الركونَ إلى هذه الأرقامِ أكثرَ اطمئنانًا. فهل يعني هذا طغيانَ القطع البغداديّ وانحسارَ باقي قطوعِ الورقِ التي تحدَّث عنها القَلْقَشنديُّ، دون اختفائِها؟ خاصَّةً أنَّ هذا القطعَ كان موجودًا في ديوان الإنشاءِ المصريِّ أيَّامَ القَلْقَشنديّ نفسِه.

للإجابة عن هذا السؤالِ، علينا معرفةُ قياساتِ القطوعِ الأخرِ التي ذكرها

القلقشنديُّ، وبادئَ ذي بدءٍ سنقدِّم استنتاجًا للقطع المصريّ المسمَّى بالمنصوريّ، وقد سبق القولُ إنَّ القلقشنديَّ قدَّم لنا قياسَ القطعِ البغداديِّ طولًا وعرضًا على أساس ذراعِ القماش المصريِّ، فتمكَّنَّا من قياسه، ولكنَّه لم يفعل ذلك مع القطع المصريِّ المنصوريِّ، واكتفى بتحديد عرض الدَّرج لخمسة قطوع متوالدة منه هي: (الثلثين، والنصف، والثلث، والربع/ أوالمنصوري، والعادة). من دون تحديد طول كلِّ منها، إلَّا أنَّه بذلك أمدَّنا بمعلومات مهِمَّة، الأولى أنَّ هذه القطوع ناتجة عن طريق الطي، ومن ثمَّ يمكن تطبيق معادلة الطي السابقة عليها.

والثانية أنَّ عرض قطع ثلثي المنصوري هو: "ثُلثا ذراعٍ، بذراع القماش المصري".[1] أي أنَّ قياسه المتري هو: ٤٥,٧٥ ÷ ٣ × ٢ = ٦٣,٨٣ سم.

والثالثة أنَّ عرض قطع نصف المنصوري هو: "نصف ذراع بالذراع المذكور".[2] أي أنَّ قياسه المتري هو: ٤٥,٧٥ ÷ ٢ = ٧٧,٨٢ سم.

وفي الحقيقة لا يحتاج المرء إلى أكثر من ذلك لاستنتاج باقي قياسات القطوع المتوالدة، وبناءً على ما تقدّم ستكون قياسات القطع المنصوري كما هي موضَّحة في الجدول رقم (٣١).

الجدول رقم (١٣). القياساتُ المتريَّةُ للقطع المنصوريِّ ومتوالداتُه

عدد الطيَّات	القياس المتري	اسم القطع	النسبة
قطع المنصوري الكامل	٧٦,٧٢×٥٧,٥٤ سم	الفرخة الكاملة	١ ← ¾
بعد طيَّة واحدة	٥٧,٥٤×٣٨,٣٦ سم	ثلثي المنصوري	١ ← ⅔
بعد طيَّتين	٣٨,٣٦×٢٨,٧٧ سم	نصف المنصوري	١ ← ¾
بعد ثلاث طيَّات	٢٨,٧٧×١٩,١٨ سم	ثلث المنصوري	١ ← ⅔
بعد أربع طيَّات	١٩,١٨×١٤,٣٨ سم	ربع المنصوري/ المنصوري	١ ← ¾

١ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٠.

٢ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩١.

بعد خمس طيَّات	١٤,٣٨×٩,٥٩ سم	سدس المنصوري/ العادة	١ ← ⅔

والملحوظ أنَّ هذا القطع أصغر فعلًا من القطع البغدادي، وأنَّ نسبة الطول إلى العرض بقيت ذاتها (١ ← ⅔)، و(١ ← ¾). ولكنَّ ترتيبها اختلف عن القطع البغدادي (قارن مع الجدول رقم ١١)، وأنَّ هذه القياساتِ ستكون لحظةَ الخروجِ من الورَّاقات، وقبل تصنيع الكتب؛ أي لا بدَّ من فقدانِها جزءًا من قطعها جرَّاء عمليَّة التصنيع، وأنَّ القياساتِ الداخلةَ في تصنيع الكتبِ ستبدأ من الطيَّة الثانية لتشكيل القطع الكاملِ، وبالمقارنة مع الجدول رقم (١٠)، سنجد أنَّ قياساتِ هذا القطعِ تدخل في دائرة المُحيَّر. فهل ما وصفه المفهرِسون بأنَّهُ قطعٌ مُحيَّرٌ كان من القطع المنصوريّ؟ لا يُمكِن قولُ ذلك، خاصَّة أنَّنا لا نعرف شيئًا عن القطع الشامي بعدُ، وأنَّ قياساتِ القطعِ البغداديِّ الناقصِ داخلةٌ أيضًا في هذه الدائرة.

فقد أمكن استنتاجُ القياساتِ المتريَّةِ للقطع البغداديِّ الناقصِ، اعتمادًا على وصف القلقشنديّ له بقوله: "وعرض دَرْجه دون عرضِ البغداديّ الكاملِ بأربعة أصابعَ مطبوقةٍ"؛ أي إنَّ له طولَ البغداديِّ الكاملِ نفسه: ٨٦,٣١ سم، وعرضه: ٥٧,٥٤ – ٨,٢٢ = ٤٩,٣٢ سم. ومن ثمَّ تكون قياساتُ هذا القطعِ على النحو الآتي:

الجدول رقم (١٤). القياساتُ المتريَّةُ للقطع البغداديِّ الناقصِ ومتوالداتُه

عدد الطيَّات.	القياس المتريُّ.	اسم القطع.
قطع البغداديّ الناقص.	٨٦,٣١×٤٩,٣٢سم.	الفرخة الكاملة.
بعد طيَّة واحدة.	٤٩,٣٢×٤٣,١٥سم.	ثلثي البغدادي الناقص.
بعد طيَّتين.	٤٣,١٥×٢٤,٦٦سم.	نصف البغدادي الناقص.
بعد ثلاث طيَّات.	٢٤,٦٦×٢١,٥سم.	ثلث البغدادي الناقص.
بعد أربع طيَّات.	٢١,٥×١٢,٣٣سم.	ربع البغدادي الناقص.
بعد خمس طيَّات.	١٢,٣٣×١٠,٨سم.	سدس البغدادي البغدادي.

وما قيل عن القطع المنصوريّ يمكن قولُه عن هذا القطعِ أيضًا، ومن ثمَّ أصبح بين

أيدينا أدواتُ قياسٍ متريَّةٍ لثلاثةِ قطوعٍ عربيَّةٍ يمكن توظيفُها في الدرس الكوديكولوجي والبيبليوغرافي، للمخطوطات العربيَّةِ، مع الاعتراف بأنَّنا ما زلنا بحاجةٍ إلى دراساتٍ أوسعَ، تأخذ عيّناتٍ يتوافر فيها التوثيقُ الزمانيُّ والمكانيُّ وتحديدُ أبعاد الكتب، ولا بدَّ من تغطيَّة أكبر قدرٍ من القرون الهجريَّةِ، مع الإشارة إلى أنَّ مكانَ النسخِ لا يعني بالضرورة أنَّ الورقَ منتجٌ في هذا المكان. فكما هو معروفٌ فإنَّ الورق منذ اكتشافِه كان مادةً تجاريَّة، ولكنَّ أغلب الظنِّ أنَّ هذه القياساتِ كانت واسعةَ الانتشار في بلاد الشام نهايةَ القرن الثاني عشر والثالثِ عشر الهجريَّين، وهي التي اعتمدها مُفَهْرِسو المكتباتِ الشاميَّة الثلاث، مع الاعتراف أنَّ هذه النتائجَ أوليَّةٌ وربَّما ستدعمها أو تصحِّحُها دراساتٌ أخرى، وحسبُنا فتحُ البابِ وطرحُ نتائجِ محاولتنا فيه، وتوضيحُ المنهجِ الأمثل واستقراءُ عيّنةٍ غيرِ قليلة.

إنَّ مبحث أقيسةِ الورق ذو أهمِّيَّةٍ في تاريخ الوِراقة، وهي ركنٌ أساسٌ في علم المخطوطاتِ، وبالتحديد ما يتعلَّقُ بالدرس الكوديكولوجيّ للمخطوط، خاصَّةً إذا ما تمَّ الربطُ بين المخطوطِ ووصفِه في الفهارس المخطوطةِ القديمةِ، أو وصفِه في الكتب التراثيَّةِ التي يمكن معها تحديدُ النسخةِ المطلوبةِ، كأن يُقال إنَّها بخطِّ المؤلِّف من قطع نصف الحمويّ، ثمَّ توجد هذه النسخةُ في إحدى المكتباتِ اليوم، فنستطيع تحديدَ المقياسِ المتريّ لهذا القطع،[١] مع التأكيدِ على ضرورة استقراءِ أكبرِ عددٍ من القطعِ المدروس، وعدم الاكتفاءِ بمثالٍ أو مثالين؛ لأنَّ عاملي الزمنِ وإعادةِ التجليدِ سيغيِّران من الحجم الأصليِّ للمخطوطة.

وبامتلاك الأقيسةِ المتريَّةِ للقطعين البغداديّ الكامل والناقِص، والقطعِ المنصوريّ وتفرعاتِهم (قطع الكامل، قطع النصف، قطع الربع، قطع الثمن). أصبح بالإمكان التمييزُ – إلى حدٍّ مقبول – بين النسخ المتعدِّدةِ للعنوان الواحدِ الواردةِ في الفهارس المخطوطةِ للمكتبات القديمةِ، وهذا مبحثٌ مهمٌّ عند دراسة تاريخِ الكتب والمكتباتِ اعتمادًا على المنهج الوثائقيِّ المبنيِ في أحد ركائزه على الفهارس المخطوطةِ

١ صحف الكتاب وصناعة الورق في الإسلام، حبيب الزيات، مجلَّة المشرق، س ٤٨ (تشرين الثاني/ كانون الأول). ٦٣٧. مع الأخذ في عين الاعتبار المحاذير التي ذُكرت في مقدمة البحث.

للمكتباتِ، فعلى سبيل المثال: وردت في بيان الكتبِ التي كانت موجودةً في كتب خانةِ جامع النُّور أحمديَّة، نسختان من الجزء الأوُّل من تاريخ ابن خلِّكان، تتشابهان في وصفهما الماديّ،[١] ولكنَّ إحداهما من قطع الربعِ، والأخرى من قطع الكاملِ، وقد تمَّ العثورُ على نسخةٍ من هذا التاريخِ من وقف النَّور أحمديَّة محفوظةً اليوم في مكتبة جامعة برينستون برقم Garrett 3415Y، أبعادُها (٢٠,٨×١٥,٣سم)، فهي أقرب إلى قطع الربع من قطع الكامل.

وإذا ما اتسعت دائرةُ تحديدِ قطوعِ الورقِ المختلفةِ، بناءً على منهج المطابقةِ بين وصفِ المخطوطاتِ في الكتب التراثيَّةِ والفهارسِ المخطوطةِ للمكتبات، مع ما بقيَ محفوظًا منها في مكتبات اليوم، عندها سينكشف الغموضُ الذي غطَّى أوصافَ الكتبِ في الكتب التراثيَّةِ، وانجلى الغموضُ المقترنُ بالنصوص المتحدِّثةِ عن جهود العلماءِ والنسَّاخِ في ميدانيّ التأليفِ والتوريقِ، مع التأكِّيد على أنَّ منطلقنا في هذا البحثِ كان من تحديد الفرخةِ الكاملةِ للقطع البغداديّ، وتوالد القطوعِ منها عن طريق الطيّ، واستنتاج قياساتِ الفرخة الكاملةِ للقطع البغداديّ الناقصِ، والقطعِ المنصوريّ، وقطوعِهما المتوالدةِ منهما، ممَّا قرَّبَ إلى الأذهان شطرًا كبيرًا من كلام القَلْقَشنديّ عن هذه الجزئيَّةِ الوراقيَّةِ، وما زال التحديدُ المتريُّ للقطع الشامي بنوعيه بحاجةٍ إلى مزيد بحثٍ. علمًا أنَّ القلقشندي حدَّدَ قياساتهما بشكل تقريبي اعتمادًا على الأقلام المستعملة للكتابة فيهما فقال: " يُناسب الشَّامي الكامل قلم التوقيعات، لأنَّه في مقدار قطع الثُّلث البلديّ أو قريبٌ منه [أي ثلث المنصوري]، ويُناسب نصف الحمويّ، والعادة من الشامي قلم الرِّقاع، لأنَّهما في معنى القطع المنصوري، والعادة بالدِّيار المصريَّة".[٢] وسيبقى الفيصل هو الوقوف على نماذج من هذه القطوع موصوفة في الفهارس القديمة أو الكتب التراثيَّة، ومقارنتها مع ما استنتج.

---

١ بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النُّور أحمديَّة، الصفحة ٥٦- ٥٧.

٢ كتاب صبح الأعشى، ٦/ ١٩٤.

المصادر والمراجع

المخطوطات

- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، مخطوطة معهد دراسات الثقافة الشرقية بجامعة طوكيو، رقم 2148] Ms.76]
- الأشباه والنظائر، ابن نجيم، مخطوطة المكتبة الخالدية بالقدس، رقم AKDI 00493 0217
- الإشراف على فضل الأشراف، إبراهيم الحسيني السمهودي، مخطوطة المكتبة الخالدية بالقدس، رقم AKDI 01699 1125
- البرق اليماني في الفتح العثماني، قطب الدين محمَّد بن أحمد النهروالي، مخطوطة المكتبة البريطانية برقم، Or. 1183
- بشرى الكئيب، الجلال السيوطي، مخطوطة المكتبة الأزهرية، رقم ٨٣٣١٨.
- بيان الكتب التي كانت موجودة في كتب خانة جامع النّور أحمديَّة، أنقرة، Vakiflar Um. Md. Lügü Arsivi, 1058, P. 14- 72
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي، مخطوطة مكتبة تشستربيتي، رقم Ar. 3342
- ترتيب زيبا، الوارداري، مخطوطة المكتبة الأزهرية، رقم ٨٧٤.
- حاشية السعد على الكشاف، سعد الدين التفتازاني، مخطوطة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، رقم ٦٦.
- الدرَّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، أبو حامد الغزالي، مخطوطة مكتبة جامعة لايبزيغ، رقم Vollers 118
- الدرَّة الفاخرة، مخطوطة المكتبة الوطنية بدمشق، رقم ٦٦٠٣ت.
- دفتر أسماء الكتب التي أوقفها محمَّد صنع الله الخالديّ، مخطوطة المكتبة الخالدية في القدس، رقم ١١٢٦.
- دفتر كتب حضرة مولانا قطب العارفين أبي البهاء ضياء الحق والحقيقة والدين مولانا الشيخ خالد النقشبندي المجددي، في،
- The Library of Shaykh Khalid al-Shahrazuri al-Naqshbandi (d.' 1242/1827). A Facsimile of the Inventory of his Library, Jan Just

Wikam, Frederick de Jong. (MS Damascus, Maktabat al-Asad, No. 259)', in MME 2 (1987), pp. 74-87.

- شرح الجامع الصغير، علي بن مكي الرازي، مخطوطة مكتبة تشستربيتي، رقم Ar. 3316
- شرح الحكم العطائية، أحمد بن محمَّد الدجاني القشاشي، مخطوطة المكتبة الوطنية بدمشق، رقم ٦١٦٩ت.
- شرح الشافية، الجاربردي، مخطوطة مكتبة النُّور احمديَّة بعكا، رقم ١/٤٠
- الطبقات السنيَّة في تراجم السادة الحنفية، مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين، رقم Land-berg 9
- العقود الجوهريَّة في حل الأزهريَّة، منصور الطبلاوي، مخطوطة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، رقم ٣١.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مخطوطة مكتبة جامعة النجاح بنابلس رقم (NL 211508).
- الفهرست، النديم، مخطوطة مكتبة تشستربيتي، رقم Ar. 3315
- كتاب الجفر، المكتبة السليمانية برقم ٧٥٩.
- مختصر المكاتبات البديعة في ما يكتب من أمور الشريعة، محمَّد بن عبد الرحمن ابن الصيرفي، مخطوطة المكتبة الخالدية بالقدس، رقم ٩٦٦.
- مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين، رقم Wetzstein 1091
- مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين، رقم Wetzstein 1534
- معرب في النحو، نعمة الله بن عبد الله الحسيني الجزائري، مخطوطة النُّور أحمديَّة بعكا، رقم ٣٤.

المطبوعات

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وببليوجرافية، معجم المصطلحات، آدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.
- صحف الكتاب وصناعة الورق في الإسلام، حبيب الزيات، مجلَّة المشرق، س ٤٨

(تشرين الثاني/ كانون الأول، ١٩٥٤م). ٦٢٥- ٦٥٣.

- علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠١م.
- علم المخطوطات، حسين علي محفوظ، مجلَّة المورد، ع١ (فبراير ١٩٧٦م). ١٤٤- ١٤٥.
- كتاب صبح الأعشى، أحمد القلقشندي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.
- مجمع الآداب في معجم الألقاب، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي، ت محمَّد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٦هـ.
- المخطوطات العربية وورقها، جونفييف هومبرت، دراسات إستشراقية، ع٢٦ (ربيع ٢٠٢١م). ٢٢١- ٢٥٧.
- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرنسوا ديروش، ترجمة أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٥م.
- مسرد كتب مدرسة محمَّد باشا العظم: نشر ودراسة، سعيد الجوماني، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، مج ٦٢، ج٢ (نوفمبر ٢٠١٧م).
- معجم مصطلحات المخطوط العربي قاموس كوديكولوجي، أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، الخزانة الحسنية، مراكش، ط٣، ٢٠٠٥م.
- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، فالتر هنتس، ترجمة كامل العسلي، منشوارت الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.
- مكتبة مدرسية في حلب: الدفتر المجدد لكتب وقف عثمان باشا الدورِكي، سعيد الجوماني، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت، بيروت، ٢٠١٩م.
- منح الجليل شرح على مختصر سيدي خليل، محمد عليش، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
- موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية وما يعادلها بالمقادير الحديثة: الأطوال. المساحات. الأوزان. المكاييل. الأوزان والمكاييل الطبية، محمود فاخوري وصلاح الدين خوَّام، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٢م.
- مؤلفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي ومساهمته في حفظ التراث الفكري، سعيد الجوماني وكونراد هيرشلر، دار بريل، ليدن، ٢٠٢١م.
- الورق وتاريخ صناعته في الحضارة العربية الإسلامية، أسامة ناصر النقشبندي، في، بحوث ودراسات مهداة إلى إيرج أفشار، تحرير فرنسوا ديروش وإبراهيم شبوح، مؤسسة

الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٨م.

- A Monument to Medieval Syrian Book Culture the Library of Ibn Abd al-Hadi. Konrad Hirschler, Edinburgh, University Press, 2019
- Arab Paper, Joseph von Karabacek, Translated by Don Baker and Suzy Dittmar, Additional Notes by Don Baker, London: Archetype Publications Ltd, 2001.
- Le format des livres notions historiques et pratiques, Ch. & V. Mortet , dans Revue des Bibliotheques, 3, 1894, 1- 21.
- Les papiers non filigranés état présent des recherches et perspectives d'avenir, Jean Irigoin, In: Ancient and medieval book materials and techniques Pt. 1 p, (1993). 265-312.
- Verzeichniss der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin, W. Ahlwardt, Berlin, 1887- 1899. 10 Band.

المخْطُوطة النَّفِيسة

المفهوم والخصائص

محمَّد جمعة عبد الهادي موسى

جامعة القاهرة - مصر

ملخص

تَسْعَى هذه الدِّرَاسَة إلى تناول الْمَخْطُوطَة النَّفِيسَة من حيث الْمَفْهُومُ والخصائصُ بغرض اختيارها للنَّشْرِ وَالْاِقْتِنَاء؛ إِذْ ليس كل مَخْطُوطٍ يُبْذَل فيه الْجُهْد وَيُنْفَق فيه الوقت والمال؛ خاصَّةً مع انتشارِ ظَاهِرَة تَزْيِيف الْمَخْطُوطَات، وَتَزْوِيرهَا، وَالتَّلَاعُب في مَلَامِحهَا الْمَادِّيَّة، وَمُحْتَوَيَاتهَا الْعِلْمِيَّة. كما أَنَّ النَّفَاسَة مَعْرِفَتهَا مَوْكُولَةٌ لِمَعْرِفَةِ الْمُفَهْرِس بتاريخ الْكُتُب والْأُصول والنُّسَخ، ويتأتَّى ذلك بكثرة البَحْث وَالتَّفْتِيش والْمُنَاقَشَة.

الكلمات المفتاحية: الْمَخْطُوطَة النَّفِيسَة، نَشر المَخْطُوط، اِقْتِنَاء المَخْطُوط، المَخْطُوط النَّادِر، المَخْطُوط الْفَرِيد، المَخْطُوط الْخَزَائنِي، المَخْطُوط الْأَصْلِي، فَهرسَة المَخْطُوط، تَزْيِيف المخْطُوطَات.

The valuable manuscript concept and properties

Gomaah AbdekHady Mousa

Abstract

This study seeks to deal with the valuable manuscript in terms of concept and characteristics. For selection for publication and acquisition, It is not any manuscript in which effort and time and money are spent. Especially with the spread of falsifying manuscripts, forgery them, and manipulating their physical features and scientific contents. As there are other criteria for classifying a manuscript as valuable, and these are based on the indexer's knowledge of the history of books, original copies and copywriting, a kind of knowledge accumulated through extensive research, examination and discussion.

Keywords: The valuable manuscript, Manuscript published, Acquisition manuscript, The rare manuscript, unique manuscript, bibliophilique manuscript, original manuscript, Manuscript indexing, forgery Manuscript.

تدخل هذه الدراسة المتواضعة، وعنوانها: (**المخطوطة النفيسة: المفهوم والخصائص**)، تحت باب (**الفهرسة الوصفيَّة والموضوعية للمخطوط وتقييم نُسَخِه**)؛ بغرض اختياره للنشر والاقتناء، باعتبار اختيار النصِّ (الصحيح الموثَّق)، أوَّلَ المسارات التاريخية التطبيقية في هذا العلم.[1]

كما أنَّها واحدةٌ من أهمِّ رحلات المخطوط العربي، المتَّصلة بعمل المحقِّق والمُفَهرِس وقدراته وخبراته العلمية؛ إذ هنالك أسبابٌ عديدةٌ للنفاسة؛ معرفتها موكولةٌ لمعرفة محقِّق التراث عمومًا، وخبيرِ المخطوطات والمُفَهرِس خصوصًا، وثقافةِ كليهما بتاريخ الكتب والأصول والنُّسخ، التي تأتي بكثرة البحث والمناقشة والتفتيش عن هذه الثروة التي لا تقدَّر بثمنٍ من نفائس المخطوطات[2] ونشرها؛ إذ ليس أيُّ مخطوطٍ يَبْذُل فيه المحقِّق جهدَه ويُنْفِق فيه وقته وماله. "وليس كلُّ نادرٍ جديرًا بالذكر، ولا كلُّ مبذول بمرذول؛ فربَّ غثٍّ نبَّهته ندرته، وسمينٍ أخملته كثرته، وإنَّما العبرة بقيمة الشيء في نفسه.. والنفيس نفيسٌ حيثما كان".[3]

ومن ثمَّ تأتي هذه الدراسة، لتحقيق هدفين رئيسين، هما:

الأوَّل: **إيضاح مفهوم المخطوط النفيس**؛ وما يتعلَّق به من صفاتٍ وخصائصَ؛ باعتبار أنَّ "المخطوط العربي أنفسُ أنواع التراث وأهمُّها".[4] بل "هو في واقع الأمر، تراث الإنسانية قاطبةً"،[5] "وكنز الإنسانية الباقي".[6]

والثاني: **التعرُّض لنماذج من المخطوطات النفيسة**[7] في ضوء الدراسات والبحوث المنشورة عنها؛ مع تناول تجارب المُفَهرِسين والمحقِّقين في التفتيش عنها

---

١ تاريخ التحقيق الجذور والتأصيل، ٧٦. وقد عالج الباحث هذه المسألة من ناحية: تمييز قيمة النسخة المخطوطة، ورتَّبها بشكل جيِّد ومفصَّل من الناحية التطبيقية في بحثه، ٧٧ وما بعدها.

٢ انظر: المخطوطات ثروة لا تقدَّر بثمن، ٩٦.

٣ نوادر المخطوطات وأماكن وجودها، ٧.

٤ الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، ٩.

٥ كوركيس عواد: المرجع السابق، ٥.

٦ المخطوطات العربية كنز الإنسانية الباقي، ٥٠ – ٥٥.

٧ جمعت (الملاحق)، عدَّة نماذج لصور من المخطوطات النفيسة، التي تباينت أسباب نفاستها.

واكتشافها، وتوثيقها، وفهرستها بالمكتبات الحافظة لها، قدر الإمكان؛ "فالتفتيش عن المخطوطات وفهرستها وتأريخها والبحث في مظانها يعدُّ المرحلة الأولى لدى عالم المخطوطات"،[١] خاصَّةً إذا كانت "هذه المخطوطات الموجود منها، في مشارق الأرض ومغاربها، لا يقلُّ عن أربعة ملايين مخطوط عربي، انتشرت في مختلف بقاع العالم. ولا ريب في أنَّ انتشارها بهذا الوجه المذهل، دليلٌ واضحٌ على نفاسة هذا التراث العربي".[٢]

وتظهر عدَّة أسبابٍ جوهريَّةٍ تبرزها الدراسة نحو موضوع (المخطوطة النفيسة)، من أهمِّها:

١- "ليس كلُّ ما وُجد مخطوطًا من تراث العربية يصلح لأن تنصرف إليه جهود المحقِّقين، وأن يُصْرَف فيه من الوقت والجهد؛ ما لو بُذل في غيره، لكانت الفائدة أعمَّ وأكبر، ومن هنا تظهر وجاهة أن يعرف المحقِّقون جواب سؤالٍ يُطرح دائمًا ومؤدَّاه: ما الذي يستحقُّ النشر من تراثنا المخطوط؟ حتَّى لا تبذل الجهود المضنية والوقت الثمين في تحقيق ونشر ما لا يضيف جديدًا أو يعدُّ إضافة نوعيَّة لما وضع في بابه".[٣]

٢- كما أنَّ "كلَّ النسخ ليست متساويةً من الناحية العلمية، ولا من جهة القيمة الأثرية؛ فهنالك النسخة الرئيسة التي هي النسخة الأمُّ بخطِّ المؤلِّف..".[٤] "ولعلَّ أثمن المخطوطات التي نحن بحاجة ماسَّة إلى إراءتها النور، ونحضُّ على كشفها، تلك التي ألَّفها أصحابها عن تراجم الأعلام، والتعريف بالكتب، ودواوين الشعراء الذين فُقدت مجموعاتهم..".[٥]

١ علم المخطوطات والتحقيق العلمي، ٢٣٧.

٢ أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم، ٥.

٣ تجربتي مع التحقيق، ١٤١.

٤ المخطوطات العربية بين يدي التحقيق، ٢٠٢، التعامل مع نسخة المؤلِّف، ١٧.

٥ المخطوطات العربية بين يدي التحقيق، ١٩٨.

٣- كذلك فإنَّ قيمة أيِّ كتابٍ مخطوطٍ تتأصَّل بأمورٍ متعدِّدة؛ تدفع به إلى أن يتسنَّم مكانته اللائقة به، فيأخذ قيمته التي تزاحم غيره، فتنظر إليه العيون بشغف كبير، والقلوب بشوق الباحث، والعقول بلهفة الجائع، فيتنافس طلَّاب العلم في اقتنائه، أو مطالعته. وقد ثمَّن العلماء وقدَّروا أنَّ المخطوط الذي كُتب بقلم مصنِّفه أعلاها قيمة؛ فنسخة المؤلِّف لا تعلو عليها نسخةٌ أخرى، وهو الأمر الأوَّل الذي يضعه المثمِّنون بالحسبان.[١] وهذا من أهمِّ جوانب دراسة المخطوط النفيس، واختياره والعناية به للتحقيق والنشر.

٤- إن "انتشار ظاهرة تزييف المخطوطات، وتزويرها، والتلاعب في ملامحها المادِّيَّة، ومحتوياتها العلمية، وخصوصًا مقدِّمات المخطوطات وخواتيمها التي تشمل: العناوين، المؤلِّفين، تواريخ النَّسخ، وأسماء النُّسَّاخ، وغير ذلك من البيانات التي تتعلَّق بمعرفة المخطوطات وتوثيقها.. ويتطلَّب هذا العمل الدقيق خبرةً طويلةً، وكفاءةً عاليةً، وثقافةً واسعةً، وممارسةً مستمرَّةً.. حتَّى لا تمرَّ المخطوطات المزوَّرة دون أن يتمكَّن أحدٌ من كشف حقيقتها أو سبرِ أغوارها ومعرفتها".[٢]

٥- وإنَّ تقييم المخطوطات ونفاستها ليس أمرًا سهلًا هيِّنًا وعملًا يسيرًا.. بل هو "فنٌّ قائم بذاته؛ قوامه الهواية، وسُداه الخبرة، ولحمته الدربة الطويلة والمران المستمرُّ، والدراسة العميقة الدقيقة لكلِّ جانبٍ جماليٍّ وصناعيٍّ وفكريٍّ في المخطوطة؛ إذ لا يكفي معرفة المقيِّم بأنواع الخطوط وتطوُّرها واشتقاقاتها، والجلود وأصنافها وطرز عملها، والأمِدَّة والأحبار، والأصباغ ووسائل صناعتها وموادِّها، والأوراق والرقوق والطروس والقراطيس والمهارق والزخرفة والتذهيب والتجليد وما إلى ذلك من الجوانب الفنِّيَّة الأخرى؛ ليكون خبيرًا جيِّدًا دون أن يكون أيضًا على معرفةٍ واسعةٍ بالفكر الإسلامي بكلِّ جوانبه المختلفة: من تاريخٍ وفقهٍ وخلافٍ وقضاءٍ وأوقافٍ وأنظمة الدواوين، وأدبٍ وشعرٍ ولغةٍ وعقائدَ وفِرقٍ وما يدور حول كلِّ هذا وزيادة".[٣]

١ من نوادر المخطوطات: مخطوط السفينة، لابن مبارك شاه، ١٥٢- ١٦٥.

٢ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ٧.

٣ علم الاكْتِناه العربي الإسلامي، ٩٦، تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ٨، تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات، ٥٣.

٦- يتطلَّب اكتشافُ المخطوطات النفيسة؛ انتقاء أشخاصٍ أكفَاء خبراءَ عشَّاقٍ لهذا التراث، لتقييم المخطوطات، وأن تكون لديهم الدراية والقدرة على استنباط المعلومات من المخطوطات، وتوثيق صحَّتها، وتكون لديهم القدرة على فَحص الأوراق، والخطوط والأحبار، والقدرة على تحقيق العناوين، وأسماء المؤلِّفين، وتواريخ النَّسخ، وغير ذلك من الملامح المادِّيَّة الأخرى التي ترد في المخطوطات. إضافةً إلى كيفيَّة اقتناء المخطوطات وطرق تقييمها، وفَحصها ومعرفة النادر منها، والأمور التي ترفع من قيمة المخطوطات، والأسباب التي تحطُّ من قيمتها.

لقد أُثيرت مشكلة الدراسة بشكل كبير عند عدد من المتخصِّصين المهتمِّين والمعنيين بعلم المخطوط، منهم: أحمد تيمور باشا في حديثه عن (نوادر المخطوطات)، وذهب إلى أنَّه "ليس كلُّ نادر جديرًا بالذكر ولا كلُّ مبذولٍ بمرذول؛ فربَّ غثٍّ نبَّهته ندرته وسمينٍ أخملته كثرته، وإنَّما العبرة بقيمة الشيء في نفسه.. والنفيس نفيسٌ حيثما كان".[1]

كما تعرَّض لهذا الجانب بشكلٍ أوضح صلاح الدين المنجد، الذي أثار هذه القضية أو إشكالية المخطوط النفيس بشكل غير مباشر، تحت عنوان: "**ماذا ننشر من المخطوطات القديمة، وكيف ننشر؟**".[2] وكانت هذه مذكَّرة قدَّمها صلاح الدين المنجد، بصفته مدير معهد المخطوطات العربية، إلى (**مؤتمر المجامع اللغوية العلمية**، بدمشق، أكتوبر، ١٩٥٦م).

وتظهر قضيَّة **اختيار النفائس وحِسان المخطوطات** للنشر بشكلٍ واضحٍ عند صلاح الدين المنجِّد، في تقريره؛ حيث تعرَّض لمسألة سبق العلماء المستشرقين إلى نشر تراثنا العربي، على أسلوبٍ علميٍّ، بأكثر من قرنٍ كاملٍ، وقد اختاروا في نشرهم على الغالب الأصولَ التي لا بدَّ منها لعرفان الثقافة العربية في وجوهها المختلفة: من لغةٍ وأدبٍ وتاريخٍ وجغرافيا وطبٍّ وفلسفة وفلكٍ وغير ذلك. وكانوا يهدفون من

١ نوادر المخطوطات وأماكن وجودها، ٧.

٢ مجلَّة معهد المخطوطات العربية، ٣٩٥ – ٣٩٨. وقد وصل الأمر إلى إثارة أحد الباحثين سؤالًا يخصُّ ما يقبل وما لا يقبل من التراث، انظر: التراث: ماذا نقبل، وماذا نرفض منه، ٩ – ١١.

نشرهم إلى كشف ماضي الشرق الإسلامي إبَّان عظمته وأيَّام انحطاطه، عن طريق ما تركه علماؤه وأدباؤه وفلاسفته وشعراؤه، من آثارٍ علميةٍ وأدبيةٍ وفكريةٍ. فكان ما نشروه أصولًا قيّمةً لا نزال نحسُّ –حتَّى يومنا هذا– بفائدتها وشأنها، إنَّهم لم ينشروا جميع الأصول ولا كلَّ المصادر، فالتراث العربي أوسع من أن يكفي لنشر عيونه قرن، ولكنَّهم اختاروا فكان هناك حسنُ اختيار".[1]

أوَّلًا: المخطوط النفيس: مفهومه واقتناؤه

١- مفهوم المخطوط النفيس

هو المخطوط الذي تنطبق عليه معايير الندرة والفرادة خاصَّة، والنفاسة عامَّة،[2] كأن تكون منه نسخةٌ وحيدةٌ لا ثانية لها (مخطوط فريد)، أو أن يكون بخطِّ مؤلِّفه، أو أنَّ مادَّته العلمية لم يُتطرَّق إليها، أو أن يكون وعاؤه (شكله) متميّزًا، مكتوبًا مثلًا على الرقِّ أو البردي أو الحرير. وهنالك أسبابٌ أخرى للنفاسة معرفتها موكولةٌ لمعرفة المُفَهرِس وثقافته بتاريخ الكتب والأصول والنسخ، ويتأتَّى ذلك بكثرة البحث والتفتيش. وقد يحتجز الكثير من بعض ذي الكفاءة من أهل التحقيق المخطوطات النفيسة ذات القيمة لتحقيقها وإن طالت الفترة الزمنيَّة لتحقيقهم لها.[3]

٢- اقتناء المخطوطات النفيسة

عُرِف جمعُ واقتناءُ المخطوطات النفيسة في الحضارة العربية الإسلامية،[4] في ما

---

١ ماذا ننشر من المخطوطات القديمة، وكيف ننشر؟، ٣٩٥– ٣٩٨.

٢ جدير بالإشارة أنَّ الفيلولوجيين قد لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلَّا إذا أُلحق بكلمة كتاب، فيقولون الكتاب المخطوط؛ لأنَّه ليس كلُّ ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطًا.. ومنها خطُّ الكتاب خطَّه، وكتاب مخطوط، وكتاب مخطوط أي مكتوب فيه...، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، ١٤.

٣ مقدِّمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، ٢٣١.

٤ كما عُرِّف أيضًا علم تحقيق المخطوطات، وعمل بأصوله العرب المسلمون.. على أنَّنا ندين لعلماء مصطلح الحديث بتأسيس قواعد هذا العلم، وبناء هيكله الأساسي، تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند العلماء العرب المسلمين: جهود المحدثين في أصول تدوين النصوص، ٣٥، ٣٨.

نقلته إلينا كتب التاريخ والتراجم والببليوجرافيات؛ عن الخلفاء، والوزراء، والأعيان، والعلماء، وحرصهم على اقتناء الكتب في مختلف فنون المعرفة، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل شرائها والحصول عليها. ولم تقتصر هواية جمع الكتب النفيسة على الفئات السابقة؛ بل إنَّ الكثير من الورَّاقين والنُّسَّاخ وطلَّاب العلم تمكَّنوا من جمع الكتب الكثيرة وامتلاك الخزائن العديدة المشتملة على الكتب النفيسة. ومن الخلفاء الذين عُنُوا بجمع الكتب: العاضد بالله؛ فقد وُجد في قصره الكتب المنتخبة بالخطوط النفيسة.[١] والملك المؤيَّد، صاحب اليمن: داود بن يوسف بن عمر، الذي "جمع الكتب النفيسة من الأقطار".[٢] ومن الوزراء الذين عُنوا بجمع الكتب النفيسة: الوزير أبو بكر بن الحكيم الرُّندي، "كانت له عنايةٌ باقتناء الكتب؛ جمع من أمَّهاتها العتيقة، وأصولها الرائقة الأنيقة".[٣]

وأشارت كتب التراجم إلى حرص بعض العلماء على اقتناء الكتب النفيسة، ومن بين هؤلاء: إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمَّد بن سعد الله (ت ٧٩٠هـ)، اقتنى من الكتب النفيسة بخطوط مصنِّفيها وغيرهم ما لم يتهيَّأ لغيره.[٤] ومحمَّد بن عثمان ابن أبي الوفاء العزازي بدر الدين الدمشقي، كان حسن الخطِّ، وكان يلازم سوق الكتب، فيشتري منها النفائس.[٥] وزكريَّا بن القاضي زين الدين الأنصاري، جمع من الكتب النفيسة ما لم يتَّفق لمثله.[٦] وعقيل بن عبد الله بن عقيل الحضرمي، كان له اعتناءٌ تامٌّ بجمع الكتب النفيسة.[٧] وإبراهيم الأريحاوي كان يجمع نفائس الكتب الحديثية والطِبِّيَّة.[٨] وأحمد بن محمَّد بن العطَّار؛ اقتنى كتبًا كثيرةً نفيسةً.[٩] وشافع بن علي بن عبَّاس بن إسماعيل بن عساكر بن شافع الكناني العسقلاني، كان يحبُّ جمع

---

١ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥/ ٣٢٠.

٢ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٥/ ٣٠٨.

٣ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨/ ١٤ – ١٩.

٤ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٤٠.

٥ المصدر نفسه، ٤/ ٤٥.

٦ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ١/ ١٩٩.

٧ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٣/ ١٤.

٨ الكواكب السائرة، ٢/ ٧٨.

٩ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٢/ ١١٥ – ١١٧.

الكتب، ترك نحو عشرين خِزانةً ملأى بالكتب النفيسة.[1] وعلي بن محمَّد اليونيني جمع الكتب النفيسة، وكانت له خزانة كتب.[2] وأبو الخير محمَّد بن النحَّاس، كان يجمع الكتب، ووجد له من الكتب النفيسة بنحو ثلاثين ألف دينار.[3] ومحمَّد بن عبد الله بن محمَّد السلمي الأندلسي، كتب وقرأ وجمع من الكتب النفيسة كثيرًا.[4] وشيخو بن عبد الله الساقي كان يكتب الخطَّ المنسوب، وكان يتعانى الكتب النفيسة من كلِّ فنٍّ ويشتريها.[5] وأحمد بن حسَّان الكلبي، كان حسن الكتابة، عُني بجمع دفاتر العلم فاقتنى من أصولها العتيقة كثيرًا.[6] والسيِّد نعمان أفندي أبو البركات خير الدين الألوسي. كانت لديه رغبةٌ في جمع الكتب النادرة.[7]

وقد ظهرت آراءُ العلماء نحو تقييم الكتب ونفاستها، فعن كتاب (الاستذكار في فقه الشافعي)، لأبي الفرج محمَّد بن عبد الواحد البغدادي (ت ٤٤٨هـ)، يقول ابن الصلاح: "وهو كتابٌ نفيسٌ في ثلاثة مجلَّدات. وفيه من الفوائد والنوادر والوجوه الغربية ما لا يُعلم اجتمع مثله في مثل حجمه. وفيه من البلاغة والاختصار والأدلَّة الوجيزة ما لا يوجد لغيره مثله ولا ما يقاربه".[8]

٣- عوامل نفاسة المخطوط

هنالك عواملُ تاريخيةٌ أثَّرت في نفاسة المخطوطات، منها "**شهرة مؤلِّف الكتاب**"، أو "**نسبة المخطوطة إلى شخصيَّة مميَّزة**"؛ فبعض المخطوطات تُنسب لأحد الخلفاء، أو الوزراء، أو الأمراء، ومثل هذه المخطوطات تسمَّى بكتب العظماء، ولها قيمةٌ كبيرةٌ، تزيد إذا كان مالكها شخصًا مشهورًا، وذا مكانةٍ مرموقةٍ.

١ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٢/ ١٨٤.
٢ المصدر نفسه، ٣/ ٩٨.
٣ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٥/ ١٦٤.
٤ سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٣١٢.
٥ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٦/ ٢٦٢.
٦ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ١/ ٨٦ – ٨٧.
٧ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣/ ١٥٧.
٨ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/ ٦١ – ٦٢.

وكذلك "**نوع الخطِّ ومستوى جودته وإتقانه وجماله**"؛ إذ من الطبيعي، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ أن يتقاضى الخطَّاط أجرةً عاليةً على ما ينسخ أعلى بكثير ممَّا يتقاضاه الناسخ العادي، وتعتمد هذه الأجرة على درجة الشهرة، وجودة الخطِّ. فقد كان لجودة الخطِّ، والضبط في النقل والحذق والتزويق[١] والتذهيب[٢] وبخاصَّة المصاحف، أثره في نفاسة الكتب وارتفاع أسعارها. وقد اشتُهر بعض النسَّاخ من الورَّاقين، وغيرهم من الخطَّاطين المشهورين، والعلماء بكتابة الخطوط الواضحة، وبجودة الخطِّ، وإتقانه، وضبطه، فيُقبِل الناس على شراء الكتب التي خَطَّها هؤلاء النسَّاخ لنفاستها. يقول القفطي: "وكنت أحضر حِلق الكتب عند بيعها؛ فإذا قال المنادي: كتاب كذا بخطِّ النجيرمي، رُفعت نحوه الأعناق".[٣] فقد عُرف عن النجيرمي، وضوح خطِّه وجودته وضبطه.

كما تُعَدُّ "**مسوَّدة المؤلِّف**" من نفائس المخطوطات؛ وقد نالت مسوَّدة الكتب أهمِّيَّةً بالغةً عند الأوائل؛ لأنَّها تكشف ذاتيَّة المؤلِّف، وتبيِّن طريقة كتابته، وخطِّه، وتعليقاته، وأسلوبه؛ لذلك أصبحت من الأمور الثمينة النادرة، وتزاحم عليها كبار العلماء، والأدباء، والسلاطين، والولاة، تقديرًا لصاحبها ومكافأة له، وتعظيمًا لمنزلته العلمية والأدبية؛ لذلك كان سعرها مرتفعًا في سوق الورَّاقين. ومثال ذلك مسوَّدة كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين؛ فقد بيعت في النداء، بسوق الورَّاقين، بأربعة آلاف درهم.[٤]

ومن الأمور الأخرى التي تزيد من نفاسة وقيمة المخطوطات احتواءُ بعضها على بياناتٍ توثيقيَّةٍ، مثل: المقابلات، والسماعات، والقراءات، والمطالعات،

---

١ انظر على سبيل المثال: مخطوطتان مزوَّقتان من القاهرة من عهد الملك الأيُوبي الكامل محمَّد، ١٨٩– ١٩٨.

٢ يعدُّ فنُّ التذهيب من الفنون التي ازدهرت وتطوَّرت في ديار الإسلام. فكان الخطَّاط يتمُّ كتابة المخطوطة تاركًا فراغات في بعض صفحات المخطوط؛ لرسم أشكال نباتية وهندسية مذهَّبة.. وفي بعض الأحيان تنقش صور، ذات صلة بنصوص معيَّنة في المخْطُوط. وليس غريبًا أن نراه يدخل عالم المخطوطات العربية منذ القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث. فنون الإسلام، ٣/ ١٥٧، المخْطُوط العربي، ٢٢٥.

٣ إنباه الرواة على أنباء النحاة، ٤/ ٦٦ – ٦٧، تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ٦١.

٤ معجم الأدباء، ١٣/ ١٢٩.

والإجازات، إضافةً إلى تقييدات بخطوط بعض العلماء.[1] وتشكِّل ظاهرة السماعات على المخطوطات، في عالمنا الإسلامي، سمةً خاصَّةً، يتفرَّد بها المخطوط في تراثنا، ويندر وجودها في مدوَّنات الحضارات الأخرى. ومع الكمِّ الهائل لهذه السماعات، على بدايات المخطوطات، وخواتيمها، يقف الباحث في جنباتها، محتارًا بدايةً، لكثرتها وتنوُّع المادَّة العلميَّة فيها، وثانيًا لتعرُّضها للتلف؛ لأنَّها عبارة عن غلافٍ لأصل الكتاب، وأوَّل ما يتعرَّض منه لأيِّ عارض. ولهذه السماعات، فوائدُ جليلةٌ، وعوائدُ جميلةٌ، ومن أهمِّها، صحَّةُ نسبة الكتاب لمصنِّفه، وإثبات سماع الحاضرين، في مجلس السماع لهذا الكتاب، ومن السماعات أيضًا، تتجلَّى الصورة العلمية لتلك العصور وازدهارها، والمدارس التي قامت فيها الدروس والقراءات، والمدن والقرى والضواحي المذكورة فيها، ونوعيَّة الدارسين، من علماءَ وزهَّادٍ، رجالًا ونساءً، أمراءَ وفقراءَ، وسواهم من طبقات المجتمع. وما يُذكر في هذه السماعات، من أخبارٍ وحكاياتٍ، وتواريخَ تُكوِّن مصدرًا مهمًّا للدراسات: التاريخية والجغرافية والاجتماعية، وغير ذلك من أحوال المجتمع، في تلك العصور.[2]

إنَّ للمخطوطات العربية الإسلامية مزايا جمَّةً تزيد نفاستها في قيمتها وأثمانها؛ فهي ليست على السواء.

وقد عرف العلماء العرب والمسلمون منذ بداية التدوين، **تفاوت أقدار نفاسة الكتب المختلفة**. وقدَّروا أهمِّيَّة هذه الكتب وفقًا لمعايير ما زالت تؤخذ في الحسبان حتَّى اليوم، عند القيام بتقدير قيمة المخطوطات النفيسة، التي منها جودة خطِّ الكتاب، ومقابلته، وتصحيحه، إضافةً إلى ما تحمله بعض المخطوطات من سماعات وإجازات وقراءات. وقد كان لهذه البيانات التوثيقية أهمِّيَّةً بالغةً في نفوس الأوائل. والدليل على ذلك ما روي عن الجاحظ لمَّا قدم من البصرة في بعض قدماته، أهدى إلى محمَّد بن عبد الملك الزيَّات في وزارته، نسخةً من كتاب

١ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ٦٦.

٢ خطوط العلماء من القرن الخامس إلى العاشر الهجري: نماذج وأسئلة، ٥.

سيبويه، وأَعلمَ بإحضارها صحبته قبل أن يُحْضِرَها مجلسه. فقال ابن الزيَّات: "أو ظننت أنَّ خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال ما ظننت ذلك، ولكنَّها بخطِّ الفرَّاء، ومقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ، فقال له ابن الزيَّات: هذه أجلُّ نسخةٍ توجد، وأغربُها، فأحضرها إليه، فسُرَّ بها، ووقعت منه أجمل موقعٍ". ومن هنا تتبيَّن قيمةُ الخطِّ ومنزلته عند الأوائل، وأهمِّيَّة المخطوطات المصحَّحة، والموثَّقة بالمقابلات والتصحيحات، وعلوُّ منزلتها لدى الحكَّام والعلماء.[١]

ولقد عني الأوائل بالكتب النفيسة التي **كُتبت بخطوط مصنِّفيها**، يقول ابن حجر العسقلاني عن قاضي القضاة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمَّد بن جماعة (ت ٧٩٠هـ): إنَّه "خلَّف من الكتب النفيسة ما يعزُّ اجتماع مثله؛ لأنَّه كان مغرمًا بها، فكان يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسن، ثمَّ يقع له ذلك الكتاب بخطِّ مصنِّفه فيشتريه، فلا يترك الأوَّل، إلى أن اقتنى بخطوط المصنِّفين ما لا يعبَّر عنه كثرةً".[٢] وتزاحم العلماء والأدباء، بل السلاطين والولاة على النفائس من **مسوَّدات المؤلِّفين**؛ تقديرًا لهم، ولمنزلتهم؛ لذلك كانت أسعار مسوَّدات الكتب مرتفعةً في سوق الورَّاقين؛ لأنَّ مسوَّدات المؤلِّفين توضِّح منهجهم في التأليف.[٣]

وهنالك إشاراتٌ كثيرةٌ في مصادر التاريخ، وكتب التراجم لجملةٍ من العلماء الذين اعتزُّوا بامتلاكِهم **المخطوطاتِ النفيسةَ المكتوبة بأقلام مؤلِّفيها**. فهذا ياقوت الحموي -على سبيل المثال- يذكر في كتابه (معجم الأدباء) أنَّه يمتلك مسوَّدة (تاريخ مرو) لأبي صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م).[٤] وفي سياق حديثه عن الحاكم الحسين بن محمَّد بن الحسين الكتبي الهروي، أنَّه امتلك أصل كتاب (تاريخ السنين)، لأبي يعقوب إبراهيم بن محمَّد بن الفرات

---

١ إنباه الرواة، ٢/ ٣٥١.

٢ إنباء الغمر بأنباء العمر، ١/ ٣٥٥.

٣ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ١٦٢ - ١٦٣.

٤ معجم الأدباء، ٣/ ٢٢٤.

الهروي، المكتوبة بخطِّه في عشرة أجزاء.[١] ويقول الوزير علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) عن كتاب (تهذيب اشتقاق المبرِّد)، لأبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن علي الأشيري (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٦م): "رأيته فأحسن فيه، وهو عندي بخطِّه".[٢]

ومن خلال هذه الأمثلة التي أشرنا إليها، يظهر جليًّا حرصُ كثيرٍ من العلماء وغيرهم على اقتناء المخطوطات المنسوخة بأقلام مؤلِّفيها، أو طالعها واستفاد منها علماء مشهودٌ لهم، أو اعتزُّوا بامتلاكها في مكتباتهم الخاصَّة، يقول القِفْطِيُّ عن (غريب القرآن)، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف بابن اليزيدي: "رأيته في ستَّة مجلَّداتٍ، يستشهد على كلِّ كلمةٍ من القرآن بأبياتٍ من الشعر. ملكتُه بخطِّه".[٣] وكتاب (الكسوف)، لأحمد بن داودَ الدِّيْنَوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، قال: "ملكته بخطِّه".[٤]

ثانيًا: خصائص المخطوطة النفيسة

١- الخصائص العامَّة

تتجلَّى خصائص نفاسة المخطوطة العامَّة في عناصرَ عديدةٍ، متشعِّبةٍ، ومتَّصلةٍ ببعضها البعض في ذات الوقت؛ فالحديث بالأساس قائمٌ على نفاسة المخطوطة التي قد تجتمع فيها بشكلٍ عامٍّ جميعُ خصائص النفاسة. ولذلك فالتعرُّض لهذه الخصائص مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بحالة المخطوط نفسِه، وهذه يمكن أن نطلق عليها حالات المخطوطة النفيسة، ومنها:

(أ) المخطوطة قديمة العهد، **مكتوبة بخطِّ المؤلِّف**، أو عليها خطُّ المؤلِّف. أو مكتوبة بأحد الأقلام القديمة، كالخطِّ الكوفي مثلًا، والخطِّ البغدادي، والخطِّ

١ معجم الأدباء، ١٧/ ١٦٤.
٢ إنباه الرواة، ٢/ ١٤٠.
٣ إنباه الرواة، ٢/ ١٥١.
٤ إنباه الرواة، ١/ ٤٢.

الإفريقي، أو القيرواني، أو الأندلسي، أو الخطِ الريحاني، أو الخطِّ اليماني، أو الخطِ المزركش، وما شاكلها من الخطوط. وأنفس المخطوطات وأفضلها وأندرها ما كان منها متَّصلًا بالقرن السادس للهجرة أو قبله.

(ب) وتظهر النفاسة أيضًا في: **المخطوطة المنقولة عن نسخة المؤلِّف**، أو عُورضت بها، وقوبلت عليها. والمخطوط المنسوخ في عصر المؤلِّف، وعليه سماعات وإجازاتُ بعض العلماء. وأن يكون المخطوط مشهودًا له بالضبط والدقَّة من مؤلِّفه نفسه، أو من أحد العلماء المحقِّقين. وأن يكون اسم المؤلِّف مدوَّنًا في المخطوطة مع اسم الناسخ، واسم الواقف، واسم المطالع؛ ولا سيَّما إذا كان هذا المطالعُ من مشاهير العلماء والعظماء. وتزيد قيمته إذا دَوَّن فيه الناسخ: تاريخ اليوم والشهر والسنة للفراغ من كتابتها، ومكانَ كتابتها، واسمَ الخليفة أو السلطان الذي نجز في عهده تأليف الكتاب أو نَسْخه.

(ج) وتزيد نفاسة **المخطوطة تضمُّنُها حواشيَ وهوامش وتعليقاتٍ**، أثبتها المؤلِّف بخطِّ يده، أو دوَّنها كبار العلماء، أو الملوك، أو طالعها أعلامٌ مشاهير، أو قُرئت عليهم وأجازوها. هذا بالإضافة إلى أن تكون المخطوطة حسنة التبويب والترتيب، بديعة الخطِّ، جيِّدة الحبر، مكتوبةً على رقٍّ، أو برديٍ، أو حريرٍ، أو كتَّانٍ، أو قرطاسٍ ثمين، أو روقٍ جيِّد. إضافة إلى كونها متقنة التجليد، محفوظةً بغلافها الأصلي وجلده، بديع الشكل، قد صنع خصّيصًا له، ويستحسن أن يكون الجلد مرصَّعًا، وطرازه شرقيًّا. كما تتجلَّى نفاسة المخطوطة في المخطوطات المكتوبة برسم الخزانة السلطانية. وقد تدوَّن فيه شروحٌ، وإضافاتٌ، وتصحيحاتٌ، وفوائدُ لا توجد في سواه من الكتب المخطوطة، أو المطبوعة.

(د) كما تتَّضح نفاسة المخطوطة من خلال النُّسَّاخ، فقد تكون **مكتوبًا بخطِّ أحد مشاهير النُّسَّاخ** كابن مُقْلَة، وابن البَوَّاب،[١] وابن عجلان، والأحول، ومالك، وابن

١ علي بن هلال المعروف بابن البَوَّاب الخطَّاط، كان يقوم بنسخ المصاحف. راجع الملاحق: ملحق: ٢، صورة من المصحف الوحيد بخطِّ ابن البَوَّاب، ونسخ من الأعمال الأدبية: رسالة في مدح الكتب والحثِّ عليها، للجاحظ، (ت ٢٥٥هـ). مخطوط بخطِّ ابن البَوَّاب، مكتوب بخطِّ النسخ، محفوظ بمتحف الأوقاف (2014T)، (رقم الحفظ: الأدب – ٤٠٨، ٢٦ ورقة). فهرس المخطوطات المصوَّرة، (معهد المخطوطات العربية، ج١، القسم: ٢١، ٤٧٣.

دينار، وابن حزمٍ الأندلسي، وعبد الرحمن الصائغ، وابن أبي الجوع، وغيرهم من مشاهير الخطَّاطين والنُّسَّاخ. وأن تكون المخطوط مزيَّنًا بالرسوم الرائعة، أو موشًّى بالذهب والفضَّة، أو منمَّقةً بالألوان الزاهية، أو منفردةً بمزيَّة لا أثر لها في سواه. كما أن يكون المخطوطُ قديمًا مكتوبًا في القرون الهجريَّة الأولى.[١]

ومن إبرازات الخصائص العامَّة للمخطوطات النفيسة

أوَّلًا: **مخطوطات نفيسة تظهر فيها خطوط المؤلِّفين، أو تعليقاتهم، أو أنَّها نُسخت في زمنٍ قريبٍ من المؤلِّف نفسِه، أو أنَّها رويت عن المؤلِّف**، منها: (مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية = اختصرها محمَّد بن علي بن باسلار البعلي، ت ٧٧٨هـ)، منه نسخةٌ نفيسةٌ وقديمةٌ، بجامعة الإمام،[٢] بخطِّ المؤلِّف كتبها في سنة (٧٥٠هـ). و(طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين)، وتوجد منه نسخةٌ خطِّيَّة نفيسةٌ عليها خطُّ العلَّامة ابن قيِّم الجوزية، لها صورةٌ بجامعة الإمام أيضًا،[٣] وهي صورةٌ عن أصل المكتبة الظاهرية بدمشق. و(مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطِّلة)، منه نسخةٌ نفيسةٌ مكتوبةٌ بعد وفاة ابن قيِّم الجوزية بسبع سنين في سنة (٧٥٨هـ).[٤] و(جامع العلوم والحكم = شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم) بمكتبة خدا بخش بتنة بالهند كتبت قبل وفاة المؤلِّف بخمس سنوات؛ أي سنة (٧٩٠هـ).[٥]

و(التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة). لأبي المحاسن، شمس الدين، محمَّد بن علي الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥هـ)، تاريخ نسخها (٧٦٤هـ).[٦]

---

١ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ١٦٨.

٢ محفوظة تحت رقم ٨٩٥٩خ، ١٤٢ ورقة.

٣ رقم ٢٨٦٤، ١٢٦ ورقة.

٤ محفوظة بمكتبة ندوة العلماء بلكهنؤ، الهند، تحت رقم: ٥٤٨. وعنها صورة بدار الكتب القطرية، محفوظة تحت رقم: ٣٠٦٩، في ٢٦٠ ورقة.

٥ الأثبات في مخطوطات الأئمَّة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلَّامة ابن القيِّم، والحافظ ابن رجب، ٢٠٣، ٢٨٠، ٢٩٥، ٣٢٢.

٦ محفوظة بمكتبة كوبريللي، إستانبول، تركيا، تحت رقم: ٢٦٣، ٢٩٤ صفحة، راجع الملاحق: ملحق: ١٠.

و(جُمَل الفلسفة)،[١] بخطِّ مؤلِّفها محمَّد بن علي بن عبد الله بن محمَّد الهندي (ت بعد ٥٣٣هـ). ولعلَّ من مظاهر نفاستها بالإضافة إلى أنَّها مكتوبةٌ بخطِّ المؤلِّف سنة (٥٢٩هـ)، وعلى ظهريَّتها قيد قراءةٍ للكتاب على المؤلِّف مؤرَّخةٍ في صفر سنة (٥٣٣هـ)، أنَّ عددًا وافرًا من العلماء والأدباء قد أثبتوا تملُّكهم لها ومطالعتهم على ظهريَّتها.[٢]

ومن **النسخ الخطِّيَّة النفيسة التي رويت عن المؤلِّف**: الجزء الثاني، من كتاب (الأسامي والكنى)، لأبي أحمد محمَّد بن محمَّد بن أحمد الحاكم النيسابوري، الكرابيس (ت ٣٧٨هـ)، وهي بخطِّ الإمام أبي سعيد محمَّد بن علي بن عمرو بن مهدي النقَّاش الأصبهاني (ت ٤١٤هـ)، ومن روايته عن المؤلِّف. عليها سماعاتٌ لأئمَّةٍ كبارٍ مثل أبي بكر محمَّد بن أبي نصر اللفتواني (ت ٥٣٣هـ). تاريخ نسخها (٤١٣هـ).[٣] وأخرى نفيسةٌ نادرةٌ من مخطوط (منهاج الطالبين وعمدة المفتين)، للإمام أبي زكريَّا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، وهي بخطِّ نسخي جميل ومزخرفةٌ، نسخة منقولةٌ عن نسخةٍ مقروءةٍ على المؤلِّف -رحمه الله- وعليها خطُّه، سنة النسخ (٧٣٦هـ).[٤]

ثانيًا: نوع المادَّة التي كتبت عليه المخطوطة كالرَّقِّ. وقِدم تاريخ المخطوطة نفسها؛ ومن هذه المخطوطات، بالمكتبة الوطنية الفرنسية: (التمهيد في الردِّ على الملاحدة)، للإمام محمَّد بن الطيِّب الباقلَّاني، من كبار علماء الأشاعرة، والمتوفَّى (٤٠٣هـ)، وهي نسخةٌ نفيسةٌ، تاريخ انتساخِها عام (٤٧٢هـ).[٥] و"هذا الكتاب من أجلِّ كتب الكلام الإسلامي، وخصوصًا ما يتعلَّق منها بالردِّ على المخالفين.. وحلقةٌ في سلسلة الكتب الكبرى التي تبيِّن تطوُّر علم الكلام من جهة، وتبرز المسائل الأساسيَّة

١ محفوظة بمكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية، تحت رقم: ١٩١٨.

٢ مكتبة مرهف بن أسامة بن منقذ من خلال خوارج النصوص: إرث أيُّوبي تبدَّد في العصر المملوكي، ١٩٥– ١٩٦، راجع الملاحق: ملحق: ١١.

٣ محفوظة بمكتبة السليمية بأدرنة بتركيا، تحت رقم: ٣١٩/ ٦، في ١١ لوحة، ضمن مجموع. فهرس المخطوطات المصوَّرة، ١٢، راجع الملاحق: ملحق: ٣.

٤ محفوظة بجامعة برنستون، تحت رقم (Garrett no.1388Y)، في ٢٦٠ ورقة، راجع الملاحق: ملحق: ٩.

٥ توجد صورة منها بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، محفوظة تحت رقم: ٦٠٩٠ فب.

التي كانت موضع خلافٍ بين رجاله وبين مخالفيهم من جهةٍ أخرى، وما ظهر في أثناء الأبحاث الكلاميَّة من آراء".[١]

ثالثًا: مخطوطات تعدُّ الأقدم في العالم، مثل (الأمثال من الكتاب والسنَّة، للحكيم الترمذي)، الصوفي والفقيه الشهير؛ كانت وفاته تقريبًا عام (٣٢٠هـ)، وهي نسخةٌ نفيسةٌ محفوظةٌ بالمكتبة الوطنية الفرنسية، كُتبت في القرن الخامس الهجري، والكتاب يقع ضمن مجموع مخطوط لبعض مؤلَّفات الترمذي، مكتوبٌ بخطٍّ مغربيٍّ دقيق.[٢] ومخطوطةٌ نفيسةٌ من (تفسير البستي)، (ت ٣٠٧هـ): تعدُّ أقدم مخطوطةٍ محفوظةٍ بمجموعة مكتبة بلدية الإسكندرية، وهي بالتالي أقدم المخطوطات العربية فى العالم، وهي جزءٌ من تفسير القرآن الذي أملاه أبو إسحاقَ بن إبراهيم المعروف بالبُستي. كُتبت سنة (٣٦٨هـ)، بخطِّ خلف بن حكيم.[٣]

رابعًا: تاريخ نسخها من ناحيةٍ، وكتابتها في حياة المؤلِّف من ناحيةٍ أخرى، أو نقلها من نسخة المؤلِّف؛ فمنها: (البارع) في اللغة، لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، صاحب المصنَّفات الشهيرة والأكثر ذيوعًا، ويعدُّ (البارع) من أمَّهات

---

١ التمهيد في الردِّ على الملحدة المعطلة والرافضة والخوراج والمعتزلة، المقدِّمة، ١، وفيه عرض صورة لعنوان المخطوط.

٢ نشر بتحقيق: علي محمَّد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م، ٣٨٧، ثمَّ حقَّقه وعلَّق عليه وقدَّم له، بذات العنوان؛ معتمدًا على النشرة السابقة: السيِّد الجميلي، دار ابن زيدون، بيروت لبنان، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٣٤١، عن نسخة لم يذكر مصدرها ولا أوَّلها ولا آخرها، على حين نجد في نهاية تحقيقة ذكر اسم الناسخ وهو: علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان المرادي الأندلسي (ت ٥٤٤هـ). كما أشار في مقدِّمته إلى أنَّ القرطبي (ت ٦٧١هـ) اعتمد على كتاب الأمثال، المذكور في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، (١٩٥١هـ)، ٧/ ٣٢٢: وأنَّه ذكره بعنوان: نوادر الأصول. ونعتقد أنَّ ذلك وهمٌ منه، فهنالك عناوين لعدد من النسخ المخطوطة عددها: ٩، منها ثلاثة تحت عنوان نوادر الأصول، وواحد تحت عنوان: نوادر الأصول في أحاديث الرسول، وخمس نسخ أخرى، تحت عنوان: نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، منسوبة إلى الحكيم الترمذي. بينما نقف على نسخة من مخطوطة بعنوان: تبيان الأمثال للحكيم الترمذي، نعتقد أنَّها المقصودة، محفوظة بالجمعية الآسيوية، كلكتا ١٠٥٦/ ١.

٣ وهذه النسخة تقع فى ٢٣٣ ورقة، وعدد الأسطر بها ٢١ سطر، ومقاساتها ٢٥*١٥,٥سم. وهى محفوظة تحت رقم ٨٣٦/ ب حديث، ومسلسل ٢٥ حديث. راجع الملاحق: ملحق: ١: مخطوطة نفيسة من تفسير البستي، المتوفَّى ٣٠٧هـ.

كتب اللغة، وأوَّل المعاجم الأندلسية، وقد سار فيه على نهج الخليل بن أحمد في ترتيب معجمه، بحسب الأساس الصوتي، ونسخة المكتبة الفرنسية[١] مكتوبةٌ بالخطِّ الأندلسي، ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن الرابع الهجري، أي في حياة المؤلِّف.

ومن مخطوطات المصنَّفات الأدبية النفيسة: (حماسة ابن الشجري)،[٢] لضياء الدين أبي السعادات، المعروف بابن الشجري البغدادي، (ت ٥٤٢هـ)، وهي أنفس نسخ الكتاب، وتاريخ فراغ نسخها عام (٥٦٣هـ) عن نسخة بخطِّ المؤلِّف، ويتألَّف الكتاب من قصائدَ ومقطوعاتٍ وأبياتٍ اختارها المؤلِّف على غرار ما ورد في مصنَّفات الحماسات السابقة.

ونسخةٌ نفيسةٌ من معجم (مجمل اللغة)، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريَّا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ). ولعلَّ مظهرًا رئيسًا من مظاهر نفاستها، هو أنَّ كاتبها ومالكها الأوَّل هو محمَّد بن المبارك بن محمَّد، المعروف بابن ميمون البغدادي (ت بعد ٥٨٩هـ)، صاحب (منتهى الطلب من أشعار العرب).[٣]

خامسًا: اعتبار المخطوطة أقدم النسخ التي وصلت إلينا مثل (الكنى والأسماء)، للحافظ أبي بشر محمَّد المعروف بالدولابي (ت ٣٢٠هـ)، نسخةٌ نفيسةٌ فرغ من نسخها سنة (٣٨١هـ)، وهي أقدم النسخ التي وصلت إلينا من الكتاب، وهو يقع في عشرين جزءًا مرتَّبةً على حروف المعجم، بدءًا بالعشرة المبشَّرين بالجنَّة ثمَّ باقي الصحابة والتابعين.

ومن مخطوطات العلوم الدينية النفيسة: كتابُ (غريب القرآن والحديث

---

١ المكتبة الأهلية– باريس، محفوظة تحت رقم عربي ٤٢٣٥. فهرس المخطوطات المصوَّرة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ج١/ ق٢.

٢ بالمكتبة الأزهرية، بالقاهرة، مخطوط، عنوانه: مختصر حماسة ابن الشجري، لابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، محفوظة تحت رقم ٢٨٢ أدب ٦٨٨٧ أباظة.

٣ وتحتفظ بهذه النسخة مكتبة جامعة ليدن الهولندية، تحت رقم (OR 2390). لمزيد من التفصيل حول هذه النسخة، راجع: نسخة تاريخية لمجمل اللغة لابن فارس، ١٤٨– ١٥٥، مكتبة مرهف بن أسامة بن منقذ من، ١٨٦. راجع الملاحق: ملحق: ١٢.

أو الغريبين)، للعلَّامة أبي عبيد أحمد بن محمَّد الهروي، (ت ٤٠١هـ)، وهو من المصنَّفات التي تُعْنَى بالألفاظ اللغوية الغامضة المعنى التي تحتاج إلى شرحٍ، وهو أفضل ما صُنِّف في فنِّه، واتَّسم بالترتيب البديع الميسَّر، والدقَّةِ في بيان اللفظ وصحَّة المعنى، وهذه النسخة كُتبت عام (٥٨٩هـ).

و(التاريخ الكبير على حروف المعجم)، للإمام الحافظ إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، نسخةٌ نفيسةٌ بالخطِّ المغربي، تاريخُ نسخِها عام (٤١٥ هـ).

و(عقود الجمان في تجويد القرآن)، وهي قصيدةٌ نونيةٌ لبرهان الدين إبراهيم الجعبري، (ت ٧٣٢هـ)، صاحب المؤلَّفات الغزيرة في علم القراءات، والتي تربو على مئة مصنَّفٍ من رسائلَ ومختصراتٍ، وفُرغ من نسخها عام (٧٢٤هـ) في حياة المؤلِّف.

سادسًا: النسخ الخطِّيَّة الفريدة الوحيدة من الكتاب، مثل (**الخراج**)، ليحيى بن آدم القرشي، (ت ٢٠٣هـ)، وتاريخ نسخها عام (٤٨٩هـ)، محفوظةٌ بالمكتبة الوطنية الفرنسية. و"صاحب الفضل الأوَّل في نشر هذا الأثر النفيس، وحفظه علينا باللغة العربية، هو المستشرق العلَّامة الدكتور "ث. و.جوينبول Th. W. Juynboll"، نشره سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، بمطبعة بريل، في مدينة ليدن، نقلًا عن النسخة المخطوطة الوحيدة التي يملكها المسيو شارل شيفر M. Charles Schefer، عضو المجمع العلمي ومدير مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة بباريس، وهي نسخةٌ عتيقةٌ قرئت مرارًا، عدد صحفها خمس وتسعون صحيفةً، ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الخامس.[١]

ومن المخطوطات الفريدة بالمكتبة الوطنية الفرنسية أيضًا (تاريخ ملوك العرب الأوَّلين من بني جرهم وهود، لعبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعي، المتوفَّى عام ٢١٧هـ)، نسخةٌ عتيقةٌ مكتوبةٌ بالخطِّ الكوفي على الرَّقِّ بخطِّ يعقوب بن السكيت، العالم اللغوي الشهير، وتاريخ نسخها عام (٢٤٣هـ). و(كنز التجَّار في معرفة الأحجار،

١ كتاب الخراج، ٣.

لبيلك القبجاقي)، من مصنَّفات علم المعادن والأحجار، كُتب في بدايات العصر المملوكي، ويتضمَّن خصائص المعادن، وأماكنَ وجودها وأثمنها، ومنافعها، وتاريخَ النسخ عام (٦٨١هـ) أي في حياة المؤلِّف.[١]

والجزء الثاني من (منتخب الأحكام من حديث سيِّد الأنام)، لعبيد الله بن محمَّد ابن أحمد، ابن قدامة، المقدسي، الحنبلي، شمس الدين (ت ٦٨٤هـ)، لا تُعرف له نسخةٌ أخرى في فهارس المخطوطات الإلكترونية أو المطبوعة العربية والأجنبية.[٢]

وتعدُّ مجموعة شيفر (المسيو شارل شيفر M. Charles Schefer) أنفس المجموعات الخطِّيَّة في المكتبة الوطنية الفرنسية، وتتنوَّع ذخائرها من المخطوطات الفريدة إلى المخطوطات الخزائنية المذهَّبة والمزيَّنة بالصور، فمن **المخطوطات التاريخية**: عدَّة نسخٍ نادرةٍ من (الكامل في التاريخ، للمؤرِّخ ابن الأثير الجزري)، منها نسخةٌ تاريخ الفراغ من نسخها عام (٦٨٩هـ)، وناسخها هو علي بن علي بن أحمد بن حسن بن طبَّاخ؛ بأمر الوزير مخلص الدين يحيى بن علي بن يحيى بن أبي نجم، وقد حظي كتاب الكامل باهتمام وعناية جمهرةٍ من المستشرقين؛ فتناوبوا على تحقيقه ونشره في طبعاتٍ مختلفة؛ ربَّما لأنَّه يؤرِّخ لفترات طويلة من الحروب الصليبية. ونسخة أخرى فريدة بخطِّ المؤرِّخ ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ) فرغ من نسخها عام (٦٩١هـ)، وتشتمل على حوادث سنوات ٣٤٩ – ٣٦٢هـ.

وأيضًا (تحقيق ما للهند من مقولةٍ مقبولةٍ أو مرذولةٍ)، لأبي الريحان البيروني،

---

١ محفوظ بدار الكتب المصرية، تحت رقم طبيعة تيمور ١٣٥، ومنه نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، باريس، تحت رقم عربي ٢٧٧٩، جدير بالإشارة وجوده -سهوًا- بقاعدة البيانات الرقمية (النديم - معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة) تحت عنوان [... الأحبار] وليس الأحجار. محيلة النسخة المحفوظة إلى دار الكتب المصرية، ولا تشير إلى النسخة الفرنسية!

٢ محفوظة بدار المخطوطات الإسلامية بالجامعة القاسمية، نسخة نفيسة، تحت رقم ٧٩٧/ مفرد، عدد الأوراق: ٤٤ ورقة. مجلَّد – بدون لسان – تجليد بني، تتوسَّطه دائرة ذات زخارف هندسية، بها تعقيبة. راجع الملاحق: ملحق: ٥.

(ت ٤٤٠هـ)، ومصنَّفه من كتب الرحلات الشهيرة في التراث الإسلامي، وهذه النسخة النفيسة كتبت عام (٥٥٤هـ) عن نسخة بخطِ المؤلِّف.

ومنها (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم - رواية الجُلُوديّ = صحيح مسلم).[١] مجلَّد- بدون لسان - تجليد أحمر، تتوسَّطه ميداليَّةٌ ذات زخرفةٍ نباتيةٍ تحيط بها زخارف نباتيَّةٌ في الحواف - بحواشٍ (شروح، هوامش).

سابعًا: **المخطوطات الخزائنية**: نسخة من قصيدة (البردة، للإمام البوصيري)، نسخها المملوك سودون للملك الظاهر جقمق، ونسخةٌ ثانيةٌ كتبت أيضًا في العصر المملوكي، وتاريخ نسخها عام (٨٦٩هـ). ونسخةٌ نفيسةٌ من (تخميس البردة)، كُتبت للسلطان الظاهر خشقدم، ونسخةٌ من (ديوان يوسف وزليخا) للشاعر الفارسي الفردوسي، مكتوبة بالخطِ النستعليق، مذهَّبة ومزخرفةٌ، ونسخةٌ من (ديوان سلطان حسين بهادر خان) أحد السلاطين التيموريين، والديوان مكتوب باللغة التركية، وكتبها الخطَّاط الشهير سلطان علي المشهدي، وتاريخ نسخها عام (٨٩٠هـ).

ومن **أنفس الكتب المخطوطة في الأدعية والتصوُّف**: نسخةٌ من (الأربعين النووية)، مع ترجمتها إلى الفارسية، مكتوبةٌ بخطِ النستعليق، وتاريخ نسخها عام (٨٩١هـ) وناسخها هو زين العابدين بن محمَّد، والصفحات الافتتاحية مزيَّنةٌ ومذهَّبةٌ، ونسخةٌ ثانيةٌ خزائنية من الكتاب، تاريخ نسخها عام (٩١١هـ) صفحاتها الافتتاحية مذهَّبةٌ ومزخرفةٌ، كتبها الخطَّاط الشهير سلطان علي المشهدي، بخطِ النستعليق.

ومن **المخطوطات النفيسة**: (تنبيه الغافلين)، وهي ترجمةٌ فارسيةٌ لكتاب الإمام أبي الليث السمرقندي، كتبت عام (٦٦٢هـ)، و(مناجات) باللغة الفارسية، للإمام الصوفي أبي إسماعيل الهروي، مؤرَّخةٌ في القرن التاسع الهجري، كتبها الخطَّاط الشهير عماد الحسيني، بخطِ النسخ الجميل. و(حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، المتوفَّى عام ٤٣٠هـ)، تاريخ نسخها عام (٥٧٩هـ)، وهو من

١ محفوظ بدار المخطوطات الإسلامية بالجامعة القاسمية، نسخة نفيسة من هذا الكتاب برقم حفظ: ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، راجع الملاحق: ملحق: ٤.

كتب التراجم التي تتضمَّن جماعةً من أعلام المتصوِّفة وأئمَّتهم، وبعضَ أحاديثهم، وترتيب طبقاتهم.

٢- الخصائص الموضوعية الخاصَّة

اتَّضحت نفاسة المخطوط وخصائصه من ناحيةٍ أخرى من خلال موضوعه؛ الذي قد يكون مبتكرًا، لم يتصدَّ له مؤلِّفٌ قبل مؤلِّفه، أو أن يكون موضوعه نادرًا، وذا فائدةٍ كبرى لعلماء ذلك الموضوع، وهذه الخصائص أيضًا لها العديد من الحالات والإبرازات.

وقد تجلَّت الخصائص الموضوعية الخاصَّة للمخطوطة النفيسة وإبرازاتها بشكل جيِّد عند مؤلِّفي فهارس الكتاب والأدلَّة، والإرشاد إليها بشكلٍ دقيقٍ في مؤلَّفاتهم، فيعرِّجون أحيانًا إلى التعريف بقصد النفاسة فيه، وأسبابها. ومن ذلك تعرَّض حاجي خليفة (ت ١٠٦٨ه) في كتابه (كشف الظنون) إلى نفاسة العديد من الكتب التراثية، وذكر فائدة نفاستها، كما هو واضحٌ في ذكر كتاب (الاستذكار، في فقه الشافعي) للشيخ الإمام أبي الفرج، محمَّد بن عبد الواحد الدارمي، البغدادي، الحافظ، (ت ٤٤٨هـ)، قال عنه ابن الصلاح: وهو كتابٌ نفيسٌ. في: ثلاث مجلَّدات. وفيه: من الفوائد، والنوادر، والوجوه الغريبة، ما لا يُعلم اجتماع مثلِه، في مثل حجمه. وفيه: من البلاغة، والاختصار، والأدلَّة الوجيزة، ما لا يوجد لغيره مثلُه، ولا ما يقاربه.[١]

وإذا لم يصنَّف الكتاب مثله، وُصف بالنفيس؛ مثلما هو في معرض ذكر كتاب (الإمتاع في أحكام السماع)، لكمال الدين، أبي الفضل: جعفر بن تغلب الأُدْفُوِي، الشافعي (ت ٧٤٩هـ)، وهو كتابٌ نفيسٌ، لم يصنَّف مثلُه، كما شهد له التاج السبكي في: (التوشيح).[٢]

والكتاب نفيسٌ، إذا كان لا نظير له في بابه، وفي غاية الضبط والإتقان، كما هو حال (قانون الأدب، في ضبط كلمات العرب) في لغة الفرس. للشيخ، الأديب، أبي

١ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/ ٦١.

٢ المصدر السابق، ١/ ١٦٧.

الفضل: حبيش بن إبراهيم بن محمَّد التفليسي.[1]

وإذا دلَّ الكتاب على تبحُّر مؤلِّفه وُصف بالنفيس اللطيف أيضًا، كما في (تذكرة الأحباب في بيان التحاب)، لكمال الدين حسن الفارسي. وهي: رسالةٌ في الأعداد المتحابَّة، والمتباغضة. أوَّلها: (الحمد لله الذي منه المبدأ وإليه المآب... إلخ). قال في الموضوعات: وهو تأليف لطيفٌ نفيسٌ، يدلُّ على تبحُّر مؤلِّفه في العلوم.[2]

كما أنَّ اشتمال الكتاب على الفوائد دليلٌ على نفاسته، كما في شرح حديث: (بُني الإسلام على خمس..) للشيخ، عزِّ الدين عبد السلام بن أحمد البغدادي، الحنفي (ت ٨٥٩هـ)، قال ابن عبد السلام المنوفي، الشافعي: هو مؤلَّف نفيسٌ. يشتمل على فوائد.[3] وكتاب (شرعة الإسلام) للإمام الواعظ، ركن الإسلام محمَّد ابن أبي بكر، المعروف: بإمام زاده الحنفي، (ت ٥٧٣هـ)؛ وهو كتابٌ نفيسٌ، كثير الفوائد.[4] ولذلك تعدُّ الكتب النادرة من النفائس؛ خاصَّة أنَّ بعضها لم يتبقَّ منه سوى نسخةٍ فريدةٍ حول العالم.[5]

وقد عَدَّ حاجي خليفة أنَّ من بعض نفاسة الكتب؛ تلك التي يطلب الملوك والأمراء تصنيفَها من العلماء، كما هو في كتاب (مضمار الحقائق وسرُّ الخلائق) في التاريخ؛ صُنِّف للملك المنصور محمَّد بن عمر، صاحب حماة (ت ٦١٧هـ). وهو كتابٌ كبيرٌ، نفيس.[6]

وجعل حاجي خليفة الكتاب الجامع لمسائل العلماء نفيسًا، كما في (ميدان الفرسان) لشمس الدين، محمَّد بن خلف الغزِّي، الشافعي (ت ٧٧٠هـ)، وهو كتاب نفيسٌ، في خمس مجلَّداتٍ، جمع فيه أبحاث الرافعي، وابن الرِّفْعَة، والسبكي.[7]

---

١ كشف الظنون، ٢/ ١٣١٠.
٢ المصدر السابق، ١/ ٣٨٤.
٣ المصدر السابق، ٢/ ١٠٣٩.
٤ المصدر السابق، ٢/ ١٠٤٤.
٥ إطلالة على نَفائِس الكتب، ١٤٠.
٦ كشف الظنون، ٢/ ١٧١٢.
٧ المصدر السابق، ٢/ ١٩١٦.

وذهب مذهبَ حاجي خليفة في تقرير نفاسة الكتب عددٌ من الباحثين، فتناول نفاسةَ الكتب باعتبار ما فيها من فوائد أيضًا، ومنها: ما ذكر عن كتاب (تعليم المتعلِّم، لبرهان الإِسلام الزرنوجي)، وهو نفيسٌ مفيدٌ مشتملٌ على فصولٍ نحوًا من ثلاثة كراريس.[١]

وإذا لم يسبق إلى موضوع الكتاب أحدٌ عُدَّ نفيسًا ككتاب (العَلَم الخفَّاق من علم الاشتقاق).[٢] هذا بالإضافة إلى عدد من كتب التراث النفيسة، التي نوَّه عليها صاحب (أبجد العلوم)، بقوله: "نفيس جدًّا"، أو "نفيسٌ نافعٌ جدًّا".[٣]

وقد ذكر **فانديك** (ت ١٣١٣هـ) العديدَ من أسماء الكتب، التي أشار إلى نفاستها.[٤] وتناول **سركيس** في (معجمه) مسألة نفاسة الكتب، ووضع تقارير مفيدةً على ذلك، فيذكر: "لجابر بن حيَّان كتابٌ نفيسٌ في السموم، مخطوط في الخِزانة التيمورية، نقل عنه المرحوم الدكتور صروف عدَّة مقالاتٍ ذات فائدٍة عظيمةٍ في مجلَّة المقتطف الجزء ٥٨ و٥٩".[٥]

وقد تجلَّت العديد من التقارير عن نفاسة المؤلَّفات في ما تضمَّنته الكثير من الإشارات، التي تذكر إشادة العلماء بهذه المتون؛ ففي ما يخصُّ (متن التنبيه) للشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦هـ)،[٦] قال عنه مؤلِّفه في المقدِّمة: "هذا كتاب مختصرٌ، في أصول مذهب الشافعي -رضي الله عنه-. قال عنه الإمام النووي: "من الكتب المشهورات النافعات المباركات المنتشرات الشائعات؛ لأنَّه كتابٌ نفيسٌ حفيلٌ صنَّفه إمام جليل".[٧]

---

١ أسماء الكتب، ٩٨.

٢ أبجد العلوم، ٢٧٣.

٣ راجع الصفحات: ٢٧٨، ٤٥٥، ٥٢١.

٤ راجع: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ٥١، ٨٥، ١٣٤، ١٩٥، ٢٦٧.

٥ معجم المطبوعات العربية والمعربة، ٢/ ٦٦٥.

٦ تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ١٧٢.

٧ تحرير ألفاظ التنبيه، ٢٧، الدليل إلى المتون العلمية، ٤٠٢.

وكما في ذكر (إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي[1])[2] لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشندري الشاوري اليمني الحسيني الشافعي المشهور بشرف الدين بن المقرئ، (ت ٨٣٧هـ)،[3] قال الشوكاني عنه: "وهو كتاب نفيسٌ في فروع الشافعية، رشيق العبارة، حلو الكلام، في غاية الإيجاز مع كثرة المعاني، وشرحه في مجلَّدين. وقد طار في الآفاق، واشتغل به علماءُ الشافعية في الأقطار، وشرحه جماعةٌ منهم".[4]

٣- عناية الباحثين بالمخطوطات النفيسة وأماكن حفظها

تجلَّت العديد من جهود الباحثين والمُحَقِّقين في التعريف بالمخطوطات النفيسة؛ واعتادوا حال نشرها على عنونتها، متضمِّنةً عبارةَ: "مخطوطٌ نفيسٌ"، أو"نفائس المخطوطات.."، مع ذكر مواضع حفظها، بالمكتبات ودور الحفظ أو المتاحف التي تحتفظ بها، وهو نهجٌ جيِّد ومهمٌّ ومفيد جدًّا في هذا الموضوع، مع ذكر أسباب النفاسة فيها ومكانتها وقيمتها في الحقل الذي أُلِّفت فيه في كثيرٍ من الأحيان. ويمكن التعرُّض لهذا الجانب تاريخيًّا.

ولعلَّ من أوائل الجهود بشأن التعريف بنفائس المخطوطات في العصر الحديث، التعريف بذكر (**نفائس الخزانة التيمورية، بمصر**)، وأمَّهات هذه المكتبة الثمينة كثيرة ومعظمها من النفائس، وربَّما وجد فيها من بعض المخطوطات نسختان أو أكثر لكلٍّ منها مزايا، وفيها مجاميعُ كثيرةٌ ذات شأنٍ، منها مجموعة في (طبِّ العيون) نفيسةٌ جدًّا، كُتبت في سنة (٥٩٣هـ) بخطِّ عبد الرحمن بن يونس بن أبي الحسن الأنصاري، وعليها خطوطُ مَن تملَّكها من الأطبَّاء، وفيها ثماني رسائل

١ والمراد بالحاوي هنا كتاب الحاوي الصغير، تأليف نجم الدين عبد الغفَّار بن عبد الكريم بن عبد الغفَّار القزويني (ت ٦٦٥هـ)، رحمه الله تعالى. الدليل إلى المتون العلمية، ٤١٨.

٢ وتوجد منه نسخة محفوظة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحت رقم ج ٧٠.

٣ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٢/ ٣٩٢، بغية الوعاة، ١/ ٤٤٤، البدر الطالع، ١/ ١٤٢، إيضاح المكنون، ٣/ ٤٩.

٤ البدر الطالع، ١/ ١٤٢.

من المؤلَّفات القديمة المفقودة، منها -على سبيل المثال-: (تذكرة الكحَّالين، لعلي بن عيسى الموصلي)، فيها دوائرُ ورسومٌ للعين. ومن نفائس التفسير (بديع القرآن، لابن أبي الأصبع) (ت ٦٥٤هـ)، تكلَّم فيه عن أنواع البديع الواردة في القرآن الكريم.[١]

كما جرى التعرُّض لنفائس المخطوطات بالخزائن العامَّة، منها: (**نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف**)، وفيها عَرَّف الباحثُ بالعديد من نفائس المخطوطات، التي تحتفظ بها هذه الخزانة.[٢] و(خزائن الكتب العربية: من **نفائس الخزانة البارودية الكبرى، في بيروت**)، وفيها: كتاب (النبات والحيوان، للشيخ الرئيس ابن سينا)، نحو (٦٠٠ صفحة)، نُسخ في القرن السابع الهجري، وهو نادرٌ.[٣]

كما اتَّجه الباحثون إلى نشر عناوين المخطوطات النفيسة التي قام على جمعها الأفراد، منها: تحت عنوان: (**من نفائس خزانة الأب بولس سباط الحلبي**)، الذي جمع أكثر من ألف مخطوطٍ عربيّ وسريانيّ؛ منها نحو سبعمائة مجلَّد خطَّت بين القرنين الحادي عشر والسابع عشر للميلاد، والباقي في القرنين الأخيرين ومنها قطع من (الإنجيل) كُتبت بالسريانية على الرَّقّ يرجع عهد نسخها إلى القرن الثاني للميلاد. وفي هذه المجموعة: (ثلاث مقالاتٍ فلسفيةٍ، لأبي الفرج ابن العبري) في علم النفس والحكمة، نُسخت سنة (١٧٧٣م)، و(المقدِّمة الكافية في أصول الجبر والمقابلة، لأبي الحسن علي السلمي)، نسخت سنة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م). و(الكافي في الحساب، لأبي بكر محمَّد بن حسن الكرجي الحاسب)، من علماء القرن الرابع للهجرة، نسخ (٦٠٨هـ). وغيرها ممَّا يمكن مراجعة عناوينه.[٤]

وبمصرَ أيضًا درس أحدُ الباحثين (**مكتبة دير طور سيناء ونفائسها**)، وفي هذه المكتبة نفائسُ أثريَّةٌ عظيمة القيمة من مخطوطاتٍ نادرة الوجود (يونانية وعربية

١ خزائن الكتب العربية: من نفائس الخزانة التيمورية، ٣٣٧ – ٣٤٤.

٢ خزائن الكتب العربية: من نفائس الخزانة الخلدية في القدس الشريف، ٣٦٦ – ٣٦٩.

٣ خزائن الكتب العربية: من نفائس الخزانة البارودية الكبرى في بيروت، ١٣٣ – ١٣٦.

٤ من نفائس خزانة الأب بولس سباط الحلبي، ٣١٩ – ٣٢٣.

وقبطية وحبشية وسريانية)، وفرماناتٍ فاطميةٍ وتركيَّةٍ ثمينةٍ، منها أقدم الفرمانات، فرمان تاريخه يرجع إلى عام (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) منحه الفاطميون بامتيازات للرهبان وحمايتهم من أيِّ اعتداء، ومنه تسلسلت الفرمانات لغاية القرن التاسع عشر بحيث يمكن حصر جملتها إلى المائة، مُنحت من سلاطين مصرَ، وأشهرُها فرمان السلطان قايتباي، وآل عثمان.[١]

وامتدادًا للتعريف بنفائس المخطوطات وذكر مواضعها، ظهرت النفائس المخطوطة في المكتبات والمتاحف ودور حفظ المخطوطات، من ذلك: (**نفائس المخطوطات العربية بطهران**).[٢] و(**نفائس المخطوطات العربية: في المشهد الرضوي**)،[٣] (**نفائس المخطوطات العربية في إيران**)،[٤] و(**نفائس المكتبة النورية بصفاقس**)،[٥] و(**نفائس المخطوطات، بمكتبة متحف دار الجلولي بصفاقس**)،[٦]

وإلى جانب ذلك اهتمَّ الباحثون بـ (**نفائس المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال**).[٧] و(**نفائس خزانة القرويين بفاس**).[٨] و(**نفائس خطِّيَّة من اليمن**)؛ إذ تزخر مدينة صنعاءَ حاضرةُ اليمن بالآثار المخطوطة النفيسة قام أحد المُفَهْرِسين

١ مكتبة دير طور سيناء ونفائسها، ٦٦٨ – ٦٦٩، وانظر أيضًا: الكنوز الخطِّيَّة بدير سانت كاترين بطور سيناء، ٢٨ – ٣٩.

٢ نفائس المخطوطات العربية بطهران، ٤٠٥ - ٤١٧.

٣ والمشهد الرضوي: هو البقعة التي تضمُّ رفات الإمام الثامن من أئمَّة الشيعة الاثنى عشرية، وهو الإمام موسى الرضا، (ت ٢٠٣هـ)، نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي، ٩٠.

٤ نفائس المخطوطات العربية في إيران، ٣ – ٧٨.

٥ منها: قطعة من الجزء الخامس من كتاب المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، المتوفَّى في (٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، شيخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي. نَفائِس المكتبة النورية بصفاقس، ٣٩.

٦ تحتوي على مجموعة صالحة من المخطوطات النفيسة؛ آلت إليها من مكتبة الشيخ علي النوري، والشيخ أبي الحسن الكراي، ومن جملة هذه النفائس كتب نسخت في العصر الحفصي أو أُلِّفت فيه، وتبتدئ بالتعريف بها. منها: قطعة من (الموطَّأ، للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، نسخها محمَّد بن عمر ابن عبد الله اليمني الخرَّاز، في عصر السلطان أبي زكريَّاء الأوَّل يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص. من نفائس المخطوطات، ٤٦ وما بعدها.

٧ نفائس المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال، ١٠٨ – ١١١.

٨ نفائس خزانة القرويين بفاس، ٣٤٥ – ٣٤٩.

بالتعريف بها، وهذه المخطوطات جزءٌ من الكتب المخطوطة التي صادرتها الحكومة من بيوت عائلة آل حميد الدين، حكَّام اليمن قبل الثورة، وكذلك تضمُّ بعض كتب وزرائهم وأعوانهم، وتمثِّل هذه المخطوطات ثمرةَ الفكر اليمني على مرِّ العصور والأيَّام، لأنَّها تتعلَّق باليمن في حضارته وتاريخه وآدابه وعقائده ورجاله وكلِّ ما يمتُّ باليمن من صلة، ومن هذه المخطوطات النفيسة، في الأدب: (الإشارات الكافية في علمي العروض والقافية، لأحمد بن محمَّد الجزَّار الزبيدي، بخطِّ محمَّد ابن يحيى العماد)، و(ديوان البهاء زهير، لزهير بن محمَّد المصري الصالحي، ت ٦٥٦هـ)، نسخةٌ نفيسةٌ جدًّا.[١]

وأرشد الباحثون إلى العديد من المخطوطات النفيسة في دور الكتب العربية، منها: (**دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها**).[٢] و(**نفائس المخطوطات المغربية**).[٣] و(**نفائس من المخطوطات والوثائق في مكتبة أهل الشيخ سيدي ببوتلميت – موريتانيا**)،[٤] (**نفائس المخطوطات في مكتبات فلسطين**)،[٥] و(**من نفائس التراث العربي الإسلامي في فلسطين**).[٦]

وكذلك نُشرت التعريفاتُ بنفائس المخطوطات بشكلٍ عامٍّ تحت (**مخطوطات نفيسة**).[٧]

١ نفائس خطِّيَّة من اليمن، ١٩٨ – ٢٠٤.

٢ دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها، ٤٩ وما بعدها، وقد عدَّه صلاح الدين المنجد أكثر العلماء عناية بالمخطوطات العربية في فلسطين، لمَّا كتب خمس مقالات جيِّدة عن نفائس المخطوطات في مكتبات بيت المقدس، فسدَّ ثغرة كبيرة في هذا الموضوع... فما كتبه واسع مفصَّل، اتَّبع فيه النهج العلمي. المخطوطات العربية في فلسطين، ٥، ٧.

٣ من نفائس المخطوطات المغربية: وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي، لابن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١هـ)، ١٨٤-١٩٧.

٤ نفائس من المخطوطات والوثائق في مكتبة أهل الشيخ سيدي ببوتلميت – موريتانيا، ٦٧ – ٧٩.

٥ نفائس المخطوطات في مكتبات فلسطين، ١٠٧– ١١٦.

٦ من نفائس التراث العربي الإسلامي في فلسطين، نوادر مخطوطات الجامع العمري في مدينة غزة، يونيو ٢٠٠٥م.

٧ منها: كتاب تكملة القاموس، للزبيدي، وكتاب تهذيب الأسماء والأفعال، لأبي القاسم بن القطاع، مخطوطات نفيسة، ٥٥ – ٥٦.

وشملت مسألة النفاسة التعريف بالكتب النفيسة في دراساتٍ خاصَّةٍ بها، منها دراسة بعنوان: (**ابن بدر وكتابه النفيس**)، ويقصد به كتاب (اختصار الجبر والمقابلة، لابن بدر الإشبيلي)، عاش في القرن السادس الهجري، والكتاب منسوخٌ عن مخطوطةٍ نسَخَها عبد الصمد بن سعد بن عبدالصمد من فاس عن مخطوطةٍ قديمة، وفيه يتبيَّن فضل المؤلِّف على الجبر وسعة اطِّلاعه فيه، حيث صاغ قوانينه وأصوله في لغةٍ بليغةٍ وأسلوبٍ أخّاذ، وهو يمثِّل أثرًا من الآثار الخالدة التي تركها العرب للأجيال، كانت من أهمِّ عوامل تقدُّم الرياضيَّات العالية وسائر العلوم الطبيعية التي قامت عليها الأعمال الهندسية الكبرى والنهضة الصناعية الحديثة.[١]

كما عرَّف الباحثون بالمجاميع الخطِّيَّة النفيسة بمكتبات المتاحف العربية، منها: (**مجموع خطِّي نفيس في الكيمياء**، محفوظٌ بمكتبة المتحف العراقي ببغداد، تحت رقم ٢٠٣)؛ يتضمَّن مؤلَّفاتٍ في صنعة الكيمياء، ويبلغ عدد أقسامه خمسة وعشرين، معظمها رسائل، منها: رسالة بعنوان (قمر الأقمار في كنز الأسرار في الحكمة الإلهية والصنعة الإلهية)، مؤلِّفه الشيخ الإمام شمس الدين العجمي، ذكر في أوَّله: وهو أنفس الكتب فائدةً ونفعًا وأصدقها قولًا وأوجزها عبارةً وأظهرها بيانًا وأصغرها حجمًا في هذا الفنِّ.[٢]

ومن ذلك دراسة بعنوان: (**مخطوط فريد ونفيس عن مراتب النحويين**)، من تأليف: أبي حامد أحمد بن محمَّد بن شيبان الترمذي، أوفر أئمَّة العربية علمًا وأغزرهم نحوًا، وهذه الرسالة، قال عنها محقِّقها: "هذه الرسالة تقع في خمس أوراقٍ، كتب نسختها الفريدةَ الشيخُ علي بن محمَّد رضا كاشف الغطاء، (ت ١٢١١هـ)، وهي تقدِّم إلى علم طبقات النحويين مسألتين جديدتين كلَّ الجدَّة: الأولى: أنَّها أقدم مؤلَّفٍ في هذا الموضوع؛ فهو من القرن الثالث الهجري، وأقدم ما وصل إلينا من كتب في هذا الموضوع يعود إلى القرن الرابع الهجري، والثانية: أنَّها أوَّل كتابٍ كوفيٍّ في هذا الموضوع نعثر عليه. وهاتان الميّزتان وحدهما كافيتان لوضع هذه الرسالة في مكانها

١ ابن بدر وكتابه النفيس، ٤٤٦– ٤٤٨.

٢ مجموع خطِّي نفيس في الكيماء، ٣٠٥ – ٣١٩، ومن الدراسات التي تناولت نفائس مخطوطات النجف: التحف من مخْطُوطات النجف، ٣ – ٤٩.

الصحيح لسدِّ ثغرةٍ في تاريخ النحو والنحاة، أضف إلى ذلك هذه الطائفة الصالحة من النحاة الذين نعرفهم لأوَّل مرَّةٍ في هذه الرسالة".[١]

وتجلَّت نفاسةُ المخطوط في تناول قيمته العلمية في الحقل الذي ينتمي إليه، ومن ذلك كتب النوازل الفقهية، ومنها: (**كتاب تذييل المعيار**)، وهو من النفائس في مجال النوازل، قام بتأليفه أحد علماء مدينة طرابلس الغرب، وهو في الفتوى على مذهب الإمام مالكٍ رحمه الله، وله فائدةٌ يضفيها على المكتبة الإسلامية. وقد ربط المؤلِّف كتابه بكتاب (المعيار المُعرِب والجامع المغرِب من فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب)، والمعروف اختصارًا باسم المعيار، ولعلَّه قصد بهذه التسمية أن يستدرك عليه زمنيًّا بفتاوى أهل إفريقية بمن جاء بعد عصره، وكتاب المعيار من تأليف أبي عبد الله أحمد بن يحيى الونشريسي، وهو من كبار العلماء في الغرب الإسلامي، ولد نحو (٨٣٤هـ/ ١٤١٣م)، ونشأ في تلمسان، وتلقَّى العلم على فقهاء المغرب الأوسط، وبعد بلوغه سنَّ الأربعين انتقل إلى فاس، وأخذ على بعض علمائها، ثمَّ تولَّى التدريس بها، وألَّف مجموعةً من الكتب المهمَّة؛ من أشهرها كتاب المعيار، وتوفِّي في فاس سنة (٩١٤هـ). وقد سار مؤلِّف كتاب تذييل المعيار على المنهج الذي وضعه الشيخ الونشريسي في تأليف كتاب المعيار، ومن ثمَّ قام بجمع مادَّة الكتاب من فتاوى علماء المالكية المعاصرين له أو التالين لعصر الونشريسي، ولم ينقل عن المعيار أيَّ مسألةٍ إلَّا إذا وردت ضمن إجابة أحد شيوخ الفتوى، وهو نقلٌ استلزمه نقل الفتوى بكاملها.[٢]

وهنالك نفائس المخطوطات العربية بأوروبا، وخاصَّةً في (**مكتبة جامعة أوبسالا، السويد**)، إحدى أقدم الجامعات في أوروبا، فبها مخطوطاتٌ عدَّةٌ عن عادات وتقاليد الشعوب وفي الفلسفة والطبِّ، ولا تخلو المجموعة من نسخٍ نفيسةٍ لمخطوطات الكتب الشهيرة في الفنِّ والأدب والتاريخ مذهَّبةً أو مقروءة مع سماعاتٍ وتملُّكاتٍ أو توقيعاتٍ نادرة، وهي قِطَعٌ ذبلت عيونُ الخطَّاطين والمذهِّبين في كتابتها وتزويقها؛

١ مخطوط فريد ونفيس عن مراتب النحويين، ١٣٧ – ١٤٤.

٢ من نفائس المخطوطات الليبية: كتاب تذييل المعيار، للشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري: ١٠٥٨ – ١١٣٩هـ/١٦٤٨ – ١٧٢٦م، ١٣٤، ١٣٧.

حيث كانت تُكتب للملوك والأمراء ثمَّ ذهب الكاتب ومن كُتبت له، وبقيت الكتب آثارًا شاهدةً على عظمة حضارتنا.[١]

٤- فَحْص المخطوط النفيس

يتطلَّب اقتناء المخطوطات بشكل عامٍّ، والنفيسة منها بشكل خاصٍّ، القيامَ بفهرستها، وتصنيفها، وصيانتها، وتجليدِها، وتصويرِها، وغيرِ ذلك من الأمور؛ التي تتطلَّب: إيجاد مفهرسين أكْفاء، مؤهَّلين بثقافةٍ عاليةٍ، وخبرةٍ، وممارسةٍ طويلة مع المخطوطات، وأماكنَ مناسبةٍ لحفظها، مزوَّدةً بخزائن خاصَّةٍ، في جوٍّ معتدل، ودرجةِ رطوبةٍ مناسبة، وقسمًا خاصًّا بترميم المخطوطات، ومعالجة آثار التمزُّق، والأرضة، والرطوبة، والبقع، والأوساخ العالقة ببعض المخطوطات، بالإضافة إلى اقتناء الأجهزة الخاصَّة بالتبخير، وقتل الحشرات، وإزالة الأحماض، وغير ذلك من الأدوات المستعملة في ترميم المخطوطات وصيانتها، والقيام بتجليد المخطوطات.

ويجب أن يكون هنالك مختصٌّ مؤهَّلٌ للقيام بفَحْص المخطوطات النفيسة، لكي يوفِّر الكثير من الوقت والجهد، فيقوم بالآتي:

١- يقوم الفاحص بتصفُّح أوراق المخطوطة، صفحةً صفحةً،[٢] فقد تقع بين يديه مخطوطةٌ يظنُّها للوهلة الأولى أنَّها ناقصة من أوَّلها، أو آخرها. وبعد الفَحْص، يكتشف أنَّ المخطوطة كاملةٌ؛ ولكن تعرَّضت كراريسُها، وأوراقُها للتقديم والتأخير، وتمَّ تجليدها دون انتباه المجلِّد.

٢- معرفة نوع الخطِّ الذي كُتبت به المخطوطة النفيسة، وهل كتبت بخطِّ ناسخٍ واحدٍ، أم أنَّ هناك أكثر من ناسخٍ شارك في نسخ المخطوطة؟

٣- التأكُّد من نوع الحبر المستعمل في نسخ المخطوطة النفيسة.

---

١ نفائس المخطوطات العربية، شاهدة على عظمة الحضارة العربية، ٥٤ – ٥٧.

٢ تجارة المخطوطات، ١٤٨ - ١٤٩.

٤- معرفة ما إذا كانت المخطوطة النفيسةُ عبارة عن كتابٍ واحد، أو أنَّ المخطوطة مجموعٌ يحتوي على أكثرَ من كتابٍ، أو رسالة.

٥- التأكُّد من نوع الورق في المخطوط النفيس؛ إذ إنَّ بعض المخطوطات فقدت أوراقها الأولى، أو الأخيرة، أو في الوسط، وجرى إكمال النقص على نوعٍ آخرَ من الورق، وفي وقتٍ متأخِّرٍ عن تاريخ نسخ الأصل.

٦- التأكُّد من سلامة المحتوى العلمي، والورق، من العوامل الطبيعية والبشرية المؤثِّرة، مثل: الرطوبة، والحرارة، والأَرَضَة، والتمزُّق، والتحجُّر، وغيرِ ذلك من العوامل التي قد تؤثِّر في صحَّة النصِّ وسلامته.

٧- اكتشاف تقييدات العلماء التي قد ترد في بعض المخطوطات، والبياناتِ التوثيقية، كالمقابلات، والتصحيحات، والمطالعات، والقراءات، والسماعات، والإجازات. ولا شكَّ أنَّ مثلَ هذه البيانات ذاتُ دلالةٍ وأهمِّيَّة.

٨- فَحْص الزخارف والتذهيب،[١] والجداول، والرسومات، وأشكالِ الزخرفة، والزينة الهندسية والنباتية، والزهرية، وغيرِ ذلك من الأشكال الزخرفية، الموجودة في بعض المخطوطات. ويقصد بالزخارف والحليات الجمالية، تلك الأشكالُ الهندسية والنباتية والكتابية التي تُحَلَّى بها المخطوطات وتنمَّق؛ فتكون بذلك متعةً للنظر قبل الفكر، وقد استطاع الفنَّان المسلم أن يُظهر عبقريَّته في مجال الفنِّ الكتابي والزخرفي.[٢] وذلك بقصد إضفاءٍ على المخطوطات العربية الإسلامية ناحيةً جماليَّة معبِّرةً ليس لها علاقةٌ بموضوع المخطوطة.[٣]

٩- خطوط العلماء وتعليقاتهم.

١٠- الجذاذات التي تَرِدُ في بعض المخطوطات والتي تحمل الشروح، والتعليقات، والحواشي، على المخطوطات الموجودة بها، والتي منها ما هو مثبتٌ

١ راجع دراسة: تذهيب الكتب في التراث العربي الخالد وتجليدها وزخرفتها، ٧٤ – ٧٧.

٢ بحوث ومقالات في الخطِّ العربي، ٢٣٣.

٣ في المخطوطات العربية، ٥٣.

بين أوراق المخطوطات، ومنها ما وُضع هكذا، ربَّما في مكانها الصحيح، أو أنَّها في مكانٍ ليس له صلةٌ، أو علاقةٌ بينها وبين النصِّ الموجود.

١١- التأكُّد من صحَّة العنوان، واسم المؤلِّف، ومكان النسخ، واسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

١٢- متابعة تسلسل الأبواب، والفصول، والمباحث، والمطالب، والتأكُّدُ من عدم وجود تقديمٍ، أو تأخيرٍ فيها.

١٣- اكتشاف أماكن النقص، أو البتر، أو السقط، أو التمزُّقِ الذي يقع في بعض المخطوطات النفيسة.

١٤- التأكُّد من جلود المخطوطات النفيسة، وهل تناسب تاريخَ نسخِها؟ أم أنَّها جُلِّدت بجلودٍ أحدث.

١٥- التأكُّد من سلامة أوراق المخطوطة، وعدم التصاق بعضها البعض؛ نتيجة مؤثِّراتٍ طبيعيةٍ، كالرطوبة، والحرارة، والأرضة، وخلاف ذلك. وكذلك التأكُّد من سلامة المخطوطة من تأثير العوامل البشرية؛ كالتمزيق، والطمس، والشطب، وخلاف ذلك.

١٦- التأكُّد من نوعيَّةِ الأحبار المستعملة في كتابة النصِّ وألوانها.

١٧- الاستفادة من الحواشي، والتعليقات، والتقييدات التي تدوَّن في بداية المخطوطات ونهاياتها؛ لأنَّه قد يوجد فيها من تواقيع المصنِّفين، وتقييداتهم ما فيه من فوائدَ جليلةٍ.[١]

فمن خلال ما عرضنا، تبدو ضرورة قيام خبير المخطوطات بفَحْص المخطوطات بدقَّةٍ، وتوثيقِ صحَّة المعلومات التي ترد في صفحات العناوين، ومقدِّماتها، وخواتيمها، وألَّا يركن إلى ما يرد عليها من عناوين، وأسماء مؤلِّفين، فلا بدَّ من الرجوع إلى المصادر، وكتب التراجم، والببليوجرافيات المعنيَّة بالتراث العربي

١ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ١٧٦ - ١٧٧.

الإسلامي المخطوط.

وهنالك العديد من الصفات التي ينبغي أن تتوفَّر في خبير المخطوطات الذي يقوم بحفص الكتب النفيسة، وتقييمها، وتحديد قيمتها، ومن هذه الصفات: الصبر والجلد وسعة الصدر: فالصبر مطلوبٌ إلى جانب حبِّ التراث والرغبة في التعامل معه؛ لتحمُّل مشاقِّ البحث في المخطوطات، لتوثيق صحَّة المعلومات التي ترد فيها عن طريق البحث، والتنقيب في المصادر، وكتب التراجم والمراجع المختلفة، وهذا يتطلَّب كثيرًا من بذل الجهد والوقت. فكم من مخطوطةٍ وصلت إلينا دون صفحات عناوينها، نتيجةً لتمزُّقٍ أصابَها، أو لعدم وجود إشاراتٍ تدلُّ على عنوانها، أو اسمِ مؤلِّفها، فيُمضي مقيِّم المخطوطات الساعات الطوال في سبيل الوصول إلى عنوانها، أو اسم مؤلِّفها، أو تاريخِ نسخها. وهذا يستدعي منه أن يكون لديه ذاكرةٌ قويَّةٌ تعينه على تذكُّر عناوين المخطوطات التي سبق أن مرَّت عليه من قبل، وما هو المطبوع منها، أو المنشور، أو المحقَّق.

كما يجب أن يمتلك الفاحص للمخطوطات النفيسة أو غيرها الفطنةَ والنباهةَ الشديدة عند اطِّلاعه على المخطوطات حتَّى يتأكَّد من عدم تعرُّضها للتغيير والتبديل أو التحريب والتصحيف، أو المحو أو الكشط أو الإضافة وغير ذلك من الأمور التي تهدف إلى قلب الحقائق وبخاصَّةٍ صفحات العناوين والمقدِّمات والخواتيم، إذ إنَّ "نباهة المُفَهْرِس وفطنتَه، إضافةً إلى سعة اطِّلاعه وعلمه من أهمِّ الصفات والميِّزات التي يفترض أن تكون فيه، فقد يحدث أن تقع في يده مخطوطةٌ تحمل عنوانًا مزوَّرًا أو مؤلِّفًا ملَّفقًا أو لا عنوان لها؛ بَيْدَ أنَّها منسوبةٌ إلى مؤلِّفٍ معيَّن، أو أخرى لا عنوان لها ولا مؤلِّف، أو أخرى سقطت أوراقٌ من آخرها، أو أخرى لا أوَّل لها ولا آخر، أو ورقةٌ واحدة من مخطوطة، أو بعض أوراقٍ من أخرى، أو مخطوطةٌ تحتوي على حواشٍ كثيرةٍ قد تكون رسائلَ برمَّتها في شرح أو تفسير ما فيها".[١]

ولحفظ هذه النوادر والنفائس من المخطوطات وصيانتها والتعريف بها وتيسيرها

١ علم الاكْتِناه العربي الإسلامي، ١٤٥ - ١٤٦، تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ١٩٣.

لجمهور الباحثين، تُستخدَم التقنيَّات الحديثةُ في تحويل النسخ الأصلية إلى نسخ رقميَّةٍ يطلُّ عليها الباحثون من خلال شاشات العرض بالحاسبات الآلية. ومن نماذج ذلك ما نُقل من مخطُوطات نَّادِرَة ونفِيسة إلى المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية بالقاهرة؛ من (٢٢ مكتبة) من مكتبات ومساجد القاهرة والإسكندرية وطنطا ودمياط ورشيد والفيُّوم، وفي مقدِّمتها مكتبة مسجد الإمام الحسين –رضي الله عنه– (١٩١ مخطوطًا)، ومكتبة مسجد السيِّدة زينب –رضي الله عنها– (٨٠ مخطوطًا)، ومكتبة مسجد سيد أحمد الدرديري بالغورية (٤٤٨ مخطوطًا)، ومكتبة مسجد المرسي أبو العبَّاس بالإسكندرية (١٧٨٠ مخطوطًا)، ومن مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا (١٥٦٧ مخطوطًا)، وقد بلغ مجموع ما نقل حتَّى عام ٢٠١٠م (٦٠٠٠ مخطوط).[١]

٥- كشف تزوير نفاسة المخطوط

ويجب كشف المخطوطة النفيسة المزوَّرة والحذرُ من تجَّار المخطوطات، الذين يبالغون في وصف المخطوطات بالنفيسة لبيان أهمِّيَّتها وقيمتها، بل إنَّ بعضهم قد يلجأ إلى التزييف والتزوير، والانتحال،[٢] في سبيل وصف المخطوط بالنفاسة، ومن ذلك:

أوَّلًا: وصف المخطوطات بأنَّها نفيسةٌ، بكتابة معلومات مضلِّلةٍ وغير دقيقةٍ عنها؛ إذ يقوم بعضهم بإعداد قوائمَ، فيها وصفٌ مفصَّل للمخطوطات المعروضة، ثمَّ يقوم بتقديم تلك القوائم لبعض الجهات المهتمَّة بشراء المخطوطات. وعند قراءة المعلومات الوصفيَّة عن المجموعة المعروفة، يجد العبارات التي تشير إلى نفاسة المخطوطة وندرتها، أو أنَّها غيرُ مطبوعةٍ، وغيرُ محقَّقة، وغير منشورةٍ. وفي بعض الأحيان، يجد أنَّها الوحيدةَ في العالم.. وهكذا. وممَّا يؤسف له أنَّ بعض الجهات التي ليس لديها خبراء بالمخطوطات تنخدع بهذه المعلومات، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض الأفراد الذين يُعنون بشراء المخطوطات.

١ آلاف المخطوطات الأصلية النادرة في مكتبة المخطوطات الإسلامية بالقاهرة، ٨٠- ٨١.

٢ ومن الدراسات القيِّمة في هذا الباب، دراسة التزوير والانتحال في المخطوطات العربية، ٢٠٦، من تزييف النسَّاخ: شرح ابن مالك لألفية ابن معطي، ٥١٨ – ٥٢٥.

ثانيًا: المبالغة في تثمين المخطوطات؛ فبعض تجّار المخطوطات يلجأ إلى وضع سعرٍ لكلِّ مخطوطٍ يعرض للبيع، وبعضهم يضع سعرًا إجماليًّا لكامل المجموعة المعروضة؛ وقد تصل هذه التقديراتُ إلى أضعاف أضعاف الثمن الحقيقي لها. وهذا الأسلوب يهدف بطبيعة الحال إلى التأثير على الجهة المقيّمة للمخطوطات المعروضة.

ثالثًا: ومن الحيل الأخرى لجعل المخطوطة نفيسةً إضافةُ تملُّكٍ، أو وقفٍ، في بداية المخطوطة، أو نهايتها، باسم جَدِّ أو اسم عائلة الشخص الذي يريد بيع المخطوطة عليه؛ وذلك بخطٍّ مشابه لخطِّ المخطوطة، وحبر يناسب الحبر المستعمل في المخطوطة؛ لتنال حظوةً عند المشتري، خصوصًا إذا كان هذا المشتري صاحبَ منصبٍ أو جاهٍ. بل إنَّ بعضهم يضيف أسماء مدنٍ، أو قرًى في بداية المخطوطة، أو نهايتها، لتناسب الدولة المراد بيع المخطوطة فيها.

رابعًا: وليؤكِّد النفاسة المزوَّرة للمخطوطة يستغلُّ خواتيمَ بعض المخطوطات الخالية من بيانات النسخ، ومن ثَمَّ القيام بوضع أسماء بعض العلماء المشهورين على أنَّهم نُسَّاخٌ لها، ووضعِ تواريخ نسخٍ تتناسب مع تواريخ حياتهم، بخطٍّ وحبرٍ مشابهين للأصل، ليوهم المشتري بذلك، ويشجِّعه على الشراء. كما قد توضع جلودٌ قديمةٌ لمخطوطاتٍ منسوخةٍ حديثًا، أو جلودٌ مزخرفةٌ لمخطوطاتٍ فقدت جلودها الأصلية. فضلًا عن قيام البعض من التجّار المزوِّرين بتعتيق أوراق المخطوطات، وإظهارها بمظهر القِدَم عن طريق إضافة موادَّ معيَّنةٍ للمخطوطات، وتعريضها للحرارة.[١]

خامسًا: ويلجأ البعض من تجَّار المخطوطات المزوَّرة ليؤكِّدوا نفاسة المخطوط إلى إضافة كرَّاسةٍ في بداية المخطوطة، تحمل في أوَّلها اسم مؤلِّفٍ لا يمتُّ بأيَّة صلةٍ للمخطوطة المعروضة وعنوانها، وبيعها على أنَّها المخطوطةُ المعنونةُ في صفحة العنوان. ويتلاعب في تاريخ نسخ المخطوطة بمسحه، وإثبات غيره بخطٍّ وحبرٍ مقاربين للأصل، أو وضعِ تواريخَ قديمةٍ لمخطوطات غير مؤرَّخةٍ، لإظهار

١ راجع: أشكال التزوير في المخطوطات: دراسة نظرية مع نماذج من مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، لفراج عطا سالم، ١٦٥ – ٢٠١.

قيمتها، ورفع سعرها. ويضع بعض التجَّار أحيانًا كرَّاسةً في نهاية المخطوطة لا صلة لها بمحتوى الكتاب؛ ولكنَّها تتوافق مع الخطِّ والحبر والحجم. والقصد من ذلك، التضليل بأنَّ المخطوطة نفيسةٌ؛ لأنَّ نهاية هذه الكرَّاسة تحتوي على اسم ناسخٍ مشهور، أو تاريخٍ قديم، أو عنوان كتابٍ مهمٍّ، واسم مؤلِّف، خاصَّةً لمخطوطةٍ ناقصة من أوَّلها، أو مخطوطةٍ لم يُذكر عنوانها واسم مؤلِّفها في صفحة العنوان أو المقدِّمة.

وقد تظهر مخطوطةٌ نفيسةٌ مزوَّرةً تزويرًا كاملًا، ومزيَّفة من أوَّلها إلى آخرها؛ وهذا يعدُّ من أخطر أنواع التزوير، وغالبًا ما يحدث ذلك في المخطوطات النادرة، والفريدة؛[1] إذ يتمُّ اختيار العنوان المناسب، واسم مؤلِّف مشهور، وتاريخٌ للتأليف، وآخر للنسخ في الحقبة التي عاش فيها المؤلِّف مع اختيار نوع الخطِّ الذي يتناسب مع تلك الفترة المذكورة، وكذلك تعتيق الورق ليناسب أيضًا التاريخ المشار إليه في المخطوط المزوَّر، من أجل الحصول على مبالغَ طائلةٍ.[2]

وفي **الختام**، نرجو أن نكون قد وفِّقنا، في تقديم تفصيلٍ مفيدٍ وخاصٍّ عن المخطوطة النفيسة في التراث العربي الإسلامي، وأن نكون قد استطعنا إيضاح مفهومِها، وخصائصها.

١ النسخة الفريدة، هي النسخة الوحيدة المتبقِّية، تقاليد المخطوط العربي، ٢٩٨. أو هي: المخطوط الذي لا توجد منه نسخ أخرى في الخزانات. الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، ٩٨.

٢ تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها، ١٤٨ – ١٤٩.

الملاحق (١٤ ملحق)

نماذج من المخطوطات النفيسة



(ملحق: ١) مخطوطة نفيسة: تعدُّ أقدم مخطوطة محفوظة بمجموعة مكتبة بلدية الإسكندرية، وهي من ثَمَّ من أقدم المخطوطات العربية فى العالم، وهي جزءٌ من تفسير القرآن الذى أملاه أبو إسحاق بن إبراهيم المعروف بالبُستي. كتبت سنة ٣٦٨هـ، بخطِّ خلف بن حكيم، وتقع في ٢٣٣ ورقة، وعدد الأسطر بها ٢١ سطرًا، ومقاساتها ٢٥×١٥,٥سم؛ وهى محفوظة تحت رقم ٨٣٦/ ب حديث ومسلسل ٢٥ حديث.



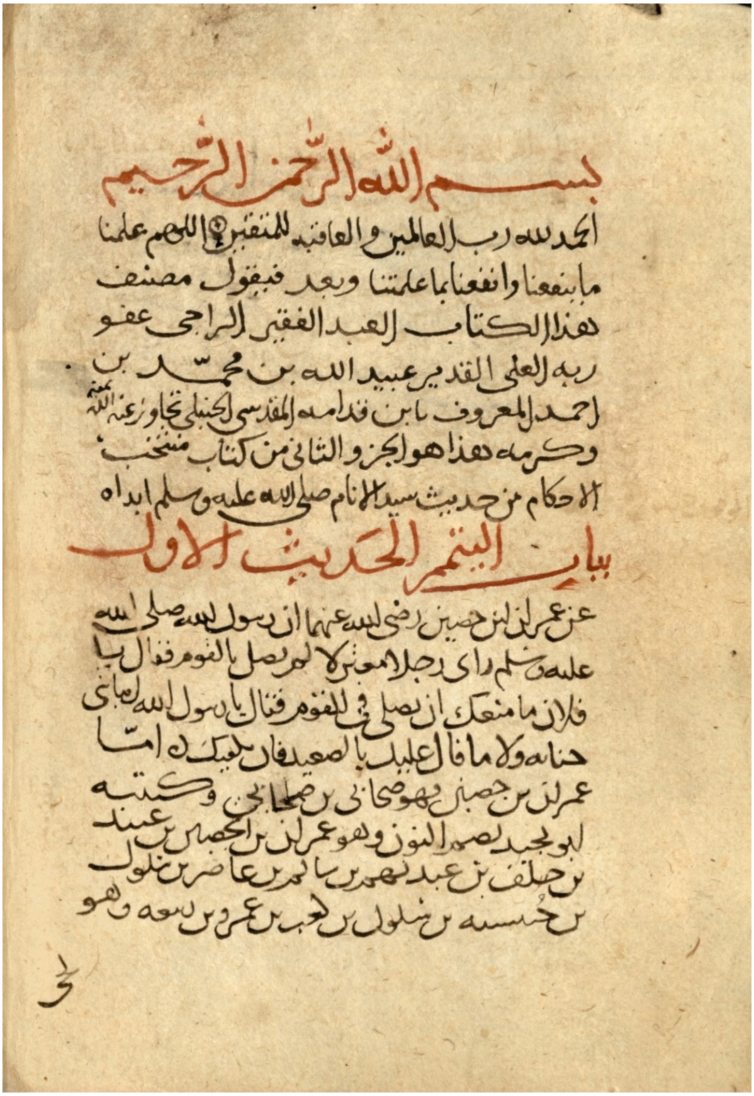
(ملحق: ٢) مخطوطة نفيسة، تمثِّل المصحف الوحيد في العالم بخطِّ ابن البَوَّاب (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) في بغداد سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)، محفوظةٌ في مكتبة "تشيستر بيتي" فى دبلن بأيرلندا، مزخرفةٌ زخرفةً رائعة لا تقلُّ جمالًا عن خطِّه، وهي من عمل ابن البَوَّاب نفسِه.



(ملحق: ٣) نسخة خطِّيَّة نفيسةٌ من الجزء الثاني، من (الأسامي والكنى)، لأبي أحمد محمَّد بن محمَّد بن أحمد الحاكم النيسابوري، الكرابيس (ت ٣٧٨هـ)، من رواية أبي سعيد محمَّد بن علي بن عمرو بن مهدي النقاش الأصبهاني (ت ٤١٤هـ). عليها سماعاتٌ لأئمَّةٍ كبارٍ مثل أبي بكر محمَّد بن أبي نصر اللفتواني (ت ٥٣٣هـ). تاريخ نسخها (٤١٣هـ)، محفوظةٌ بمكتبة السليمية بأدرنة بتركيا، تحت رقم (٣١٩/ ٦)، في (١١ لوحة)، ضمن مجموع. فهرس المخطوطات المصوَّرة، (معهد المخطوطات العربية، جزء تاريخ: ٢٥/ ١، ٢٥/ ٢)، ص ١٢.



(ملحق: ٤) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (رواية الجُلُودي) = صحيح مسلم. يوجد بدار المخطوطات الإسلامية بالجامعة القاسمية نسخةٌ نفيسة من هذا الكتاب (برقم حفظ: ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢). مجلَّد - بدون لسان - تجليد أحمر، تتوسَّطه ميداليةٌ ذات زخرفةٍ نباتيةٍ تحيط بها زخارف نباتيةٌ في الحواف - بحواشي (شروح، هوامش).


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين اللهم علمنا
ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وبعد فيقول مصنف
هذا الكتاب العبد الفقير الراجي عفو
ربه العلي القدير عبيد الله بن محمد بن
احمد المعروف بابن قدامه المقدسي الحنبلي تجاوز الله عنه
وكرمه هذا هو الجزو الثاني من كتاب منتخب
الاحكام من حديث سيد الانام صلى الله عليه وسلم ابداه
باب التيمم الحديث الاول
عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم راى رجلا معتزلا لم يصل بالقوم فقال يا
فلان ما منعك ان تصلي في القوم فقال يا رسول الله اصابتني
جنابة ولا ما قال عليك بالصعيد فانه يكفيك اما
عمران بن حصين فهو صحابي ابن صحابي وكنيته
ابو نجيد بضم النون وهو عمران بن الحصين بن عبيد
بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول
بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو

(ملحق: ٥) منتخب الأحكام من حديث سيِّد الأنام (ج٢) لعبيدالله بن محمَّد بن أحمد، ابن قدامة، المقدسي، الحنبلي، شمس الدين المتوفَّى سنة ٦٨٤هـ. مخطوطة وحيدةٌ لا تُعرف للكتاب نسخةٌ أخرى في فهارس المخطوطات الإلكترونية أو المطبوعة العربية والأجنبية، محفوظة بدار المخطوطات الإسلامية بالجامعة القاسمية، تحت رقم (٧٩٧/ مفرد). عدد الأوراق: ٤٤ ورقة. مجلَّد - بدون لسان - تجليد بني، تتوسَّطه دائرةٌ ذاتُ زخارفَ هندسيةٍ، بها تعقيبة.



(ملحق: ٦) نسخة نفيسةٌ من كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل للمؤلِّف بديع الزمان أبي العزِّ إسماعيل بن الرزاز الجزري (نحو ٦٠٠هـ/ ١٢٠٠م) تُعَدُّ أجمل وأشمل ما وصل إلينا من تراث التكنولوجيا العربية الإسلامية؛ ينطلق المؤلِّف من المبدأين الأساسيين للتكنولوجيا، من العلم والعمل، أي من النظرية والتجربة. النسخة مهداة من فؤاد سزكين (تركيا). تاريخ النسخ (٨٦٣هـ)، عدد الأوراق (٢٥٦). فهرس المخطوطات المصوَّرة، (معهد المخطوطات العربية، الجزء: الرابع، قسم: معارف عامَّة)، ص ١٧٣.



(ملحق: ٧) نسخةٌ نفيسةٌ ملوَّنة: المجلَّد الثاني من كتاب (مناقب الأئمَّة، ونقض المطاعن على سلف الأمَّة)، للقاضي أبي بكر، محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن جعفر ابن القاسم الباقِلَّاني المالكي، (٣٣٨-٤٠٣هـ/٩٥٠-١٠١٣م)، محفوظةٌ بالمكتبة الظاهرية، دمشق، تحت رقم (٣٤٣١)، (٢٣٥ صفحة)، تاريخ نسخها (٦٩٤هـ).



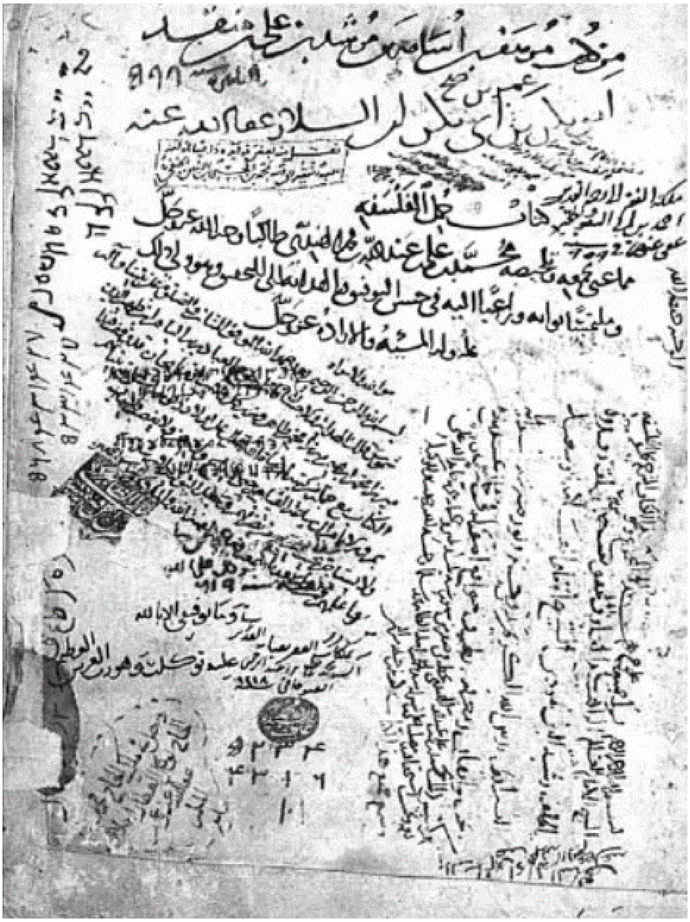
(ملحق: ٨) نسخةٌ نفيسةٌ ملوَّنةٌ ونادرة من (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت ٣٩٣هـ)، الناسخ: ابن الحُطيْئة (٤٧٨–٥٦٠هـ)، مخطوطات مراد الملا، بتركيا (MURADMOLLA1771:1775)، تاريخ نسخها: ٥٢٦هـ. وهذه النسخة تملَّكها الإمام النحوي أبو عمرو عثمان بن علي ابن عمر الصقلِّي، المتوفَّى بعد سنة (٥٧٦هـ)، وعليها حواشٍ جليلة بخطِّه نبَّه عليها أسفل العنوان، وهي أيضًا مقروءةٌ على حجَّة العربي أبي اليُمْن، سنة (٥٨١هـ)، وعليها خطُّه بذلك عدَّة مرَّات. وعليها أيضًا سماعاتٌ وخطوطٌ لجماعة من جلَّة الأدباء والعلماء.



(ملحق: ٩) نسخةٌ نفيسةٌ نادرةٌ من (منهاج الطالبين وعمدة المفتين)، للإمام أبي زكريَّا محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، محفوظة بجامعة برنستون، تحت رقم (Garrett no.1388Y)، في (٢٦٠ ورقة). وهي بخطٍّ نسخي جميل ومزخرفة، منقولةٌ عن نسخة مقروءةٍ على المؤلِّف، وعليها خطُّه، سنة النسخ (٧٣٦هـ).



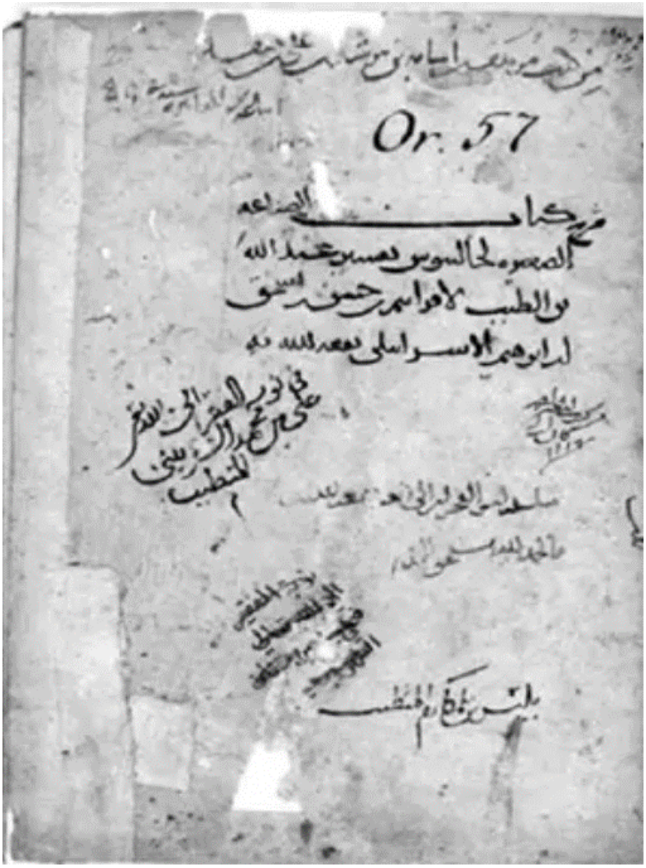
(ملحق: ١٠) نسخة نفيسةٌ بخطِّ المؤلِّف من (التذكرة؛ بمعرفة رجال الكتب العشرة). لأبي المحاسن، شمس الدين، محمَّد بن علي الحسيني الدمشقي (ت ٧٦٥هـ)، محفوظةٌ بمكتبة كوبريللي، إستانبول، تركيا، تحت رقم (٢٦٣)، (٢٩٤ صفحة)، تاريخ نسخها (٧٦٤هـ).



(ملحق: ١١) نسخةٌ نفيسةٌ من (جُمَل الفلسفة)، بخطِّ مؤلِّفها محمَّد بن علي بن عبد الله بن محمَّد الهندي (ت بعد ٥٣٣هـ)، محفوظةٌ بمكتبة أسعد أفندي الملحقة بالمكتبة السليمانية، تحت رقم (١٩١٨). ولعلَّ من مظاهر نفاستها بالإضافة إلى أنَّها مكتوبة بخطِّ المؤلِّف سنة ٥٢٩هـ، وعلى ظهريَّتها قيد قراءةٍ للكتاب على المؤلِّف مؤرَّخة في صفر سنة ٥٣٣هـ، أنَّ عددًا وافرًا من العلماء والأدباء قد أثبتوا تملُّكهم لها ومطالعتهم على ظهريَّتها. أحمد عبد الباسط: "مكتبة مرهف بن أسامة بن منقذ من خلال خوارج النصوص: إرث أيُّوبي تبدَّد في العصر المملوكي"، (مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رمضان ١٤٤٢هـ/مايو ٢٠٢١م، ج١، مج٦٥)، ص ١٩٥ - ١٩٦.



(ملحق: ١٢) نسخةٌ نفيسةٌ من معجم (مجمل اللغة)، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريًا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ). ولعلَّ مظهرًا رئيسًا من مظاهر نفاستها، هو أنَّ كاتبها ومالكها الأوَّل هو محمَّد بن المبارك بن محمَّد، المعروف بابن ميمون البغدادي (ت بعد ٥٨٩هـ)، صاحب (منتهى الطلب من أشعار العرب). وتحتفظ بهذه النسخة مكتبة جامعة ليدن الهولندية، تحت رقم (OR 2390). لمزيد من التفصيل حول هذه النسخة، راجع: مختار الدين أحمد: نسخة تاريخية لمجمل اللغة لابن فارس، (مجلَّة المجمع الهندي، ج١/ مج١/ يونيو ١٩٧٦م)، ص ١٤٨ – ١٥٥. أحمد عبد الباسط: "مكتبة مرهف بن أسامة بن منقذ من خلال خوارج النصوص: إرث أيُّوبي تبدَّد في العصر المملوكي"، (مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رمضان ١٤٤٢هـ/ مايو ٢٠٢١م، ج١، مج٦٥)، ص ١٨٦.



(ملحق: ١٣) نسخةٌ نفيسةٌ من كتاب (شرح كتاب الصناعة الصغيرة، لجالينوس)، تأليف أبي الفرج عبد الله بن الطيِّب (ت ٤٣٥هـ)، أحد أطبَّاء بغداد وفلاسفتها المشهورين، كتبها حسن بن محمَّد الفلسطيني في الثاني عشر من ذي الحجَّة سنة ٤٤٨هـ. يظهر عليها تملُّك مرهف بن أسامة بن منقذ للنسخة. في أعلى صفحة العنوان، ابتاعه من القاهرة سنة ٥٩٤هـ، ونسخته النفيسة محفوظة بمكتبة المتحف البريطاني، تحت رقم (Arundel Or 52). أحمد عبد الباسط: "مكتبة مرهف بن أسامة بن منقذ من خلال خوارج النصوص: إرث أيُّوبي تبدَّد في العصر المملوكي"، (مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رمضان ١٤٤٢هـ/مايو ٢٠٢١م، ج١، مج٦٥)، ص ١٨١.





(ملحق: ١٤) "خريطةٌ نادرةٌ تتحدَّث عن طريق الحجِّ من إسطنبول إلى مكَّة، وهي من أقدم الخرائط الطبوغرافية لمنطقة الخليج العربي وبلاد ما بين النهرين؛ إذ ترجع إلى الثلث الأوَّل من القرن السابع عشر الميلادي، وهي عبارةٌ عن لفافةٍ، يزيد طولُها على ثلاثة أمتار، مرسومة بالحبر الأسود والألوان المائية". المصدر: (مجلَّة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة: ٥١، ذو القعدة ١٤٣٥هـ/ سبتمبر ٢٠١٤م، العدد: ٥٩١)، ص ٣٨- ٣٩.

المصادر والمراجع

- **أبجد العلوم**، القنوجي، محمَّد صديق خان، ط١، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- **ابن بدر وكتابه النفيس**، قدري حافظ طوقان، مجلَّة المقتطف، ١ أبريل ١٩٣٩م، مج ٩٤، ع٤.
- **الأثبات في مخطوطات الأئمَّة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن قيِّم الجوزية، والحافظ ابن رجب**، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
- **أسماء الكتب**، محمَّد التونجي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- **أشكال التزوير في المخطوطات: دراسة نظرية مع نماذج من مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية**، فراج عطا سالم، مجلَّة عالم المخطوطات والنَّوَادر، مج١١، ع١، مارس – يوليو، ٢٠٠٦م
- **إطلالة على نفائس الكتب**، سعاد عبد الله العتيقي، مجلَّة البيان، الكويت، ١ فبراير ٢٠١٣م، ع٥١١
- **أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم**، المكتوبة منذ صدر الإسلام حتَّى سنة ٥٠٠هـ- ١١٠٦م، كوركيس عوَّاد، دار الرشيد، بغداد، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس: ٤٦، ١٩٨٢م.
- **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية**، ادوارد كرنيليوس فانديك، صحَّحه وزاد عليه: السيِّد محمَّد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ-١٨٩٦م.
- **آلاف المخْطُوطات الأصليَّة النادرة في مكتبة المخطوطات الإسلامية بالقاهرة**، مجدي أحمد، مجلَّة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة: ٤٧، صفر ١٤٣١هـ/ فبراير ٢٠١٠م، ع ٥٣٤.
- **إنباء الغمر بأنباء العمر**، ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، ١٩٦٧-١٩٦٩م.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، القفطي، ت محمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، بيروت: مؤسَّسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

- **بحوث ومقالات في الخطِّ العربي**، محمود شكري الجبوري، دار الشرق الاوسط للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، جلال الدين السيوطي، ت محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- **تاريخ التحقيق**: **الجذور والتأصيل**، محمود مصري، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٥٨، ج١، مايو ٢٠١٤م.
- **تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند العلماء العرب المسلمين**: **جهود المحدثين في أصول تدوين النصوص**، محمود مصري، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، مج٤٩، ج١– ٢، نوفمبر ٢٠٠٥م
- **تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها**، عابد سليمان المشوخي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م.
- **تجربتي مع التحقيق**، علي موسى الشوملي، مجلَّة التراث العربي، ١ أكتوبر ٢٠٠٦م، ع ١٠٤.
- **التحف من مخطوطات النجف**، محمَّد حسين الحسيني الجلالي، مجلَّة معهد المخْطُوطات العربية، مج٢٠، ج١، مايو ١٩٧٤م.
- **تذهيب الكتب في التراث العربي الخالد وتجليدها وزخرفتها**، مهدي حمودي الأنصاري، مجلَّة آفاق جامعية، س٤، ع٥، ١٩٨٠م.
- **التراث**: **ماذا نقبل، وماذا نرفض منه**، حسين أحمد أمين، مجلَّة سطور، أكتوبر، ١٩٩٨م، س٢، ع٢٣
- **التزوير والانتحال في المخطوطات العربية**، عابد سليمان المشوخي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠١م.
- **تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات**، السعيد بنموسى، الرياض، الشركة المغربية للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
- **التعامل مع نسخة المؤلِّف**، حسين نصَّار، مجلَّة تراثيات، ع٣، يناير ٢٠٠٤م.
- **تقاليد المخطوط العربي**: **معجم مصطلحات وبِبليوجرَافِيَّة**، **معجم مصطلحات**، آدم جَاسك، تر: مراد تدغوت، تقديم ومراجعة: فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٠م.

- **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة، د.ت.
- **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، عبد الرزَّاق البيطار، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- **خزائن الكتب العربية**: **من نفائس الخزانة البارودية الكبرى في بيروت**، عيسى إسكندر المعلوف، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ مارس ١٩٢٥م، ع ٣.
- **خزائن الكتب العربية**: **من نفائس الخزانة التيمورية**، عيسى إسكندر معلوف، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ نوفمبر ١٩٢٣م، ع١١.
- **خزائن الكتب العربية**: **من نَفائِس الخزانة الخالدية في القدس الشريف**، عبد الله مخلص، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ أغسطس ١٩٢٤م، ع٨.
- **خطوط العلماء من القرن الخامس إلى العاشر الهجري**: **نماذج وأسئلة**، عبد الله محمَّد الكندري، دار البشائر الإسلامية، لبنان– مكتبة نظام يعقوبي الخاصَّة، البحرين، دراسات وبحوث: ١٦، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المحبِّي، دار صادر، بيروت، د.ت.
- **دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي**، أحمد شوقي بنبين، المطبعة والوراقة الوطنية، الحي المحمَّدي، الداوديات، مرَّاكش، ط٢ "مزيدة ومنقحة"، ٢٠٠٤م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- **الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية**، محمَّد فتحي عبد الهادي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٠م
- **الدليل إلى المتون العلمية**، عبد العزيز إبراهيم قاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- **دور كتب فلسطين ونَفائِس مخْطُوطاتها**، محمَّد أسعد طلس، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ يناير ١٩٤٦م، ع١ - ٢
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ابن عبد الملك المرَّاكشي، ت محمَّد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
- السخاوي: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
- **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، **ت شعيب الأرنؤوط**، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- **علم الاكْتِناه العربي الإسلامي**، قاسم السامرَّائي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- **علم المخطوطات والتحقيق العلمي**، أحمد شوقي بنبين، مجلَّة المجمع العربي، دمشق، ١ أبريل ١٩٩٣م، ع٢.
- **فنون الإسلام**، زكي محمَّد حسن، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١م.
- **في المخطوطات العربية**، السيِّد السيِّد النشَّار، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مكتبة المثنَّى، بغداد، ١٩٤١م.
- **الكنوز الخطِّيَّة بدير سانت كاترين بطور سيناء**، مراد كامل، مجلَّة السياحة المصرية، ع١١٦، ١٩٦٦م.
- **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، الغزي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- **ماذا ننشر من المخطوطات القديمة، وكيف ننشر؟**، صلاح الدين المنجد، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٢، ج٢، نوفمبر ١٩٥٦م.
- **مجموع خطِّي نفيس في الكيمياء**، رزوق فرج رزوق، مجلَّة المورد، بغداد، العراق، ١ يناير ١٩٧٢م، ع٣- ٤.
- **مخطوط فريد ونفيس عن مراتب النحويين**، هاشم الطمان، مجلَّة المورد، بغداد، العراق، ١ أبريل ١٩٧٤م، ع٢.
- **المخطوطات العربية بين يدي التحقيق**، محمَّد ألتونجي، مجلَّة التراث العربي، ١ أكتوبر ١٩٨٢م، ع٩.
- **المخطوطات العربية في فلسطين: أبحاث جمعها وقدَّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد**، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- **المخطوطات العربية كنز الإنسانية الباقي**، جان كيسان، الخفجي، س٢٣، ع٢، أغسطس ١٩٩٣م.
- **المخطوطات ثروة لا تقدَّر بثمن**، داليا فاروق، مجلَّة رسالة المعلومات، ع١٧، ١٩٩٥م.
- **مخطوطات نفيسة**، عبد الهادي محمَّد السلاوي، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ يناير ١٩٣٢م، ع١-٢.
- **مخطوطتان مزوقتان من القاهرة من عهد الملك الأيُّوبي الكامل محمَّد**، عيسى سليمان، مجلَّة سومر، مج٢، ع١، ١٩٧٥م.
- **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث،

بيروت، د.ت.

- **معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة**، يوسف إليان موسى سركيس، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨م.
- **مقدِّمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث**، السيِّد رزق الطويل، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢، د.ت.
- **من تزييف النسَّاخ: شرح ابن مالك لألفيَّة ابن معطي**، سليمان الراجح العنقري، مجلَّة عالم المخطوطات والنوادر، مج٦، ع٢، أكتوبر ٢٠٠١م، مارس ٢٠٠٢م.
- **من نفائس التراث العربي الإسلامي في فلسطين**، عبد اللطيف زكي أبو هاشم، نوادر مخطوطات الجامع العمري في مدينة غزَّة، يونيو ٢٠٠٥م.
- **من نفائس المخطوطات الليبية: كتاب تذييل المعيار، للشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري: ١٠٥٨ – ١١٣٩هـ/١٦٤٨ – ١٧٢٦م**، جمعة محمود الزريقي، مجلَّة آفاق الثقافة والتراث، ١ أبريل ٢٠٠٦م، ع٥٣.
- **من نفائس المخطوطات المغربية: وصل القوادم بالخوافي في ذكر أمثلة القوافي، لابن رشيد الفهري السبتي ت ٧٢١هـ**، مصطفى بورشاشن، مجلَّة آفاق الثقافة والتراث، ١ يوليو ١٩٩٩م، ع ٢٥ - ٢٦.
- **من نفائس المخطوطات**، محمَّد محفوظ، مجلَّة الفكر، ١ ديسمبر ١٩٦٧م، ع٣.
- **من نَفائِس خزانة الأب بولس سباط الحلبي**، عيسى إسكندر المعلوف، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ يوليو ١٩٢٥م، ع٧)
- **من نوادر المخطوطات: مخطوط السفينة، لابن مبارك شاه المتوفَّى سنة ٨٦٢هـ**، عبد القادر أحمد عبد القادر، مجلَّة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١ يناير ١٩٩٩م، ع٢٤.
- **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ابن تغري بردي، ت نبيل محمَّد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ابن تغري بردي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- **نفائس خزانة القرويِّين بفاس**، محمَّد عبد العزيز الدبَّاغ، مجلَّة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٤١، ج١، مايو ١٩٩٧م.
- **نفائس خطِّيَّة من اليمن**، حميد مجيد هدو، مجلَّة المورد، بغداد، العراق، ١ يناير ١٩٧٢م، ع٣-٤.

- **نفائس المخطوطات العربية بطهران،** محمَّد أسعد طلس، مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ ١ سبتمبر ١٩٤٧م، ع ٩ - ١٠.
- **نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي،** محمَّد أسعد طلس، (مجلَّة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١ يناير ١٩٤٩م، ع١
- **نفائس المخطوطات العربية في إيران،** حسين علي محفوظ، مجلَّة معهد المخْطُوطات العربية، مج٣، ج١ مايو ١٩٥٧م.
- **نفائس المخطوطات العربية، شاهدة على عظمة الحضارة العربية،** نبيل سليم، تضمُّها مكتبة جامعة أوبسالا السويدية، جريدة الفنون، ١ أبريل ٢٠١٤م، ع ١٥١.
- **نفائس المخطوطات في مكتبات فلسطين،** أيمن فؤاد سيِّد، ندوة قضايا المخطوطات الرابعة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- **نفائس المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال،** محمَّد عبد الله عنان، مجلَّة العربي، يوليو ١٩٨٠م.
- **نَفائِس المكتبة النورية بصفاقس،** محمَّد محفوظ،مجلَّة الفكر، ١ يناير ١٩٦٢م، ع٤.
- **نفائس من المخطوطات والوثائق في مكتبة أهل الشيخ سيدي ببوتلميت - موريتانيا،** أحمد بن أحمد سالم، مجلَّة آفاق الثقافة والتراث، س٨، ع٣١، أكتوبر ٢٠٠٠م.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،** المقَّري، ت إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

النقد العلمي عند الصُّوفيّ

في (صور الكواكب)

د. سائر بصمه جي

جامعة حلب - سورية

ملخص

كانت ثقافة النقد العلميّ منتشرةً لدى العلماء العرب منذُ القرنِ التاسع للميلاد، وقد تجلّت مظاهرُها في كلِّ أنواع العلوم على شكل تيّاراتٍ من الشُّكوك على أعمال اليونانيّين وغيرِهم.

وإن نتبُّع منهجية النقد العلميّ عند عبد الرحمن الصّوفيّ تدلُّنا على جودة تعليمِه وتفكيره وسعيه الدَّؤوب لتقديم معرفةٍ علميّةٍ أصيلةٍ ظهرتْ في كتابه (صُور الكواكب) على شكل رسالةٍ لكلِّ علماء الفَلَك اللّاحقين مُفادُها: لا تُسلِّموا قيادةَ أفكاركم لمن سبقكم من العلماء، فهم بشرٌ يمكنهم أن يقعوا في الأخطاء؛ لذلك عليكم التحقُّقَ ممّا يقدِّمون بنقد أفكارِهم لا أشخاصِهم.

وقد تجلت هذه المنهجيّة على وَفْقَ ثلاثةِ مستوياتٍ: تصحيحٍ جديدٍ لأرصاد النجوم، وإحكامٍ للغة الكتاب العلميّة، وإتقانٍ في رسم الخرائط النجميّة.

الكلمات المفتاحية: النجوم، الكواكب، النقد العلميّ، خرائط النجوم.

Scholarly Criticism of ʿAbd al-Raḥmān al-Ṣūfī (d. 376/986) in his Book Ṣūwar al-Kawākib

Dr. Saer Basmaji

Abstract

This research discusses one of the most important tools of methodological thought that contributes to the advancement of science, which is (scientific criticism) for Arab scientists in general, and for the great astronomer Abd al-Rahman al-Sufi in his book (Sur al-Kawakib) in particular.

We have concluded that the culture of scientific criticism was widespread among Arab scholars since the ninth century AD, and its manifestations were manifested in all kinds of sciences, in the form of currents of doubts about the works of the Greeks and others.

As for the methodology of scientific criticism of ʿAbd al-Raḥmān al-Ṣūfī, it was brilliant, indicating the quality of his education, his thinking, and his tireless quest to present authentic scientific knowledge that appeared in his book (The Pictures of Planets) in the form of a message to all subsequent astronomers saying: Do not surrender the leadership of your thoughts to those who preceded you, for they are Humans can make mistakes.

Therefore, you should check what they offer by criticizing their ideas, not their people.

We also found that the scientific critical methodology that Ṣūwar al-Kawākib followed reflected positively on his book according to three levels: a new correction of star observations, his accuracy of the scientific language of the book, and his mastery in drawing star maps.

Keywords: stars, planets, scientific criticism, star maps.

مقدِّمة

شهد القرنُ (الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد) نشاطًا علميًّا كبيرًا في حقبة الحضارة العربيَّة والإسلاميَّة، فقد انتهت مرحلة الترجمة من اللُّغات والثقافات الأجنبيَّة وبدأت مرحلة الإبداعِ والابتكار العلميّ على كلِّ المستويات.

تميَّزتْ مرحلة الإبداع بأنَّها أرست أُسسَ المنهج العلميّ الذي يقوم على تمحيص مَدى صِحَّةِ ودِقَّة نتائجِ الموروث اليونانيّ، وذلك بالتجربة والمشاهدة واستخلاص النتائجِ عبرَ البحثِ والتدقيق.

حظي علمُ الفلك الإسلامي باهتمامٍ خاصٍّ نظرًا لتعلُّقه بأركان الإسلام: الصلاة والصيام والحجُّ، ودعم الحكَّام المسلمون بحوثَ العلماءِ المهتمِّين به ماديًّا ومعنويًّا، وشجَّعوهم على تقديم الجديدِ فيه. وقد كان هناك جزءٌ لا يستهان به من ذلك الدَّعم يوجَّه لتطوير آلاتِ الرَّصَد والمراصد الفلكيَّة، وهي الأدوات التي لا غنى عنها في مجال البحث العلميّ الفلكيّ.

في ظلِّ تلك الأجواء نشأتْ شخصيَّةُ عالمٍ تشرَّبتْ حبَّ العلوم الفلكيَّة، ونظرتْ إليها بعينٍ ناقدةٍ، ليس من أجل النقد وإنَّما من أجل التطوير والتقدُّمِ العلميّ والوصولِ إلى الحقيقة، تلك الشخصيَّةُ هي شخصيَّة عبد الرحمن الصُّوفيُّ (توفي ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م). وقد كشف لنا البحثُ والتحقيق الدقيق والقراءة الجادَّة في كتابه (صور الكواكب) عن طريقته في النقد العلميّ، وعن مَدى تطوُّرِ التفكير العلميّ الذي كان عليه العلماء العرب والمسلمون في القرن العاشر الميلادي، والذي كان نموذجًا مرشدًا (باراديغم) لمن سيأتي بعدهم.

-١-

النقد العلميُّ لغةً واصطلاحًا

جاء في معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): "(نقد) النون والقاف والدال أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على إبراز شيءٍ وبُروزِه. من ذلك: النقد في الحافر، وهو تقشُّره. والنقد في الضِّرس: تكسُّره، وذلك يكون بتكشُّف لِيْطِه عنه... وتقول العرب: ما زال فلانٌ ينقد الشيءَ، إذا لم يزل ينظر إليه".[١]

أما من الناحية الاصطلاحية، فيوجد عدد كبير من الأدبيات التي تناولت موضوع (النقد العلمي) كما يوجد عدد من الطرائق لتعريفه.

نحن ننظر إلى التفكير النقدي باعتباره مجموعة من الأدوات المفاهيمية المرتبطة بالمهارات الفكرية والاستراتيجيات المفيدة لاتخاذ قرارات معقولة بشأن ما يجب فعله أو الاعتقاد به. ويمكن تلخيص هذه الصيغة على النحو الآتي: "التفكير النقدي هو استخدام العقل لاتخاذ قرار".[٢]

في الواقع، إنّ التفكير النقديَّ هو أساسُ العلم، وهو مكوّنٌ مهمٌّ أدَّى إلى الزيادة المذهلة في فهم العالم الماديّ الذي حدث، خاصَّةً في القرون القليلة الماضية. والتفكيرُ العلميُّ هو تفكير نقديٌّ ولكنّه يتضمّن أيضًا فهمَ فلسفةِ الطريقة العلميّة، والقضاءَ على التحيّز، والقدرةَ على النظر في وجهات نظر الآخرين التي قد تكون مختلفة عن وجهة نظرك، مع أنّه عادةً ما يكون من المستحيل القضاءُ على التحيّز تمامًا، ولكن يجب أن يكون هدفًا يسعى الجميع من أجله. إنّ الرغبة في الاستماع إلى آراء الآخرين ليست مجرَّدَ لفتةٍ إيثاريّة. وغالبًا ما يستفيد العلماء من البصيرة التي يستمدّونها من مناقشة القضايا وسماعِ آراءِ الآخرين الذين لديهم آراءٌ متعارضةٌ؛ إذْ يمكن لوجهات النظر المعارضة أن تفتح نوافذ جديدةً، وتجعلَ

١ معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٤٦٧ – ٤٦٨.

٢ Rudinow, Joel & Vincent E. Barry, Invitation to Critical Thinking, Sixth Edition, Thomson Higher Education, Belmont, 2008, p. 11.

الناس يعيدون التفكير في القضايا. قد يتسبّب ذلك في تغييرِ أو على الأقلّ في تعديل آرائِهم. من ناحيةٍ أخرى قد يساعدهم ذلك على رؤية المغالطاتِ في الحُجج البديلة، ومن ثَمَّ جعلُهم يشعرون بمزيدٍ من الثِّقة في ما يؤمنون به، وفي كلتا الحالتين فإنّه يثبت أنّه مفيدٌ.

عندما نناقش التفكيرَ العلميّ نحتاج إلى فهم المقصودِ بكلمة "علميّ". هناك قدْرٌ كبيرٌ من سوء الفهمِ بين المجتمع العامّ لما تَعنيه الطريقةُ العلميّة؛ إذْ يعتقد الكثيرون أنّ مصطلح "علميّ" مرادفٌ لمصطلح "تجريبيّ". لا شكَّ أنّ المراقبة الدقيقة والقياساتِ الدقيقة مكوناتٌ أساسيّةٌ للطريقة العلميّة. ومع ذلك يُعتقد على نطاقٍ واسعٍ أنّه إذا أُجري رَصَدٌ يتوافق مع ملاحظة مستقلّةٍ سابقة، فيمكن اعتبارُ ذلك بمثابة تأكيدٍ إضافيٍّ للنظريّة، لكنّ الأمر ليس كذلك دائمًا، كما أوضح كارل بوبر. ولشرح ذلك دعونا نلقي نظرةً على مثالٍ موضعيّ: إذا لاحظْنا أنّ ذوبان الجليد في منطقة القطب الشماليّ آخذٌ في الازدياد، فإنّ هذا يشير إلى احتماليّة ارتفاع درجةِ حرارة الكوكب، مع أنّ هذا لا يعني بالضرورة أنّ التأثير ناتجٌ عن النشاط البشريّ، وإذا أُجري رَصَدٌ آخر يفيد بأنّ الأنهار الجليديّة تختفي في جزء آخرَ من العالم، فإنّ هذا يتوافق أيضًا مع الاحترار، لكنّ هذا ليس كلَّ ما في الأمر؛ إنّه يعني ببساطةٍ أنّه يمكن تفسيرُ كلِّ ملاحظةٍ متتاليةٍ على أنّها متوافقة مع نظريّة الاحترار العالميّ الناتجِ عن الأنشطة البشريّة. لا يمكن استخدام تلك الملاحظةِ بالمعنى العلميّ الدقيق لتكون بمثابة تأكيداتٍ إضافيّةٍ للنظريّة. في حالة ذوبانِ الأنهار الجليديّة يمكن أن يكون ذلك لأسبابٍ أخرى (مثل التبايُن الطبيعيّ في المناخ).[١]

على العموم سنصطلح على تعريف (النقد العلميّ) أنّه: "نوعٌ من التفكير الناقد الذي يرتكز على جملةٍ من المعايير التي يتَّفق عليها أعضاءُ المجتمع العلميّ". وينطوي تحت كلمة "المعايير" التي أوردْناها في التعريف السابقِ جملةٌ من الضوابط

١ MacRitchie, Finlay, The Need for Critical Thinking and the Scientific Method, CRC Press, Taylor & Francis Group, Boca Raton, 2018. p. 109-110.

التي يجب أن يتحلّى بها الشخصُ الناقد:

- أن يكون هدف الناقد هو السعيُ للوصول إلى الحقيقة، وليس أيَّ شيءٍ آخر.
- تمكُّن الناقد من علم المادّة التي ينقُدها، وإلّا فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه.
- توضيح مساوئ ومحاسن المادَّة موضوع النقد.
- توجيه النقدِ للأفكار لا للأشخاص.

وبالمقارنة بين المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ للنقد نجد أنّهما متقاربان جدًّا؛ فالهدف من نقد أيِّ عملٍ علميّ هو النظر في سلبيَّاته وإيجابيّاته، ثمَّ تبيينُ قيمةِ هذا العمل وأثرِه في تقدّم المعرفة العلميّة.

ولن نبالغ إن قلنا إنّ ما لمسناه في منهجيّة الصُّوفيّ النقديّة يدلُّنا دلالةً واضحة على توفّر معايير النقدِ العلميّ في فكره، لذلك سنجده في ما بعدُ يُحكم صنعةَ كتابه ويتقنها متحاشيًا نقدَ الآخرين عليه لاحقًا.

-٢-

ثقافة النقد العلميّ عند العلماء العرب

كان الفكر النقديّ العلميّ عند العلماء العرب يشكّل جزءًا من المنظومة الثقافيّة العربيّة قبلَ الصّوفيّ وبعدَه. فمن النقّاد العلميّين الأوائلِ نجد أنّ إبراهيم بن سيّار النظّام (توفي ٢٢١هـ / ٨٣٦م) كان يعتمد في نظرته إلى العلم على مبدأ الشّكِّ في ما يطرح، والإيمانِ بما تقرّه التجربة، لذلك نراه يقول:" الشاكّ أقربُ إليك من الجاحد، ولم يكن يقينٌ قطُّ حتى صار فيه شكٌّ. ولم ينتقل أحد من النقّاد إلى غيره حتى يكون بينهما حالة شَكٍّ".[١]

١ إبراهيم بن سيار النظام والفكر النقدي في الإسلام، ٢١.

أمّا أُولى الانتقادات العلميّة التي وجِّهت إلى الأرصاد الفلكيّة اليونانيّة فقد قام بها الفلكيُّ يحيى بن أبي منصور (توفي ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) وفريقُه لوضع جداولَ فلكيّةٍ جديدةٍ في كتاب (الزِّيْج المأموني الممتحن) أُخذت نتائجُها من مرصدَي الشمّاسيّة في بغداد وقاسيون في دمشق.

ولم يكن النقد العلميُّ خاصًّا بالفلكيّين العرب؛ بل إنّنا نجده أيضًا عند الأطباء، فقد وجّه أبو بكر الرازيّ (توفي ٣١١هـ/ ٩٢٣م) انتقاداتٍ كثيرةً لجالينوس، ووضع ذلك في كتابه (الشكوك على جالينوس)، وقد ألحقه الرازيّ بنقد ثمانية وعشرين كتابًا من كتب جالينوس، منها كتاب (البرهان) وكتاب (النبض الكبير) وغيرها. وعلى الرغم من أنّه كان يدرك وجودَ الكثير ممّن سينقده لنقده لجالينوس فإنَّه مضى في عمله بكلِّ تواضُعٍ وتقديرٍ لعلم معلّمه.

قال الرازيّ في مقدّمة كتابِه (الشكوك على جالينوس): "إنّي لأعلم أنّ كثيرًا من الناس يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب، وكثيرًا منهم يلومونني ويعنِّفونني، أو كان يجري إلى تحليتي تحلية من يقصد باستغنامٍ واستلذاذٍ منه كذلك إلى مناقضة رجلٍ مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدّمه في جميع أجزاء الفلسفة ومكانه منها. وأجدُ لذلك -يعلم الله- مضضًا في نفسي؛ إذ كنت قد بُليت بمقابلة من هو أعظمُ الخلق عليّ منّةً، وأكثرُهم لي منفعةً، وبه اهتديت، وأثَرَه اقتفيت، ومِن بحرِه استقيت، بما لا ينبغي أن يقابِلَ العبدُ سيّدَه، والتلميذُ أستاذَه".[1]

كما وجّه الطبيب أبو الحسن علي بن رضوان (توفي ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) نقدَه لأبي بكر الرازيّ وحنين بن إسحق العباديّ (توفي ٢٦٤هـ / ٨٧٧م) وأبي الفرج عبد الله بن الطيب (توفي ٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م).[2]

وكذلك نجد الطريقة النقديّة في التفكير العلميّ لدى الحسن بن الهيثم (توفي ٤٣٠هـ /١٠٤٠م) في كتابه (الشكوك على بطلميوس)، فقد نقد كتبَ كلاوديوس بطلميوس (توفي ١٧٠م) Ptolemy الثلاثة: (الاقتصاص) و (المناظر) و (المجسطي

١ الشكوك على جالينوس، ١.

٢ النقد عند علي بن رضوان، ٤٨.

Almagest)،[١] وإنّنا لنتلمّس في نقد ابنِ الهيثم أرقى ما وصلتْه القريحةُ العلميّة العربيّة في أصول النقد؛ إذْ نراه يوجّه بضرورة الوعيِ بأنَّ العلماء بشرٌ وأعمالُهم عرضةٌ للخطأ والصواب، لذلك يجب أن يكون الناظرُ واعيًا متنبّهًا لما يقولونه، ثمّ يحدّد ضوابطَ ومعايير نقدِه لأعمالهم.

قال ابن الهيثم:" فطالب الحقّ ليس هو الناظر في كتب المتقدّمين، المسترسل مع طبعه في حُسن الظنّ بهم؛ بل طالبُ الحقّ هو المتَّهِم لظنّه فيهم، المتوقِّف فيما يفهمه عنهم، المتَّبِع الحجّة والبرهان، لا قولَ القائل الذي هو الإنسان المخصوصُ في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجبُ على الناظر في كتب العلوم إذا كان غرضه معرفةَ الحقائق أن يجعلَ نفسَه خصمًا لكلِّ ما ينظر فيه، ويجيلَ فكرَه في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتّهم أيضًا نفسَه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسامح فيه، فإنّه إذا سلك هذه الطريقةَ انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام مَن تقدَّمه من التقصير والشُّبَه".[٢]

كذلك فقد ظهر الفكر الناقد العلمي أيضًا لدى العلماء العرب والمسلمين في الغرب الإسلامي. فقد انتقد ابن حزمٍ الأندلسي (توفي ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) الأشعرية في جدليَّتهم حول صفات الله، ففي رأيه يجب أن تؤخذ أسماء الله الحسنى دون استنتاج معانيها.[٣]

ونجد ابنَ باجة (توفي ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) ينتقد ابنَ سينا والغزاليَّ في مذهب (اللذَّة). لأنّ ابن سينا كان يرى أنّ اللذّة العظيمة يتحصّل عليها في انكشاف الأمورِ الإلهيّة والاتّصالِ بالمَلأ الأعلى، أمّا الغزاليُّ فقد كان يراها في الخلوة التي ينكشف من خلالها العالمُ العقليّ وأمّا ابنُ باجة فقد رأى أنّ هذه اللذّة عبارةٌ عن وهمٍ وخيالٍ، وليس لها وجودٌ في الأصل.[٤]

١ الذي يعني عنوانه (المؤلف العظيم في الحساب)، اسمه الأصلي باليونانية (μαθηματική σύνταξις) والتي تلفظ (ماثماتيكا سينتاكسيس) وتعني الأطروحة الرياضية.

٢ الشكوك على بطلميوس، ٣-٤.

٣ صناع الحضارة العلمية في الإسلام، ٥٩/١.

٤ المرجع السابق نفسه، ٣٦.

وكذلك نجد طبيبَ الأندلس الجرّاحَ الشهيرَ ابنَ زُهْر (توفي ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) ينتقد آراءَ جالينوس في التشريح.[١] وانتقد ابنُ طفيل (توفي ٥٨١ هـ/١١٨٥م) فلاسفةَ المشرق (كالفارابي وابن سينا والغزالي) والمغربِ (كابن رشد) وانتهج الفلسفةَ الصُّوفيّة التأمليّة.[٢] أمّا ابنُ رشد (توفي ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) فقد انتقد في كتابه (الكليات في الطبِّ) آراءَ جالينوس المتعلّقةَ بالتنفُّس عند الإنسان.[٣]

ونرى ابنَ البيطار الأندلسي (توفي ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) يحدّد أنّ الهدف الثاني والخامس من تأليف كتابه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) هو الوصول إلى الحقيقة العلميّة، قال "الغرض الثاني: صِحّة النقل فيما أذكره عن الأقدمين، وأحرّره عن المتأخّرين، فما صحَّ عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لديّ بالخُبْر لا بالخَبر ادّخرْتُه كنزًا سريًّا، وعددتُ نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سِوى الله غنيًّا، وما كان مخالفًا في القُوى والكيفيّة والمشاهدة الحسيّة في المنفعة والماهيّة للصّواب والتحقيق، أو أنّ ناقله أو قائله عَدَلا فيه عن سَواءِ الطريق، نبذْتُه ظِهريًّا وهجرْتُه مليًّا، وقلتُ لناقله أو قائله لقد جئتَ شيئًا فرِيًّا، ولم أُحابِ في ذلك قديمًا لسَبْقه، ولا محدَثًا اعتمَدَ غيري على صدقه ... الغرض الخامس: التنبيهُ على كلِّ دواءٍ وقع فيه وهمٌ أو غلَطٌ متأخرٌ أو متقدّمٌ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتمادي على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل".[٤]

لقد جاء أُكُلُ موجاتِ النقد العلميّ العربيّ على كافّة المؤلّفات اليونانيّة أو العربيّة الكبرى، فعلى مستوى الفلك وتحديدًا في مجال الميكانيك السماويّ تَوصَّلَ -ربّما بتأثّر من ابن الهيثم-[٥] كلٌّ من نصير الدين الطُّوسيّ (توفي ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م) وابن الشاطر الدمشقي (توفي ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) من خلال نقدِهما (للمجسطي) إلى وضع هيئاتٍ خاصّةٍ لحركة القمر تشبه ما وصل إليه نيكولاس كوبرنيكوس (توفي

١ صناع الحضارة العلمية في الإسلام، ٩٤.

٢ المرجع السابق نفسه، ١٠٧.

٣ المرجع السابق نفسه، ٨٦.

٤ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١/ ٤.

٥ المرجع السابق نفسه، ٨٠.

١٥٤٣م) N. Copernicus في القرن السادس عشر، وهو ما يرجِّح اطّلاع الأخيرِ على أعمال العرب والمسلمين.[١]

-٣-

من هو عبد الرحمن الصّوفيّ؟

يعدّ عبد الرحمن الصّوفيّ قامةً علميّةً كبيرةً وأحدَ أشهر علماء الفلك المسلمين قاطبةً، وقد حظي باهتمامٍ كبيرٍ من قِبل الحكّام لقوَّة علمِه ومعرفته الفلكيّة، كما حظي باهتمام العلماء والناس كافَّةً منذ أن نشر كتابه (صور الكواكب). وقد تناول كتابَه (صور الكواكب) بالدراسة والبحثِ والتمحيص الكثيرُ من الباحثين العرب المعاصرين، كما حظي باهتمامٍ كبيرٍ من قِبل المستشرقين الغرب، فقدّموا دراساتٍ علميَّةً كثيرةً عن كتابه.

على الرغم من الشهرةِ التي حَظِي بها الصّوفيّ وكتابُه، فإنّنا لا نعرف عن حياته وسيرته إلّا النَّزْرَ اليسير، فقد وُلد أبو الحسين[٢] عبد الرحمن بن عمر بن سهل الرازيّ المعروف بالصّوفيّ بالرّيّ في إيران حاليًّا، في (٩ محرم سنة ٢٩١هـ)، الموافق: ٧ ديسمبر (كانون الأول) سنة ٩٠٣م، وتوفّي في شيراز في إيرانَ، في (١٣ محرم سنة ٣٧٦هـ)، الموافق: ٢٥ مايو (أيار) سنة ٩٨٦م.

وبحسب روايةِ النديم (توفي ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م) فإنّ الصّوفيّ" من أفاضل المنجِّمين خادم عضد الدولة وهو بشاذكوه..[٣] وله من الكتب كتابُ الكواكب مصور".[٤] ويقصِد النديم "بالمنجّمين" علماءَ الفلك التجريبيّ الحقيقيّ، وليس أنّه من أهل التنجيم ذلك العلمُ الزائفُ، كما نفهم أنّه كان يخرج من شيرازَ، سواءٌ في مرافقة عضُدِ الدولةِ ألبْ

١ رحلة في تاريخ العلم، ٧٨.

٢ يذكر بعض المؤرخين المعاصرين أن لقبه (أبو الحسن)، لكن المؤرخين القدماء يؤكدون أن لقبه (أبو الحسين) وليس الحسن. لذلك فقد اعتمدنا ما قرره المؤرخون القدماء وليس المعاصرين.

٣ "شاذ" معناها بالفارسية الفرح، و"كوه" الجبل: وهو موضع من جرجان". معجم البلدان، ٣/ ٣٠٥.

٤ الفهرست، ٣٤٤.

أرسلان بن فناخسرو بن ركن الدولة البويهي (توفي ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م) أو مع الوزير أبو الفضل بن العميد (توفي ٣٦٧هـ/ ٩٧٠م)، وهو ما يؤكِّده حديثُ الصّوفيّ أنّه كان صديقًا لابن العميد الذي كان يناديه بالأستاذ الرئيس، ذلك أنّهما كانا مترافقين سنة ٣٣٥ للهجرة في دَيْنَوَرَ مسقطِ رأس أبي حنيفةَ الدَّيْنَوَريّ (توفي ٢٨١هـ/ ٨٩٤م)، ثمّ بعدها بسنتين توجَّه بصحبة الوزير أيضًا إلى أصفهانَ والتقى هناك بالمنجّم ابن رواحةَ.

عاش الصّوفيّ ٨٣ عامًا قضاها في البحث والعلم والاستكشاف دون كللٍ أو مللٍ، ولا نعرِف الكثيرَ عن حياته الأسريّة، سوى أنّ له ابنًا قد وَضع أرجوزةً يلخّص فيها كتابَ والده، وقد حسم المؤرّخُ فؤاد سزكين معرفةَ اسمِه، وهو أبو علي حسين بن عبد الرحمن الصّوفيّ الرازيّ.[1]

للأسف لا نعرِف الكثيرَ عن نشأة الصّوفيّ أو تعليمِه، ولا عن شيوخِه، سوى محمدِ بن محمدٍ الذي جاء ذِكره على لسان الكيميائيّ عزّ الدين آيدمر بن علي الجلدكيّ (توفي ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) في إحدى حواشي كتابِه (غاية السرور في شرح ديوان الشذور)،[2] لكنْ يمكننا تأكيد أنّ الصّوفيّ كان ذكيًّا لامعًا بينَ أقرانه، محبًّا للعلم وممارسًا له. أمّا عن تلاميذه فيبدو أنّهم كثرٌ، خصوصًا بعد أن سطع نجمُه، ولعلّ أبرزَهم الخليفةُ عضُد الدولة.

الإنجازاتُ التي حقّقها الصُّوفيُّ والإسهامات التي قدّمها تَنِمّ عن درايةٍ واسعةٍ وفهمٍ عميقٍ في علم الفلك والرياضيّات جعلتْه يحظى بمكانةٍ مرموقةٍ بين الحكّامِ والملوك الذين توالَوا على حكم شيرازَ حيث كان يقيم بشكلٍ دائم.

قضى الصّوفيّ معظمَ حياته المهنيّة في مدينة شيرازَ، وفي الفترة التي بلغت ذروتَها الذهبيّة في عهد عضُدِ الدولة الذي كان له مجلسُ رعايةٍ للعلماء والشعراء يُشبه مجلسَ الخليفةِ المأمون (توفي ٢١٨هـ / ٨٣٣م) الداعمِ لأهل العلومِ الكونيّة والأدباء، ومن المعلوم أنه لا يَفصِل بين الاثنين إلا عهدٌ قريبٌ (نحو ١٠٠ سنة).

---

١ الفهرست، ٣٠٩.

٢ تاريخ التراث العربي (السيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة حتى نحو ٤٣٠هـ)، ٤/ ٤٥٦.

وقد حظِي الصّوفيّ بالثناء والتكريم قديمًا وحديثًا حيًّا وميتًا في الأرض وفي السماء، فقد أثنى عليه النديم في (الفهرست) فقال: "من أفاضل المنجّمين خادم عضد الدولة".[١] وكذلك كان رأيُ ابن العبري (توفي ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) في كتابه (مختصر تاريخ الدول) فقال: "فاضلًا نبيهًا نبيلًا"،[٢] كما كُرّم الصّوفيّ نظرًا لجهوده المميَّزة في علم الفلك. أمّا في السماء فقد أُطلق اسمُه على إحدى الحفر القمريّة 'Azophi'، وكرَّمه الاتحاد الفلكيّ الدوليّ، فأطلق اسمَه على الكويكب '١٢٦٢١ Alsufi'، وفي الأرض كرّمه موقعُ البحث الشهير غوغل عام ٢٠١٦م بوضع رسمٍ وتعريف بإنجازاته، كما كرّمته جمهوريةُ الصومال عام ١٩٨٥م بوضع أربع صور لكوكباته على بعض طوابعِها الرسميّة.

لقد قدّم الصّوفيّ في علم الفلك إسهاماتٍ مهمّةً تتجلّى في تصحيح آليّات رَصَدِ النجوم، وكيفيّة عدِّها وتحديد أبعادِها عرضًا وطولًا في السماء، كما اكتشف نجومًا ثابتةً وأجرامًا سماويّةً لم يسبقه إليها أحدٌ من قبلِ ذِكرها في كتابه (صور الكواكب). كما تتجلّى في رسمِ الكوكبات السماويّة التي حدّد فيها مواضعَ النجوم الثابتة وأقدارَها (أي شدّة لمعانها كما يُرى بالعين المجرّدة)، ووضع فهرسًا للنجوم لتصحيح أخطاء من سبقوه خصوصًا بطلميوس. وقد اعترف الأوربيون بدقّة ملاحظاتِه الفلكيّة فوصفه ألدوميلي بأنّه "من أعظم الفلكيّين العرب الذين نَدين لهم بسلسلة دقيقةٍ من الملاحظات المباشرة"، ويتابع: "ولم يقتصر هذا الفلكيّ العظيم على تعيين كثيرٍ من الكواكب [=النجوم] التي لا توجد عند بطلميوس؛ بل صحَّح أيضًا كثيرًا من الملاحظات التي أخطأ فيها بطلميوس ، ومَكّن بذلك الفلكيّين المحدثين من التعرُّف على الكواكب التي حدّد لها الفلكيّ اليونانيّ مراكزَ غيرَ دقيقةٍ".[٣]

١ الفهرست، ٣٩٥.

٢ مختصر تاريخ الدول، ١٧٤.

٣ بناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية، ١٢.

-٤-

التعريف بكتاب (صور الكواكب)

ذكرنا سابقًا أنّ أكثر ما اشتُهر به عبدُ الرحمن الصّوفيُّ هو كتابُه (صور الكواكب) منذ القرنِ العاشر للميلاد حتى يومِنا هذا، على الرغم من أنَّ له مؤلفاتٍ أخرى، لكنَّ هذا الكتابَ يكاد يطغى على جميعها بقيمته وأهميّته.

في الواقع يعدُّ (صور الكواكب) مرحلةً مفصليّةً في تاريخ علم الفلك عمومًا، وعلمِ الفلك العربيّ والإسلاميّ خصوصًا؛ فقد أراد الصّوفيّ من خلاله أن يكون مرجعًا أساسًا تخصُّصيًّا يَعْتَمد عليه كلُّ من يرغب برصد النجوم الثابتة في السماء، تاركًا موضوع (الكواكب السيارة) لغيره ممّن أتقن رصدها، مثل البتانيّ الذي سبقه بقوَّةٍ في هذا المجال.

هذا التوجُّه التخصُّصيّ الفلكيّ أرسى دعائمَ الفيزياء الفلكيّة التي ستظهر من جديد في القرنين السابعَ عشرَ والثامنَ عشرَ للميلاد على أيدي كلٍّ من غاليليو غاليليه (توفي ١٦٤٢م) Galileo Galilei ورينيه ديكارت (توفي ١٦٥٠م) R. Descartes وإسحاق نيوتن (توفي ١٧٢٦م) I. Newton.

وبحسب تقييمِ المؤرّخ جورج سارتون G. Sarton يعدّ (صور الكواكب) "أحدَ الكتب الرئيسة الثلاثة التي اشتهرت في علم الفلك عند المسلمين، والكتاب الثاني لابن يونس والثالث لأولغ بيك".[١] أمّا بحسب تقييم المؤرّخ فؤاد سزكين فيُعَدُّ الصّوفيّ واسطة العِقْدِ بين ثلاثةِ علماءِ فلكٍ عظامٍ[٢] عملوا على وضع فهارس نجميّةٍ مهمَّةٍ بوساطة العين المجرّدة: الأول اليوناني بطلميوس (توفي ١٧٠م)، والثاني هو الصّوفيّ، والثالث الألماني فريدريك فيلهلم أرجيلاندر (توفي ١٨٧٥م) F. W. Argelander.

١ روّاد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، ٧٣.

٢ تاريخ التراث العربي (علم الفلك حتى نحو ٤٣٠هـ)، ٦/ ٣٣.

ونظرًا لأهميّة هذا الكتاب في ما احتواه من صورٍ ملونّةٍ للكوكبات النجميّة والممثَّلة بهيئة أناسٍ أو حيواناتٍ أو أشياء، وبما تضمَّن من وصف لمواقع ١٠٢٠ نجمًا كما تداولها عربُ البادية -كما يقول المستشرق الإيطالي كارلو نلينو C. A. Nallino-[١] فقد حظِي باهتمامٍ كبيرٍ عربيًّا وأجنبيًّا.

ولنا أن نتلمّس أهميّة (صور الكواكب) للصّوفيّ أيضًا من خلال الأثرِ الذي أحدثه على علماء الفلك الأوربيّين، وذلك من خلال اللغاتِ التي تُرجم إليها، فقد نُقل إلى اللغة الفرنسيّة وطبع في بطرسبورغ عام ١٨٧٤م،[٢] وقام بالترجمة الفرنسيّة الفلكيّ الدنماركيّ هـ. شيلروب H.Schjelerup،[٣] كما تُرجم إلى اللغة الفارسيّة عدّةَ ترجماتٍ، منها:[٤]

١- ترجمةٌ لنصير الدين الطوسيّ، فرغ منها في (٢٥ ذي القعدة عام ٦٤٧هـ/١نيسان عام١٢٥٠م).[٥]

٢- ترجمةٌ للطف الله بن أحمد ناصر معمار لاهوري.[٦]

٣- ترجمةٌ لحسن بن سعد القايني، تعود لعام (١٠٤٣هـ/١٦٣٣م).[٧]

٤- ترجمةٌ لشخص مجهول.[٨]

وتُرجم أيضًا إلى اللاتينية والقشتالية (اللغة الإسبانية الرسمية) في زمن الملك

١ علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ١٠٧.

٢ المرجع السابق نفسه، ٤٢.

٣ كتاب صور الكواكب ومنهجية البحث عند الصوفي، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب، ٧٧.

٤ أعلام الحضارة العربية والإسلامية، ٢/ ١٨.

٥ نسخها موجودة في:
إستانبول - أيا صوفيا رقم (٢٥٩٥).
إيران - مشهد رقم (١٧/ ٨/ ٢٣).

٦ نسخها الخطية موجودة في برلين رقم (٣٣٢/ فارسي).

٧ يوجد منها نسخة في دار الكتب القومية في القاهرة.

٨ موجودة في طهران رقم (٢/ ١٩٦).

ألفونسو العاشر (توفي ١٢٨٤م) Alfonso X de Castilla y León، ووُضع ضمنَ كتابٍ عنوانُه (كتب المعرفة الفلكية)[١] مع مجموعة مكوّنةٍ من ٢٠ كتابًا فلكيًّا عربيًّا آخر. وكان من شأن الترجمةِ الأخيرة التأثيرُ الأكبر على علم الفلك الأوربيّ بعد ذلك.

وقد لحق بالترجمة القَشْتالِية ترجمةٌ إيطاليّة أخرى.[٢] وكان كتاب الصّوفيّ المرجعَ العربيّ الموثوق في علم الفلك لعدّة قرون.[٣]

أخيرًا ترجمَ الباحثُ إحسان حافظ كتاب (صور الكواكب) إلى الإنكليزيّة عام ٢٠١٠، وحصل بموجبها على درجة الدكتوراه.[٤]

اتّبع الصّوفيّ في تأليف الكتاب منهجيّةً واضحةً؛ فقد قسّمه إلى مقدّمة وثمانية وأربعين فصلًا، خصَّص كلَّ فصلٍ لكوكبةٍ واحدةٍ، يتحدّث عنها بشكلٍ مفصّلٍ، مقدّمًا عنها كلَّ ما توصَّل إليه من معلومات وبياناتٍ رصديّةٍ ونجومٍ جديدةٍ لم تكن مذكورةً في كتب السابقين، إضافةً إلى ذلك فقد قرَّر دعمَ كلِّ كوكبة بصورتين إحداهما كما تُرى بالنِّسبة لعين الراصد المجرّدة في القُبّة السماويّة، والأخرى كما تُرى للراصد على الكُرة السماويّة، إذ يكون اتّجاه الثانيةِ معاكسًا ومناظرًا بشكل مِرآتيّ لاتّجاه الأولى بسبب اختلاف موقع الراصد؛ أي إنَّ الراصد عندما يكون أسفلَ القُبَّة السماويّة فإنّ الكوكبة تبدو باتّجاهٍ يختلف عن الاتّجاه عندما يرصُدها فوقَ الكرةِ السماويّة.

وهذا ما يفسّر لنا سببَ الحظوةِ الكبيرة لكتاب (صور الكواكب) بين علماء الفلك العرب والمسلمين[٥] والأوربيين حتى القرن ١٨م.

١ أو (Libros del saber de astronomía)، وهو متاح مجاناً على الموقع: https://www.wdl.org/es/item/15401.

٢ تاريخ التراث العربي (علم الفلك حتى نحو ٤٣٠ هـ)، ٦/ ١، ٥٥، ٢٧٨.

٣ مصباح علاء الدين، ١٢٢.

٤ Hafez, Ihsan, Abd al-Rahman al-Sufi and his book of the fixed stars: a journey of re-discovery, PhD thesis, James Cook University, 2010.

٥ لقد احتفظ أولغ بيك بقيم أقدار النجوم التي وضعها الصوفي نفسها في كتابه (الزيج السلطاني الجديد)، على الرغم من أنه أجرى أرصاده في عام ١٤٣٧م. أي يوجد أكثر من ٤٥٠ سنة بين تأليف كتاب الصوفي وكتاب أولغ بيك، وقد تغيّرت الكثير من أقدار النجوم في أثناء هذه الحقبة الزمنية. انظر:

-٥-

منهج النقد العلمي عند الصّوفيّ

ممّا لا شكّ فيه أنّ التفكير العلميّ نظامٌ فكريٌّ يقرُّ النظرةَ النقديّة والتجربة والملاحظة.[١] ويرى الباحثُ أنطونيو داماسيو A. Damasio أنّ الدافعيّة والشجاعة يجب أن تأتيا في مقدّمة السِّماتِ التي يجب أن يتمتّع بها العالمُ المبدع، فالعالم يجب أن يكون لديه طموحٌ لدرجة يرغب فيها في إنجاز العمل، كما أنَّ عليه التحلّي بالشجاعة اللازمة لمجابهة النقد والرفض اللذين سيواجهُهما في يومٍ من الأيام.[٢]

وقد كان الصّوفيّ ناقدًا علميًّا من الطراز الرفيعِ يتحلَّى بالشجاعة الكافية ليبدأ مشروعه النقديّ. وعندما نقول "إنّه ناقدٌ" فهذا يعني تمكُّنَه من معايير النقد وتملُّكَه لموهبة التمييز بين الغَثّ والسمين، وقدرتَه على تفحُّص الأشياء والحكمِ عليها، والإشارةِ إلى السلبيّات والإيجابيّات ومكامنِ القُوّة والضعف في الطرح. والصُّوفيّ لم يكن ليكون ناقدًا علميًّا لولا تمكُّنه من المعرفة العلميّة التي يمتلكها، ولديه القدرة على التحقّق العمليّ دون التسليم بما يقوله السابقون.

اعتمد الصّوفيّ نوعين من المناهج العلميّة في نقده:

– المنهج التاريخيّ: فقد درس كلَّ ما وصله من التراث اليونانيّ والعربيّ في مجال النجوم وأسمائِها ومواقعِها في السماء.

– المنهج التجريبيّ: فقد أعاد تقييمَ نتائجِ الأرصاد النجميّة القديمة كلِّها وصحَّحها معتمدًا في ذلك على آلاتٍ فلكيّةٍ حديثةٍ متطوّرة.

Carey, Moya Catherine, Painting the Stars in a Century of Change, Part 1, School of Oriental and African Studies, Ph.D. thesis, 2001, p. 86.

١ الخطاب العلمي العربي، مجلة العربي، العدد ٣٣٠، مايو، الكويت،١٩٨٦م، ١٢.

٢ مناهل الابداع، ١٣٩.

بدأ الصّوفيّ كتابّه (صور الكواكب) بمقدِّمةٍ نقديّةٍ مفصّلةٍ ومطوّلةٍ لأعمال كلِّ من سبقه من علماء الفلك والتنجيم، خصوصًا بطلميوس، مقرِّرًا أنّه كانت تنقُصُهم الدّقّةُ في تقديرات أقدار ومدارات النجوم وحركاتها، وقد اتّهمهم بأنّهم يقلّدون ويأخذون عمّن سبقهم دون تمحيصٍ، مع أنّ البعض يدّعي المشاهدة والمعاينة، لكنّه لم يقم بها.

إضافةً إلى ذلك فإنّنا نراه يقوم بعمليّة تحقيقٍ وتدقيقٍ بين نسخِ كتابِ بطلميوس (المجسطي) حتى يصلَ إلى القِيَمِ الصحيحة التي رصدها بطلميوس، ومن ثمّ يقوم هو بالتحقّق منها؛ إذْ نراه يقول: "فإنّا تأمّلنا نسخًا كثيرة لكتاب المجسطي ووجدْنا بعضها يخالف بعضًا في كواكب كثيرةٍ".[١] ويبدو أنّ النسخة المترجمة من كتاب (المجسطي) التي كانت بين يديه هي التي نقلها الحجَّاجُ بن يوسف بن مطر (توفي ٢٢٠هـ/٨٣٣م)، كما قال بذلك الصّوفيّ:" ووجدت في نسخة لكتاب بطلميوس من نقل الحجّاج".[٢]

بناءً على فكرة مشروعه الإصلاحيّ لعلم الفلك الرصديّ قسّم الصّوفيّ الذين وجّه إليهم النقدَ إلى أربع فئات؛ ثلاثٌ منها عربيةٌ، وواحدةٌ يونانيّةٌ:

الفئة الأولى

وهي التي سارت على نهج الفلكيّين أصحابِ الرصد والرياضيّات، وهي الفئة التي اعتمدت على التقليد الفلكيّ اليونانيّ. وقد وجد أنّه ينطوي تحت الفئة الأولى كلٌّ من العلماء:

- **علي بن عيسى الإسطرلابي الحراني**

كان حيًّا في القرن ٣هـ/ ٩م، هو في الأصل صانعُ آلاتٍ فلكيّةٍ من مدينة حَرّانَ شمال سورية، والتي اشتهرت بصناعة الآلاتِ الفلكيّة والموازين منذ أيامِ

١ كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين، مخطوطة مكتبة بودليان، مارش-١٤٤، ٢.

٢ المرجع السابق نفسه، ٤.

هارون الرشيد، ومن هناك اكتسب عليُّ بن عيسى خبرتَه العلميّة والفنيّة في صناعة الآلات الفلكيّة، إلّا أنّ الصّوفيّ رصد له خطأً ووجّه له النقدَ لعدم تحرّيه الدِّقّةَ في القضايا العلميّة؛ إذ رسم ابنُ عيسى على كُرةٍ سماويّةٍ كبيرةٍ النجمَ الخامسَ الموجودَ على جناح كوكبةِ العذراءِ الأيسرِ من ناحية الشمال، والصوابُ أن يكون على الجناح الأيسرِ من ناحية الجنوبِ مائلًا عن الوجه بِمقدار خمسِ درجاتٍ وثلثِ الدرجة.

- **عطارد بن محمد الحاسب**

أخذ الصُّوفيّ على عطارد (توفي ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) في كتابه عن (صور الكواكب) عدمَ تمييزه بين كوكبتي الرامي والقوس، والسببُ في ذلك هو تسليمُه بما قَدَّمه السابقون.

لم يصل إلينا نبأٌ عن وجود كتاب (صور الكواكب) المفقود لعطارد إلّا عن طريق الصّوفيّ، وعن طريق ابن هبنتى (توفي بعد عام ٣٣٠هـ/ ٩٤٠م) الذي تكلّم عن صور الكواكب في كتابه (المغني في أحكام النجوم)،[١] لكنّنا لم نعثر عند الصوفي على أيّ إشارةٍ عن نقده لابن هبنتى، ربَّما لأنَّ ابن هبنتى اعتمد على عطارد الحاسب والبتاني ولم يعتمد على كتاب الصُّوفيّ.

وقد أجريْنا مقارنةً بين أوصاف الكوكبات التي وردت عند الصّوفيّ وتلك التي عند ابن هبنتى في الجدول-١ الآتي:

وجه المقارنة	الصُّوفيّ	ابن هبنتى
النجوم التي تقع خارج الكوكبة	ذكرها وأضافها	لم يذكرها
موقع كلّ كوكبة	لم يحدِّد موقعها بالدرجات	حدَّد موقعها بالدرجات
وصف الكوكبات	وصفها بالنصِّ ورسمها	وصفها نصًّا فقط
أسماء الكوكبات	عربية	عربية ويونانية

١ يوجد نسخة من المجلد الأول وبعض المجلد الثاني في المكتبة الظاهرية بدمشق، ونسخة أخرى في مكتبة ميونخ. وقد أصدر فؤاد سزكين نسخة منه بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا ومازن عماوي وإيكهارد نويباور,

وجه المقارنة	الصُّوفيّ	ابن هبنتى
عدد النجوم الكلي	١٠٢٢ نجم	١٠٢٢ نجم
أقدار النجوم	فرز النجوم من ناحية أقدارها مفصلاً	فرز النجوم من ناحية أقدارها مجملاً
مصدر المعلومات	بطلميوس	عطارد الحاسب والبتاني

الجدول-١:

يوضّح أوجه الشبه والاختلاف بين أوصاف الكوكبات النجميّة بين الصّوفيّ وابن هبنتى.

محمد بن جابر بن سنان البتاني

للبتاني (توفي ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) كتابٌ اسمه (إصلاح المجسطي)، وقد حاول الصّوفيّ الوقوفَ على الأرصاد النجميّة التي قام بها البتاني، واعتقد أنّه قد صحّح فيها ما وقع فيها بطلميوس من أخطاءٍ من خلال المعاينة؛ لكنّه وجد غير ذلك، فضرب مثالًا مفاده: أنّه يوجد نجمٌ من القدر الرابع يقع في كوكبة الرامي، والبتاني وغيرُه ممّن يدّعون رصده يثبتونه في كتبهم على أنّه من القدر الثاني، وهذا يدلّ على أنّهم لم يرصدوه في الحقيقة، وإنّما سلّموا بما قاله بطلميوس.

قال الصُّوفيّ:" وكذلك البتّاني لمّا أحبّ أن يُظْهِر من نفسه معرفةً بمنازل القمر والكواكب على مذهب العرب وأخذ في ما لم يكن من شأنه ظهرَ نقصُه، وذلك أنّه ذكر في كتابه عددَ كوكبةِ كلِّ بُرجٍ من البروج الاثني عشرَ كما ذكر بطلميوس في كتاب المجسطي، وذكر أنّ في جملة كوكبة الحَمَلِ على الشرطين على قرنيه والبُطين على إليته، وغَلِط في ذلك؛ لأنّ البُطين ثلاثةُ كواكبَ على مثلّثٍ قد تقدّم ذِكره، وأنّ في كوكبة الثَّور الثُّريّا على ظَهره والدَّبران على أصل أذنه".[١]

وقد عدد الصّوفيّ عشرةَ أخطاءٍ وقع فيها البتاني؛ لكنّ الباحث كرلو نلينو رفض الانتقادَ الذي وجّهه الصّوفيّ للبتاني، وقال في ذلك: يمكن للصوفي أن يصيب في

١ كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين، مخطوطة مكتبة بودليان، مارش، ٩و.

نقده " لو كان البتَّاني أراد وصفَ المنازل على مذهب العرب، ولكنْ تبيَّن ممَّا أنشأتُ من الحساب أنّ توزيعَه المنازل على صور البروجِ الطبيعيّة يطابق ما يحصل عند من استعمل طريقة الهند طبقًا كاملًا".[١]

وقصَّة الجدلِ السابق هو أنّ المنجّمين في أواخر القرن (٣هـ /٩م) اتّبعوا مذهب الهنودِ في تقسيم فلكِ البروج إلى ٢٨ منزلةً متساويةً لكلِّ منزلةٍ ١٢ درجة، أي إنّهم أعادوا منزلةَ الزباني التي كانت تضاف لمنزلة الإكليل، وأصبح بذلك لكلِّ بُرجٍ منزلتان وثلثٌ. وقد ورد استعمال الطريقةِ الهندية في كتاب (الزّيْج الصابئ) للبتَّاني. وبعد أن أجرى نلينو الحسابات وجد أنّ البتاني قد اعتمد الطريقة الهندية في قِسمة فلكِ البروج إلى ٢٨ منزلة متساوية، ولم يعتمد طريقةَ العربِ القدماء.

ابن الأعلم الشريف

كان ابن الأعلم (توفي ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) فلكيًّا يحظى بمكانةٍ كبيرةٍ عند عضُد الدولة مثل الصُّوفيّ، فقد كانا بمنزلةٍ واحدةٍ عنده وفي مجلسه، وعلى الرغم من أنّ الصُّوفيّ لم يذكر ابنَ الأعلم بشكلٍ صريحٍ في نقده لأصحاب الفئةِ الأولى، فقد عارضه في قياسات خطوطِ الطول[٢] فقط؛ لأنَّ خطوط العرض[٣] عند الصّوفيّ كانت

---

١ علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ١١٩.

٢ يقصد بخطوط الطول وفق مصطلحات علم الفلك الحديث الصعود المستقيم أو الصعود العمودي Right Ascension (RA) "وهو الزاوية بين مسقط النجم على الدائرة الاستوائية وموقع نقطة الاعتدال الربيعي على هذه الدائرة. أو بتعبير آخر، يمثل الصعود العمودي، المسافة الزاوية مقاسة باتجاه الشرق على طول خط الاستواء السماوي من نقطة الاعتدال الربيعي حتى الدائرة الساعية لجرم سماوي. ويمكن القول؛ إن زاوية الصعود مؤشر على المدة الزمنية التي يتأخرها الجرم السماوي عن نقطة الاعتدال الربيعي أثناء الحركة اليومية للأرض، ووحدات قياسها الساعة وأجزاؤها بدلًا من الدرجة وأجزاؤها" مثال ذلك: نجم العيوق مطلعه المستقيم هو ٥ ساعات و ١٦ دقيقة و ٢٦ ثانية، ومعنى ذلك أن العيوق يشرق بعد شروق أول الاعتدال الربيعي بهذا الوقت. القاموس الفلكي الحديث، ٣٨٧.

٣ يقصد بخطوط العرض على وفق مصطلحات علم الفلك الحديث الميل أو الميل الزاوي Declination وهو "الإحداثي العرضي السماوي الذي يستخدم مع الصعود العمودي في تحديد موقع أي جسم كوني في السماء أو على الخريطة السماوية. والميل؛ تعبير عن المسافة الزاوية للجسم من خط الاستواء السماوي، مقاسة بالدرجات على طول خط يمر عبر الجسم ويكون متعامدًا مع خط الاستواء السماوي. وكل درجة ميل سماوية تكافئ درجة عرض أرضية. وتشير علامة (+) إلى موقع الجرم السماوي إذا كان شمال خط الاستواء، وعلامة (−) تشير إلى موقع الجرم السماوي إذا كان جنوب خط الاستواء السماوي". القاموس الفلكي الحديث، ١٢٨.

نفسَها كما هي عند بطلميوس في المجسطي. وقد سوَّغ الصّوفيّ عدمَ تعديلِه خطوطَ العرض بأنَّ النجومِ تدور حول القطب بشكل إهليلجيّ، فإن خط عرضها لذلك لا يتغيّر.

أمّا بالنسبة لابن الأعلم فقد قام بالاعتماد على أرصاد أصحابِ (الزِّيْج المأموني الممتحن) الذي أُنجزت قياساتُه في عهد الخليفة المأمونِ، ثمّ أَنجز أرصادَه لخطوط الطول ووضَعَها في زِيْجه الجديد، وقد كانت جميعُ قِيَمه الجديدة أكبرَ بين ثلاث وأربع درجات من قِيَم الصُّوفيّ، أمّا خطوط العرض فقد كانت أكبرَ عند ابنِ الأعلم بدرجة من خطوط العرض عند الصُّوفيّ. والجدولُ الآتي يبيّن المواضع التي حدّدها كلٌّ منهما لستّة نجومٍ رئيسةٍ:[١]

النجوم	الصوفي		ابن الأعلم	
	خطوط الطول	خطوط العرض	خطوط الطول	خطوط العرض
السماك الرامح a Bootes	9° 42’	31° 30’ N	12° 55’	31° 12’ N
عين الثور a Taurus	25° 22’	5° 10’ S	28° 40’	5° 15’ S
قلب الأسد a Leo	15° 12’	0° 10’ N	18° 45’	0° 15’ N
السماك الأعزل a Virgo	9° 22’	2° 0’ S	12° 33’	2° 6’ S
قلب العقرب a Scorpio	25° 22’	4° 0’ S	28° 47’	4° 24’ S
اخر النهر a Eridanus	12° 52’	52° 30’ S	16° 42’	53° 30’ S

الجدول-٢: يمثِّل مقارنةً بين قيم ابن الأعلم والصّوفيّ في خطوط الطول والعرض لأَشْهَر خمسة نجومٍ في السماء.

سببُ الاختلافِ بين قِيَمِ الصّوفيّ وابن الأعلم هو أنّ الأخير لم يطبّق معدّل المستقيم straight rate على أرصاد بطلميوس، ولذلك من المحتمل أنّه قام بأرصاده

١ Carey, Moya Catherine, Painting the Stars in a Century of Change, Part 1, School of Oriental and African Studies, Ph.D. thesis, 2001, pp. 83-84.

بشكلٍ مباشرٍ بنفسِه، وربما كان الاختلاف سيغدو طفيفًا بين قِيَمِ خطوطِ الطول لو كان كلٌّ منهما طبق معدَّلين مختلفين للمبادرة على فهرس مواقع النجوم لبطلميوس، حتى لو لم يقم أيٌّ منهما بالرصد.[١]

وفي ما يتعلّق بخطوط الطول فقد ذكر الصّوفيّ أنّ بطلميوس استخدم أرصادَ منلاوس[٢] السكندري (توفي ١٤٠م) Menelaus of Alexandria الذي قام بأرصاده في عام ٨٤٥ من سنة نبوخذ نصر، وذكر الصّوفيّ أيضًا أنّ فرقَ الزمنِ بين ملاحظات منلاوس وتاريخ بطلميوس هو ٤١ سنة، ثمّ استنتج أنّ بطلميوس أضاف ٢٥ دقيقة إلى قِيَمِ خطِّ طولِ منلاوس من أجل الاستمراريّة. على أيّ حال ما يزال سبب إشارة الصوفي إلى هذه الحقيقة مجهولًا، ففي ذلك العصر ليس هناك دليلٌ أو نصٌّ متوفّرٌ يذكر أنّ بطلميوس استخدم ملاحظات منلاوس بحسب قولِ الصّوفيّ.

الفئة الثانية

أمّا الفئةُ الثانية التي ذكرها الصّوفيّ وتوجّه إليها بالنقد فينطوي تحتَها أبو حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ صاحب (كتاب الأنواء)[٣] الشهيرِ، والذي يعدُّ عملُه هذا أفضلَ ما كتب في بابه؛ لذلك عَدَّه الصّوفيّ ممثّلًا للتقليد الفلكيّ العربيّ القائم على توزيع النجوم في السماء بحسب منازلِ القمر Moon Mansion؛[٤] إذْ أودع معرفتَه بالنجوم وأسمائِها

١ Ibid, p. 84.

٢ يرد اسمه في المصادر العربية بعدة أشكال هي: «مانالاوس» و«منالاؤوس» و«ميلاوش». وفي كتاب (صور الكواكب للصوفي) ورد بشكل مانالاوس.

٣ لم يصل إلينا الكتاب المخطوط كاملا، وإنما قامت بجمعه خديجة زبار الحمداني، الأستاذة في جامعة بغداد، وبالاشتراك مع نور عبد الكريم صبري من الجامعة العراقية، وهذا الكتاب هو جمع لما بقي منه. ونُشِر تحت عنوان (كتاب الأنواء، لأبي حنيفة الدينوري) رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٢٩ لسنة ٢٠١٤ – مطبعة أنوار دجلة – ٢٠١٤م. وهو يختلف عن كتاب (الأنواء في مواسم العرب) الذي ألفه ابن قتيبة المعاصر للدينوري.

٤ عبارة من مجموعات نجمية محددة العدد– تتألف كل مجموعة من نجمين وأكثر، يظهر القمر وهو في حركته المدارية حول الأرض وكأنه يمر فيها– أو ينزل بها – لمدة يوم واحد لكل مجموعة، وقد ميز العرب القدماء ٢٨ مجموعة تعرف بمنازل القمر، وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخرتان، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرغ الأول، الفرغ الثاني، وبطن الحوت. إذن كل مجموعة تحوي منزلتين

ومواقعها في كتابه (الأنواء)، وعلى الرغم من أنَّ أبا حيّان التوحيدي (توفي نحو ٤٠٠هـ / نحو ١٠١٠م) أطراه " وهذا كلامه في الأنواء يدلُّ على حظٍّ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك"، وأنَّ البيروني مدحه وأخذ عنه، وكذلك اعتمد عليه ابنُ سِيده الأندلسي (توفي ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)،[١] فإنَّ للصوفي رأيًا آخر في عمله.

انتقد الصّوفيّ الدَّيْنَوَريّ لعدم معرفتِه سببَ ثباتِ النجوم في كلِّ كوكبةٍ، سواءٌ بالنسبة لبعضها بعضًا أو مع مرور الزمن؛ إذْ فسَّر الدَّيْنَوَريُّ الثباتَ نتيجةَ البُطءِ عند مقارنتها بحركة الكواكبِ السيّارة السريعة، وردّ الصّوفيُّ عليه بأنّ هذ التفسير غيرُ صحيحٍ، ويدلُّ على عدم معرفته بعلم الفلك والأرصاد والرياضيات المتعلقة به معرفة جيّدة. لذلك عالج حركةَ النجوم بطريقةٍ ظاهريّةٍ، واعتمادًا على ما وجده في كتب العرب عن الأنواء، وليس اعتمادًا على كتب الفلكِ وكيفيّة القيام بالرصد بشكل علميٍّ وعمليٍّ.

قال الصّوفيّ:" وأمَّا الفرقةُ الأخرى فإنّها سلكت طريقةَ العرب في معرفة الأنواء ومنازلِ القمر، ومُعَوَّلُهم على ما وجدوه في الكتب المؤلّفة في هذا المعنى، ووجدْنا في الأنواء كتبًا كثيرةً؛ أتمُّها وأكملُها في فنّه كتابُ أبي حنيفة الدينوري، فإنّه يدُلُّ على معرفةٍ تامّةٍ بالأخبار الواردة عن العرب في ذلك وأشعارِها وأسجاعِها فوقَ معرفةِ غيرِه ممَن ألّفوا الكتبَ في هذا الفنّ. ولا أدري كيف كانت معرفتُه بالكواكب على مذهب العرب عِيانًا، فإنّه يحكي عن ابن الأعرابي وابن كُناسة وغيرِهما أشياءَ كثيرةً من أمر الكواكب تدلُّ على قلّة معرفتِهم بها، وإنّ أبا حنيفةَ أيضًا لو عرف الكواكب لم يُسند الخطأ إليهم، ثمَّ كلُّ من عرف من الفرقتين إحدى الطريقتين لم يعرف الأخرى وألّف في كتابه أشياءَ من غير الفنِّ الذي أَخذ فيه، نادى بها على نفسِه بالخطأ وخِفّة البِضاعة فيه، منهم أبو حنيفةَ فإنّه ذكر في كتابه أنّ البروج الاثني

وثلثا. ينتقل القمر بين هذه النجوم بدقة بمقدار ١٢,٨ درجة على وجه التقريب؛ أي أنه ينزل كل ليلة في منزلة من هذه المنازل، ويعود إلى موقعه الأصلي بعد ٢٨ منزلة، ثم يسْتَتِرُ ليلة ٢٨ إذا كان الشهر ٢٩ يوماً، أو ليلة ٢٩ إذا كان الشهر ٣٠ يوماً. القاموس الفلكي الحديث، ٢٨٧.

١ أبو حنيفة الدينوري والجزء الخامس من كتاب النبات، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء ٣، المجلد ٢٦، ٣٥٤.

عشرَ لم تسمَّ بهذه الأسماء لأنّ نظم كواكبِها مشاكلٌ للصورة المسمّاة باسمها، وأنّ الكواكبَ تنتقلُ عن أماكنها، وأسماءُ البروج غيرُ زائلةٍ وإنْ زال نظمُ الكواكب ولم يَعلم أنّ نظمَها لا يزول ولا يتغيّر، وكذلك أبعادُ بعضِها عن بعض، وعروضُها في الشمال والجنوب عن منطقة فلكِ البروجِ لا تزيد ولا تنقُص ولا تتغيّر عن جهاتها؛ لأنّها بأَسْرها تتحرَّك بحركتها الطبيعيّة حركةً واحدةً حول قُطبي فلك البروج، ولذلك سمّيت ثابتةً، وقدّر أبو حنيفةَ أنّها سمِّيت ثابتةً على الأغلب من الأمر لأنّ حركاتها بطيئةٌ بإضافتها إلى حركات الكواكبِ السريعةِ السيرِ، وهو لم يعرف هذه الأحوالَ لأنّها تَخفى إلّا على من قد سلك طريقةَ المنجّمين وارتاض بعلم الهيئة والأرصاد. وقد كنتُ أظنُّ لأبي حنيفةَ رياضةً بعلم الهيئة والرصد، فقد كنتُ بالدَّيْنَوَرِ في سنة خمس وثلاثين وثلاثِ مائة من سِني الهجرة في صُحبة الأستاذِ الرئيسِ أبي الفضل محمدِ بنِ الحسين أطال الله بقاءه وكان نازلًا في حُجرته، وحكى لي جماعةٌ من المشايخ أنّه كان يرصُد الكواكب على سطح هذه الحجرة سنينَ كثيرةً، فلمّا ظهر تأليفُه وتأمّلتُ ما أودعه كتابَه علمت أنّ الذي كان يراعيه إنّما كان طلبَ الظاهرِ المشهور من الكواكب وما كان يجدُه في كتب الأنواء من ذِكر المنازل وما أشبَهها".[١]

القاسمُ المشترك بين فئتي العلماء السابقتين هو اعتبارُهم أنّ الأرض مركزُ الكون. المدهشُ في الأمر أنّ العلماء الأوربيّين اللاحقين الذين اعتبروا الشمس مركز الكون قد حصَلوا على قِيَمٍ قريبةٍ من قِيَمِ الصّوفيّ، وهذا يعني أنّ توزُّع النجومِ في الكرة السماويّةِ المحيطةِ بنا مستقلٌّ عن فكرة مركزيّة الكون، أي هي بعيدةٌ عن أن تتأثّر بالنظام البطلميوسي القائلِ بمركزيّة الأرض، أو الكوبرنيكي القائل بمركزيّة الشمس والذي يماثل نظامَ أرسطارخوس الساموسي (القرن ٣ ق.م) وابنِ الشاطر (القرن ١٤م).

١ صور الكواكب، ٤ظ - ٥و.

الفئة الثالثة

ثمّة فئةٌ ثانويّةٌ ثالثةٌ وجّه لها الصُّوفيّ النقدَ هم صُنّاع الكرات السماويّة، فقد كانوا يخطئون في مواقع النجوم على الكوكبات، أو يخطئون في أقدار النجوم، أو يخطئون في رسم صور الكوكبات، ومصدرُ الأخطاء إمّا اعتمادُهم على المعلومات الموجودة في كتاب بطلميوس، أو أنّهم لم يكونوا يتوخّون الدقّة في صُنعها.

الفئة الرابعة

يمثِّل هذه الفئةَ أرصادُ النجوم في كتاب بطلميوس (المجسطي)، فقد استفاد الصُّوفيّ من الانتقادات التي قام بها ثلاثةُ أجيالٍ من علماء الفلك لأعمال بطلميوس (بدءًا بأصحاب الزِّيْج الممتحن الذي أُنجز أيّام المأمونِ في النصف الأول من القرن (٣هـ/ ٩م)، ومرورًا بالبتّاني، ووصولًا لأبي سهل القوهي (توفي نحو٣٩٠هـ/ نحو١٠٠٠م))، فهي التي شجّعت الصّوفيّ للتوجُّه نحو مجالٍ آخرَ، وهو نقدُ أرصاد النجومِ التي كانت في كتاب المجسطي، وكان حَدْسُه في مكانه، فقد توصَّل إلى نجومٍ جديدةٍ لم يرصُدها بطلميوس فقام بإضافتها خارجَ حدودِ صُورِ الكوكبات التي وضع أُطُرَها هذا الأخير.

من ناحيتنا أجرينا مقارنة[١] بين قِيَمِ أقدارِ النجوم التي وضعها بطلميوس وتلك التي وضعها الصّوفيّ، فوجدْنا أنّ الصّوفيّ صحّح أقدار (٢٠٣) نجمٍ من أقدار النجوم التي كانت موجودة في المجسطي، من بينها (١١) كان مظلمًا بالنِّسبة لبطلميوس؛ أي غير مرئيّ تمامًا. ولا نعتقد أنّه قد أهمل أيًّا منها كما يقول أحدُ الباحثين؛[٢] لأنّ الصّوفيّ مثله في ذلك مثل أيِّ عالمٍ فلكيٍّ في أيّ زمانٍ وضع بَرنامجًا دقيقًا لرصد نجومِ كلِّ كوكبة، فليس ثَمَّ مسوِّغٌ لأن يرصُد بعضَها ويصحِّح ما ورد فيها من الخطأ ويتجاهل أو يترك البعضَ الآخر، وإنّما كان يثبِّت قيمة الرصد عندما يجد تطابقًا بين قيمتِه وقيمةِ بطلميوس.

---

١ اعتمادًا على الفهرس الذي وضعه البيروني في كتاب القانون المسعودي، ج٣، ط١، الصفحات: ١٠١٤ - ١١٢٦.

٢ Hafez, Ihsan, Abd al-Rahman al-Sufi and his book of the fixed stars, p. 262.

أما من ناحية تذبذُبِ القُطب السماويّ فقد أَحيا ثابتُ بنُ قرَّة (توفي ٢٨٨هـ/ ٩٠١م) نظريّةَ التذبذُبِ Trepidation theory الخاطئةَ التي نادى بها ثيون السكندري (توفي ٤٠٥م) Theon، التي تقول إنّ القُطب السماويَّ يتذبذبُ جِيئةً وذَهابًا خلافًا للنظريّة الصحيحة التي سبق أن قدّمها هيبارخوس (توفي ١٢٠ ق.م) Hipparchus القائلة إنّ القُطب السماويّ يلتفُّ حولَ نفسه في مسارٍ دائريّ؛[١] لكنّ محمد بن جابرٍ البتّاني توصّل إلى أنّ نظريّة مبادرة الاعتدالين لهيبارخوس صحيحةٌ، وأنّ نظريّة ثابت ابن قرّة في التذبذبِ خاطئةٌ. وقد قاس بطلميوس معدَّل المبادرة فوجدها درجةً واحدة كل ١٠٠ سنة (المجسطي، المقالة السابعة، الفصل الثاني)، في حين وجدها البتاني درجة كل ٦٦ سنة، والقِيمةُ الصحيحة الحاليَّة هي درجة واحدةٌ كل ٧٢ سنة.[٢]

أمّا عن موقف الصُّوفيّ من هذا الموضوع فقد اتّفق مع القِيمة التي افترضها ثابتُ بن قرَّة[٣] وعارض البتّاني؛ لأنّه لو كانت قِيمة بطلميوس صحيحةً لوجب على الكواكب الثابتة أن تكون قد انتقلت خلال النصفِ الأوّل من القرن ٩م (أي بعد نحو ٧ قرون)، خصوصًا النجم الذي يُدعى (قلب الأسد)، والذي يَسهُل رصدُه في الطول بسبب قُربه من فلك البروج من موقعه الذي كان يُرصد منه في زمن بطلميوس بنحو ٧ درجات، بدلًا من ذلك فقد تغيّرت مقاديرُ طولِ هذه الكواكب نحو ١١ درجة في تلك الفترة، وهذا ما فرض وضعَ قِيمةٍ جديدةٍ لحركة هذه النجوم؛ أي نحو درجةٍ واحدةٍ كل ٦٦ سنة، وقد سارع جميعُ علماء الفلك العاملين في النصف الأول من القرن ٩م إلى قَبول القِيمةِ الجديدة، إلّا ابنَ كثير الفَرغاني (توفِّي بعد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م) بقي مخلصًا لقِيمة بطلميوس في أعماله[٤] لسببٍ مجهول.

---

١ مصباح علاء الدين، ١١٩.

٢ المرجع السابق نفسه، ١٢٢.

٣ تاريخ التراث العربي (علم الفلك حتى نحو ٤٣٠ هـ)، مجلد٦، ١/ ٢٣٨.

٤ العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوربية، ١٤٤.

-٦-

الصّوفيّ وفوائد النقد العلمي

أن ينتقد العالـمُ أعمالَ الآخرين أمرٌ سهل إذا كان متمكّنًا من أداوت النقد؛ لكنْ أن يمارس النقدَ على نفسه فهو من الصعوبة بمكانٍ، ومع ذلك فهو أمرٌ ضروريٌّ من أجل المُضِيّ قُدُمًا في تطوّر العلوم؛ إذْ يميل المرءُ في الغالب إلى التمسُّك بما اعتاد عليه من وجهات نظرٍ قديمةٍ، وحصولِه على النتائج نفسِها التي انتهى إليها من قبلُ. وتكمُن صعوبةُ النقد الذاتيّ في أنّه يتطلَّب هدمَ حصيلةِ عملٍ بَذل فيه العالـمُ جهدًا كبيرًا، ومراجعةً شاملة لخطواته السابقةِ من جديد، وقِلَّةٌ من العلماء الذين تتوفَّر فيهم هذه الخِصال، وعلى أكتاف هؤلاء ينهَض العلم.[١]

وقد تحصَّل الصّوفيّ على فائدةٍ عُظمى من نقده العلميّ لأعمال الآخرين، فقد أنتج معرفةً علميّةً أصيلةً قادتْه لاكتشافاتٍ جديدة. وهذا ما لمسناه في مشروعه الإصلاحيّ الذي هدف من خلاله إلى تنظيم ودمجِ التقليدين اليونانيّ والعربيّ في مجال الخرائطِ النجميّة وتحديدِ مواقعِ النجوم وإحداثيّاتِها.

ولـم يكن لهذا المشروعِ الاستمرارُ والتقدُّمُ لولا وجودُ كفاءةٍ علميّةٍ قادرة على القيام به، وإلّا كان مصيرُه الفشلَ والإجهاض، وقد كان الصُّوفيّ يدرك ذلك تمامًا؛ لذلك نراه حين شرع في القيام بهذا المشروع وَضَعَ جملةً من المعايير العلميَّةِ لنقد أعمالِ السابقين له، فهو يأتي عليها وينقِدها ثمّ يتجاوزها ولا يقع هو بها.

لذلك فإنّنا نجده قد استفاد من ذلك النقدِ، فأحكمَ تأليفَ كتابِه (صور الكواكب) على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: تصحيح أرصاد النجوم وتعيينُ مواقعها بدقَّةٍ أكبرَ ممَّا ورد في كتاب بطلميوس المسمى بـ(المجسطي)، وقد هيَّأ لذلك كلَّ ما يحتاجه من مرصد وآلات فلكيّة ومراجعَ وفريقِ عمل.

١ التفكير العلمي، ٢٨٣.

المستوى الثاني: أحكمَ لغةَ الكتاب العلميّة، فجاءت مفرداتُه ومصطلحاته وأسلوبه وأوصافه مترابطةً وواضحةً، فيمكن للمختصّ وغير المختصّ أن يقرأ ويفهم لغته.

المستوى الثالث: دعمُ الكتاب برسوماتٍ عاليّةِ الدقّة والإتقان للكوكبات النجميّة، بحيث تُمكّن العالمَ والمتعلّم من معرفة مكان كلِّ نجمٍ بالضبط داخلَ وخارجَ ما يسمَّى بحدود الكوكبة.

خاتمة ونتائج

إنّ طريقة النقدِ العلميّ التي تبنّاها الصُّوفيّ، وكان يريد منها الوصولَ إلى الحقيقة وحسب، هي التي منحت (صور الكواكب) القيمةَ العلميَة المضافة؛ فقد أتى بالجديد الذي لم يسبقْه إليه أحدٌ من قبلُ، وسيكون هذا العمل مرتكَزًا ومِعيارًا للكثيرين ممَّن سيدخلون مِحرابَه لاحقًا.

لقد تناولْنا في هذا البحث العلميّ منهجيّةَ التفكيرِ العلميّ الناقد عند العالم الفلكيّ عبد الرحمن الصّوفيّ من خلال كتابِه (صور الكواكب) وقد توصّلْنا إلى النتائج الآتية:

إنّ ثقافة النقد العلميّ كانت منتشرةً لدى العلماءِ العرب منذ القرن التاسع للميلاد، وقد تجلّت مظاهرُها في كلِّ أنواعِ العلوم من طبٍّ وفلكٍ وفيزياء وغيرِها من العلوم، على شكل تياراتٍ من الشكوك على أعمال اليونانيّين ومنهجيّاتهم.

توفَّرت في شخصية الصّوفيّ موهبةُ الناقد العلميّ البارع، وهذا يدلُّ على جودة تعليمِه وتفكيرِه وسعيِه الدؤوب لتقديم معرفةٍ علميّةٍ أصيلة.

يعدُّ كتابُ (صور الكواكب) بحسب تقييم المؤرّخين والفلكيّين أحدَ أهمِّ كتبِ علم الفلك العربيّ والإسلاميّ نظرًا إلى المنهجيّة العلميّة النقديّة التي وجَّهها لأعمال السابقين وللمعلومات الجديدة التي توصَّل إليها.

يُمثِّل كتابُ (صور الكواكب) مرحلةً فاصلةً في تاريخ علم الفلك؛ لأنّ الصُّوفيّ عمل فيه على الدمج بين التقليدين اليونانيّ والعربيّ في مجال علمِ الفلك، بعد أن

صحَّح ونقد كلًّا منهما، وبذلك جعل البابَ مشرعًا أمامَ الباحثين الجُدُدِ للمُضيّ قُدُمًا في تطوير علم فلكٍ جديد يحمل هويّة عربيّة عالميّة لا تزال بصماتُها موجودةً حتى اليوم.

لم يكن كتاب (صور الكواكب) ليأخذ قيمتَه ومكانته لولا المنهجيّةُ والمعايير النقديّة العلميّة الفذّة التي دبّجها الصّوفيّ فيه؛ فقد أراد لعمله التميّزَ عن أعمال الآخرين، لذلك لم يجد بُدًّا من الخروج بتفكيره خارج الصندوق.

حمل كتابُ (صور الكواكب) رسالةً نقديّةً علميّةً لكلِّ علماءِ الفلك اللاحقين مُفادُها: لا تُسلموا قيادةَ أفكارِكم لمن سبقكم من العلماء، فهم بشرٌ يمكنهم أن يقعوا في الأخطاء؛ لذلك عليكم التحقُّق ممّا يقدّمون بنقد أفكارهم لا أشخاصِهم.

انعكست المنهجيّة النقديّة العلميّة التي اتّبعها الصّوفيّ بشكلٍ إيجابيّ على كتابه على وَفْقَ ثلاثةِ مستويات: تصحيحٍ جديدٍ لأرصاد النجوم، وإحكامٍ للغة الكتاب العلمية، وإتقانٍ في رسم الخرائط النجمية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

- إبراهيم بن سيار النظام والفكر النقدي في الإسلام، محمد عزيز نظمي سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- أبو حنيفة الدِينوري والجزء الخامس من كتاب النبات، مصطفى الشهابي، مجلة المجمع العلمي العربي، الجزء ٣، المجلد ٢٦، دمشق، ١٩٥١م.
- أعلام الحضارة العربية والإسلامية، زهير حميدان، مجلد٢، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.
- بناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية، حليمة الغرري، ط١، الألكسو، تونس، ٢٠٠٢م.
- تاريخ التراث العربي (السيمياء والكيمياء والنبات والفلاحة حتى نحو ٤٣٠ هـ)، فؤاد سزكين، مجلد٤، ترجمة: عبد الله حجازي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٦م.
- تاريخ التراث العربي (علم الفلك حتى نحو ٤٣٠ هـ)، فؤاد سزكين، مجلد٦، ج١، ترجمة: عبد الله حجازي، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٨م.
- التفكير العلمي، فؤاد زكريًا، سلسلة عالم المعرفة-٣، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٧٨م.
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ضياء الدين ابن البيطار، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- الخطاب العلمي العربي، محمد الرميحي، مجلة العربي، العدد ٣٣٠، مايو، الكويت، ١٩٨٦م.
- رحلة في تاريخ العلم، أيوب أبو دية، ط١، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠م.
- روَّاد علم الفلك في الحضارة العربية والإسلامية، علي عبد الله الدفاع، ط٢، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٣م.
- الشكوك على بطلميوس، الحسن بن الهيثم، تحقيق: عبد الحميد صبرة ونبيل الشهابي، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١م.

- الشكوك على جالينوس، محمد بن زكريا أبو بكر الرازي، تحقيق: الدكتور مهدي محقق، المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، طهران، ١٩٩٤م.
- صناَّع الحضارة العلمية في الإسلام، أحمد محمد عوف، ج١، سلسلة العلم والحياة (٨٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، كرلو نلينو، ط٢، أوراق شرقية، بيروت، ١٩٩٣م.
- العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوربية، جورج صليبا، ترجمة: محمود حداد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠١١م.
- الفهرست، أبو الفرج ابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- القاموس الفلكي الحديث، سائر بصمه جي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.
- كتاب صور الكواكب، عبد الرحمن الصوفي، مخطوطة مكتبة بودليان، مارش-١٤٤.
- كتاب صور الكواكب ومنهجية البحث عند الصوفي، محمد علي الزركان، بحث منشور ضمن أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في دير الزور ١٢-١٤ نيسان، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، ١٩٨٨م.
- مختصر تاريخ الدول، أبو الفرج ابن العبري، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٣، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م.
- مصباح علاء الدين، جون فريلي، ترجمة: سعيد محمد الأسعد ومروان البواب، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط٢، ج٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- مناهل الابداع، فاليري بفننغر وكارل وشوبيك، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٣م.
- النقد عند علي بن رضوان، سلمان قطاية، مجلة المورد، المجلد ١٢، بغداد، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية

- Abd al-Rahman al-Sufi and his book of the fixed stars: a journey of re-discovery, Ihsan Hafez, PhD thesis, James Cook University, 2010.
- Invitation to Critical Thinking, Rudinow, Joel & Vincent E. Barry, Sixth Edition, Thomson Higher Education, Belmont, 2008.
- Painting the Stars in a Century of Change, Moya Catherine Carey, Part 1, School of Oriental and African Studies, Ph.D. thesis, 2001.
- The Need for Critical Thinking and the Scientific Method, Finlay MacRitchie, CRC Press, Taylor & Francis Group, Boca Raton, 2018.

فيصل الحفيان.. وعبقريَّة العقل التراثي

التشكيل والمنجز والخصائص

أ. د. خالد فهمي

جامعة المنوفية - مصر

ملخص

يتناول هذا البحث مثالًا واضحًا على تجلِّيات العبقريَّة المشتغلة بالعناية بالتراث، ويتفرَّغ لمثال الدكتور فيصل الحفيان

ومن أجل الوفاء بهذا المطلوب يناقش البحث المطالب التالية:

١- الموروثات المانحة التي شكَّلت عبقريَّة فيصل الحفيان

٢- الحواكم والضوابط التي حكمت اشتغال عبقريَّة فيصل الحفيان

٣- تحليل كليَّات خدمة فيصل الحفيان للتراث العربي.

٤- خصائص العقل التراثي لفيصل الحفيان وموائزه

وقد ظهر من فحص هذه المطالب الأربعة أنَّ عقل فيصل الحفيان التراثي كان عقلًا تجديديًا بامتياز

الكلمات المفتاحيَّة: العقل التراثي، فيصل الحفيان، الفيلولوجيا، معهد المخطوطات، الدراسات التراثية، تحقيق النصوص، مجلة معهد المخطوطات.

Fayṣal al-Ḥafyān the Genius of the Traditional Intellect: Formation, Achievement, and Characteristics

Dr. Khalid Fahmy
The Faculty of Art- Monifia university

Abstract

This research exam a clear example on the manifestation of genius who work with care of heritage ,the research examples devoted to the Dr. Fayṣal al-Ḥafyān

In order to fulfill this requirement this research will discuss the following:

1- The donor legacies that shaped the genius of Fayṣal al-Ḥafyān

2- The rulings and controls that governed the operation of Fasial Al Hefian genius

3- Analysis of achievements of Fayṣal al-Ḥafyān

5- Characteristics heritage mind for Fayṣal al-Ḥafyān and his features

The examination for the requirements showed that the heritage mind of Fayṣal al-Ḥafyān was par excellence

Keywords: Heritage mind, Fayṣal al-Ḥafyān. philology, manuscript institute, heritage studies, text verification, journal of the manuscript institute.

مدخل

مثال على عبقريَّة الإنجاز والإتقان

يُعَدُّ فيصل الحفيان (١٣٧٩هـ= ١٩٥٩م) مثالًا واضحًا على تجلِّيات العبقريَّة من حيث نِتاجُ الإنجاز والإتقان.

وهو بهذا يمثِّل نمطًا "من أعلى مستويات تطوُّر القدرات الإنسانية العامَّة (العقلية) والقدرات الخاصَّة. وقد حاز هذا الوصف "من خلال فعالية الخلاقة" التي تحرَّك بها في حياة المجتمع العربي في قطَّاع خاصٍّ من نشاطاته أثمرت نوعًا من التطوُّر الثقافي" وهو الدليل على وجود هذا الوصف بالعبقريَّة فيه.

[انظر: معجم علم النفس المعاصر، لبتروفسكي، وياروشفسكي، ترجمة حمدي عبد الجواد، وعبد السلام رضوان، وتحرير سعد الفيشاوي، ومراجعة د. عاطف أحمد، دار العالم الجديد، القاهرة، ط(١) سنة ١٩٩٦م (مدخل: العبقريَّة Geniality/ص ص ١١٠-١١١)]

وبناءً على ذلك فإنَّ وصف عمله وتجربته في إدارة معهد المخطوطات العربية بالعبقريَّة محمولٌ على الحقيقة لا المجاز، وعلى الموضوعية لا العاطفية، وعلى العلمية المستندة إلى تطوُّر النظر إلى العبقريَّة في مصطلحيَّة علم النفس المعاصر، لا على الانطباعية أو العشوائية أو الاحتفالية الفارغة من الدليل.

وهو ما تحاول هذه الورقة أن تقيم البراهين العملية على صدقه واستقراره، من غير شبهة مجاملة.

-١-

المورِّثات المانحة

ثمَّة ثلاثة أشكال من المورِّثات المانحة تضافرت معًا وتآزرت في إنتاج ما عبَّرت عنه الورقة باسم: عبقريَّة العقل التراثي.

وهذه الأشكال الثلاثة من المورَّثات المانحة تنهض بتفسير ذلك التكوين الفريد الذي تحقَّق لفيصل الحفيان، وتنهض بتفسير حركته العملية، ومنجزه التطبيقي في ميدان العمل الثقافي بوجهٍ عامٍّ، وميدان العمل الثقافي التراثي بوجهٍ خاصٍّ، وميدان العمل في خدمة المخطوط العربي بوجه أخصَّ.

وهذه المورِّثات الثلاثة هي كما يأتي:

- حضانة البيئة الحضارية الباكرة.
- فاعليَّة القدرات العقلية والنفسية والعملية.
- فاعليَّة التكوين الثقافي والاختصاص المعرفي.

١/ ١: حضانة البيئة الحضارية الباكرة

ثمَّة تأثيرٌ للمخزون الحضاري في مساحاتٍ من جغرافيَّات الوطن العربي، عُرفت بالإنتاج الحضاري، وهي تلك المساحات المعروفة في مصر، والشام على سبيل المثال.

وهي المساحات التي مَنَحَت المشرق العربي مستوًى من التميُّز المعترف به في مواجهة غيره من المساحات الجغرافيَّة.

والحقيقة أنَّ فحص مشكل (هجرة الشوام) على وجه التعيين، يكشف عن اصطباغ الشخصيَّة الشامية بحزمةٍ من الخصائص التي تبرهن على نمطٍ من الفاعلية الحضاريَّة بالغة التأثير في عدد من الحواضر التي نزلوا بها وهاجروا إليها على امتداد

التاريخ العربي الحديث والمعاصر على الأقلِّ.

وفيصل الحفيان أحد أهمِّ الوجوه التي تبرهن على الحضور الفاعل لمخزون البيئة الحضارية التي غذَّت نفوس الشوام بصورةٍ واضحةٍ جدًّا، وهو مخزونٌ بيئيٌّ ريفيٌّ، ومخزونٌ بيئيٌّ جغرافيٌّ يتمتَّع بالبساطة وخلوِّه من التضاريس القاسية المتوحِّشة.

والمدهش في تحليل أثر هذا المورِّث المانح الذي أسهم في تشكيل عبقريَّة فيصل الحفيان أنَّه جاء إضافةً من نمط جديد إلى حقل الإدارة الثقافية بالمعنى الواسع لهذا المفهوم؛ أي أنَّه لم يأت اجترارًا لتطبيقات المخزون الحضاري للبيئة الحضارية الشاميَّة الفاعلة التي تجلَّت في ميادين نشر الكتاب، وتطوير الطباعة، وميادين الفنون، ولا سيَّما مجالات المسرح، إضافةً إلى ميادين الصناعات المتنوِّعة.

١/ ٢: فاعليَّة القدرات العقلية والنفسية والعملية

يمثِّل حضور ثلاثيَّة القدرات العقلية والنفسية والعملية ثاني المورِّثات المانحة التي أسهمت في تشكيل عبقريَّة فيصل الحفيان بما هي مرادفٌ للإنجاز على قاعدة الإتقان.

والحقيقة أنَّ القدراتِ العقليةَ هي هنا نوعان:

أوَّلًا: القدرات العقلية العامَّة بما هي هبةٌ ربَّانيَّةٌ استقبلها فيصل في نفسه استقبال الشاكر الذي فارق جغرافيَّات الإعراض والغفلة إلى جغرافيَّات العمل والشكر الواجب عمليًّا للهبة.

ثانيًا: القدرات العقلية الخاصَّة التي نتجت عن حسن توظيف القدرات العقلية العامَّة، وهو حسن التوظيف الذي أثمر في نفس فيصل ملكاتٍ فكريَّةً ولسانيةً وجماليةً.

والحقيقة مرَّةً أخرى، أنَّ فيصل الحفيان يتحرَّك بطاقاتٍ نفسيةٍ قادرةٍ على التأمُّل والتريُّث عملت عملها بتأثير النفسيَّة الهادئة الوقور.

ثمَّ إنَّ التجربة العملية، والخبرة التي تراكمت في نفسه على امتدادٍ زمنيٍ طويل، أكسبته زمرةً من المهارات العملية صقلت مواهبه بصورةٍ ممتازة.

وهذه التجربة العملية جاءته من الروافد الآتية:

أوَّلًا: خبرة الأسفار المتنوِّعة.

ثانيًا: خبرة المجتمعات العربية المتنوِّعة التي عاش فيها حقبًا زمنيَّة ممتدَّة.

ثالثًا: خبرة المؤسَّسات التعليمية والبحثيَّة المتنوِّعة التي عمل فيها.

رابعًا: خبرة العلاقات الإنسانية الراقية التي انخرط انخراطًا حميدًا فيها، ينضاف إليها خبرة العلاقات الرسمية والدبلوماسية.

خامسًا: خبرة الأعمال المتنوِّعة التي التحق بها.

سادسًا: خبرة المستويات الإدارية التي تنقَّل بينها.

١/٣: فاعلية التكوين الثقافي والاختصاص العلمي

تكشف مراجعة السيرة الذاتية لفيصل الحفيان عن نمطٍ من التكوين الثقافي أسهمَ بصورةٍ أوَّليَّةٍ في تشكيل عبقريَّة عقله تراثيًّا؛ ذلك أنَّه تخصَّص في اللغويَّات، وتحصَّل على درجة الدكتوراه فيها من جامعة الأزهر، بالقاهرة، ١٩٩٩م. وكان لانخراطه محرِّرًا إعلاميًّا في وزارة الإعلام الكويتية دورٌ مهمٌّ في هذا، ثمَّ جريدة الأنباء الكويتية، ثمَّ مسئولًا عن الإعلام التراثي والمطبوعات، في معهد المخطوطات العربية في مدَّة وجوده في الكويت، وقد امتدَّت على عقدٍ كاملٍ من الزمان من سنة ١٩٨٠-١٩٩٠م.

والحقيقة أنَّ الانشغال العلمي في حقل اللسانيَّات التراثية بحكم اتِّساعه واشتباكه مع النصوص وأعلام الثقافة العربية، من لغويين ومفسِّرين ومحدِّثين وشعراء، لهم آراؤهم ونصوصهم الشواهد، والمدارس العلمية المتنوِّعة، والأصول المؤسِّسة لعمل المنتمين لها، أسهم بصورةٍ ممتازةٍ في اتِّساع منجز فيصل الحفيان على قاعدة الشمول والاتِّساع، وعلى قاعدة الإتقان والعمق.

ومن هنا فإنَّ اشتغال ثلاثة هذه المورَّثات المانحة يمثِّل نقطةً أوَّليَّةً في تحليل إنتاجيَّة عبقريَّة فيصل الحفيان في ميدان الدراسات التراثية وإدارة المؤسَّسات الثقافية التراثية.

-٢-

خطاب الحواكم وضوابط الإنتاج والتشغيل

ثمَّة عددٌ من الضوابط والحواكم يمكن تمييزُها بوضوحٍ في تحليل إنتاجيَّة عبقريَّة العقل التراثي لفيصل الحفيان، وهي الضوابط التي أنتجتها المورَّثات الحاكمة في نفسه وضميره.

وهذه الضوابط الحاكمة هي:

- الانتماء الأصيل.
- الوعي بالنموذج المعرفي الخاصِّ.
- الإيمان بالتراث.
- الإيجابيَّة العملية والحركية في خدمته.

٢/ ١: الانتماء الأصيل لهوية الأمَّة

يمثِّل هذا الضابط أو الحاكم بحضوره الفاعل أحدَ أهمِّ العوامل التي أسهمت في تشغيل عبقريَّة عقل فيصل الحفيان في مجال خدمة التراث والمخطوط، وهذا الحاكم مسألةٌ جوهريَّةٌ جدًّا تدفع إلى العمل، وإلى العمل بطريقةٍ متعاطفةٍ ومتميِّزة.

ويوشك هذا الضابط الجوهري أن يعزي حضور قِيَم الحرص على النافع والمتقن والجمالي في كلِّ الأعمال التي تميَّزت بها حقبة إدارة فيصل الحفيان لمعهد المخطوطات العربية على وجه التعيين.

٢/ ٢: الإيمان بالتراث

كان عبد السلام هارون (ت ١٩٨٨م) يرى أنَّ الوطن هو المهد الأوَّل لجسم الإنسان، يحنُّ إليه كلَّما بعد به المطاف في بلاد الله، ويشير في قرارة نفسه بحبِّه،

وتفديته، والاستهانة ببذل المال والنفس في سبيل الحفاظ عليه، ويدين له أبدًا بالولاء والإعزاز مهما أغرته المغريات، وباعدت بينه وبين أرضه ضرورات العيش، كذلك يُعَدُّ التراث الفكري هو المهد الأوَّل لتفكيره ولنفسه.[١]

والظاهر جدًّا أنَّ عبقرية فيصل الحفيان في ميدان خدمة التراث والمخطوط تترجم بصورةٍ بالغةِ الوضوح إيمانَه بالتراث، وولاءه له، وارتباطَه به؛ للدرجة التي يمكن أن نقرِّر معها في اطمئنانٍ حقيقيٍّ أصيلٍ أنَّ "التراث صار وطنًا لفيصل الحفيان" بالمعنى السيكولوجي والبيولوجي معًا؛ لاعتباراتٍ متعدِّدة، وفي الصدر منها الظروف الخاصَّة التي تعرَّضت لها الأرض السورية!

ويمكن تلخيص أبعاد هذا الضابط في نفسيَّة الحفيان في ما يأتي:

- أوَّلًا: استصحاب الشعور باستقرار الكينونة والهويَّة الذاتية في ظلِّ الارتباط بهذا التراث وتشكُّله المادِّي في المخطوطات العربية.

- ثانيًا: تحويل التراث المخطوط إلى ما يمثِّل تسميته بالوطن البديل الذي يعوِّض الابتعادَ عن الأرض.

- ثالثًا: الصدور في التعامل مع التراث والمخطوط العربي عن مبدأ اللذَّة والمتعة.

ولا يمكن تصوُّر تجلِّيات خدمة فيصل الحفيان للتراث العربي، وفي القلب منه المخطوط، إلَّا في ظلِّ استحضار مفهوم الإيمان بالتراث العربي، وفق تلك الثلاثيَّة المذكورة هنا الآن. والحقيقة أنَّ هذا المفهوم النفسي العقلي بالأساس استصحب ما يمكن تسميتُه بالإحساس "بهيبة التراث"، وهي الهيبة التي أنتجت تطبيقاتٍ عمليَّةً كثيرة.

٢/ ٣: الوعي بالنموذج المعرفي الخاصِّ

يكشف تحليل خطاب عددٍ من المقدِّمات التي كتبها فيصل الحفيان بين يدي عدد من إصدارات معهد المخطوطات المتنوِّعة عن حضور وعيٍ حقيقيٍّ بطبيعة النموذج المعرفي الخاصِّ الذي تحرَّك به هذا التراث العريق الممتدُّ المتراكم.

---

١ التراث العربي، سلسلة كتابك، ١٤.

والحقيقة أنَّ الوعي بالنموذج المعرفي الإسلامي الذي حكم مسيرة التراث العربي يتمثَّل في ثلاثة عمدٍ أساسيَّةٍ، هي:

- أوَّلًا: صدورُه عن ترجمةٍ أمينةٍ جدًّا لقيم التوحيد الاعتقادي بصورةٍ ممتازة، نرى آثارها الكمِّي والكيفي في خرائط توزيع الحقول المعرفية التي خدمها التراث العربي، وتنوُّع أنساق التأليف فيه على قاعدتي التيسير على المستعملين من جانب، وقاعدة طلب الإتقان من طريق الاستدراك والتنبيهات والانتقاد من جانب آخر.

- ثانيًا: صدورُه عن استهدافٍ أمينٍ جدًّا لقيم العمران بالمعنى الواسع جدًّا، تأسيسًا لأوَّليَّاتٍ غيرِ مسبوقةٍ، وتتميمًا لنواقصَ فرطت من أصحابها، واستدراكًا عليها شرحًا وتحشيةً ونظمًا.

وهذه الروح تجلَّت فحافظت على تحقيق قيم النفع والقوَّة والاستيعاب والجمال بصورةٍ مذهلةٍ واضحة الآثار.

- ثالثًا: صدورُه عن إرادة خدمة قيم التزكية، ودعم مسارات تأنيس الإنسان، ودعم بشريَّته، والعطف عليها من جهات التيسير، والتنويع، والإعانة على التحصيل، والإعانة على الاسترجاع من طريق الإعانة على الحفظ من دون إهمال مطالب النفس في دعم القيم الجمالية من جهات تجلِّيات تطوير الخطِّ وتحسينه، والعناية بالرسوم والصور والمنمنمات والزخرفة والزركشة والتذهيب، وغير ذلك من التطبيقات الجمالية في المخطوطات العربية.

-٣-

عبقريَّة العقل التراثي

خطاب تحليل كلِّيَّات الخدمة والمنجز

يعدُّ هذا المطلبُ بمنزلة الدليل العملي على أثر المورِّثات المانحة من جانبٍ، وحضورِ ضوابط الإنتاج والتشغيل الحاكمة لمنجز العبقرية التراثية التي يتحرَّك بها فيصل الحفيان من جانبٍ آخر.

وفي ما يأتي رصدٌ لكلِّيَّات خدمة التراث وحدود المنجز التي نهض بها في مسيرته العملية:

٣/ ١: التجديد وارتياد حقول معرفية وعلمية مجهولة ومنسية

إنَّ المراجعة السريعة لمنجز المعهد في الحقب السابقة لولاية فيصل الحفيان، تكشف عن نمط عنايةٍ بنصوص العلوم اللسانية والعربية بصورةٍ أساسيَّةٍ، وهو ما يفسِّر تنامي نشر نصوص الشعر، واللغة والتاريخ، والفقه، حتَّى إذا كان عهد فيصل الحفيان تحوَّل الأمر إلى العلوم العقلية والحكمية، وهو ما يتجلَّى في نشر النماذج الآتية:

أ: حقبة الإشراف على النشر بالمعهد

-مصالح الأبدان والأنفس، لابن سهل البلخي (ت ٣٢٢هـ= ٩٤٣م) تحقيق محمود مصري، تصدير هيثم الخيَّاط، معهد المخطوطات، القاهرة، ٢٠٠٥م.

-منهاج البيان في ما يستعمله الإنسان، لابن جَزْلة البغدادي، (٤٩٣هـ= ١٠٩٩م) تحقيق محمود مهدي بدوي، مراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م.

ب: حقبة المديرية للمعهد

١- كتاب النصيحتين للأطبَّاء والحكماء، لموفَّق الدين البغدادي (ت ٦٢٩هـ= ١٢٣١م)، تحقيق محمَّد كامل جاد، تصدير فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م

٢- المجادلة بين الحكيمين الكيميائي والنظري، ومعه رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء، لموفَّق الدين البغدادي (ت ٦٣٩هـ= ١٢٣١م) تحقيق محمَّد كامل، تصدير فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٤م

وفحصُ خصائص هذا التجديد يكشف عن توجُّهٍ واعٍ لخدمة ما يأتي:

أوَّلًا: خدمة التراث العلمي الذي يحاول الإعانة على تجاوز حالة التراجع

الحضاري المادِّي الراهن في الأمَّة.

ثانيًا: خدمة مجالات الأخلاق التطبيقية التي تمثِّل نوعَ تميُّزٍ ناتجٍ عن استصحاب روح النموذج المعرفي الإسلامي الذي هيمن على إنتاج التراث العربي.

ثالثًا: دعم تطوير إجراءات تحقيق النصوص التراثية التي ظلَّت لحقبٍ ممتدَّةٍ أسيرةً للنصوص النظريَّة أو الأدبية بالمعنى الواسع، وهو ما كان من أثره دعمُ تطوير إجراءات تحقيق النصوص التراثية الطبِّيَّة والهندسية والجغرافية والمعدنية والصيدلية، وغيرها.

٣/ ٢: التوجُّه نحو نقل المعرفة الحديثة وتوظيفها من طريق الترجمة

إنَّ هذه النقطة تعيينًا تشغل أهمَّ علامات تجلِّي العبقريَّة التراثية التي تحرَّك بها فيصل الحفيان بصورةٍ واضحةٍ، وقد اتَّخذت مسارين:

الأوَّل: مسار تخصيص بابٍ لترجمة المقالات المؤسَّسة في مجلَّة المعهد، والملحوظ على أعمال هذا المسار هو استمرارُها واستقرار العناية بها، بصورةٍ شبه دائمة الظهور في باب (ترجمات) في مجلَّة المعهد، من مثل:

- الكتاب لسيبويه .. نسخة أندلسية من القرن ٦هـ، جونفيف أمبير، ترجمة محمَّد مفتاح، ومؤنس مفتاح، المجلَّة، ع ٥٩/ ٢، نوفمبر، ٢٠١٥م، ص ص ٢١٩-٢٣٤.

- استخدام أشعَّة جاما ضدَّ فطريَّات المخطوط، مانويلا دي سيلفا، ترجمة أميرة سعد عزب، المجلَّة، ع ٦٠/ ١، مايو، ٢٠١٦م، ص ص ٢١٣-٢٥٤.

- استخدام أشعَّة جاما في صيانة الكتب، باتريك سينكو، ترجمة أمير سعد عزب، المجلَّة، ع ٦٠/ ٢، نوفمبر، ٢٠١٦م، ص ص ٢٧٢- ٢٨٢.

- ملحوظات على اليوميَّات في الكتابة التاريخية الإسلامية، جورج مقدسي، ترجمة أحمد عبد المنعم العدوي، المجلَّة، ع ٦١/ ١، مايو، ٢٠١٧م، ص ص ١٨٦-٢١٧.

- إضاءات جديدة حول مصطلح (البكالوريا)، رفعت عبيد، ويونغ، ترجمة أحمد عبد الباسط، المجلَّة ٦١/ ٢، نوفمبر، ٢٠١٧م، ص ص ٢٦٤-٢٨١.

والثاني: مسار ترجمة كتبٍ كاملةٍ من نوع الأعمال المرجعية الرائدة، من مثل:

- تقاليد المخطوط العربي، لآدم جاسك، أعدَّ الجزء الأوَّل محمود زكي، وقدَّم له وراجعه فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

وترجم الجزء الثاني (معجم المصطلحات) مراد تدغوت، وقدَّم له وراجعه فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٠م

- المرجع في علم المخطوط العربي، لآدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٦م

- الكتاب العربي المخطوط... مقدِّمات تاريخية، لفرانسو ديروش، ترجمة مراد تدغوت، ومراجعة فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٦م.

- كتاب المخطوطات، لألفونسو دان، ترجمة مصطفى طوبي، قرأه وقدَّم له فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٢٢.

وفحصُ هذه العيِّنة من الترجمات يكشِف عمَّا يأتي:

أوَّلًا: منزلتها الرائدة في مجال حقل دراسة المخطوطات العربية.

ثانيًا: تنوُّعها المعرفي وتوزُّعها على خدمة:

- مصادر العلم.

- مفاهيم العلم.

- المقدِّمات التاريخية للعلم.

- مسائل العلم ومشكلاته.

ثالثًا: رقيُّ منزلة مؤلِّفيها في الميزان العلمي بصورة ممتازة.

رابعًا: انضواؤها تحت الأعمال المرجعية، ذات الصبغ الموسوعي.

خامسًا: ارتفاع مستوى أنساقها التأليفيَّة، وعنايتها بتوظيف الموضِّحات البصرية من اللوحات والرسوم والجداول والخطوط وغيرها.

٣/٣: توسيع جغرافيَّة دراسات المخطوطات العربية

ظلَّ أمر دراسة المخطوطات العربية في الوطن العربي حبيس الأطر التاريخية بصورةٍ أساسيَّةٍ، لم يتجاوزها إلَّا إلى مساحاتٍ قليلةٍ تُعْنَى بفهرسةٍ على وجهٍ خاصٍّ.

لكنَّ العقل التراثي الذي تمتَّع به فيصل الحفيان وبتأثير من المورِّثات المانحة، والضوابط الحاكمة، انتقل إلى مساحاتٍ كانت شاغرةً، وهو ما يمكن التعبير عنه -بلا أدنى مبالغة- بتوسيع جغرافيَّة دراسات المخطوطات العربية، ودراسة قضاياها الجديدة.

ومن الحقول المعرفية التي ارتادها ولم تكن موجودةً من قبلُ، ما يأتي:

أوَّلًا: اقتصاديَّات المخطوطات وتجارتها. وفي هذا الصدد نشر المعهد كتاب: (تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها)، لعابد سليمان المشوخي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م.

ثانيًا: جماليَّات المخطوط العربي. وفي هذا الصدد نشر المعهد كتاب: (علم المخطوطات الجمالي)، لإدهام حنش، تصدير فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠١٨م.

ثالثًا: التوجُّه نحو إعادة إحياء علم تحقيق النصوص التراثية، وفحص الأسس الفلسفية والنظريَّة الحاكمة، ومحاولة محاصرة تيَّارات الاجترار والتقليد والاستنساخ للأدبيَّات الرائدة في هذا المجال، وهو ما يتجلَّى في ما كتبه فيصل الحفيان، من مثل:

١- اختيار النصِّ.. تقنين التفكير في التحقيق، لمحمود المصري، وفيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٤٠هـ= ٢٠١٨م.

٢- التحقيق والقراءة... إشكاليَّة المصطلح وثنائية التعامل مع النصِّ، لفيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٢٠م، ضمن سلسلة مقالات في التحقيق، ع١.

رابعًا: العناية بالتأسيس المفاهيمي لمفهومات حقل دراسات المخطوطات العربية، وهو ما تجلَّى في ترجمة عددٍ من الأعمال المرجعية المعجمية المختصَّة بمصطلحية هذا الحقل، ممَّا سبق ذكرُه من أعمال آدم جاسك، من مثل:

تقاليد المخطوط العربي (معجم مصطلحات)، المرجع في المخطوط العربي.

خامسًا: العناية بالتأسيس المصادري لحقل دراسات البحث، وأقصد بهذه العلامات العنايةَ بالدلالة على المصادر المعينة على تعميق الدرس المعاصر للمخطوطات العربية، وهو ما يظهر مثلًا من إعداد كتاب آدم جاسك، تقاليد المخطوطات العربية في جزئه المختصِّ بالمصادر.

سادسًا: التوجُّه نحو خدمة حقل دراسات المخطوطات بالأعمال المرجعية المساعدة، ولا سيَّما أعمالُ الفهارس النوعيَّة التي تمثِّل مادَّة إعانةٍ للمشتغلين بميدان دراسات المخطوطات بشكل عامٍّ، ودراسات تحقيق النصوص التراثية بصورةٍ خاصَّة.

ومن هذه الأعمال التي ظهرت العناية بنشرها في المعهد ما يأتي:

١- فهرس المخطوطات الأصول (ق ٤-١١هـ= ١٠-١٧م)، صنعه تامر الجبالي، وتقديم فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة١٤٣٢، هـ= ٢٠١١م، والمخطوطات الأصول؛ بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح الذي يحيط بالنسبة الخطِّيَّة إلى المؤلِّف، وهي شريحةٌ مهمَّةٌ جدًّا من المنظور الكوديكولوجي من جانب، والمنظور الاجتماعي والنفسي للمؤلِّفين من جانبٍ آخر.

٢- دليل مكتبات المخطوطات في الوطن العربي، تحرير محمَّد محمَّد عارف، تقديم فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤/٣: توطين ثقافة المخطوط في تربة الثقافة العربية العامَّة

عَمِل العقلُ التراثي لفيصل الحفيان متأثِّرًا بالمورِّثات المانحة على نشر ثقافة المخطوط العربي في الأوساط الثقافية العامَّة.

واتَّخذ من أجل ذلك مساراتٍ بالغةَ الأهمِّيَّة والتأثير، هي:

أوَّلًا: تأسيسُ نوافذَ جديدةٍ للتعريف بثقافة المخطوطات العربية، تمثَّلت في مجلَّة المخطوطات الثقافية، التي صدر العدد الأوَّل منها سنة ٢٠٢٠م.

ثانيًا: تأسيس شراكات ذات طبيعةٍ عامَّةٍ (شعبية) الانتشار، واستثمارُها في نشر ما ينهض بدعم ثقافة المخطوطات العربية على ما نرى من نشره العمل المحرَّر: علم المخطوط العربي: بحوث ودراسات، بالاشتراك مع وزارة الأوقاف والشؤون بدولة الكويت، من خلال قِطَّاع الشؤون الثقافية، ممثّلًا في مجلَّة الوعي الإسلامي (الكتاب ٧٩ سنة ١٤٣٥هـ= ٢٠١٤م).

ثالثًا: توسيع نطاق توزيع مجلَّة المخطوطات الإخبارية، وإتاحتها إلكترونيًّا بعد أن كانت نشرةً ورقيَّةً فقط.

رابعًا: إطلاق مبادرة يوم المخطوط العربي ٢٠١٣م، والحفاظُ على دوريَّة انعقاده، وتطويره، وتشبيك المؤسَّسات الثقافية والأكاديمية الرسمية والأهلية في الاحتفال به على مدار ثماني دوراتٍ متواصلة.

٣/٥: الانتقال بالمعهد إلى صفوف الأكاديميَّات المختصَّة

إنَّ فحص ما طوَّره فيصل الحفيان من أعمال معهد المخطوطات من جانب، وما أضافه إليه من أعمالٍ جديدةٍ من جانبٍ آخر أسهمت في الانتقال بالمعهد إلى صفوف الأكاديميَّات المختصَّة بامتياز.

والقارئ الكريم يستطيع -في يُسرٍ شديد- أن يقف على ما أتاحته عبقريَّةُ العقل التراثي لفيصل الحفيان في هذا السياق، وبالإمكان التدليل عليه بما يأتي:

أوَّلًا: الانتقال بالمعهد إلى صفوف الأكاديميَّات التدريسيَّة والتدريبيَّة؛ بما أسَّسه من:

-دبلومِ علوم المخطوط، الذي تخرَّج فيه عدَّةُ دفعات.

-إطلاقِ عددٍ كبيرٍ بصورةٍ فصليَّة مطَّردةٍ من الدورات التأسيسية والتدريبية في

ميادين: تحقيق النصوص التراثية وفهرسة المخطوطات بوجهٍ خاصٍ.

ثانيًا: الانتقال إلى صفوف الأكاديميَّات والمراكز العلمية البحثيَّة، بما كان من تأسيسه برنامجَ الماجستير في علوم المخطوط، واستقدامِ مشرفين مختصِّين من بلدان العالم العربي كلِّه بصورةٍ أساسيَّة.

هذا إضافةً إلى جهود المعهد في صناعة الكشافات للمصادر التراثية المطبوعة، والتكليف بالترجمة، والتكليف بالتأليف، والتكليف بالمراجعات العلمية لما يصدره المعهد من ترجماتٍ ومؤلَّفات.

وكان لي شرف الاستجابة لعدد من التكليفات التي استكتبني فيها المعهد من طريق فيصل الحفيان، لصناعة مراجعاتٍ علميةٍ لبعض ما أصدره المعهد في عهده، من مثل: المراجعة العلمية التي صنعتها لترجمة مراد تدغوت لكتاب: (المرجع في علم المخطوط العربي)، لآدم جاسك، وكتاب (التحقيق والقراءة)، لفيصل الحفيان نفسه، وعرفت طريقها للنشر في المجلَّة العلمية للمعهد.

ثالثًا: الانتقال إلى صفوف الأكاديميَّات في مجال خدمة المجتمع وتنميته.

إنَّ مراجعة اشتباك المعهد مع شؤون البيئة وخدمة المجتمع تكشف عن تأسيس حزمةٍ من الممارسات الموجَّهة بالأساس إلى خدمة المجتمع ونشر ثقافة المخطوط، والتعاطف مع التراث بصورةٍ عمليةٍ، ومن أدلَّة ذلك تأسيس الأعمال الآتية:

-تأسيس الموسم الثقافي السنوي، ودعوة رموز الفكر والثقافة من كلِّ بلدان الوطن العربي للمحاضرة فيه.

-تأسيس يوم المخطوط العربي، والحفاظ على دوريَّة انعقاده على امتداد ثماني دوراتٍ متعاقبة، وتطويرها، وتوسيع جغرافيَّة الاحتفال به في الجامعات، والمكتبات الوطنية، والمؤسَّسات الثقافية التراثية.

-عقد دوراتٍ في أسس التحقيق، والتدريب عليه، وفي الفهرسة، وخطوط المصاحف، وخطوط المخطوطات، وغيرها.

رابعًا: الانتقال بالمعهد إلى صفوف المؤسَّسات الإنتاجية في مجال النشر.

وممَّا يحسب لعقل فيصل الحفيان التعاقد مع دور النشر الكبرى والصحف واسعةِ الانتشار على توزيع مجلَّة معهد المخطوطات، ومجلَّة المخطوطات الثقافية، ممَّا يعدُّ خدمة للمجتمع من جانبٍ، وتوسيعًا لدوائر التوعية الثقافية بقضايا المخطوطات العربية من جانبٍ آخر.

٦/٣: تجديد النوافذ الموروثة، وتوسيع استثمارها

من الأعمال الجليلة التي تبرهن على عبقريَّة عقل فيصل الحفيان التراثي ما نهض به من تجديد النوافذ الموروثة، وتوسيع استثمارها.

وممَّا ورثه وطوَّره ما يأتي:

أوَّلًا: تطوير مجلَّة المعهد بإضافة أبواب جديدةٍ مستقرَّة، من مثل:

أ: عروض الكتب ومراجعاتها العلمية.

ب: تجديد خطاب المقدِّمات للأعداد، فقد تضمن تنظيمًا وعرضًا لبحوث العدد، وفتحَ آفاق جديدةٍ أمام القرَّاء لاستثمار البحوث.

والجدير بالذكر أنَّه كان حريصًا على البيان المشرق الذي يوظِّف طاقات المجاز في كتابة هذه المقدِّمات.

ج: الترجمات.

ثانيًا: الخروج بالمجلَّة من آفاق المحلِّيَّة إلى ترسيخ آفاق الإقليميَّة جغرافيًّا وثقافيًّا.

ثالثًا: تطوير مجلَّة المخطوطات الإخبارية، وتوسيع مجال إتاحتها.

رابعًا: إعادة نشر ما سبق إصداره، ونفدت طبعاته، وهو ما نراه في إعادة طباعة (الكتاب العربي المخطوط)، لصلاح الدين المنجِّد، وكتاب (السِّير الكبير)، لمحمَّد

ابن الحسن الشيباني، ومعجم (المحكم والمحيط الأعظم)، لابن سِيْده الأندلسي، بعد جمع مجلّداته الكثيرة، في ثلاثة مجلّداتٍ كبيرة.

٧/٣: افتتاح نوافذ جديدة لخدمة حقل دراسات التراث والمخطوطات

وكان من الجديد الذي أضافه لمنجز المعهد ما يأتي:

أوَّلًا: تأسيس الكتاب غير الدوري: مقالات في التحقيق، وافتتحه بكتابه: التحقيق والقراءة، وجعل له هيئةً استشاريةً ضمَّت عددًا من خبراء المجال في الوطن العربي.

ثانيًا: تأسيس مجلَّة المخطوطات الثقافية، وصدر منها العدد الأوَّل.

ثالثًا: تبنِّي المبادرات التراثية التي تستثمر التقنيَّةَ الحديثة، من مثل مبادرة: تراثنا للنشر الرقمي، التي اقترحها الباحث يوسف السنَّاري، فشجَّعه عليها، وتجاوز حدود تبنِّيها إلى إسناد تحريرها إليه.

- ٤ -

خطاب الخصائص والموائز

إنَّ فحص عبقريَّة العقل التراثي لفيصل الحفيان من منظور ما يتبقى، أو من منظور الخصائص والموائز يكشف عن زمرةٍ جليلةٍ ممَّا يتبقَّى من الموائز التي تمثِّل خطَّةً منهجيَّةً يمكن استثمارُها واستلهامها. وهذه الخصائص التي تميَّز بها عطاؤه هي:

أوَّلًا: الوعي بالتخطيط التراثي

الحقيقة أنَّ التخطيط بات حقلًا معرفيًّا مصاحبًا لخطاب طلب النهوض والترقِّي، تجد له تطبيقاتٍ مثلًا في ميدان التخطيط اللساني.

وقد استطاع فيصل الحفيان بوصفه مؤسَّسة ثقافية أن يمنح محور التخطيط

للتراث جانبًا ضخمًا من وجوه العناية.

ولعلَّ فحص ما أقامه من مؤتمراتٍ وندواتٍ وورشات عمل كانت متوجِّهةً لتهدي مستقبلَ التراث العربي، ومستقبل المخطوط العربي، ومستقبل قضاياه من أعظم البراهين على هذا البعد المهمِّ من الأبعاد التي حكمت عطاء الرجل، من مثل:

١- التراث العلمي العربي.. لفيصل الحفيان [مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ٢٠١٠م]

٢- مستقبل التراث.. نحو خطَّةٍ شاملةٍ للتراث الفكري العربي (النسخة المشرقية)، تنسيق وتحرير فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٢هـ= ٢٠١١م (النسخة المشرقية).

٣- مستقبل التراث.. المشروعية والمشروع وسؤال التجديد (النسخة المغربية)، تنسيق وتحرير فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م (النسخة المغربية).

ثانيًا: الحركة الاستيعابية

كانت العلاقات المتشعِّبة التي حكمت عبقريَّة التأليف العربي على حدِّ تعبير كمال عرفات نبهان، حاكمةً إلى حدٍّ بعيد في تشكيل عبقريَّة عقل الحفيان التراثي، وهو ما تجلَّى في حركته الاستيعابيَّة التي غطَّت بمنجزها المساحات الشاسعة الآتية:

-خدمة المعهد لقضايا المخطوط: تأليفًا وترجمة وتدريسًا وتدريبًا.

-خدمة المعهد لفهرسة المخطوطات، والتدريب عليها.

-خدمة المعهد للبحث العلمي، بما كان من تأسيس الدبلوم وبرنامج الماجستير.

-خدمة المعهد لشؤون البيئة وتنمية المجتمع.

-توسيع دوائر النشر التراثي، والتوسُّع في النشر المحقَّق للتراث العلمي.

-التكليف بإنجاز ترجماتٍ ومؤلَّفاتٍ تملأ الثغرات.

-التوجُّه نحوَ خدمة مصادر حقل دراسات المخطوطات العربية.

-التوجُّه نحوَ خدمة مفاهيم حقل دراسات المخطوطات العربية، من طريق العناية بأعمالٍ مرجعيَّةٍ من نوع المعجمات والمعجمات الموسوعية، ومواصلة ذلك الجهد بما اقترحه في موقعه الجديد بشأن إنجاز موسوعة علوم المخطوط العربي.

-التوجُّه نحو خدمة الأعمال المرجعيَّة المساعدة للمشتغلين في مجال التحقيق والكوديكولوجيا من الأدلَّة والفهارس.

-التوجُّه نحو تفعيل شراكاتٍ مهمَّةٍ مع المؤسَّسات المتقاطعة مع عمل المعهد، من مثل: شراكة مع وزارة الأوقاف الكويتية (مجلَّة الوعي الإسلامي)، ومعهد الآباء الدومينيكان بالقاهرة، وغيرهما.

ثالثًا: الحرص على ارتياد المناطق المجهولة

ولا سيَّما في ما يتعلَّق بالتوجُّه إلى ترجمة الأعمال الأجنبية الرائدة

رابعًا: الحرص على الاستصلاح التراثي

وهو ما أعني به التوجُّه إلى المناطق غير المأهولة وفحصها، على ما رأينا من تخصيصه يومًا من أيَّام المخطوط العربي للمخطوطات المهجَّرة، بعد أن أصَّلَ لمفهومها، وكشف عن آثارها، وخاطرها

خامسًا: الحرص على استثمار اللحظة

وهذه السمةُ نبتٌ طبيعيٌّ للطاقات العقلية التي وهبها الله تعالى له، فقد حرص فيصل الحفيان في كثيرٍ من الأحيان على استثمار اللحظة في الدفع قُدُمًا في اتِّجاه خدمة قضايا التراث العربي والمخطوطات العربية.

وقد تنوَّع استثمارُه للحظة، واتَّخذ أشكالًا كثيرةً، منها:

-استثمار لحظة صدور كتابٍ تراثيٍ مهمٍّ، والاحتفال العلمي به، على ما كان منه عند صدور تحقيقٍ كاملٍ لكتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب)، لابن العديم، (ت ٦٦٠هـ= ١٢٦٢م) الصادر عن مؤسَّسة الفرقان، ٢٠١٦م.

-استثمار لحظة توهُّج مؤسَّسةٍ تراثيةٍ بما تقدِّمه، على ما كان منه عند الاحتفال بمؤسَّسة الفرقان، بلندن، لتاريخها الطويل في خدمة المخطوطات الإسلامية.

-استثمار لحظة توهُّج محقِّقٍ أو باحثٍ معيَّن بعملٍ علميٍ رائد، وهو ما يمكن ملاحظته في كلِّ شخصيَّات الأعوام التراثية المصاحبة لاحتفالات اليوم العربي للمخطوط.

سادسًا: الحرص على التحديث، وتوظيف التقنيَّة الحديثة

وهو ما نراه في تبنِّيه مبادرةَ تراثنا للنشر الرقمي، وتمويل مجلَّة المخطوطات الإخبارية إلى مجلَّة إلكترونية

سابعًا: البقاء في دائرة خدمة العلم بالاشتغال بالبحث العلمي

وهو الأمر الذي تترجم عنه قائمة إنتاجه العلمي الذي اتَّسع وتوَّزع على المحاور الآتية:

-التأليف وصناعة المعجمات (معجم أخلاق القرآن الكريم، الكويت).

-التحقيق أو النشر النقدي (الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح)، لابن أبي الربيع الأندلسي، ٦٨٨هـ.

-صناعة الفهارس المتنوِّعة.

-صناعة المراجعات العلمية لمؤلَّفات مؤلِّفين آخرين.

-كتابة مقدِّماتٍ وتصديراتٍ لكتبٍ كثيرة.

خاتمة

أنتجت معالجة مطالب هذه الورقة حزمةً من النتائج يمكن تلخيصها في ما يأتي:

أوَّلًا: ظهور أثر المورِّثات المانحة التي أسهمت في تشكيل عبقريَّة فيصل الحفيان التراثية، وتمثَّلت هذه المورِّثات في:

-البيئة الحضارية المانحة.

-فاعليَّة القدرات العقلية والنفسية والعملية.

-فاعليَّة التكوين والاختصاص المعرفي.

ثانيًا: ظهور حزمةٍ من الحواكم والضوابط التي أسهمت في تميُّز إنتاجه في ميدان خدمة التراث، والمخطوط العربي، وهي:

-الانتماء الأصيل الواعي للهويَّة الذاتية والجماعية.

-الإيمان العملي العاقل بالتراث.

-الوعي بالنموذج المعرفي المنتج للتراث والمخطوط العربي في الحضارة.

-الإيجابيَّة العملية والحركيَّة في خدمته.

ثالثًا: ظهور كلِّيَّاتٍ كبرى تمثِّل حدود خريطة منجزه في خدمة التراث والمخطوط العربي، تمثَّلت في:

- التجديد في مجالات التحقيق، وارتيادِ حقولٍ معرفيةٍ مجهولة.

- التوجُّه نحو نقل المعرفة الحديثة من بيئاتها الأجنبية.

- توسُّع جغرافيَّة دراسات المخطوطات العربية بعد زمانٍ من الانحسار والتقلُّص.

- توطين ثقافة المخطوط العربي في تربة الثقافة العربية المعاصرة، والتوسُّع في نشر الوعي الثقافي بقضاياه.

- الانتقال بمؤسَّسة المعهد إلى صفوف الأكاديميَّات.

- تجديد النوافذ الموروثة وتوسيع آفاق استثمارها.

- افتتاح نوافذَ جديدةٍ لخدمة حقل دراسات التراث والمخطوط العربي.

رابعًا: ظهور حزمةٍ من الخصائص المرشَّحة للاستمرار والتنمية، من مثل:

- الوعي بأهمِّيَّة التخطيط التراثي.

- الوعي بأهمِّيَّة الحركة الاستعابيَّة.

- الحرص الدائم على ارتياد المناطق البكر غير المدروسة وغيرِ المخدومة.

المصادر والمراجع

- التراث العربي، عبد السلام هارون، سلسلة كتابك، رقم ٣٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.
- معجم علم النفس المعاصر، بتروفسكي، وياروشفسكي، ترجمة حمدي عبد الجواد، وعبد السلام رضوان، وتحرير سعد الفيشاوي، ومراجعة عاطف أحمد، دار العالم الجديد، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

رسالةٌ في الحُمْرةِ الحادثةِ في الجَوّ

لابن العميد

تحقيق ودراسة

محمَّد علي عطا

جامعة باشن العالمية المفتوحة - أمريكا

ملخص

ما رأيت مضيَّعًا أشبه بمعنيٍّ به من ابن العميد (ت٣٦٠هـ) وتراثه، فرغم أنه علامةٌ بارزٌة في تاريخ النثر العربي، فإنَّ كل الدراسات الحديثة التي تحدثت عنه قامت على نُتَفٍ من رسائله المبثوثة في «زُهر الآداب» للحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ) وغيره من مصادر، ولم يحقَّق ديوان رسائله الأدبية حتى الآن وهو في مئتي ورقة، كما لم يظهر لنا من أعماله العلمية في العلوم العقلية التي برع فيها – حتى الآن- غيرُ هذه الرسالة التي تفسِّر ظاهرة الحُمرة التي تحدث في الجوِّ.

والحُمرة الحادثة في الجوِّ إمَّا يوميَّةً في الشَّفق الذي يظهر عند مغيب الشَّمس ويراه كل النَّاس في أنحاء المعمورة، وإما موسميَّةً بسبب ظاهرةٍ كونيَّة. وعن الثانية تتحدث هذه الرسالة لا عن الأولى؛ لأن منشئها قال في آخرها: «فقد وضَح سببُ مَا عرَض في الحُمرةِ»، فهي تتحدَّث عن ظاهرةٍ عارضةٍ وليست مألوفة يوميَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: ابن العميد، رسائل ابن العميد، علم الفلك العربي، ظاهرة الحُمرة في الجو، أدب ابن العميد.

Abū al-Ḫaḍl ibn al-ʿAmīd's Treatise of the Erysipelas in the Air: Critical Review

Dr. Mohamed Ali Atta
Passion International Open University in America

Abstract

Ibn al-ʿAmīd (d. 360 AH) and his legacy are a prominent sign in the history of Arabic prose. All the recent studies that talked about him are a collection of fragments of his letters broadcast in "Zuhr al-Adab" by al-Ḥuṣarī al-Qayrawānī (d. 453 AH) and other sources, and the collection of his literary letters has not yet been investigated. appearing in the air.

The redness that occurs in the atmosphere is either daily in the twilight that appears at sunset and is seen by all people around the globe, or it is seasonal due to a cosmic phenomenon. And about the second, this message talks about the first; Because its originator said at the end of it: "The reason for what occurred in the erysipelas has been clarified," so it speaks of a phenomenon and is not a daily familiarity.

Keywords: Ibn Ibn al-ʿAmīd, Ibn al-ʿAmīd's treatise, Arabic astronomy, The phenomm-enon of redness in the atmosphere, Ibn al-ʿAmīd's literature.

-١-

ظاهرة الحُمرة في الجوِّ

١/١: **أسباب الظاهرة**: هناك عدة أسبابٍ تؤدِّي إلى حدوث الحمرة في الجوِّ، منها:

-اصطدام أشعَّة الشمس وهي تحت الأفق بنحو ١-٦ درجات، بسحبٍ عاليةٍ جدًّا وغير عاديةٍ أو مألوفةٍ أو مشاهدة بالعين المجردة، نظرًا لبعدها وارتفاعها الشَّاهق الذي يصل إلى نحو (٨٠ كم).

-وتحدث الظاهرة أحيانًا أخرى عندما يكون في الأجواء مُخلَّفات انفجار صاروخ بالستي.

- أو تحدث بسبب غبار نيزك احترق أو انفجر في طبقات الجوِّ العليا.

وكما أنَّ السحب العادية التي نشاهدها يوميًّا خاصَّةً سحبَ السمحاق العالية تعكس وتُشَتِّت ضوء الشمس وهي تحت الأفق بشكل يُظهر ألوان الشفق المعروفة لعدة دقائق قبل شروق الشمس أو بعد غروبها، كذلك السُّحب العالية تفعل.[١]

وهناك احتمالٌ ولو قليل أن يكون سببها الشفق القطبي[٢] الذي يرجع إلى تفاعلاتٍ بين جسيماتٍ مليئةٍ بالطاقة قادمةٍ من الشمس ومجال الأرض المغناطيسي، وتنتقل خطوط المجال المغناطيسي الكروي والمرئي للأرض من القطب المغناطيسي الشمالي للأرض إلى قطبها الجنوبي المغناطيسي، وحينما تصل الجسيمات المشحونة إلى المجال المغناطيسي فإنها تنحرف لينتج عنها صدمةٌ قوسيَّة. وسُمِّيت بذلك لأنَّها تأخذ شكل القوس حول الأرض، والمجال المغناطيسي للأرض يكون أضعف عند

١ أفاد بهذا عبد الله المسند أستاذ المناخ بجامعة القصيم، على حسابه في تويتر.

٢ من موقع ناسا بالعربي بتصرف، على الرابط:
(https://nasainarabic.net/education/articles/view/see-the-north)
وهذا الرابط يوضح بالفيديو كيفية حدوث ظاهرة الشفق القطبي:
https://www.traveldiv.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%81%D9%

القطبين ممَّا يسمح لبعض الجسيمات بدخول الغلاف الجوي للأرض لتصطدم مع جسيمات الغاز في تلك المناطق، ويصدر نتيجة هذا الاصطدام ضوءٌ متموجٌ راقصٌ ذو ألوانٍ خضراءَ مصفرَّةٍ أو حمراء أو زرقاء أو بنفسجية.

ويرجع اختلاف اللَّون إلى نوعية جسيمات الغاز المصطدمة بالأرض؛ فينتج عن جزئيات الأكسجين الموجودة على ارتفاع (١٠٠كم) فوق الأرض ضوءٌ أخضرُ مَشوبٌ بصفرة، وينتج عن جزئيات الأكسجين الواقعة على ارتفاع (٣٢٠كم) كلُّ أنواع الشَّفق الأحمر، وينتج الشفق الأزرق أو الأحمر المائل للبنفسجي عن التفاعلات بين الجسيمات المشحونة والنيتروجين.

وتشتدُّ ظاهرة الشفق القطبي عند اشتداد حركة الموجات الكهرومغناطيسية القادمة من الشمس على شكل رياحٍ شمسية، وهي تشتدُّ وتصل إلى أوجها كل أحد عشر عامًا، وتكون مرئية شتاءً بشكلٍ يوميٍّ في القطبين الشمالي والجنوبي خاصة عند اشتداد الظلام، ونادرًا ما تُرى في مناطقَ قريبةٍ من خطِّ الاستواء مثل المكسيك.

١/٢: **رؤية الحُمرة في العالم الإسلامي**: سجَّلت كتب التاريخ الإسلامي رؤيةَ ظاهرة الحمرة تسع مراتٍ في العالم الإسلامي، وهي حسب بحثي:

١- عام (٢٠٢هـ)؛ حيث ظهرت حُمرةٌ في السماء ليلة السبت رابع عشر ربيع الآخر، وبقيت إلى آخر الليل، وذهبت الحُمرة وبقي عمودان أحمران إلى الصبح.[١]

٢- عام (٢٢٥هـ)؛ حيث ظهرت في ليلة الجمعة غُرَّة جُمادى الآخرة حُمرةٌ شديدة كالنار إلى الفجر.[٢]

٣- عام (٣١٩هـ)؛ حيث في يوم جمعة ظهرت في السماء في ما يلي القبلة من مدينة السلام حمرةٌ ناريةٌ شديدةٌ لم يُر مثلها.[٣]

٤- عام (٣٢٨هـ)؛ حيث في غُرَّة المحرم ظهرت في الجو حُمرةٌ شديدةٌ من

١ الكامل في التاريخ، ٥/ ٤٤٧، والبداية والنهاية، ١٠/ ٢٧١، وتاريخ الأمم والملوك، ٥/ ١٤٠.

٢ تلقيح فهوم أهل الأثر، لابن الجوزي، ٦٤.

٣ صلة تاريخ الطبري، ١١٥.

ناحية الشمال والمغرب، وظهرت فيها أعمدةٌ بيضاء عظيمة كثيرة العدد.[١]

٥- عام (٣٦٧هـ)؛ حيث فيها ظهر بإفريقية في السماء حُمرةٌ بين المشرق والشمال مثل لهب النار؛ فخرج الناس يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه.[٢]

٦- عام (٣٧٨هـ)؛ ظهر في سبع عشر ذي الحجة بالقاهرة ومصر رعدٌ شديدٌ ورياحٌ عاصفة، فاشتدَّت الظلمة حتى شَنُعت، وظهر في السماء عمودُ نار، ثم احمرَّت السماء والأرض حمرةً زائدة، وظهرت الشمس متغيرةً إلى يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة تسع وسبعين، وظهر كوكبٌ له ذؤابةٌ فأقام اثنين وعشرين يومًا.[٣]

٧- عام (٥٧٢هـ)؛ حيث ظهرت حُمرةٌ شديدةٌ في السماء من المشرق من وقت طلوع الفجر إلى استواء الشمس، ثمَّ كانت تظهر عند غياب الشمس كأنها الشفق إلَّا أنَّها أشدُّ حمرةً، لم تُرَ مثلها، كأنَّها الدم، وكانت تتصاعد ويبقى تحتها من الغيم المضيء، فتضيء له الأماكن كأنه ضوء الشمس، وبقيت مدَّةً ثمَّ انقطعت ثم عادت تقلُّ وتكثر أشهرًا.[٤]

٨- عام (١٢١٧هـ)؛ حيث في ليلة احمرَّت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرةٌ مشوبةٌ بصفرة، ثم انجلت وظهر في أثرها برق من ناحية الجنوب في سحابٍ قليلٍ متقطِّع، وازداد وتتابع من غير فاصلٍ حتى كان مثلَ شعلة النفط المتوقدة المتوَّجة بالهواء، واستمر ذلك إلى ثالث ساعة من الليل، ثم تحوَّل إلى جهة المغرب، وتتابع لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد، واستمرَّ إلى خامس ساعة، ثم أخذ في الاضمحلال، وبقي أثره غالب الليل.[٥]

٩- عام (١٢٨٧هـ)؛ حيث في أواخر رمضان ظهرت في السماء حمرةٌ أرجوانيةٌ غريبة، مع غاية الصحو، وكانت تظهر فيما بين المغرب والعشاء، معظمها في جهة

١ الكامل في التاريخ، ٧/ ٣٨٠.

٢ السابق، الصفحة نفسها.

٣ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ١/ ٢٦٧.

٤ المنتظم ١٠/ ٢٦٣.

٥ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٢/ ٥٥١.

الشمال، ودامت كذلك نحو سبعة أيَّام وانقطعت.[١]

١٠-وقد شاهدنا بأمِّ أعيننا ظاهرة الحمرة شهر أغسطس (٢٠١٩م)، في مصر وفي بعض دول الخليج العربي؛ فقد ظلَّ توهُّج الحمرة بعد غروب الشمس وبعد صلاة المغرب بأكثر من ربع ساعة.

-٢-

ابن العميد

١/٢: التعريف به:[٢]

هو أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، والعميد لقب والده، وتلقَّب به على عادة أهل خراسان، أصله من مدينة قُم، وكان والده كاتبًا أيضًا، تولَّى الوزارة لبني بُوَيْه عندما دخلوا بغداد عام (٣٣٤هـ)، واجتمع فيه مالم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة، وكان حسن الخُلق وليِّن العِشرة، إلى جانب الشجاعة ومعرفة فنون الحرب، ولُقِّب بالجاحظ الثاني، من أخص تلاميذه ابنه أبو الفتح ابن العميد (ت٣٦٦هـ)،[٣] والصاحب ابن عبَّاد (ت٣٨٥هـ) ومسكوَيْه (ت٤٢١هـ)، وكانوا يقدِّرونه جدًّا، ولا نعرف له شيوخًا غيرَ والده، ومحمد بن علي بن سعيد المعروف بسَمَكة، وابن فارسٍ.

١ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٣/ ١٢٣.

٢ انظر ترجمته في: أخلاق الوزيرين، لأبي حيان التوحيدي، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي بن مسكويه، ٥/ ٣٦٨، ٤٠٢، ٦/ ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٩٧، يتيمة الدهر، للثعالبي، ٣/ ١٥٨، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ٦/ ٢٣٢، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، ١١/ ١٥٨، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ٣/ ٣١، أمراء البيان، محمد كرد علي، ٢/ ٥٥٢ – ٥٧٧، ابن العميد لخليل مردم، النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، ٥٥٥ – ٥٦٣، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، فيصل حسين طحيمر العلي، ١٢٩ – ١٧١، نافذتان نقديتان على النثر العباسي، أحمد بن يوسف، والإعراق في الكتابة، ابن العميد بين التسجيع والمزاوجة، فاروق محمود الحبوني، ابن العميد الوزير البويهي (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) شخصيته وعصره، أحمد عبد العزيز محمود، وهلز عنتر ولي.

٣ كان تليمذًا للمتنبي، أخذ عليه كتاب جمهرة اللغة لابن دريد، كان يدخله في دسته ويقرؤه عليه. انظر بغية الطلب، ٦٥٩.

وكانت ثقافته ثقافةً شاملةً كعادة كتاب عصره، مِنْ حفظ أشعار العرب، ومعرفة الغريب والنحو والعروض والاشتقاق والاستعارات. وحفظ دواوين شعراء الجاهلية والإسلام مالم يحفظه غيرُه، وعَرَفَ القرآن وعلومه وتأويله ومتشابهه ومشكلَه، وكان قويَّ الحافظة.

٢/٢: براعته في علم الفلك:

والذي يعنينا من علومه غيرُ ما سبق أنَّه كان ماهرًا في علوم الأوائل مع سلامة الاعتقاد، واهتمامه بالهندسة والكيمياء والحِيَل وجرِّ الثَّقيل ومعرفة مراكز الأثقال، والتعاليم والمنطق والفلسفة والإلهيات، والرسم، فلم يكن يدانيه في هذه العلوم أحدٌ، لدرجة أنَّ فيلسوفًا اسمه أبو الحسن العامري الذي شرح كتب أرسطاليس وشاخ فيها، لمَّا اطَّلع على علوم أبي الفضل ابن العميد طلب العلم على يديه، وقد فضَّ له مغاليق عدَّة كتبٍ مستغلقة.

ولم يصل إلينا من آثاره التي تدلُّ على ذلك غيرُ هذه الرسالة التي وقفت عليها قَدَرًا داخلَ مجموع خطيٍّ فلسفيٍّ في برلين، ورسالةٌ في مجموع رسائله تشغل الورقات (١٠٠-١٠٤)، تحدث فيها عمَّا يُتْقن من علوم النجوم وأسهب، رادًّا فيها على مدعي الحذاقة في هذا العلم، وعنوانها: "إلى إنسان ساقط من الملقَّبين بالإمارة يدَّعي علم النجوم وعلم الأوائل ويذكر أنَّه يقوم بالإلهيات والرياضيات والطبيعيات وهو لا يُحسن منها حرفًا"، يقول فيها: "لي يا أخي في العُرف والعادة، لا من الرضاع ولا من الولادة، في علم النجوم طالعِها وساقطِها، وصاعدِها وهابطِها، وقصورِ الأجرامِ العلويةِ المتحركةِ بقواها وطبعها، وما يتولَّد في العالم السُّفليِّ من تأثيراتها الدَّالةِ على ضرها ونفعِها، والكواكبِ الثابتةِ على جميع حالاتها، والسائرةِ المعروفةِ بأسمائها ودلالاتها، وترتيبِها في الأفلاكِ، وهيئاتِها في السكونِ والحركاتِ، وأفعالِها في الانتقالِ والاعتدالِ، ومجاريها في الجنوبِ والشَّمالِ، وأوقاتها في اتصالِها وانفصالِها، وأحوالها في صورِها وأشكالِها، ومعرفةِ بروجِها الذكورِ النَّهاريةِ، واليابسةِ النَّاريةِ، وإناثِها الأرضيَّةِ الباردةِ، والصَّالحةِ منها والفاسدةِ، وسلطانِها من الإنسانِ وقسمتِها من البلدانِ، واستوائِها وانقلابِها، وتباعدِها واقترابِها..ما لو نُشِر بطليموسُ

لأقرَّ بحِذْقي فيها وبراعتي، ولافتخرَ بتقدُّمي في صناعتي، ولو عاشَ ما شاءَ الله لما ادَّعى عندي علمَ التَّنْجيم...".

٣/٢: أسلوبه: اختُلف في تقييم أسلوبه منذ القِدَم، وحديثًا قامت بحوثٌ على قليلٍ من رسائل ابن العميد المبثوثة في بعض المصادر، حاولتْ استشفافَ خصائص أسلوبه من خلالها، وكان الاختلاف على طرفي نقيض تمامًا كاختلاف السابقين؛ بين مبالغٍ في المدح ومبالغٍ في القدح: فمنهم من لقَّبه بالأستاذ الرئيس، والجاحظ الثاني، وبدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وأنه يُضْرب به المثل في الترسُّل، وأوحد العصر في الكتابة،[١] وقد ربط محمد كرد علي بين سلطة ابن العميد ومنصبه وكثرة مدح أسلوبه والإغضاء عن أخطائه.[٢]

ومنهم من اتَّهمه بإفساد الكتابة، وأنَّه لا يستحق هذه الجَلَبة كما قال ابن ثَوَابَة (ت٣٤٩هـ) وأبو حيَّان التوحيدي (ت٤١٤هـ) من القدماء، وخليل مردم بك من المحدَثين.[٣]

٤/٢: مميِّزات أسلوبه: يتميَّز أسلوبُه بعدَّة خصائص، هي:[٤]

- الصنعة الدقيقة والزخرف في المفردات والجمل، والعناية باختيار الكلام السهل المصقول.

- استخدام السجع والتوازن بين السَّجعات مع توخي السَّجْع قصيرِ الفقرات الرَّنَّان.[٥]

- الإدلال بسعة الرواية: بالاقتباس من القرآن الكريم، والتضمين، والتمثُّل، والاستشهاد بكلام العرب، ما بين شعرٍ ونثرٍ وحديثٍ ومَثَلٍ وحكمة وبيتٍ مشهور،

١ انظر على سبيل المثال: يتيمة الدهر، ٣/ ١٥٨.

٢ انظر: أمراء البيان، ٥٦٥ - ٥٦٦.

٣ انظر: الإمتاع والمؤانسة، ٦٦، وابن العميد، لخليل مردم، ٤٣ - ٤٤.

٤ انظر: مصادر ترجمته التي سبق ذكرها، وابن العميد، لخليل مردم، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٣.

٥ وصفه ابن سنان بأنه كان يلتزم السجع تارة ويطرحه تارة، وقد رد عليه محمد كرد علي بأنه كان إلى التسجيع والمزاوجة أقرب. انظر أمراء البيان، ٥٦٢.

وحَلِّ المنظوم، الإشارة إلى أخبار العرب ونوادرهم ووقائعهم، مما يدلُّ على عظم ثقافته الأدبية العربية.

- يظهر في أسلوبه أثر العلوم العقلية ومصطلحاتها وأسماء الفلاسفة وأسماء كتبهم.

- طريقته موافقةٌ لعصره الذي كان عصرَ تأنُّقٍ، وهذا سبب انتشارها رغم أنها دون طريقة من سبقه، ولأنَّ الصنعة أسهلُ بكثير من الطبع.

-استخدم المحسِّناتِ البديعيةَ كالجناس والطباق والتورية والترادف والإطناب، وتكلَّف في ذكر المجاز والاستعارة والتشبيه.

- استعمل ألفاظ التبجيل والتعظيم.

-تأثُّر بموسيقى الشعر وأوزانه، فاهتمَّ بتناسق الجمل وتساوي الفِقْرات واتِّحاد الروي، فلذلك كثيرًا ما كان يُضمِّن رسائلَه الأشعارَ المختارة، أو يضع فيها شعره.

- كان يُكثر من حروف الجر، وأظهر براعةً في استعمالها وفي استعمال سائر الروابط الأخرى.

٥/٢: عيوب أسلوبه

١- به أشياء يُنكرها الطبع: يرى خليل مردم[1] أنَّ أسلوبه به أشياء يُنْكرها الطبع العربي؛ في بِنية الجمل وصِلتها بعضها ببعض، فقد تمرُّ برسالةٍ من رسائله سهلةِ الموضوع واضحة الألفاظ تفهم كلُّ جملة من جملها مستقلة، فإذا انتهيت من الرسالة غُمَّ عليك مرادُ الكاتب. وعلَّة الغموض هو صلة الجمل بعضها ببعض، ولعلَّ السبب في ذلك تبحُّر ابن العميد في الفلسفة والعلوم الدخيلة مع تتبُّعِه للصنعة، وتلك أمورٌ تعطِّل عمل الطبع في الإفصاح عن المراد.

ووافقه على هذا الرأي عمر فرُّوخ، فقال:[2] "كان بنثره شيءٌ من الغموض مردُّه

١ انظر: ابن العميد، ٤٥.

٢ تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، ٥٠١.

إلى الإسهاب وإلى كثرة ما يجمعه في رسائله من فنون المعرفة والإشارات التاريخية واللغوية وإلى تداخل الجمل أحيانًا".

٢- عدم مسِّ كلامه للنفس، قال خليل مردم:[١] "وهناك شيءٌ آخر في كلامه تشعر به ويستعصي عليك تعليله لأوَّل وهلةٍ، كلام مختار وألفاظ رقيقة ومعانٍ تنم على علمٍ واسعٍ وأدبٍ غزير، ولكنَّ كلَّ ذلك لا يهز نفسك ولا يستثيرها كما يفعل بها كلام ابن المقفَّع والجاحظ، مع أنَّ ابن العميد أعظم علمًا وأوسع رواية للأدب من ابن المقفع، وسبب ذلك فيما أعتقد أن الأدب في نظر ابن العميد ضرب من ضروب التسلية والتلهي والترفيه، وإظهار البراعة والغلو والإغراق، والبعد عن الحقيقة في التصوير والإمعان في التزويق".

وقد ورد عند زكي مبارك ما يغاير فكرة عدم تأثر النفس بكتابة ابن العميد، حيث يقول:[٢] "حين نقرأ نثره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يخر لها الجبابرة ساجدين، وهو حين يكتب لا يطالعك بفنه كما يفعل معاصروه، وإنما يطالعك بقلبه وروحه وعقله بحيث تبدو كلُّ كلمةٍ من كلماته وكأنَّها قلبٌ يخفق أو روحٌ يثور".

كما ورد عنده ما يعارض فكرة أنَّ ابن العميد يتلهَّى بالكتابة ونفى أن تكون الكتابة عنده زخرفًا ولهوًا وافتخارًا بثروته اللغوية، ولكنَّ الكتابة عنده:[٣] "ثورةٌ عقلية أو وجدانية، يرمي بها كما يرمي البركان بأقباس الهلاك، وقد يرق فتحسب نثره نجوى حبيبين في هَدْأة الليل، وهو في رقته وجزالته وغضبه وحنانه عبقري لا يعبث برجع الحديث المعاد، وإنَّما يجدُّ بإبداع الرأي الصائب والقول الرصين".

٣-خفة مواضيعه: فمعظم ما بقي من رسائله وشعره ليس ذا موضوعٍ خطير، فهو إمَّا عتابٌ أو تهنئةٌ أو مداعبةٌ أو شكرٌ أو ألغازٌ وتعمية، ويستثنى من ذلك رسالته إلى ابن بَلكا الذي خرج على ركن الدولة.[٤]

---

١ ابن العميد، ٤٩

٢ النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ٥٥٥.

٣ السابق، الصفحة نفسها.

٤ ابن العميد، ٤٩.

ولعلَّ سبب ذلك هو استقرار ملك ركن الدولة وعدم وجود أمورٍ جليلةٍ يُعمل فيها قلمَه، ويشحذ لها همته؛ فقد وصف ركن الدولة بأنَّه أميرٌ ذو سعدٍ، كما أنَّه من الممكن أن يكون جانبٌ من رسائله السياسية لم يصلنا.

٤- الصنعة: تحوَّل الإنشاء على يديه من مدرسة الطبع التي رسَّخها ابن المقفَّع والجاحظ، إلى مدرسة الصنعة والتأنق والتذويق، وأثَّر في الكتَّاب من بعده فاتَّبعوه، وأدَّى ذلك إلى الاهتمام باللفظ وإغفال المعنى، وإلى ضعف قوة الإبداع، فكان بذلك قد سنَّ سنةً سيئة.[1]

٥- الاستطراد: حيث يستطرد كما كان يستطرد الجاحظ، ولكن استطراده ليس طبيعيًّا مثل الجاحظ، ولكنَّه يستطرد إعجابًا بالنفس، وتباهيًا بسعة المعرفة عن طريق التوسُّع في الترادف والاقتباس والإشارة والتعريض، باستثناء رسالته لابن بَلكا.[2]

٦-الإغراب: حيث أظهر في الأسلوب الذي اتَّبعه الإغرابَ في الإشارات التاريخية واللغوية والعلمية.

وتعقيبي على هذه الخصائص التي ذكرها المتأخِّرون أنَّها أحكامٌ -رغم صواب معظمها -لم تقم على أساس سليم؛ لعدة أسباب؛ هي:

١- قامت بناءً على الاطِّلاع على عدَّة رسائلَ أوردتها المصادر، ولم تقم بناءً على استقراء أسلوب رسائله التي احتلَّت مائتي ورقة مخطوطة.

٢- يجب دراسة رسائله حسب تاريخ إنشائها؛ للتفريق بين أسلوب ما كتب في بداياته وما كتب في فترة استوائه وتكامل طريقته وبلوغه قمة قدرته.

٣-لم تفرِّق هذه الآراء بين كتابته العلمية وكتابته الأدبية.

---

١ ابن العميد، ٥١،٥٢ .

٢ السابق، ٥٢، ٥٣.

-٣-

رسالة ابن العميد

مؤلَّفات ابن العميد التي نُصَّ عليها وصل لنا منها ديوان رسائله وما زال مخطوطًا في برنستون وهو متاحٌ على الشبكة المعلوماتية، وضاع منها: "كتاب المُذهَّب في البلاغات"، و"كتاب الخَلْق والخُلُق"، ولم يبيِّضه، و"ديوان في اللغة"، ولم يتحدَّث أحد عن مؤلفاته العلمية، ولكن هذه الرسالة تؤكِّد هذا الجانب العلمي في شخصيَّته.

١/٣: **مصدرها**: الرسالة التي بين أيدينا ليست فيما وصلنا من مخطوطات رسائله، ولم يذكرها أحدٌ ممن أورد نصوصًا من رسائل ابن العميد-حسب بحثي- إذ كان اهتمامهم برسائله الأدبية؛ لذا فهي إضافةٌ لهذه الرسائل التي لا تحتوي على رسائل علمية غير رسالة واحدة، ألمح فيها إلى ما يتقن من علومٍ وتقدَّم بعضٌ منها، وهذه الرسالة في مجموعٍ خطِّيٍّ فلسفيٍّ في ليدن، برقم (١٨٤)، وسيأتي الحديث عنه تفصيلا.

٢/٣: **سبب تأليفها**: رأى أحدهم ظاهرة الحُمرة التي حدثت عام (٣٢٨هـ)؛ لأنَّه أقرب تاريخٍ ظهرت فيه مناسبٌ لحياة المؤلِّف ابن العميد (ت٣٦٠هـ)؛ فارتاع منها وطلب تفسيرها من ابن العميد، فاجتهد في الجواب ليطيِّب خاطره، وربَّما يكون السائل سمع عنها ممن سبقوه فطلب تفسيرها، ولكنَّ الاحتمال الأوَّل أقربُ؛ لأنَّ المجيب لا بدَّ أن يكون شاهَدَ الظاهرة حتى يستطيع أن يفكِّر فيها ويحللها.

والسائل أميرٌ كما يظهر من خاتمة الرسالة؛ حيث خاطبه المؤلِّف بقوله: "الأمير الجليل"؛ والأمراء الذين كانت لابن العميد بهم علاقة في هذا التاريخ هو ركن الدولة البُوَيْهِي (٢٨٤-٣٦٦هـ)، الذي وزر له في الفترة (٣٢٨-٣٦٠هـ)، ثم وزر له من بعده ابنه أبو الفتح علي، وهو أبو علي الحسن بن بويه بن فنَّاخسرو الديلمي؛ ركن الدولة، ملك أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم، وكان مسعودًا في ملكه ورزق السعادة في أولاده الثلاثة وقسم عليهم الممالك فقاموا بها خير قيام، دام ملكه

أربعًا وأربعين سنةً وشهرًا وتسعة أيام، ومات بالري عام (٣٦٦هـ).[١]

٣/٣: زمن تأليفها: حدثت ظاهرة الحُمرة في حياة ركن الدولة البويهي وابن العميد مرَّتين؛ مرة عام (٣١٩هـ)، والأخرى عام (٣٢٨هـ) في أوَّل شهر المحرَّم، والراجح أنَّ السؤال كان بسبب الثانية؛ لأنَّ حدوثها كان وقت نضج ابن العميد، ولأنه وافق انعقاد وزارة ابن العميد لركن الدولة، فقد أُلِّفت الرسالة إذن في هذا العام أثناء شهر المحرَّم أو بعده بقليل.

٤/٣: موضوعها: تتحدَّث الرسالة -كما مرَّ- عن إجابة سائلٍ وهو الأمير ركن الدولة البُوَيْهِيّ يستفسرُ عن الحُمرة التي حدثت عام (٣٢٨هـ)، وقد قدَّم ابن العميد لإجابته بمقدِّماتٍ ممهِّدةٍ، ثم ساق تفسيره رابطًا بين تلك المقدمات:

-فقد تحدث عن الأجرام البسيطة: الماء والهواء والنار والأرض، وأنَّها متَّفقةٌ في العنصر مختلفةٌ في الصورة، ويقرب ذلك بالذهب والفضة، وصياغتهما بأشكال مختلفة ظاهرًا ولكنَّها من المعدن نفسه.

- هذه العناصر الأربعة أجسام لكل منها نعتٌ وصفة تميزها عن أختها، فالنَّارُ تتصف بالحرارةِ واليُبْسِ، والهواءُ بالحرارةِ والرطوبةِ، والماءُ بالبرودةِ والرطوبةِ، والأرضُ بالبرودةِ واليبوسةِ.

-كلُّ عنصرٍ منها يقترب من الآخر في صفةٍ ويبتعد عنه في صفةٍ أخرى، وقد يتحوَّل لحالةٍ قريبة منه، ومثَّل لذلك بالماء في الحمَّام، فإذا سخِّن يتحوَّل لبخار وهو قريبٌ من الهواء، ثم يلامس سطحًا باردًا فيبرد ويتحوَّل إلى قطرات ماءٍ مرَّةً أخرى.

-حركة الكواكب بجوار بعضها يحدث حرارة.

- الحرارة تميِّز العنصرَ الكثيف من اللطيف، والثقيل من الخفيف.

- وبعد هذه المقدمات ربط الظاهرة بعضها ببعض وفسَّرها؛ فهي تحدث بسبب الحرارة التي تنتج عن حركة الكواكب، والحرارة تفصل العنصر الخفيف عن الثقيل

١ الوافي بالوفيات، ١١/ ٣١٥.

والكثيف عن اللطيف، وتتحوَّل مادة إلى أخرى كما مرَّ في مثال الماء في الحمَّام، وهذا هو تفسير تحوُّل الهواء إلى نار في الجوِّ بسبب ملامسته الحرارة التي تحدثها حركة الكواكب بجانب بعضها، وتغير شكل هذه الحمرة ولونها يقترب من تغيُّر حركة نار السراج ولونها وشكلها واتصالها وانقطاعها، بسبب الهواء والدخان من حولها.

٥/٣: **أسلوبها**: هي من حيث التصنيف رسالةٌ علميةٌ، وكل من تحدث عن أسلوب ابن العميد ممَّن سبق كان يصف الرسائل الأدبية، كما أنَّها من أوائل ما ألَّف ابن العميد في وزارته وهو دون الثلاثين من عمره، ربَّما قبل أن يستحكم أسلوبه، وتتَّضح معالم مدرسته وترسخ؛ لذلك لا أجد فيها كثيًرا من الخصائص التي نقلتها سابقًا، فهي لا تتضمَّن أيَّ اقتباسٍ من القرآن ولا تضمينًا من الشعر، ولا سجعًا كثيًرا ملتزمًا ولا جناسًا، ولا إشاراتٍ لغويةً ولا تاريخية.

والذي وجدته فيها من **خصائص** الأسلوب وجمالياته، هو:

١- أنَّها رسالةٌ متماسكةٌ ومترابطة، وكلُّ فقرةٍ تؤدي إلى أخرى، بدأت بالبسملة، ثمَّ بمقدِّماتٍ عدَّةٍ أدت إلى تكامل الصورة وتقريب التفسير والتعليل، ولم يترك اعتراضات تعتري النفس دون أن يورد ما يفسِّرها؛ أي حسن الاستدراك؛ مثل تعليله لنزول النار إلى أسفل رغم أن المفروض أنها تعلو.

٢-ومن جماليَّاتها التي وقفت عليها أيضًا دقَّته الشديدة في التعبير في قوله: "وكلُّ اثنين منهما متجاورَيْنِ مشتركانِ في بعضِ ما ينُعتانِ بِه، ويختلفانِ في بعضِه"، فقد عبَّر عن المشترك بين العناصر باسم الفاعل"مشترك"، وهو يدل على ثبات هذه الصفات المشتركة وعدم طروء تغيير عليها رغم تغير العوامل الداخلة عليهما، بينما عبَّر عن الصفات التي تختلف بينهما حسب العوامل الداخلة عليهما بالفعل المضارع "يختلفان"، الذي يدل على التغيُّر وعدم الثبات.

٣-الطباق بكثرةٍ، كما بين: متَّفقة ومختلفة، واحدة ومختلفة، تتَّفق وتختلف، ولطيف وكثيف، وخفيف وثقيل، وسريعة وبطيئة، وخاصَّة وعامَّة، وقد جاء كله

كضرورةٍ تعبيريةٍ علمية، وليس قصدًا أدبيًّا.

٤-السجع القليل، كما في قوله: "فنخلّصُه بذلكَ من الشُّبهةِ، ونخلِّصُه من منازعةِ غيرِه في الشّرْكةِ".

٥-المزاوجة، كما في قوله: "فإنَّه يصنعُ منهما -وهما سَبيكتانِ- كُوزَيْنِ، ويقْلِبُهُما -وهما كُوزانِ- قَدَحَيْنِ، ويصوغُهما -وهُمَا قَدَحانِ- طَوْقَيْنِ". وقوله:"يدلَّانِ على ذاتِها، ويميّزانِها عن أخواتِها".

٦-كما ورد فيها المصطلحات العلمية الفلكية الضرورية لإيصال المعنى، مثل: الأستِقِصَّات، والحرارة، والبرودة، واليبوسة، والبخار...إلخ.

وقبل أن أذكر عيوب أسلوبها التي وقفت عليها، من المهمّ التذكيرُ بأنَّ مزالق الاعتماد على نسخة مخطوطة واحدة وبيلة؛ لذا لا أقطع بخطأ الكاتب في المواضع التي سأذكرها، ولكن أصف ما وجدت إلى أن ييسر الله وتظهر نسخة أخرى قد تبرئ ابن العميد من هذه المآخذ، وتؤكد أن سببها الناسخ، وحتى يحدث ذلك أسوق العيوب التي وقفت عليها، وهي:

١. خطأٌ نحويٌّ تكرَّر مرَّتين، وهو اقتران جواب الشرط بالفاء دون مسوّغٍ من المسوِّغات السبعة لاقتران جواب الشرط بالفاء، وهي: أن يكون جواب الشرط جملةً اسميةً، أو طلبيةً، أو بادئًا بفعل جامد، أو بـ"ما"، أو "لن" أو"قد"، أو "السين"، أو "سوف"، ومن ذلك قوله: "فهي إذَا جاورهَا فحَمَتْهُ". كذا وردت العبارة في النسخة، والصواب-حسب فهمي للعبارة- "حَمَتْه".

وقوله:" فإذَا أَخبَرْنا عنه بجملةٍ من القولِ وجيزةٍ تنبئُ عن ذاتِه وتأتي من وراءِ صورتِه، فنخلّصُه بذلكَ من الشُّبهةِ، ونخلِّصُه من منازعةِ غيرِه في الشّرْكةِ". فالصواب- حسب فهمي للعبارة-"خلَّصناه".

وخالف اللغةَ الأشهر في النحو في قوله: "وكانَ الأرضُ والماءُ جِزْمانِ ثقيلانِ". والأشهر أن يقول: "وكانَ الأرضُ والماءُ جِزْمينِ ثقيلينِ". وإلزام المثنى الألف لغة

معروفة.

٢. ذُكر أنَّ من عيوب أسلوب ابن العميد غموضًا يعتري بعض العبارات في رسائله، فهو بمثابةٍ خصِّيصةٍ من خصائص أسلوبه، وقد ورد في هذه الرسالة شيء من ذلك في عدة مواضع، هي: قوله: "فإذَا أَخبَرْنا عنه بجملةٍ من القولِ وجيزةٍ تنبئُ عن ذاتِه وتأتي من وراءِ صورتِه، فنخلِّصُه بذلكَ من الشُّبهةِ، ونخلِّصُه من منازعةِ غيرِه في الشِّرْكةِ". والأفضل أن يقول:"فإننا نخلصه بذلك".

وقوله في آخرها: "فإنْ رأَى الأميرُ الجليلُ أنْ يعبُرَ كلامُ عبدِه من ذهنِه الثَّاقبِ ما يبسطُ انقباضَه، ويجبُرُ خَلَلَه ويؤهِّلُه للإجابةِ بما يدلُّه على موضعِ ما كتبَ بِه من الإقناعِ فعلَ إنْ شاءَ اللهُ وحدَه".

فهي جملٌ غامضةٌ، والرابط بينها غير واضح، ولا يبين غرضها بسهولة حسب فهمي، والجمل من هذا النوع كثيرةٌ في الرسالة.

٣. ومن عيوب أسلوبه فيها الفصل بين فعل الشرط وجوابه بفاصل كبير، مثال ذلك قوله في آخر رسالته: "فإنْ رأَى الأميرُ الجليلُ أنْ يعبُرَ كلامُ عبدِه من ذهنِه الثَّاقبِ ما يبسطُ انقباضَه، ويجبُرُ خَلَلَه ويؤهِّلُه للإجابةِ بما يدلُّه على موضعِ ما كتبَ بِه من الإقناعِ =فعلَ إنْ شاءَ اللهُ وحدَه".

٦/٣: **رسالة ابن العميد في ميزان العلم الحديث**: من الظلم أن نحاكم ابن العميد بمقاييسَ ومعطياتٍ وأدواتِ عصرنا العلمية، ولكن نحاكمه على قدر عصره، والأدوات المتاحة في وقته، ويُعدُّ تفكيرُه في هذه الظاهرة في الربع الأول من القرن الرابع الهجري تفكيرًا سبَّاقًا، مع الأخذ في الحسبان أنَّه شاهدها في عمره مرَّةً واحدةً أو مرَّتين، وهي رؤيةٌ لا تسمح بتسجيل معطياتٍ كافيةٍ للتفكير فيها.

وفكرة الطبائع الأربعة وهي: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، وصفاتها الثنائية، ذكرتها العلوم اليونانية وعنهم أخذها العرب، وكانوا يعتقدون أنَّه ليس في

الطبيعة كائن يخلو تركيبه من هذه الأجسام أو من مزيجٍ مركَّبٍ منها.[١]

وأيضًا فكرة تحويل الخصائص من حالةٍ لحالة، كانت معروفةً عند علماء الكيمياء العرب، فأساس علم الكيمياء عندهم هو إظهار صفة من صفتي المعدن الباطنة، وإخفاء صفةٍ من صفتي المعدن الظاهرة، فيتحوَّل المعدن القائم معدنًا آخر.[٢]

وقد قرَّب الدكتور زكي نجيب محمود هذا الرأي القديم للعلم الحديث في معرض حديثه عن جابر بن حيَّان بقوله: "ولكنَّنا لو أردنا أن نسبغ عليه من الألوان ما يقرِّبه من مفاهيمنا العلمية اليوم- وليس هذا بالأمر الضروري في تاريخ الفكر، فليس عالمُ الأمس مسؤولًا أمام عالم اليوم مهما يكن بينهما من اختلافٍ بعيد، لكنه لولا عالم الأمس لما كان عالم اليوم- أقول برغم ذلك أننا لو أردنا أن نسبغ على نظرية جابر- وهي نظرية العلم القديم كله- لونًا يقرِّبها إلى عقولنا اليوم لما كان علينا إلا أن نتذكَّر أساس النظرية الطبيعية في عصرنا الراهن، وهو أن كل ما تحتويه الطبيعة من أشياء مركبٌ من ذرَّات، ومهما اختلفت هذه الذرَّات في أوزانها فمادَّتها الخامُ مؤلَّفةٌ من ثلاثة أصول: الإلكترونيات، والبروتونات، والنيوترونات، أما الأولى فمشحونةٌ بشحنة كهربية سالبة، وأما الثانية فمشحونةٌ بشحنةٍ كهربية موجبة، وأمَّا الثالثة فمتعادلة كهربيًّا، ومن هذه الأصول الثلاثة يتألَّف كلُّ شيءٍ؛ حتى ليجوز من الوجهة النظرية أن تحول العناصر بعضها إلى بعض إذا عرفت كيف تزيد هنا وتنقص هناك من هذه الأصول الأولية حتى تحصل على النسب المطلوبة التي منها يتكون الشيء المقصود، فإذا كان ابن حيَّان تكلَّم بلغة الحرارة والبرودة، وعلماء هذا العصر يتكلَّمون بلغة الكهارب السالبة والموجبة فقد يكون الفرق أقرب مما نتوهَّم إذا ترجمنا الحرارة لمعناها الحقيقي وهو الحركة، فالحرارة حركة سريعة في الذرَّات، والبرودة حركةٌ بطيئة، فإذا كانت الحرارة والبرودة، أو إن شئت فقل إذا كانت درجات الحرارة المتفاوتة هي في الحقيقة درجات من الحركة متفاوتة، ثمَّ إذا كانت الحركة بدرجاتها المتفاوتة هي طاقةٌ - إن لم تكن الطاقة الكهربية بذاتها-

١ جابر بن حيان، ٧، ١٥١.

٢ انظر السابق، ١٩٧، ٢٠٢.

فيمكن تحويلها إلى طاقةٍ كهربية، إذن فيكاد يتشابه القولان في الطبيعة".[١]

ومن هذا المنطلق التقريبي يمكن القولُ بأنَّ ابن العميد ذكر تأثير الشمس فيما يعرض للأجرام، وهذا صحيحٌ فالشمس سبب للحُمرة (في حالة الشفق القطبي)، وذكر سبب الألوان والأضواء بأشكالها المختلفة بأنَّه تحوُّل مادةٍ إلى مادةٍ أخرى، وهذا صحيحٌ في العلم الحديث كما قال زكي نجيب محمود، ولكن ليس في تفسير ابن العميد ذكر للغلاف المغناطيسي للأرض وتأثيراته في هذه الظاهرة (في حالة الشفق القطبي)، وتأثير الارتفاع والانخفاض في لون الحمرة، كما ليس في تفسيره ذكر للذرَّات العالقة والغبار والسحب.

ولا يضرُّه هذا التفاوت، بل يشكر له التفكير في هذه الظاهرة في وقت مبكر، ولم يرها غير مرَّتين.

-٤-

التحقيق

٤/١: تحقيق نسبتها: هناك عدَّة مؤكِّداتٍ للنسبة؛ هي:

١-وردت نسبتها له صريحةً على النسخة الخطية.

٢- تتَّفق مادَّتها العلمية مع ما عُرف عن ثقافة ابن العميد الفلكية، ومع سنة توليه الوزارة لركن الدولة، ومع ما ذكرته كتب التاريخ من حدوث ظاهرة الحُمرة في سنة وزارته.

٣- يتَّضح فيها بعضُ خصائص أسلوب ابن العميد وهي غموضُ بعض العبارات، والطباق.

٤- لم أقف على ما يشكِّك في نسبتها له.

---

١ جابر بن حيان، ٢٠١ – ٢٠٢.

٢/٤: **وصف المخطوطة**: هي ضمن مجموع فلسفيّ في مكتبة ليدن برقم، (١٨٤)، كتب على غلافه أنَّه يحوي ثلاث عشرة رسالةً، هي:

١- رسالة في مراتب الموجودات، لبهمنيار بن المرزبان رحمة الله عليه.

٢- رسالة في موضوع علم ما بعد الطبيعة لبهمنيار

٣- ورسالة لأبي منصور بن رملة لصفات واجب الوجود.

٤- وأجوبةٌ عن عدَّة مسائل عن الشيخ أبي علي ابن سينا.

٥- وقصيدة مصرَّعةٌ لأبي علي ابن سينا في علم المنطق.

٦- ورسالة لأبي الفضل ابن العميد في الحمرة الحادثة في الجو.

٧- رسالة لأبي نصر الفارابي فيما ينبغي أن تقدِّم قبل تعلُّم الفلسفة.

٨- فصل من كلام أبي علي بن سينا في فائدة المنطق.

٩- مقالة للشيخ أبي علي ابن سينا في اتخاذ الآلات الرصدية.

١٠- رسالة قد محي اسمُها ولم يظهر عنوانها.

١١- رسالة للشيخ أبي علي ابن سينا إلى أبي الريحان في جواب مسائل أنفذها إليه من خوارزم.

١٢- جواب الشيخ أبي علي ابن الهيثم عن سؤال السائل عن المجرة هل هي في الهواء أو في جسم السماء.

١٣- رسالة أخرى للشيخ أبي علي ابن سينا.

ولكن داخله رسائل أزيد من هذا، مثل رسالة ابن سينا في النفس، تشمل قصيدته التي مطلعها: "هبطت عليك من المحل الأرفع".

واحتلت رسالتنا من هذا المجموع ثماني صفحات، بدءًا من الصفحة (٧١)

حتى (٧٨)، وقد كتب العنوان باللون الأحمر وسائر الرسالة بالأسود غير بعض الفواصل بين الفقرات، وخطُّها نسخي واضحٌ غالبه مشكول، وبها بعض الأخطاء من الناسخ كما يظهر في هوامش التحقيق.

٣/٤: عملي في التحقيق:

١- نسخت الرسالة من المجموع الخطِّي.

٢-أعدت مقابلة المنسوخ على النسخة الخطِّية لضمان سلامة النسخ من السقط وانتقال النظر.

٣- راعيت قواعد الإملاء الحديثة، وعلامات الترقيم.

٤- ذكرت بالهامش ما ورد خطأً في النسخة، وتغاضيت عن الهفوات مثل: "فيكون" و"فتكون".

٥- شكَّلت النصَّ تشكيلًا تامًّا.

٦- عرَّفت بالكلمات الصعبة من قواميس اللغة.

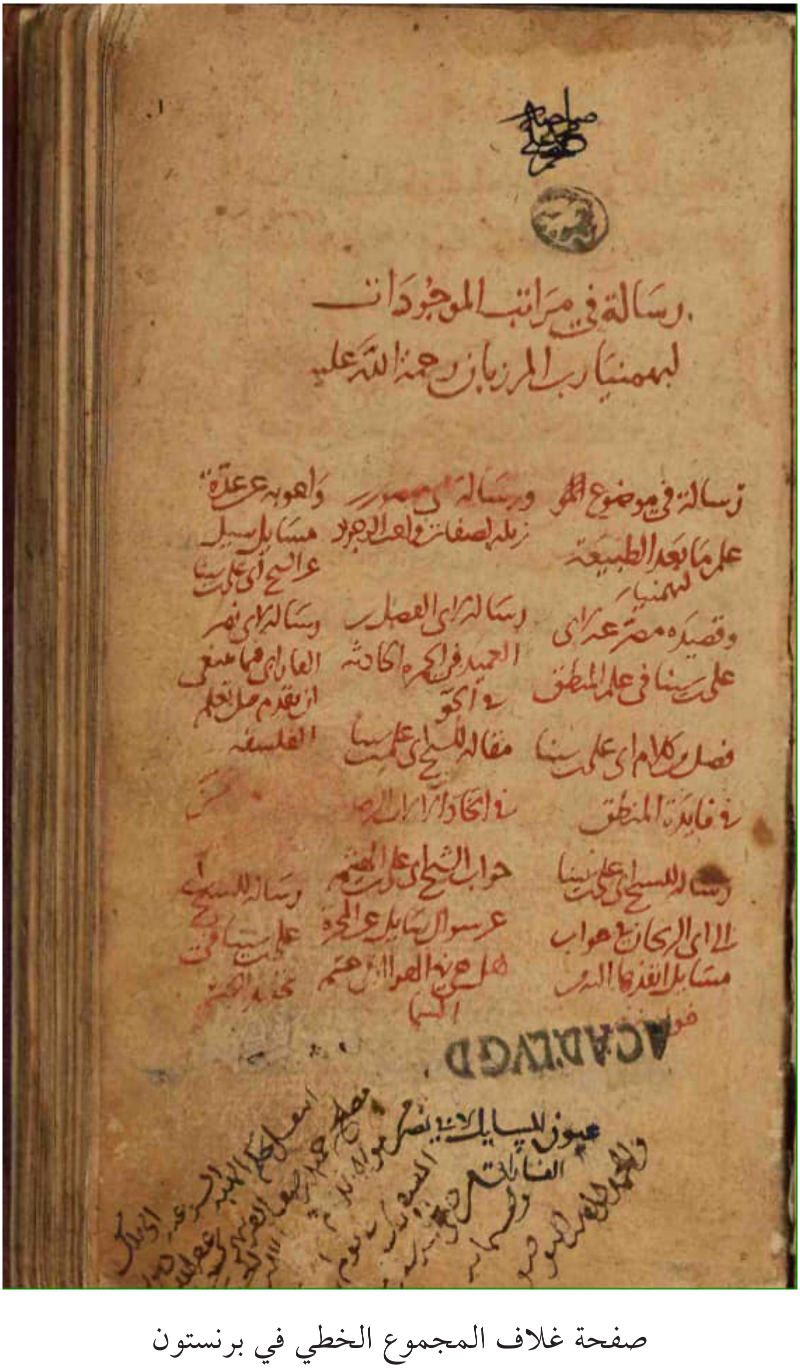
٧- أضفت بعض الكلمات اللازمة للسياق بين معقوفين.

٨- قدَّمت للنصِّ بالدراسة السابقة.

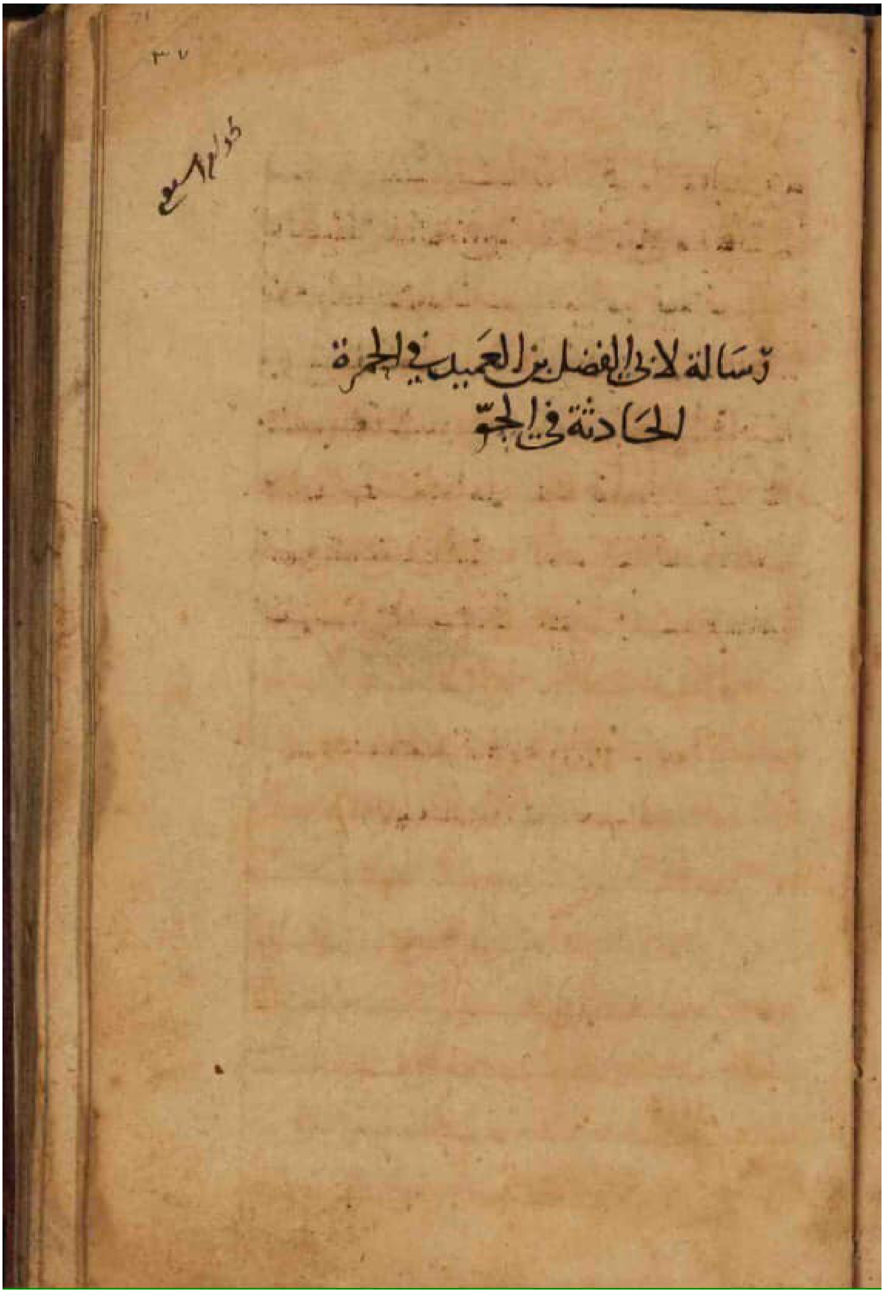
٩-صنعت خاتمة.

١٠- صنعت فهرسًا للمصادر والمراجع.

٤/٤: نماذج من صور المخطوطة:

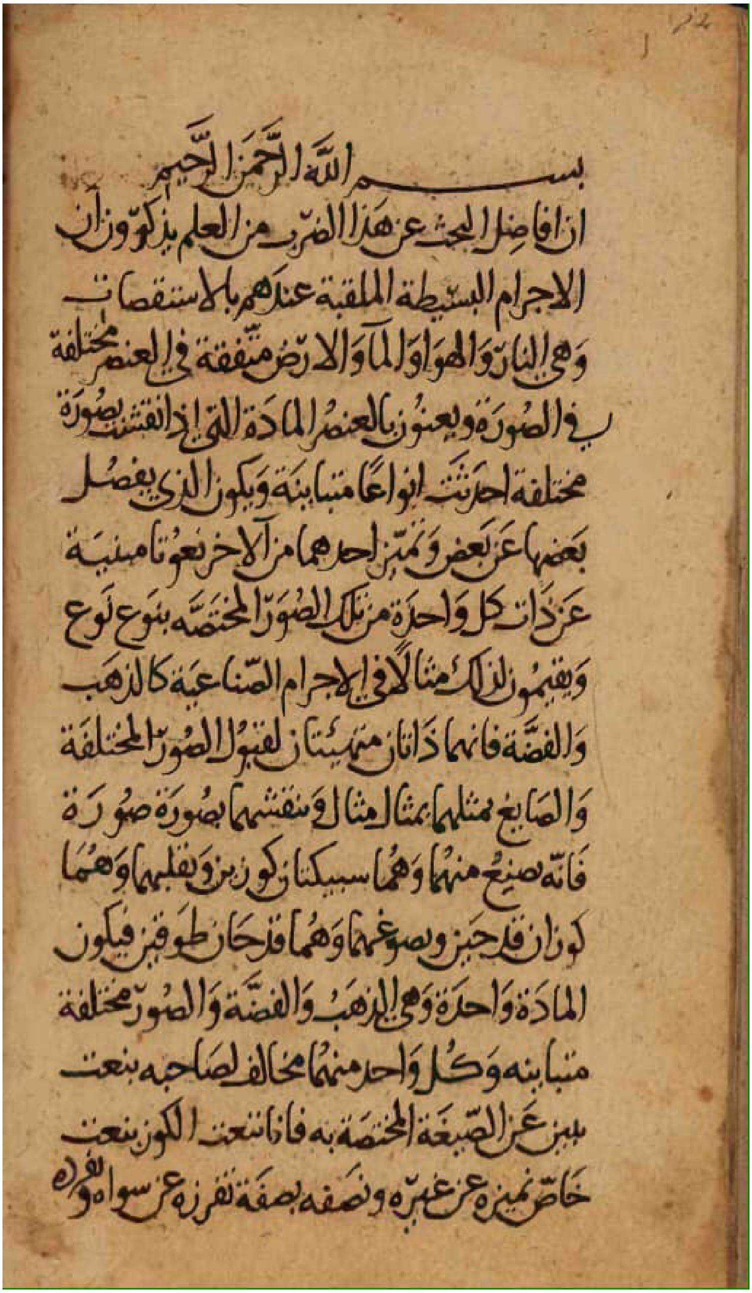


صفحة غلاف المجموع الخطي في برنستون

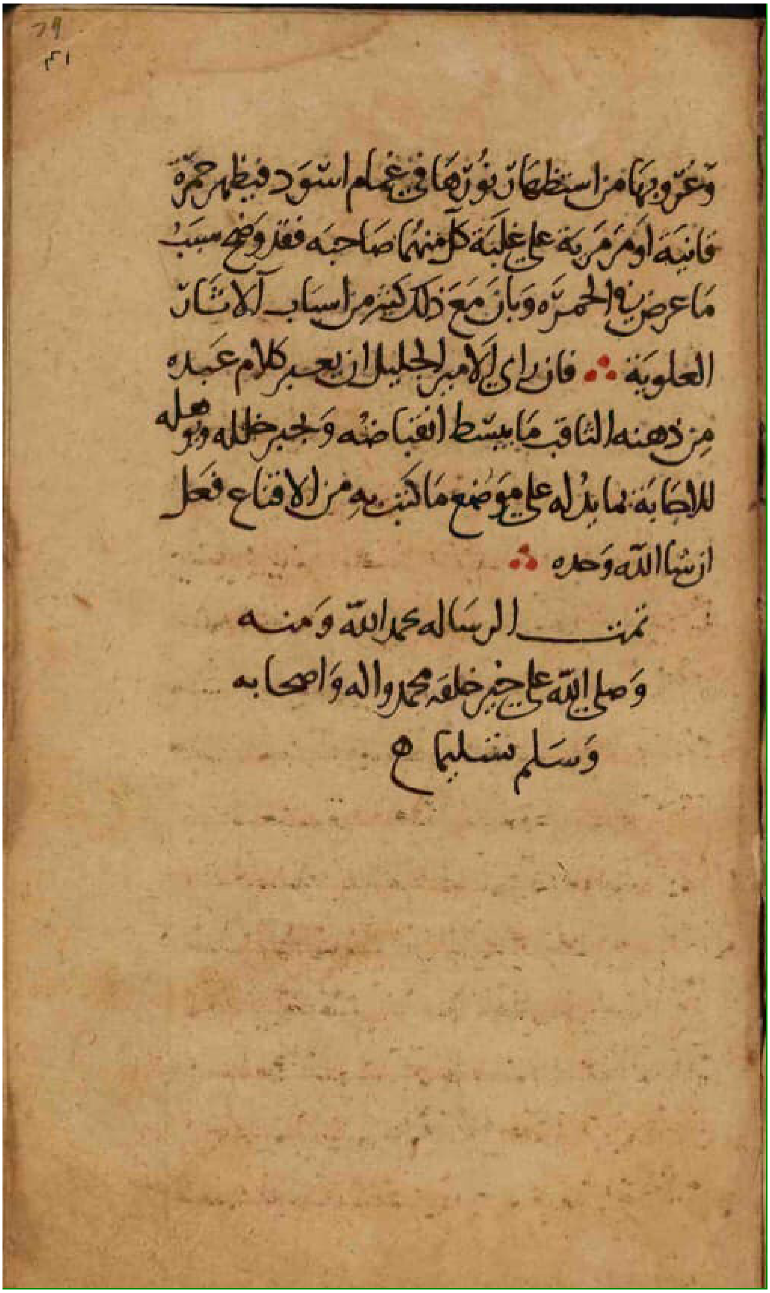

٣٧

رسالة لأبي الفضل بن العميد في الحمرة
الحادثة في الجو

صفحة العنوان


بسم الله الرحمن الرحيم
إن أفاضل الباحثين عن هذا الضرب من العلم يذكرون أن
الأجرام البسيطة الملقبة عندهم بالأستقصات
وهي النار والهواء والماء والأرض متفقة في العنصر مختلفة
في الصورة ويعنون بالعنصر المادة التي إذا انتقشت بصورة
مختلفة أحدثت أنواعًا متباينة ويكون الذي يفصل
بعضها عن بعض ويميز أحدهما من الآخر نعوتًا منبئة
عن ذات كل واحدة من تلك الصور المختصة بنوع نوع
ويقيمون لذلك مثالًا في الأجرام الصناعية كالذهب
والفضة فإنهما ذاتان متهيئتان لقبول الصور المختلفة
والصائغ يمثلهما بمثال مثال وينقشهما بصورة صورة
فإنه يصنع منهما وهما سبيكتان كوزين ويقلبهما وهما
كوزان قدحين ويصوغهما وهما قدحان طوقين فيكون
المادة واحدة وهي الذهب والفضة والصور مختلفة
متباينة وكل واحد منهما مخالف لصاحبه بنعت
يبين عن الصبغة المختصة به فإذا انتعت الكون بنعت
خاص يميزه عن غيره ونصفه بصفة تفرزه عن سواه وتفرده

الصفحة الأولى



وعروبها من استظهار نورها في غيم اسود فيظهر حمرة
فانية او من مرية على غلبة كل منهما صاحبه فقد وضح سبب
ما عرض في الحمرة وبان مع ذلك كثير من اسباب الاثار
العلوية ∴ فان راى الامير الجليل ان يعبر كلام عبده
من ذهنه الثاقب ما يبسط انقباضه ويجبر خلله ويوهله
للاصابة بما يدله على موضع ما اكتب به من الاقناع فعل
ان شا الله وحده ∴
تمت الرسالة بحمد الله ومنه
وصلى الله على خير خلقه محمد واله واصحابه
وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة

[٧١/] رسالةٌ لأبي الفضلِ ابنِ العَميدِ
في الحُمْرةِ الحادثةِ في الجوِّ

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

إنَّ أفاضلَ البُحُثِ[١] عن هذا الضَّربِ من العلمِ يذكرونَ أنَّ الأجرامَ البسيطةَ الملقَّبةَ عندَهم بالأستِقِصَّاتِ؛[٢] وهي: النَّارُ، والهواءُ، والماءُ، والأرضُ، متَّفقةٌ في العُنصرِ، مختلفةٌ في الصُّورةِ.

ويعنونَ بالعُنصرِ المادَّةَ التي إذَا نُقِشتْ بصورةٍ مختلفةٍ أحدثتْ أنواعًا متباينةً، ويكونُ الذي يفصلُ بعضَها عن بعضٍ ويميّزُ أحدَهما من الآخرِ نعوتًا منبئةً[٣] عن ذاتِ كلِّ واحدةٍ من تلك الصُّورِ المختصَّةِ بنوعٍ نوعٍ.

ويقيمونَ لذلك مثالًا في الأجرامِ الصِّناعيَّةِ كالذَّهبِ والفضَّةِ؛ فإنَّهما ذاتانِ متهيئتانِ لقَبُولِ الصُّورِ المختلفةِ، والصَّائغُ يمثّلُهما بمثالٍ مثالٍ، وينقشُهما بصورةٍ صورةٍ، فإنَّه يصنعُ منهما -وهما سَبيكتانِ- كُوزَيْنِ، ويقْلِبُهُما -وهما كُوزانِ- قَدَحَيْنِ، [٧٢/] ويصوغُهما -وهُمَا قَدَحانِ- طَوْقَيْنِ، فتكونُ المادَّةُ واحدةً وهي الذَّهبُ والفضَّةُ، والصُّورُ مختلفةً متباينةً.

وكلُّ واحدٍ منهما مخالفٌ لصاحبِه بنعتٍ يُبِيْنُ عن الصِّيغةِ المختصَّةِ بِه، فإنَّا ننعتُ الكُوزَ بنعتٍ خاصٍّ نميّزُه عن غيرِه، ونصِفُه بصفةٍ تُفْرِزُه عن سِواه وتُفْرِدُه، [٧٣/] فإذَا أَخبَرْنا عنه بجملةٍ من القولِ وجيزةٍ تنبئُ عن ذاتِه وتأتي من وراءِ صورتِه، فنخلِّصُه[٤] بذلكَ من الشُّبهةِ، ونخلِّصُه من منازعةِ غيرِه في الشِّرْكةِ.

---

١ لم أجد لها وجه ضبط غير هذا، ولم أقف على هذا الجمع لـ"باحث" في ما بين يديّ من معاجم.

٢ هو لفظ يوناني بمعنى الأصل، والماء والهواء والأرض والنار تسمى أستِقِصَّات؛ لأنها أصول المركَّبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن. انظر معجم التعريفات، (ص٢٣)، وقد وردت فيه برسم"الأسطقسات".

٣ في المخطوطة: "مبنية".

٤ لا يوجد هنا مسوِّغ من المسوغات السبعة لاقتران جواب الشرط بالفاء.

وكذلك يجري الأمرُ في الطَّبيعةِ؛ فإنَّ لكلِّ جسمٍ منها مادَّةً هي كالذَّهبِ والفضَّةِ للمَصُوغاتِ، وصورةً تصوِّرُ ذلك الجسمَ وتنقُشُه، فيأتلف من مجموعها نوعُ نوعٍ من المشاهداتِ، ويكونُ النَّعتُ المختصُّ بكلِّ واحدٍ هو القولُ الدَّالُ على ذاتِ صورتِه المختصَّةِ بِه، لا المنبئُ عن ماهيتِه المشاركةِ له ولغيرِه.

فإذن النارُ والهواءُ والماءُ والأرضُ إذ هي أجسامٌ طبيعيَّةٌ، فلها لا محالةَ مادَّةٌ تتَّفقُ[١] فيها، وصورةٌ تختلفُ، ولكلِّ صورةٍ نعتٌ وصفةٌ يدلَّانِ على ذاتِها، ويميِّزانِها عن أخواتِها:

- فالنَّارُ منعوتةٌ بالحرارةِ واليُبْسِ.
- والهواءُ بالحرارةِ والرطوبةِ.
- والماءُ بالبرودةِ والرطوبةِ.
- والأرضُ بالبرودةِ واليبوسةِ.

وكلُّ اثنين منهما متجاورَيْنِ مشتركانِ[٢] في بعضِ ما ينُعتانِ بِه، ويختلفانِ[٣] في بعضِه؛ فإنَّ:

- النَّارَ والهواءَ مشتركانِ في الحرارةِ ومختلفانِ باليُبْسِ والرطوبةِ.
- والهواء والماء مشتركانِ في الرطوبةِ ومختلفانِ بالحرارةِ والبرودةِ.
- والماء والأرض مشتركانِ في البرودةِ ومختلفانِ في الرطوبةِ واليُبْسِ.

فقد [/٧٤] ظهَرَ أنَّ كلَّ متجاورَيْنِ من هذهِ الأجسامِ الأربعةِ متَّفقانِ في المادَّةِ وبعضِ الصُّورةِ، وإنَّما يميِّزُه عن صاحبِه ويُفرزُه عن مُجَاورِه ما يختلفانِ بِه من باقي الصِّفةِ، فإنْ تُوُهِّمَ اشتراكُهما فيهِ واستبدالُ أحدِهما ببقيَّةِ صفتِه الخاصَّةِ بِه صفةَ ما

١ في المخطوطة:"يتفق".

٢ الكاتب موفق في اختيار اسم الفاعل؛ لأنه يدل على الثبات والدوام لهذه الصفات المشتركة.

٣ الكاتب موفق في اختيار الفعل المضارع مع الصفات المختلفة؛ لأنها تتغير حسب العوامل الداخلة على العناصر.

يليهِ فقد اتَّفقَا[١] بالحقيقةِ وصارَا[٢] نوعًا واحدًا.

ونمثِّلُ[٣] ذلك بمثالٍ فنقولُ: إنَّ الهواءَ مجاورٌ للنَّارِ من جهةٍ وللماءِ من جهةٍ، وهو مخالفٌ للماءِ بحرارتِه، فإنَّ الماءَ باردٌ رطبٌ والهواءَ حارٌّ رطبٌ، فمتى خلَعَ الهواءُ رطوبَتَه فاستبدلَ بها يُبْسًا صارَ نارًا، ومتى نزَعَ حرارتَه واكتَسى بردًا صارَ ماءً، وكذلك يجري الأمرُ في الأربعةِ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما هو بالفعلِ ذاتُه وبالقوَّةِ مجاورُه، وأعني بالفعلِ الصُّورةَ الحاضرةَ، وبالقوةِ الصُّورةَ التي يكونُ[٤] الشيءُ مستعدًّا للانتقالِ إليها.

ويُظهرُ هذا المعنى الاستشهادُ ببعضِ المشاهداتِ؛ ليكونَ أثبتَ في التَّصوُّرِ وأقوَى في التَّخَيُّلِ؛ وليكنْ ذلك هو الحمَّامُ، فإنَّ الماءَ يُصَبُّ على صحنِه وهو مُسخَّنٌ بالوقودِ، فيكتسبُ حرارةً فيصيرُ حارًّا رطبًا، وهذه صفةُ الهواءِ، ثم يتخلَّقُ حتَّى يماسَّ سطحَ الحمَّامِ وسقفَه والزُّجاجَ، ويبرْدُ،[٥] فإذا استعادَ صفةَ [٧٥/] الماءِ وهي الرطوبةُ والبرودةُ، وصارَ ماءً فقَطَرَ، ثمَّ يَستبدلُ بصورةِ الماءِ هواءً وبصورةِ الهواءِ ماءً بحسَبِ مُلاقاتِه الحرَّ والبردَ من صَحْنِ الحمَّامِ وسقفِه، وقد يُشاهدُ في الأواني المُسْتَحْصَفةِ[٦] الجواهرِ كالزُّجاجِ.

وللذهبِ ما يشهدُ بذلكَ؛ فإنَّها[٧] إنْ مُلئتَ جمْرًا أو ثلجًا برَّدتِ الهواءَ المصافحَ لسطحِها فاستحالَ ماءً حتَّى يعلَقَ ظاهرُه حَبَبًا،[٨] وهي متى سُخِّنت بالنَّارِ سخونةً مفرطةً صارَ ما فيها من الماءِ هواءً.

فقد بانَ بما[٩] استشهدناهُ كيفَ يستحيلُ كلُّ واحدٍ من الأستِقِصَّاتِ إلى مُجاورِه[١٠]

---

١ في المخطوطة: "اتفقنا".
٢ في المخطوطة: "وصار".
٣ في المخطوطة: "تمثل".
٤ في المخطوطة: "تكون".
٥ في المخطوطة: "يبرّد" بتشديد الراء.
٦ أي المحكمة الشديدة.
٧ في المخطوطة: "وإنها".
٨ كذا العبارة في المخطوطة؛ بنصب "حببًا"، ولعله ضمَّن الفعل"علق" معنى الفعل "تحوَّل"، أو"صار".
٩ في المخطوطة: "ما".
١٠ في المخطوطة: "مجاورة ".

وظهرَ أنَّ الهواءَ مستعدٌّ للاستحالةِ إلى النَّارِ، فليكنْ ما قلتُه مفهومًا.

وأقولُ: إنَّ الحرارةَ إذا باشرتِ الأجسامَ وأثَّرت فيها آثارًا أظهرُها تمييزُ اللَّطيفِ من الكثيفِ، ومعونةُ الخفيفِ حتَّى يعلوَ الثقيلَ؛ فإنَّ الأجرامَ إذا تحرَّكت حركةً سريعةً أحدثت في مُجاورِها حرارةً، والأجرامُ السَّماويَّةُ متحركةٌ، فهي إذًا[١] جاورهَا فحَمَتْهُ؛[٢] لأنَّ الجِرْمَ إذا كانَ أعظمَ وحركتُه أسرعَ ومجاورتُه من القابلِ لأثرِه أقربَ، وكانَ[٣] تأثيرُه أبلغَ [و][٤] إحماؤه أكثرَ، وكانتِ الأجرامُ العلويَّةُ مختلفةَ المقاديرِ والحركاتِ والأماكنِ، وجبَ أنْ يكونَ تأثيرُها مختلفًا، وأنْ يكونَ أبلغُها [٧٦/] في ذلك أجمعَها للعللِ الثَّلاثِ، والشَّمسُ من بينِها هي بهذه الصُّورةِ؛ فإنَّ الأجرامَ التي فوقَنا وإنْ كانت عظيمةً فهي بطيئةٌ وبعيدةٌ كزُحَل وسائرِ الكواكبِ الثَّابتةِ التي دونها وإنْ خفَّتْ حركتُها وقرُبتْ كالقمرِ وعُطارِدَ والزُّهَرَةِ، فهي صغيرةٌ بالقياسِ إليها.

فالشَّمسُ أظهرُ المؤثِّرات تأثيرًا في الإحْماءِ وتوليةِ الحرارةِ فيما تحتَها من الأجرامِ البسيطةِ والمركَّباتِ منها، المؤلفةِ لذلك أقوى الأسبابِ وأوكدَ العِللِ فيما يعرِضُ من الآثارِ التي تتولَّدُ من الحرارةِ.

فقد تبيَّن أنَّ حركةَ الشَّمسِ خاصَّةً وحركاتِ سائرِ الكواكبِ عامَّةً هي أسبابُ كلِّ ما يعرِضُ من الجوِّ بما يُثيرُه الحرُّ، ولأنَّ الإحماءَ من شأنِه إذا باشرَ الجِرْمَ أنْ يميِّزَ لطيفَه من كثيفِه ويُعِيْنَ خفيفَه حتى يطفوَ أعلى ثقيلِه، وكانَ الأرضُ والماءُ جِرْمانِ ثقيلانِ،[٥] فالإحماءُ والسُّخونةُ فيهما أقلُّ، وكذلك المركَّباتُ منهما من سائرِ الأستِقِصَّاتِ، فواجبٌ أن يتميَّزَ عنها وعن كلِّ مُركَّبٍ جزءٌ لطيفٌ يطفو أعلى سائرِ أجزائِه، لكنَّ الذي يميِّزُه عن الأرضِ جوهرٌ دُخانيٌّ حارٌّ يابسٌ، والذي يفصِلُهُ من الماءِ جوهرٌ حارٌّ رطْبٌ وهو البخارُ، والذي يميِّزُه من المركَّباتِ جوهرٌ مركَّبٌ من

١ في المخطوطة: "إذًا".

٢ كذا العبارة في النسخة، والصواب "حَمَتْه" من الإحماء، بحذف الفاء؛ لأنه لا يوجد هنا مسوّغ من المسوغات السبعة لاقتران جواب الشرط بالفاء.

٣ كذا في المخطوطة بالواو، والصواب حذفها –حسب فهمي للعبارة–.

٤ زيادة يقتضيها السياق.

٥ كذا في المخطوطة بالرفع فيهما؛ وحقهما النصب خبرًا لكان، وهي لغة في إعراب المثنى.

بخارٍ ودُخانٍ، وهذانِ الجوهرانِ [٧٧/] وإنْ اصطحبَا في التَّرقِّي والصُّعودِ مسافةً، وحفِظَا الامتزاجَ مدَّةً يسيرةً، فإنَّ كلًّا منهما مستعدٌّ للاستحالةِ إلى ما هو أغلبُ على طبعِه ومنازعٌ إلى مفارقةِ صاحبِه، والدُّخَانُ مشبَّهٌ بالنَّارِ، ومتهيئٌ للاستحالةِ إليها [متى][١] ازدادَ حرًّا ويُبسًا، والبُخارُ متهيئٌ للتحوُّلِ إلى الماءِ متى استبدلَ بالحرِّ بردًا، وهما لو أمعَنَا في الجوِّ صعودًا واعتلاءً فيصيِّرُ البردُ ما انبسطَ من طبيعةِ البخارِ فصارَ سحابًا، فإنْ زادَه تبريدًا صارَ ماءً.

وأمَّا الدُّخَانُ فإنَّه يعرضُ له أعراضٌ مختلفةٌ فيستحيلُ بها نارًا، وأنَّ البردَ من الغمامِ قد يطيفُ بِه ويحصُرُه ويتميَّزُ جوهرُ البُخارِ عنه حتى تخلَّصَ[٢] الحرُّ واليُبسُ في طبعِه، فيستكمِلُ نارًا، وحينئذٍ يتَّفقُ كثيرًا أن يقسِرَه ما يطيفُ بِه من الغَمامِ على ضدِّ حركتِه في طبعِه، فيقذفَه سُفْلًا فيكونَ من الصَّواعقِ الهابطةِ.

وقد يعترضُ التَّعجُّبُ من نزولِ النَّارِ سُفْلًا مع حركتِها الطَّبيعيةِ لهَا علوًّا، ومع خفَّتِها، ومن شأنِ كلِّ خفيفٍ أنْ يطفوَ أعلى ما هو أثقلُ منهُ، وكلِّ ثقيلٍ أنْ يرسُبَ فيما هو أخفُّ منهُ.

لكنْ من المعلومِ أنَّ الأجرامَ تتحرَّكُ بطباعِها متى خليَتْ وُسُومُ طبعِها ولم يقسِرْها قاسرٌ على ضدِّ حركتِها التي لها، وأنَّ [٧٨/] الماءَ وإنْ رسُبَ في الهواءِ فقد يقذفُه القذَّافاتُ والزَّرَّاقاتُ[٣] في الهواءِ، والنَّارَ وإنْ طفتْ عُلُوًّا فقد يحطُّها النَّفَّاطاتُ[٤] إلى أسفلَ.

وقد يستحيلُ البخارُ أيضًا نارًا بهبوطِ النَّارِ العاليةِ عليه، كما يعرِضُ في سِراجَيْنَ يُنصب أحدُهما فوقَ الآخرِ؛ فإنَّ الأسفلَ منهما إنْ أُطفئَ لهبُه سرَى جوهرُ النَّارِ من الأعلَى في الدُّخانِ فأحالَه نارًا بلا زمانٍ محسوسٍ حتى يكتسيَ السِّراجُ لهبًا، وحينئذٍ

١ زيادة يقتضيها السياق.

٢ بمعنى انفصل.

٣ الزراقات: أُنبوبة من الزُّجاج ونحوه، أَحد طرفيها واسعُ والآخرُ ضيِّقٌ في جوفها عودٌ يَجذِب السائل ثم يدفعه.

٤ قاذفة النِّفْط.

تتشكَّلُ[١] النَّارُ في الهواءِ بأشكالٍ مختلفةٍ على حسبِ موضعِ الدُّخانِ قبلَ استحالتِه، وربما كانَ مستطيلًا وربما كانَ معترضًا وربما استطارَ فرأيتَ له شررًا، وربما يقَطَّعُ مع ذلك قطعًا، وربما كانت أجزاؤه منتشرةً غيرَ ملتئمةٍ، فيكونُ ما يظهرُ منتشرًا.

ومن هذا الجنسِ الأخيرِ كانَ ما ظهَرَ في الجوِّ، وهو أيضًا ربما استكملَ الاستحالةَ حتى يغليَ فيصيرَ لهبًا، فإنَّ اللَّهبَ غليانُ الدُّخَانِ، وربما قاربَ الاستكمالَ فيظهرُ فيه بعضُ النُّورِ إذا سطَعَ في الظُّلمةِ والغَمامِ الأسودِ والهواءِ الدُّخَانيّ، أنْ يُرَى أحمرَ كما يظهرُ فوقَ النِّيرانِ الموقدةِ منَ الحُمرةِ التي تتوسَّطُ[٢] اللَّهبَ والدُّخانَ، وكما يعرضُ عندَ شروقِ الشَّمسِ [/٧٩] وغروبِها من استظهارِ نورِها في غمامٍ أسودَ، فيظهرُ حُمرةً قانيةً أو مَرْمَريَّةً على غلَبةِ كلٍّ منهما صاحبَه.

فقد وضَح سببُ مَا عرَض في الحُمرةِ، وبانَ مع ذلك كثيرٌ من أسبابِ الآثارِ العُلْوِيَّةِ.

فإنْ رأَى الأميرُ الجليلُ أنْ يعبُرَ كلامُ عبدِه من ذهنِه الثَّاقبِ ما يبسطُ انقباضَه، ويجبُرُ خَلَلَه ويؤهِّلُه للإجابةِ بما يدلُّه على موضعِ ما كتبَ بِه من الإقناعِ فعلَ إنْ شاءَ اللهُ وحدَه.

تمَّت الرِّسالةُ بحمدِ اللهِ ومنِّهِ

وصلَّى اللهُ علَى خيرِ خلْقِه

محمدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ

وسلَّمَ تسليمًا

---

١ في المخطوطة: "يتشكل".

٢ في المخطوطة: "يتوسط".

الخاتمة والنتائج

شغل أبو الفضل ابن العميد مساحةً كبيرةً في تاريخ الأدب العربي كما شغل مساحةً في السياسة، غير أنَّه لم يُدرس الدراسة التي تليق به؛ فلم يُحَّقق ديوان رسائله حتى الآن رغم توافره على الشبكة الإلكترونية العالمية، كما أنَّ هناك جانبًا غائبًا من جوانب شخصيَّته العلمية؛ حيث تحدَّثت المصادر عن إتقانه للعلوم العقلية الفلسفية والهندسية والفلكية والرياضية، ولكنَّا لم نجد إنتاجًا يؤكِّد هذا الجانب من شخصيته، حتى وفَّقني الله للوقوف على هذه الرسالة.

وهي تفسِّر ظاهرة الحُمرة التي لم يفسِّرها العلم إلا منذ سنواتٍ معدودة، وكان تفسيره قريبًا من تفسير العلم الحديث حسب مقاربة الدكتور زكي نجيب محمود لعلوم الأوائل بعلوم العصر الحديث، والربط بين المنطق المشترك بينها. وقد أثبتت سبق التفكير لأبي الفضل ابن العميد في هذا المضمار، وهو سبقٌ يحسب للثقافة والعلوم الإسلامية كلِّها.

وإنَّ هذه الرسالة لتعدُّ باكورة ما يحقق من تراث ابن العميد عامَّةً، وتراثه العلمي خاصَّة، وأسأل الله أن تكون فاتحةً معينة على تحقيق ديوان رسائله الأدبية وميِّسرةً لها، وأن تكون فاتحةً مشجِّعةً على البحث عن رسائله العلمية وتتبُّعها والتنقيب عنها في الزوايا.

المصادر والمراجع

- **ابن العميد**، لخليل مردم بك، مكتبة عرفة بدمشق، ١٩٣١م.
- **اتِّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، للمقريزي، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ط٢، ١٩٩٦م.
- **أخلاق الوزيرين**، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، لشهاب الدين أبي العباس الناصري، تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، ١٩٩٧م.
- **الإمتاع والمؤانسة**، لأبي حيان التوحيدي، تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٥٣م.
- **أمراء البيان**، محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.
- **البداية والنهاية**، لابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.
- **البصائر والذخائر**، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق عبد الرزاق محيي عبد الحميد، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٤م.
- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، لابن العديم، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر
- **تاريخ الأدب العربي**، الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
- **تاريخ الأمم والملوك**، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، لأبي علي مسكويه، تحقيق أبي القاسم إمامي، سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.
- **تلقيح فهوم أهل الأثر**، لابن الجوزي، شركة دار الأرقم، بيروت، ١٩٧٧م.
- **جابر بن حيان**، لزكي نجيب محمود، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١هـ.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- **صلة تاريخ الطبري**، لعريب بن سعد القرطبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، للجبرتي، دار الجيل، بيروت.

- **فن الترسُّل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد**، فيصل حسين طحيمر العلي، رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية وآدبها، نابلس، فلسطين، ٢٠٠١م.
- **الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن ابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، لابن فضل الله العمري، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٣٦م.
- **معجم التعريفات**، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، دون تاريخ.
- **المنتظم**، لابن الجوزي، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.
- **النثر الفني في القرن الرابع**، لزكي مبارك، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- **الوافي بالوفيات**، لخليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- **وفيات الأعيان**، لابن خلكان، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- **يتيمة الدهر**، للثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٧م.

الدوريات

- **ابن العميد الوزير البويهي (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) شخصيّته وعصره**، للدكتور أحمد عبد العزيز محمود، والدكتور هلز عنتر ولي، مجلة گوفاري زانكو بو زانسته مروفايه تييه كان، به رگي، ١٩، ژماره ٤، سالى ٢٠١٥م.
- **نافذتان نقديتان على النثر العباسي**، أحمد بن يوسف، والإعراق في الكتابة، ابن العميد بين التسجيع والمزاوجة، د فاروق محمود الحبوبي، مجلة أهل البيت، العدد الأول، مارس، ٢٠٠٤م.

المواقع الإلكترونية

- **موقع ترافل ديف**، على الرابط:

https://www.traveldiv.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%81%D9%

- **موقع ناسا بالعربي**، على الرابط:

https://nasainarabic.net/education/articles/view/see-the-north

الملف

العلَّامة الدَّالي

الدَّالي[1]

جَدِيلة إنسانيَّة علميَّة

فيصل الحفيان

دار المخطوطات - تركيا

عندما سال مدادُ قلمي هذا لم أكن أكتب بحثًا، بل كنت أستجيب لاعتيام إنسانٍ مكتنزٍ قيمًا، ومحقِّقٍ ممتلئٍ علمًا، ومن قبل ومن بعد أخٌ كريمٌ حبيب، على أنَّ المقاربة الشعوريَّة والتعبيريَّة لمعاناة الفقد لم تخلُ من أثارة علمٍ. نعم، الصوتُ الإنسانيُّ أوضح، وأعلى بسبب وقع الخبر وفجاءتِه. ولذا فإنِّي أسارع إلى القول كفاحًا من غير لجلجةٍ؛ ولا جمجمةٍ:

ليس هذا بحثًا؛ إنَّما هو بُحَيثٌ؛ أو مقالةٌ، يطغى عليه؛ أو عليها، الحديثُ عن الدالي إنسانًا، وتخالطه أو تخالطها خيوطٌ رقيقةٌ لملحوظاتٍ علميَّة عجلة، وغيرِ مقصودةٍ لذاتها، ولذلك ربما جاءت خِلوًا من الاقتباس والتوثيق الذي تتطلَّبه البحوثُ، فإذا استبان لك أيها القارئُ الكريم هذا الذي قلتُ، وعرفتَ أني قد صدقتُك، سلَّمتَ لي، وقرأتَ بشرطي الذي اشترطتُ، وأنا وأنت؛ كلانا مستريحٌ للآخر؛ قابلٌ منه، وقابلٌ له.

١ نواته كلمة أثيرية في لقاء وفاء على (زوم) عقده مركز فصحى (الكويت) يوم الخميس الموافق ٢٥ من نوفمبر ٢٠٢١، وشارك فيه سعد مصلوح، وخالد فهمي، وعبد العزيز سفر، وأنا. وكنت حدَّثت أخي محمد مصطفى الكنز عقيب رحيل الدالي، رحمه الله، واقترحت عليه عقد جلسة يكون هو موضوعها، وتركت هيئة الجلسة غُفْلًا، لم أعرض لطبيعتها، هل هي جلسة إنسانية: لشهادات (يصعب عليَّ أن أقول: تأبين) أم هي جلسة علمية. ومضى على الحديث يوم أو يومان، فاتَّصلت به مرَّة أخرى، واتَّفقنا على أنَّها (شهادات) فـ (تراثه) يحتاج جلسات أخرى، كما يحتاج احتشادًا، نظرًا لطبيعته وخصوصيَّته وتراثه.

على أنِّي ما استطعت أن أُخْلِص أو أَخلُص لـ (الشهادة)، وذلك لأنَّ الدالي عالمًا ولغويًّا ومحقِّقًا ما هو إلَّا انعكاس للدالي إنسانًا، فلولا قيمه الإنسانية وأخلاقه لما كان هذا العلم النافع، ولما كانت هذه العربية الصافية، ولما كان هذا التحقيق الصادق الأمين للنصوص التي أخرجها لنا.

وكان أن أخللتُ بما اتَّفقنا أو توافقنا عليه، وطلبت منه المعذرة؛ لأني لم أستطع فكاكًا من هاجس أنَّ إنسانية الدالي هي علمه، وأنَّ علمه هو إنسانيَّته.

حديثي حديثان: حديثُ قلبٍ آلمه الفقدُ وتردَّدت في نفسه أصداؤُه، فخرجت كلماتٌ هي زفراتُ نفسٍ قبل أن تكون حروفَ لغةٍ، وحديثَ عقلٍ نَظَر في تراث الفقيد، فقَيَّد عنواناتٍ عريضةً تلفت إلى علمه وتحقيقه.

الدالي في الحالين (الإنسان والعالم المحقِّق) شخصيةٌ ثريَّةٌ، وموضوعٌ خِصْب، فيه كلامٌ كثيرٌ، كلام خارج من القلب والعقل على حدٍّ سواء.

حديثي إذن، فيه عينٌ على الدالي الإنسان، وعينٌ على الدالي العالم، وتحديدًا المحقِّق، على أنَّ العينين في وجهٍ واحد، تنظر إحداهما حيث تنظر الأخرى، وهما معًا إنَّما ينظران في اتِّجاه واحد.

وإنِّي لأعلم حقَّ العلم أنَّ كثيرًا ممَّا يقال في مناسبةٍ كهذه لايبرأ من كثيرٍ من المجاملات والمبالغات تحت وطأة الحدث وحميميَّةِ الاجتماع، فيكون ما سكن في القلب، وما استقرَّ في العقل، بذرةٌ وفكرةٌ، بذرة حقٍّ، وفكرة صدقٍ، لكنَّ الحدث والاجتماع يجعلان من البذرة شجرةً ذات أغصان وأوراق، ومن الفكرة نظريَّة.

لكنِّي -والله- لا أقول هنا إلَّا ما وقر في قلبي؛ لا أضخِّمه، وما اقتنعت به؛ لا أزيده.

١

إنسانية العالم

١/١: صوت طَرَفة

لكأنَّ صوت طَرَفة بن العبد القديم القادم من البعيد:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدِّد

محمولًا على (أثير) كورونا الخانقِ يصدق اليوم أكثرَ ما يصدق على فقداننا أخانا الكريم محمَّد أحمد الدالي رحمه الله، وأعلى درجته في الجنان، جزاء ما قدَّم للقرآن وللعربية وللتراث.

لقد فتح رحيله جرحًا قريبًا لمَّا يندمل بعد، فقد فقدنا قبله أخانا (أخاه وأخي) أبا مصعب عبد الإله نبهان. وعادت بي الذكرى إلى أحد أصياف ثمانينيَّات القرن الماضي، وكنت أيَّامها أعمل في الكويت: نبهان هو الذي عَرَّفني الدالي، واصطحبني لزيارته في بلده (مصياف) تلك البلدة الصغيرة الهادئة التي لا تبعد كثيرًا عن مدينتنا (حمص) وهي اليوم تابعة لمدينة حماة، مدينةِ أبي الفداء، ومن يومها وبيننا نحن الثلاثةَ حبلُ ودٍّ موصولٍ ومشدود، لم ينقطع، ولم يفتر.

عندما رحل نبهان ثالثنا فُجعت، وها هو الدالي ثانينا يلحق به. وكنت أظنُّ أنَّ وقعَ الفجيعة على الفجيعة كالنصل على النصل، لكنَّ ظنِّي خاب، فقد استدعت الآخرةُ الأولى، والتحمتا، وغارتا حتَّى استحالتا فجيعةً فوق الاحتمال، وما أصدقَ المتنبِّي في قوله:

رماني الدهر بالأرزاء حتَّى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسَّرت النصال على النصال

ومن بعد طرفة كان أبو تمَّام الذي افتتح قصيدته الذائعة بالبيت الأليم:

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا وأصبح مغنى الجود بعدك بَلْقَعا

فقدنا أسماعنا، أو سددنا آذاننا، حتَّى لا نسمع الخبرَ. وقد نحتاج لننزِّل البيت تنزيلًا أن نستبدل بكلمة الجود العلم من غير أن نكسر الوزن، فرياض العلم بعد (الدالي) بلقع، وإن كان علمُه لا ينفي جُودَه.

حديثٌ كهذا، والجرح مازال غائرًا ينزف، والقلب مافتئ مكلومًا يتألَّم، يمكن أن يتداخل فيه الذاتي والموضوعي، فتتشكَّل جديلةٌ واحدةٌ، لا هي شعورٌ خالصٌ، ولا هي بحثٌ صرفٌ، يطغى هذا على ذاك حينًا، ويغلب ذاك هذا حينًا آخر.

١/٢ : أصداء الرحيل

الرحيل؛ أيُّ رحيلٍ، إنَّما هو فراقٌ، وأوجع ما يكون الفراق عندما يكون دائمًا؛ ذاك هو فراق الدنيا أو الغياب عن الدنيا؛ إذ هو فراقٌ لا لقاء بعده، إلَّا في الآخرة، ونحن –المسلمين– نحمد الله تعالى، أنَّنا ننظر إلى الدنيا على أنَّها دنيا؛ دارُ زوالٍ، لا

دارُ بقاءٍ، ولولا هذا الإيمانُ لكان الوجع فوق الاحتمال، في هذا الزمان الذي تُحْصَد فيه أرواح أحبابنا حصدًا، ويطير الخبرُ إلينا حيث كنَّا، فلا نصحو إلَّا على رحيلٍ، ولا ننام إلَّا على رحيل.

الدنيا دار زوال. هذا صحيح، لكنَّها –في الوقت نفسه– دارُ عملٍ. هكذا هي في نظرنا نحن المسلمين، ولذلك فإنَّنا نقيس حضورنا فيها بالعمل الصالح الذي يترك أثرًا، وكلَّما عظم الأثرُ عظم قَدْرُ الراحل عند الناس، وقبل ذلك وبعده عند الله تعالى.

قد يرحل الإنسان عن الدنيا، فيرحل، كأنَّه لم يكن يومًا. وقد يرحل، فلا يرحل، كأنَّه لم يغب أو لن يغيب يومًا، لأنَّ الذي رحل هو –فحسب– رسمُه، أمَّا ذكره فإنَّه حاضرٌ في أثره وعمله وسيرته.

وإذن فإنَّ الرحيل رحيلان: رحيلٌ يوازي أو يكاد الغيابَ، ورحيلٌ يوازي أو يكاد الحضورَ.

ورحيل الدالي ليس رحيلًا، لأنَّه رحيلُ الحضور، لا رحيل الغياب، بل إنَّ حضوره ليس حضورًا، لأنَّه حضور الشهود، والشهودُ أعلى من الحضور، لأنَّه يجاوزه إلى استمرار الأثر، أو لنقل خلوده.

تلك ضفيرةٌ إنسانيَّة خالصةٌ من الجديلة التي تحدَّثت عنها، سأجمع لها ضفيرةً علميةً ليست خالصةً؛ إذ فيها خيوطٌ من قيم تجمع بين إنسانية الدالي وعلمه.

٢

علميَّة الإنسان

٢/١: امتداد النفَّاخ والفحَّام

(الدالي) امتداد علم النفَّاخ ورسوخِه، وهو أيضًا امتداد علم الفحَّام ودماثتِه، ولقد كان متعلِّقًا بهما، معظِّمًا لهما، لا يني في كلِّ مناسبةٍ يردِّد ذكرهما، ويثني عليهما. ولهذا التعلُّق شواهدُ تدلُّ على قيمة الوفاء العظيم التي تحلَّى بها.

أخرج عام ٢٠١٩ كتاب (جواهر القرآن ونتائج الصنعة) لجامع العلوم الباقولي في أربعة مجلَّداتٍ فخمة، آخرها مفرد للكشَّافات، وهو عملٌ ذو صلةٍ وثيقةٍ بشيخه النفَّاخ الذي كان كتب مبكِّرًا يوم صدَّر (الجواهرَ) على يد إبراهيم الإبياري منسوبًا للزجَّاج، ومعنونًا بـ (إعراب القرآن) مقالتين يقطع بالأولى بالنسبة للباقولي، ويقدِّم بالآخرة الاسم (الجواهر) وإن لم يصل إلى الاسم الكامل الذي ظهر به الكتاب على يد (الدالي) على أنَّ ما يهمُّنا هو متابعته.

ومصداق هذا المتابعة أيضًا أنَّه كان يطوي جوانحه سنينًا على العزم على إخراج ديوان الفرزدق، والفرزدق -كما نعلم- مشغلةُ شيخه الفحَّام، وموضوعُ أطروحته للدكتوراه، لكنَّ يدَ المنون سبقت، ولم نرَ الديوان.

وإلى الوفاء الأمانة التي كان حريصًا عليها، فهو لا يأنف أن يُرجع الفضلَ، وينسبَه إلى أهله، فالعنوان (جواهر القرآن ونتائج الصنعة) من أيادي زكريَّا سعيد علي -رحمه الله- الذي وقف على كلام لرضي الدين بن الحنبلي (ت ٩٧هـ) في كتابين من كتبه، نصَّ فيها على العنوان، وضمَّنه زكريَّا رسالةً إلى الدالي، صرَّح بذلك تصريحًا في تقديمه ل (الجواهر). وهي قيمةٌ معجونةٌ بقيمتين لا تقلَّان أهمِّيَّةً، هما: قيمةُ الإصرار الذي لا يُفَلُّ، وقيمةُ الدَّأَب الذي لا يفتر.

هي متابعةٌ مزدوجةٌ؛ لشيخه العصري من جهةٍ، ولشيخه التاريخي الباقولي صاحب (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) الذي عرفه مبكِّرًا، فكان موضوع أطروحته في الدكتوراه، من جهةٍ أخرى.

٢/٢: تضاريس الصنعة

يُعنَى الدالي كثيرًا بعناوين النصوص ونسبتها، ويحتشد لذلك؛ لأنَّه يعلم يقينًا أنَّ العنوان نفسه (نَصٌّ) وأنَّ نَسبَ العلم ليس أقلَّ خطرًا من نسب الناس. ومن يقرأ مقدِّمات النصوص التي حقَّقها منذ (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات)، يرى الآياتِ ناطقةً.

أمَّا النصوص (المتون) أنفسُها، فلا تسل عن الدقَّة والإتقان في ضبطها، بلغ في

ذلك الذروة، لا أحسب أنَّ أحدًا يُدانيه فيها.

وأمَّا حواشيه فتلك نموذجٌ عالٍ دالٌّ على الفهم العميق المحيط، حتَّى إنَّك لا تدري هل هي تعليقاتُ محقِّقٍ، أم هي شروح ناقدٍ. وإنِّي -والله- لأعجب من الجهد والتتبُّع للمصادر والصبر، بل المصابرة على مآزق النصوص، والقدرة على تفادي مزالقها، وقبل ذلك تلك الدرجةَ العالية من التوحُّد مع النصِّ، التي تجعله يشعر به، فيستجيب له في الموضع الذي يحتاج تعليقًا، ويمرُّ عجلًا لا يتوقَّف عندما لا يتطلَّب النصُّ منه ذلك.

حواشي الدالي حواشٍ غنيَّةٌ تعكس بصره بالنصِّ، وقدرته على استبطانه والنفاذ إلى مكنوناته، وتشي بقبضه على المصادر، وامتلاكِه لها، وحسن التعامل معها واستثمارها. تقرأها فتستمتع، حتَّى لكأنَّك -إذا ما كنت متخصِّصًا بالطبع- ذوَّاقةُ شعرٍ؛ تقرأ قصائدَ من عيون الشعر؛ التي تحملك إلى البعيدِ البعيد من جمال الصياغة والأخيلة والصور.

الحواشي عند كثيرين نُقولٌ تُحْشَد لا لتخدمَ النصَّ، وإنَّما لتملأَ الفراغ، وتسوِّدَ الصفحات، فتزهِّدك في أن تنظر فيها مكتفيًا بالنصِّ؛ لأنَّها لا تضيء ولا تضيف؛ بل تشوِّش وتشغل.

أمَّا حواشيه فإنَّها موزونةٌ بميزانٍ كميزان الذهب. فيها تتبدَّى شخصيَّته العلمية التي تعرف ما تقول، فتحسم عندما يقتضي الحسم، وكأنَّ صاحبها لم يغادر مصدرًا إلَّا عرفه؛ بل رازه روزًا، فإذا به يقرِّر غير متردِّدٍ، فيقول مثلًا:

لا أعرف هذا التقدير لأحد (الجواهر، ١/ ٦٥، ٧١) أو لم أجده لأحد (الجواهر، ١/ ٦٩) أو لم أجده عند غيره (الجواهر، ١/ ٧١) أو لا أعرفه لأحد (الجواهر، ١/ ٧١).

وإلَّا وقف فلم يجاوز وأعطى الأمر حقَّه، فقال: وأكبر ظنِّي أنَّه من كلام فلانٍ في كتابه.. أو ربَّما -بتواضعٍ- فتح البابَ للنظر الجديد ودعا إليه:

وهذه مسألةٌ يُطلب تحريرُها (الجواهر، ١/ ٦٥).

أو اعترف غيرَ محرجٍ ولا متردِّدٍ:

ولم أهتد إلى موضعه في ما مضى من كتابه (الجواهر، ١/ ٦٦).

نعم حواشيه كثيفةٌ تتقاسم الصفحةَ مع النصِّ أو ربَّما شغلت مساحةً أكبرَ منه، ونظريَّة التحقيق التي نعرفها ربَّما تتحرَّج من ذلك، ولكن من قال إنَّ مسطرةَ القاعدة يمكنها أن تتحكَّم دائمًا بالمحقِّق، فالمحقِّق المحقِّق مبدعٌ قد يخرج عن النصِّ إذا ما احتاج النصُّ، كما الشاعر الذي قد يرتكب ما يراه أهل اللغة ضرورةً، لكنَّه يراه إبداعًا، لأنَّه يعيد تخليقَ اللغة لتستجيبَ لتجربته الخاصَّةِ، فليقل الشاعر، وليكتب الدالي، وليسهر الخلق من بعدُ جرَّاها وليختصموا على رأي المتنبِّي.

٣/٢: لغة خاصَّة

إنَّ الدالي في تعامله مع النصِّ كالشاعر في تعامله مع اللغة، ولعلَّ أوَّل تجلِّيات ذلك تلك اللغة الخاصَّة التي يدلُّ بها على طبيعة عمله في النصِّ، فهو لا يقتصر على استخدام مصطلح التحقيق، ولا يتحرَّج من استخدام مصطلح الشرح.

انظر ما قال على غلاف (الجواهر):

قرأه وشرحه، وحقَّق ما فيه، وعلَّق حواشيَه، وصنع فهارسَه.

وما كتبه على غلاف (كشف المشكلات):

حقَّقه، وخرَّج ما فيه، وشرحه، وناقشه، وكتب حواشيه، وصنع فهارسه.

وما كتبه في نعت (الكشف) أيضًا:

إخراجُه ثانيةً، مقابلة بأصولٍ تسعة منه، مشتملةً على زيادات للمصنِّف وَقَعَتْ في بعضها بعد إملائه أوَّل مرَّةٍ... مزيدةً من التنقيح والتحقيق والتعليق.

ليس لأحد غير الدالي أن يكتب مثل هذا ويُطيل، وترضاه منه ولا تعترض عليه.

إنَّه محقِّقٌ من طرازٍ وحدَه، ولذا فإنَّه يبدو لي أنَّ التحقيق في أعلى صوره النظريَّة الإجرائية والقيميةِ يتمثَّل فيه، فلله هو، ولله عمله. سيبقى (الدالي) شاهدًا في أخلاقه وقيَمه، كما في علمه ولغته وتحقيقاته.

جهود الدَّالي في تحقيق نسبة النصوص النثرية
رؤية منهجيَّة

محمَّد علي عطا
جامعة باشن العالمية المفتوحة - أمريكا

ملخَّص

محمَّد أحمد الدَّالي من العلماء الذين لهم باعٌ طويلٌ في خدمة التراث بأشكاله المختلفة: التحقيق، والبحث، وتقييم جهود الآخرين، وكان جهده جهدًا جادًّا رصينًا، يستحقُّ أن يكون مثالًا يُحتذى. ويحاول هذا البحث إلقاءَ الضوء على جانب من هذه الجهود، وهو جانب تحقيق نسبة النصوص النثرية، سواء في النصوص التي حقَّقها بنفسه، أو من خلال تفاعله مع تحقيقات وبحوث الآخرين. وقد طبَّقت منهجًا مبتكرًا، أثبتَ فعاليَّةً في بحوثٍ سابقة، ثمَّ طبَّقته على جهود الدَّالي في تحقيق نسبة نصوص جامع العلوم الباقولي، وعلى جهوده في تحقيق نسبة نصوص غيره من العلماء، وقد وقف البحث على نصوص لم يُحقِّق الدَّالي نسبتها لأسبابٍ مقبولةٍ في الغالب.

الكلمات المفتاحيَّة: محمَّد أحمد الدالي، منهج تحقيق نسبة النصوص النثرية، جهود الدالي في تحقيق التراث، جامع العلوم الباقولي.

Al-Dālī's Critical Studies of Attributing Manuscripts: Methodological Approach

Dr. Mohamed Ali Atta
Passion International Open University in America

Abstract

Dr. Muḥammad Aḥmad al-Dālī - may God have mercy on him - is one of the scholars who have a long history in the service of heritage in its various forms: investigation, research, and evaluation of the efforts of others, and his effort was a serious and sober effort, worthy of being an example to be followed. , which is the aspect of achieving the proportion of prose texts, whether in the texts that he achieved himself, or through his interaction with the investigations and research of others, and it has applied an innovative approach to this aspect, which has proven effective in previous research, and I briefly defined this approach and then applied it to Al-Dālī's efforts in achieving The ratio of the texts of the collector of sciences Al-Baqūlī, and his efforts to achieve the ratio of the texts of other scholars, and the research stopped on texts that Al-Dālī did not achieve attribution for mostly acceptable reasons.

Keywords: Muḥammad Aḥmad al-Dālī, the approach to achieving the proportion of prose texts, Al-Dālī's efforts in achieving heritage, Jāmiʿ al-ʿUlūm al-Baqūlī.

من محقَّقات محمَّد أحمد الدَّالي التي استطعت الاطِّلاع عليها: أدب الكاتب لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، والكامل في اللغة والأدب للمبرِّد (ت ٢٨٦هـ)، وبقيَّة الخاطريَّات لابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)، وسِفر السعادة وسفير الإفادة لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) وكان موضوعَه الذي نال به الماجستير من جامعة دمشق عام ١٩٨٢م، وكشف المشكلات لجامع العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ) وكان موضوعَه الذي نال به الدكتوراه من جامعة دمشق عام ١٩٨٧م، والإبانة في تفصيل ماءات القرآن لجامع العلوم الباقولي، هذا غيرُ أبحاثه التي نُشرت في المجلَّات المختلفة، وجمعها في كتاب الحصائل بأجزائه الثلاثة، التي منها تحقيق رسائل صغيرة أو تعقيب على تحقيق، أو تناول قضيَّة من قضايا العربية أو قضايا التحقيق.

كان -رحمه الله- يقوم على تحقيقاته خير قيام، مستوفيًا لعناصر التحقيق من: ذكر كيفيَّة وقوفه على الكتاب المحقَّق، والتعريف بالمؤلِّف واسمه ونسبته ولقبه وكنيته، وطلبه للعلم وشيوخه، ومنزلته وعلمه، وتلاميذه وآثاره، وحياته الاجتماعية من أسرةٍ وولد، وتحقيق زمن وفاته، مجتهدًا في سدِّ الثُّلْمة في كتب التراجم عن هذا المصنِّف، وقراءة الكتاب المحقَّق ونسخه وترقيمه إن احتاجت مادَّته مثل كتاب الإبانة، وتحقيق اسم الكتاب، وتحقيق صحَّة نسبته، وزمان تأليفه إن توافرت مادَّةُ لذلك، وبيانِ موضوعه والكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع، وفوائده، ومنهج المؤلِّف فيه، وموارده التي استقى منها مادَّته، وشواهده، والمآخذ عليه، ووصف مخطوطات الكتاب من عدد أوراق ومقاسات ونوع خطٍّ، والموازنة بين النسخ، وذكر ما يميِّزها تفصيلًا من تملُّكاتٍ ومقابلاتٍ وبلاغاتٍ وسماعاتٍ وتقييداتٍ وإجازات، وذِكْر منهجه في التحقيق، والاستدراك على ما فات المصنِّف، وتحقيق مسائله، وتخريج شواهده وتخريج أقوال العلماء فيه، والتعليق عليه، بل يزيد على ذلك الحكمَ بصحَّة ما ذكره المصنِّف أو عدم صحَّته والتنبيه على مواضعِ سهو المؤلِّف، وفوق ذلك الحكم على أقوال العلماء بالتكلُّف أو الفساد أو التعسُّف، وتحقيق القول في مسائل النحو واللغة والتفسير والإعراب بالاختيار من أقوال العلماء والترجيح بينها أو بالاجتهاد

اجتهادًا خالصًا منه بما لم يقف عليه لمتقدِّمٍ من العلماء، كما فعل في كتاب الإبانة. ومن فهارسَ متنوِّعةٍ مُبينة عن كنوز الكتاب.

ومن المجالات التي كان له اهتمامٌ ظاهرٌ بها، وله فيها سجالاتٌ موضوعُ تحقيق نسبة النصوص النثرية، وسيركِّز هذا البحث على هذا الجانب مبيِّنًا جهودَه في معالجة هذه القضيَّة، سواء في مقدِّمات تحقيقاته أو في بحوثه المنشورة في المجلَّات العلمية، محاكمًا الأدلَّة التي اعتمد عليها إلى المنهج الذي توصَّلت إليه في كتابي (منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري).[١]

بعد استقصاءٍ لكلِّ ما طالته يديَّ ممَّا كتب في تحقيق نسبة أثرٍ من الآثار استخلصتُ -بفضل الله- منهجًا متكاملًا لتحقيق النسبة، يحقِّق ثلاثة أهداف: الأوَّل: كيفيَّة تحقيق نسبة كتابٍ ما. والثاني: كيفيَّة الموازنة بين الأدلَّة المستخدمة في تحقيق نسبة كتابٍ ما إثباتًا أو نفيًا. والثالث: كيفيَّة تقييم جهود عالمٍ ما في تحقيق النسبة في تحقيقاته كلِّها.

يقوم هذا المنهج على تقسيم الأدلَّة تحت نوعٍ من أنواع سبعة، هي: الأدلَّة التاريخية،[٢] الأدلَّة الأسلوبية،[٣] الأدلَّة المقارِنة،[٤] الأدلَّة الاستنباطيَّة،[٥] أدلَّة المُحَال عَقْلًا

---

١ انظر: تحقيق نسبة النصِّ التراثي النثري مختلف النسبة إلى مؤلِّفه، للباحث، رسالة دكتوراه بجامعة عين شمس، ٢٠١١م، ونشرت بعنوان: منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري.

٢ وأقصد بها كلَّ إشارة في النصِّ المدروس بدءًا من مجلَّدته وطرَّته وعنوانه إلى آخر ورقة فيه، ثابتة تاريخيًّا، وتكون قاطعة الدلالة على نفي نسبة الكتاب أو إثباتها، أو تأييد أحدهما؛ النفي أو الإثبات، بشرط أن تكون خالية من النواقض.

٣ وأقصد بها كلَّ إشارة أسلوبيَّة ظاهرة في النصِّ المدروس بدءًا من عنوانه، حتَّى آخر حرف فيه، توافق أسلوب المؤلِّف المفترض أو أسلوب العصر، أو تخالفهما؛ من حيث: طريقة العنونة، وصياغة المقدِّمة، وطريقة بناء الكتاب، وعرض مادَّته، وترتيب مباحثه، وأفكاره، وصياغة فقراته، ورصف كلماته، واختيار ألفاظه.. إلخ. بشرط أن تكون خالية من النواقض.

٤ وأقصد بها كلَّ إشارة ظاهرة في النصِّ المدروس بدءًا من عنوانه، حتَّى آخر حرف فيه بمقارنتها بعصر المؤلِّف أو بالمؤلِّف من حيث صفاته الخُلقية والخِلقية والنفسية وعقيدته وعلمه ومذهبه وآراؤه... إلخ، تؤكِّد النسبة أو تنفيها أو تؤيِّد أحدهما، بشرط أن تكون خالية من النواقض.

٥ وأقصد بها الإشارات التي يمكن استنباطها من النصِّ المدروس بدءًا من عنوانه، حتَّى آخر حرف فيه، وتؤكِّد نسبة الكتاب أو تنفيها، أو تؤيِّد أحدهما، بشرط أن تكون خالية من النواقض.

على المؤلِّف،[١] الأدلَّة الإحصائية،[٢] الأدلَّة السلبيَّة،[٣] وكلٌّ منها له نواقضُ إذا وُجِدت أسقطت حُجِّيَّتَه.

كما أنَّ درجة حُجِّيَّة (الوزن النسبي) هذه الأدلَّة تتفاوت في الاستخدام في إثبات النسبة أو نفيها، فمنها ما هو مطلق الحُجِّيَّة، أي قوَّته في الإثبات تتساوى مع قوَّته في النفي، مثل بعض الأدلَّة التاريخية، ومنها ما تكون درجة حُجِّيَّتِه في النفي أقوى من الإثبات، مثل بعض الأدلَّة التاريخية، وكلِّ الأدلَّة الأسلوبية، والأدلَّة المقارنة، والأدلَّة الاستنباطية، والأدلَّة الإحصائية، ومنها ما لا يستخدم إلَّا في النفي مثل أدلَّة المحال عقلًا على المؤلِّف، ومنها ما تكون درجة حُجِّيَّتِه صفرًا؛ أي يكون ضعيفًا في الإثبات وضعيفًا في النفي إلَّا أنَّه يؤدِّي دورًا إرشاديًّا، مثل الأدلَّة السلبية.[٤]

وتطبيق هذا المنهج في بحثنا هذا عن طريق:

١- ذكر الأدلَّة التي استخدمها الدَّالي كلِّها سواء في إثبات النسبة أو نفيها، وذكرِ الردود عليها -إن وجدت- ملخَّصةً.

٢- تفنيد الأدلَّة تحت نوعٍ من الأنواع السبعة السابقة، وليس شرطًا أن تتوافر كلُّها.

٣- بيان النواقض التي تؤدِّي إلى إتلاف الاستشهاد بهذه الأدلَّة إن وجدت.

٤- بيان درجة حجِّيَّة (الوزن النسبي) كلِّ نوع من هذه الأدلَّة في حالتي استخدامها: الإثبات والنفي.

---

١ وأقصد بها الإشارات التي في النصِّ المدروس بدءًا من عنوانه حتَّى آخر حرف فيه، التي يستحيل أن تصدر عن المؤلِّف المفترض بأيِّ حال من الأحوال. بشرط أن تكون خالية من النواقض.

٢ وأقصد بها إثبات نسبة النصِّ للمؤلِّف أو نفيها عن طريق إحصاء خاصِّيَّة تنوُّع المفردات بمقياس يول أو بدراسة تركيب الجملة في النصِّ مختلف النسبة، وفي النصوص ثابتة النسبة للمؤلِّف ومقارنتها ببعض، بشرط أن تكون خالية من النواقض.

٣ وأقصد بها نفي وجود نوع محدَّد من الأدلَّة في النصِّ المدروس تنفي النسبة أو تؤكِّدها، مثل القول: ليس في الكتاب ما يخالف أسلوب المؤلِّف. ليس للكتاب ذكر في المصادر. ليس في الكتاب أحداث أو أعلام تتجاوز عصر المؤلِّف.

٤ انظر منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري، ١٠٢-١٧٧.

٥- تقييم صلاحيَّة الدليل في الإثبات أو النفي.

٦- الاستشهاد بتجارب تحقيق النسبة السابقة ما استدعى الأمر.

-١-

جهود تحقيق نسبة نصوص جامع العلوم الباقولي

كان للدَّالي اعتناءٌ خاصٌّ بمؤلَّفات جامع العلوم الباقولي؛ لذلك أفردت لجهوده فيها هذا المبحث.

١/١: الإبانة في ماءات القرآن

في مقدِّمة تحقيق كتاب (الإبانة في ماءات القرآن) وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة صنعة جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي (ت ٥٤٣هـ) وزارة الأوقاف، الكويت، ٢٠٠٩م، حقَّق نسبتَه إلى مؤلِّفه بأدلَّةٍ ستَّةٍ، هي:

الأوَّل: الكتاب نُسب إلى جامع العلوم الباقولي في مخطوطتَيه.

وهذا دليلٌ تاريخيٌّ منقوضٌ لا يركن إليه وحده، فكم من كتابٍ نُسب خطأً على المخطوطات، فقد تذكر النُّسَخ اسم الكتاب واسم المؤلِّف ويكون كلاهما أو أحدهما غيرَ صحيحٍ، مثل بعض نسخ كتاب (معجز أحمد) الذي حقَّقه عبد المجيد دياب، ونسبه لأبي العلاء المعرِّي (ت ٤٤٩هـ) بناءً على عدَّة نسخٍ نَسَبَتْه على طرَّتها لأبي العلاء.[١]

١ انظر مقدِّمة تحقيق كتاب معجز أحمد، ٦، ٤٧.

الثاني: كتب التراجم لم تستقص آثار المترجمين، ولم يدَّعِ أصحابها ذلك، وضرب أمثلةً على ذلك من كتب أخرى لجامع العلوم الباقولي لم تذكرها كتب التراجم مثل: الملخَّص في الوقف والابتداء، وشرح الأبيات، وما تلحن فيه العامَّة في التنزيل.

وهذا لا يُعدُّ دليلًا، ولكنَّه ردَّ على تشكيكٍ في النسبة قد يحدث بسبب عدم ذكر كتب التراجم لهذا الكتاب في أثناء ترجمة جامع العلوم الباقولي.

الثالث: إحالة الباقولي في (الإبانة) على كتبٍ من كتبه مثل: (شرح اللمع)، و(شرح مسائل عثمان)، و(الخلاف بين النحاة)، و(الملخَّص).

وهذا دليلٌ مقارِنٌ، وهو يكون قويًّا عند استخدامه في حالة النفي، ويكون ضعيفًا عند استخدامه في حالة الإثبات، ولكن يقوِّيه هنا رغم أنَّه مستخدم في الإثبات أنَّ الكتب المحال إليها كثيرةٌ يستحيل أن تتشابه كلُّها مع كتب مؤلِّفٍ آخر، وكلُّها صحيحة النسبة للباقولي.

الرابع: وهذا أيضًا دليلٌ مقارِن قارنَ فيه النزعاتِ الأسلوبيةَ المعتادة للمؤلِّف في كتبه الأخرى بالنزعات الأسلوبية في (الإبانة)، مثل نزعة الكناية عن سيبويه بقالَ وزعمَ وجوَّز وسأل، وكنايتِه عن سيبويه والخليل بقوله: فإنَّه سأله عنه، فأجاب، والسائل والمجيب، يعني بالسائل سيبويه وبالمجيب الخليل. وتكنيتِه بالشيخين عن سيبويه وأبي الحسن. وذِكْرِ ابن جنِّي باسمه مجرَّدًا: عثمان، ولقَّب أبا علي الفارسي بفارسهم والفارس.

وهذا الدليل المقارن وزنُه النسبي في النَّفْي أقوى منه في الإثبات؛ فربَّما تتشابه النزعات الأسلوبية بين أكثرَ من مؤلِّف، وقد استخدمه المحقِّق هنا في الإثبات.

الخامس: وهو -أيضًا- دليلٌ مقارنٌ، فقد كرَّر جامع العلوم الباقولي كلامًا قاله في (كشف المشكلات) بألفاظه وبزيادةٍ يسيرةٍ في آخره.

وهذا دليلٌ مقارنٌ استُخدم في الإثبات، والأدلَّة المقارنة وزنُها النسبي في النفي

أقوى منه من الإثبات، فربَّما نقل عنه مؤلِّف آخر دون التصريح، وربَّما كلاهما نقلا عن مؤلِّف ثالث. يقول محمَّد العابد الفاسي ردًّا على الاعتماد على هذا النوع من الأدلَّة في ترجيح نسبة كتاب (الحجَّة) لابن خالويه:[١] «إنَّ هذه المشابهة أو المقارنة بين النصوص لا تفيد شيئًا في الواقع، ومجرَّد إلقاء الباحث نظرةً في كتاب (الحجَّة) لأبي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون والقرَّاء والمفسِّرون المعاصرون للفارسي ولابن خالويه يجد أنَّ جميع تلك النصوص متشابهةٌ ومتقاربةٌ في المعنى حتَّى وفي اللفظ في بعض الأحيان، ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن أن نستدلَّ بذلك على إثبات نسبة كتابٍ معيَّنٍ لشخصٍ معيَّنٍ بمجرَّد التشابه والتقارب».

السادس: ولم يذكره الدَّالي دليلًا، ولكن ذكره بعد أن أنهى الأدلَّة الخمسة، قال: «وغير ذلك ممَّا نرى ذكره تكثُّرًا في الاستدلال على صحَّة نسبته إليه؛ فمادَّة الكتاب وأقوالُ مصنِّفه، ومنهجُه، وأسلوبُه، كلُّ أولئك ناطقٌ باسم صاحبه». وهذا دليلٌ مقارنٌ آخر استخدم في الإثبات، وكما سبق فإنَّ الأدلَّة المقارنة وزنها النسبي في النفي أقوى منه في الإثبات، بالإضافة إلى أنَّه هنا قول عامٌّ غير مسبَّبٍ ولا مستشهَد له.

والخلاصة أنَّ الدَّالي استخدم في تحقيق نسبة هذا الكتاب خمسة أدلَّة بعد حذف الدليل الثاني الذي لا يعدُّ دليلًا: دليل واحد تاريخي مُثبت، وأربعة أدلَّة مقارنة مُثبتة، وكلُّ دليل منها وحده غيرُ كافٍ لإثبات النسبة، ولكنَّ تضافرها معًا، وعدم ظهور ما يذهب بصحَّتها يجعلها كافيةً لإثبات النسبة.

٢/١: (إعراب القرآن) المنسوب إلى الزَّجَّاج

في بحث (كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجَّاج هو كتاب الجواهر لجامع

---

١ بحث حول نسبة كتاب الحجَّة في القراءات السبع لابن خالويه، لعبد العال سالم مكرم، مجلَّة اللسان العربي، ٣٢١، المجلد التاسع، جزء١.

العلوم الأصبهاني)،[1] استدلَّ على نسبته بعدَّة أدلَّة بعدما رأى عدم اقتناع محقِّق الكتاب إبراهيم الأبياري بما ذهب إليه أستاذه راتب النفَّاخ من نسبته إلى جامع العلوم الباقولي، وأدلَّته هي:

الأوَّل: التشابه الكبير بين كتاب (إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج)، وكتاب (الكشف) و(شرح اللمع)، وظهر ذلك من: إحالة صاحب (الكشف) و(شرح اللُّمع) على بعض الكتب الأخرى بطريقةٍ متطابقةٍ أو متقاربة، وهذه الكتب هي: (الاستدراك على أبي علي)، و(البيان في شواهد القرآن)، و(الخلاف بين النحاة)، و(المختلف)، وضَرَبَ أمثلةً على هذا التشابه.

الثاني: تطابق الكلام على غير قليلٍ من الآي والمسائل المتعلِّقة بها في (الكشف) و(كتاب إعراب القرآن) تطابقًا تامًّا، وتقاربُه في كثيرٍ من ذلك، والاختلاف فقط في البسط والإجمال. وضَرَبَ أمثلةً على ذلك.

الثالث: اتِّفاق الكتابين في المصطلحات مثل «المرتَّب للمفعول»، وفي عبارات تتردَّد في الكتابين هي ممَّا جرى عليه رجلٌ واحد، ولا يكون مثلهما من قبيل الاتِّفاق المحض، مثل: «البُزَّل الحُذَّاق»، «ثمَّ فار فائره»، «وخفيت عليهم الخافية»، «وتوالت عليه الفتوق».

الرابع: كناية المؤلِّف في كتبه عن أبي علي الفارسي بـ«الفارس» و«فارسهم»، وتعبيره عن بعض الأعلام بغير المشهور المتعارَف عليه؛ مثل «عثمان» الذي يقصد به أبا الفتح بن جنِّي، و«الزيَّات» الذي يقصد به حمزة بن حبيب، و«سهل» الذي يقصد به أبا حاتم السجستاني.

الخامس: نَبْذ بعض أهل العلم والتحامل عليهم بقوله «شارحكم»، و«شارحهم»، «الشارح»، «الشارحان».

هذه الأدلَّة الخمسة المقارنة ضعيفةٌ في الإثبات؛ لاحتمال تشابه أكثر من مؤلِّف

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ١٠٤.

في هذه السِّمات؛ غير أنَّ الشواهد المذكورة في الأدلَّة الثالث والرابع والخامس يصعب أن تتشابه مع مؤلِّفٍ آخر.

السادس: وقد ذكره في معرض تحقيق اسم الكتاب، وهو أيضًا يمتُّ بصلةٍ قويَّةٍ لتحقيق نسبة الكتاب أقوى من الأدلَّة السابقة، وهو الإحالة في الكشف على كتابٍ باسم الجواهر، والمحال موجود في كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزَّجَّاج، بل في الأبواب نفسِها التي ذكرها، وذَكَرَ من ذلك ستَّة عشر نقلًا.

وهذا دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ خالٍ من النواقض؛ لأنَّ النقول بنصِّها وليست بالمعنى.

وألمح الدَّالي إلى أن هناك تشابهًا بين كتاب ثالث لجامع العلوم باسم (نتائج الصناعة)، يشبه (الجواهر) في موضوعاته وأبوابه، ولكنَّه استبعد أن يكون هو كتاب (إعراب القرآن) المنسوب للزَّجَّاج، وقد جزم بذلك دون ذكر أدلَّةٍ؛ اعتمادًا على كثرة النصوص التي أحال إليها المؤلِّف في (الكشف) وهي في (الجواهر). وكان من الأحسن أن يجري خلف هذا الاحتمال ويذكر الأدلَّة التي تثبت أو تنفي.

وقد عاد لهذه القضيَّة نفسِها في بحثه (صلة الكلام في كتاب الجواهر لجامع العلوم الأصبهاني وتحقيق اسمه)،[١] ولم يأتِ فيه بجديدٍ في موضوع النسبة.

٣/١: رسالة (مسائل في علم العربية والتفسير)

في رسالة (مسائل في علم العربية والتفسير) من إملاء نور الدين جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، نوَّع في الأدلَّة التي استخدمها في تحقيق نسبته لواسع علمه به، ووفرة المادَّة العلمية عنه، فكانت الأدلَّة التي استخدمها:[٢]

الأوَّل: تصريح المؤلِّف بالنسبة. وهو دليلٌ استنباطيٌّ مثبتٌ خالٍ من النواقض.

---

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٢٨٤.

٢ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٣/ ٢٤٣.

الثاني: إشارة المؤلِّف إلى أحد مؤلَّفاته الأخرى وهو (كتاب اللُّمَع). وهو دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ خالٍ من النواقض.

الثالث: تشابه نقل للباقولي عن الزَّجَّاج في هذه الرسالة وفي كتابه (كشف المشكلات)، وهو نقلٌ في نصب «شيخًا» في قوله تعالى: ﴿وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] على الحال، وهو من لطائف العربية. وتشابه النقل والتعقيب أيضًا في نقل في هذه الرسالة عن أبي علي الفارسي وفي كتابه الآخر (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات).

وهو دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ خالٍ من النواقض.

الرابع: التكامل بين كلامه هنا وبين كلامه في (كشف المشكلات)، فقد يكون أتمَّ وأوفى هنا، وقد يوضِّح ما ذكره في (الكشف)، ومنه الجديد الذي لم يذكره في (الكشف) البتَّة.

وهو دليلٌ استنباطيٌّ مثبتٌ خالٍ من النواقض.

وكلُّ دليل من هذه الأدلَّة على حدة غيرُ كافٍ، ولكنَّ تضافرها وعدمَ وجود ما يشكِّك فيها، يثبت النسبة لجامع العلوم الباقولي ما لم يظهر ما يشكِّك.

٤/١: رسالة (ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل)

والجهد نفسه بذل مع رسالة (ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل) تأليف نور الدين جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، التي كانت مع الرسالة السابقة في آخر إحدى نسخ (كشف المشكلات)، وأدلَّته في النسبة هي:[١]

الأوَّل: معرفة أسلوبه في ما انتهى إلى الدَّالي من آثاره. وهذا دليلٌ أسلوبيٌّ مثبت، ولكنَّه منقوضٌ؛ فلا يمنع أن يتشابه معه عالمٌ آخر في الأسلوب.

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٣/ ٢٦٧.

الثاني: رأيٌ انفرد به جامع العلوم الباقولي، وهو أنَّ إشباع دالِ العاديات ووصلَها بياءٍ لحنٌ، وهذا الرأي ورد في (كشف المشكلات). وهذا دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ غير منقوض.

الثالث: أعرب في هذا الكتاب كلمة «جنَّاتٍ» في قوله تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ [الأنعام: ٩٩]: قال جامع العلوم فهو منصوبٌ على محمول «أنشأ». وكلمة «أنشأ» غير مذكورةٍ في السياق، ولكنَّه أورد الكلام نفسه في كتاب (إعراب القرآن) (المنسوب سابقًا للزجَّاج وصحَّت نسبته عند الدَّالي لجامع العلوم الباقولي) مفصّلًا في السياق ذاكرًا من أين قدَّر كلمة «أنشأ»، فقال: «محمول على معنى الإخراج، يبيِّن ذلك قولُه: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ [المؤمنون: ١٩].

وهذا دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ منقوض؛ فلا يمنع هذا أن يشاركه عالمٌ آخر في الإعراب والتقدير.

الدليل الرابع: في أسلوبه مظاهرُ لسليقة المعلِّم، وهي شائعةٌ في أسلوبه، تظهر من لوازمه: «فما بالك إذا قرأت»، «فخذها عن ممارسة وامتحان»، «وهو كما أعلمتك».

وهذا دليلٌ مقارنٌ مثبتٌ منقوض؛ فربَّما يشترك معه عالمٌ آخر في هذا الأسلوب نفسه واللوازم نفسها.

فأقوى هذه الأدلَّة هو الدليل الثاني، وبقيَّة الأدلَّة بمثابة تأكيدٍ أو استئناسٍ، وهي أدلَّةٌ كافيةٌ لإثبات نسبة الكتاب لجامع العلوم الباقولي، مالم يظهر ما يُشكِّك فيها.

-٢-

تحقيق نسبة نصوصٍ لعلماء غير جامع العلوم الباقولي

١/٢: (الآمل والمأمول) المنسوب للجاحظ

قد أخذ هذا الكتاب مساحةً كبيرةً من الأخذ والردِّ في نسبته، فقد أشار شارل بيلا إلى عدم صحَّة نسبة هذا الكتاب إلى الجاحظ،[١] ونُشر هذا الكتاب محقَّقًا على يد رمضان ششن عام ١٩٦٨م، وأعاد نشره مرَّةً أخرى عام ١٩٨٣م،[٢] وشكَّك في نسبته إلى الجاحظ، وكتب عنه عبد الله العويشق بحثًا عام ١٩٧٣م، بعنوان (الآمل والمأمول منحول للجاحظ)،[٣] وكتب عنه إبراهيم السامرَّائي مقالًا أيضًا عام ١٩٨٤م بعنوان (الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ)،[٤] وغالب ما جاء فيه تعليقاتٌ على التحقيق وملاحظاتٌ عليه، ولم يتعرَّض لموضوع النسبة إلَّا لمامًا، وغالب كلامه يدور حول عدم كفاية أدلَّة رمضان ششن في ردِّ النسبة عن الجاحظ، ثمَّ أكَّد جليل العطيَّة نفيَه عن الجاحظ ونسبتَه إلى محمَّد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي الملقَّب بالباحث عن معتاص العلم، عام١٩٨٧م،[٥] ثمَّ تناوله محمَّد محمود الدروبي في كتابه (آثار الجاحظ دراسةٌ توثيقيَّةٌ) عام ١٩٩٤م،[٦] ويبدو أنَّه لم يطَّلع على رأي جليل العطيَّة وأدلَّته؛ لأنَّه لم يشر إليه، ولا ذكرَ له في مصادره.

وكان الدَّالي قد سبق جليلَ العطيَّة في نسبته إلى الباحث عن معتاص العلم، في بحثه الموسوم (كتاب الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ، تحقيق نسبته ونظرات

---

١ أصالة الجاحظ، ٢٢.

٢ نشرته دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٣م.

٣ بحث الآمل والمأمول منحول للجاحظ، ٢٧٣- ٢٨٢.

٤ مجلَّة مجمع اللغة العربية بالأردن، العدد ٢٣،٢٤، س٧، ١٣٧-١٥٣.

٥ انظر مقدِّمة تحقيق كتاب الحنين إلى الأوطان، ١٥، ومقدِّمة تحقيق كتاب الشوق والعتاب، ١٠ ،١١.

٦ ١٨٣.

فيه)،[١] حيث اتَّفق مع محقِّق هذا الكتاب في نفي نسبة الكتاب عن الجاحظ، وناقش ما ذهب إليه رمضان شنن من افتراضية نسبة كتاب (الآمل والمأمول) لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، وأكَّد أنَّه ليس له بل للباحث عن معتاص العلم؛ محمَّد بن سهل بن المَرْزُبان البغدادي الكرخي (ت بعد ٣٢٢هـ)، ودليله في ذلك أنَّه ورد في بداية الكتاب «قال الباحث»، ولم يعتمد من الأدلَّة غيرَ ذلك، ذلك أنَّ الباحث عن معتاص العلم له كتابٌ كبيرٌ عنوانه (المنتهى في الكمال)، مكوَّن من اثني عشر كتابًا نشر منها مستقلًّا أربعة كتب، وهي: (الآمل والمأمول)، و(الحنين إلى الأوطان)، و(الشوق والفراق)، وكتاب (الألفاظ)، وضاع أكثرها وهي: (مدح الأدب)، و(صفة البلاغة)، و(الدعاء والتحاميد)، و(التهاني والتعازي)، و(التسبيبات والطلب)، و(الحمد والذمُّ)، و(الاعتذارات)، و(نفائس الحِكَم).

ولم يعتمد من الأدلَّة غير ذلك، وهو دليلٌ تاريخيٌّ مثبتٌ غير منقوض، وقد صحَّ وأُيِّد بأدلَّةٍ أخرى كثيرةٍ ذكرتُها في كتاب (منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري).[٢]

٢/٢: (شرح أبيات سيبويه) المنسوب لأبي جعفر النحَّاس (ت ٣٣٨هـ)

حُقِّق هذا الكتاب مرَّتين؛ الأولى بتحقيق زهير غازي زاهد، والثانية بتحقيق أحمد خطَّاب، كلتاهما عن نسخةٍ وحيدةٍ محفوظةٍ في مكتبة أحمد الثالث.

وقد قطع الدَّالي في بحثه (شرح أبيات سيبويه المنسوب لأبي جعفر النحاس)،[٣] بأنَّ هذا الكتاب ليس لأبي جعفر النحَّاس، بل هو مختصرٌ من صنع أحدٍ ممَّن وقف على شرح أبي جعفر النحَّاس، فقيَّد منه وُجوه الاستشهاد في أطيافٍ من أبيات سيبويه واختصر كلامه اختصارًا مخلًّا، وأسقط كثيرًا من شواهده؛ واعتمد الدَّالي في ذلك على ثلاثة أدلَّة:

---

١ انظر بحث كتاب الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ.. تحقيق نسبته ونظرات فيه، مجلَّة الفيصل، الرياض، العدد ١٠٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. والحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٥.

٢ منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري، ١٦١.

٣ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٣٥.

الأوَّل: أنَّ الكتاب المطبوع المنسوب لأبي جعفرٍ النحَّاس قد أخلَّ بأكثرَ من ثلث شواهد سيبويه، «ولا ريب عندي أنَّ كتاب النحَّاس قد ضمَّ جميع شواهد سيبويه، إلَّا ما خفي على أبي جعفر فلم يذكره». ودلَّل على ذلك بأنَّ البغدادي نقل نصوصًا من شرح النحَّاس في الكلام على أربعة وعشرين شاهدًا، ليست في الكتاب المطبوع، وذكر منها أمثلة ثلاثة، هي:

١- أَتَوا نَارِي فَقُلْـتُ منونَ؟ قالُوا ... سَرَاةُ الجِنِّ. قُلْتُ: عِمُوا ظَلَامَا

٢- لَقَدْ رَأَيتُ عَجَبًا مُنْذُ أَمْسَا

٣- فَأَومَـأْتُ إِيْمَـاءً خَفِيًّـا لِحَبْتَـرٍ ... وَللهِ عَيْنَـا حَبْتَـرٍ أَيَّمَـا فَتَـى

ثمَّ ذكر قوافيَ الشواهد التي أخلَّ بها المطبوع وشَرَحَها النحَّاسُ مع تحديد مواضع ذكرها في (كتاب سيبويه) ومواضع النصوص التي نقلها البغدادي في (خِزانة الأدب) من (شرح النحَّاس).

الثاني: أنَّ النصوص الشارحة للأبيات التي نقلها البغدادي عن شرح أبي جعفر النحَّاس منها ما ليس في المطبوع من شرح النحَّاس أصلًا، ومنها ما اختُصر اختصارًا شديدًا أبعدَه عن أصله.

وهذان الدليلان مقارنان نافيان، خاليان من النواقض.

الثالث: أنَّ صاحب الكتاب المطبوع قد اختصر كلام النحَّاس، فأخلَّ به وأحاله في بعض المواضع، فجاءت عبارتُه مبهمةً مشكلة، وضرب على ذلك عدَّة أمثلة.

وهذا دليلٌ من المحال عقلًا عن المؤلِّف، فلا يُعْقَل عن أبي جعفر النحَّاس أن تكون عبارته مبهمةً مشكلة.

فهذه أدلَّةٌ ثلاثةٌ؛ اثنان مقارنان نافيان خاليان من النواقض، وواحد من المحال عقلًا على المؤلِّف وهو لا يستخدم إلَّا في النفي؛ وواحد من هذه الأدلَّة الثلاثة كافٍ لنفي النسبة عن أبي جعفر النحَّاس، وإثبات أنَّ هذا الكتاب اختصارٌ غيرُ أمينٍ لكتابه الكبير المفقود.

وقد أحال الدَّالي بعد أن ذكر أدلَّته إلى كتاب (شواهد الشعر في كتاب سيبويه) لخالد عبد الكريم جمعة، وقد اعتمد خالد في نفي الكتاب على عدَّة أدلَّة، هي:[١]

الأوَّل: أنَّ وصف الكتاب الذي أورده مترجمو أبي جعفر النحَّاس لا ينطبق على الكتاب المطبوع صغير الحجم، فقد وصفوه بأنَّه لم يُسبَق إلى مثله، وكلُّ من جاء بعده استمدَّ منه، وفيه علمٌ كثيرٌ طائل.

الثاني: أنَّ البغدادي في (خِزانة الأدب) نقل نصوصًا كثيرةً منه، ولا نجد هذه النصوص في المطبوع. وهو ما ذهب إليه الدَّالي.

وهذان دليلان مقارنان نافيان.

الثالث: أنَّ في كتاب النحَّاس المطبوع واحدًا وسبعين بيتًا ليست من شواهد كتاب سيبويه؛ فهذا خلطٌ بين شواهد سيبويه والشواهد التي استخدمها النحَّاس نفسُه للتوضيح.

الرابع: في الكتاب أخطاءٌ كثيرةٌ من الناسخ مثل نسبة أبياتٍ مشهورةٍ لغير قائليها.

وهذان دليلان من أدلَّة المحال عقلًا على المؤلِّف.

استخدم خالد أدلَّة أربعة: اثنين مقارنين نافيين، واثنين من أدلَّة المحال عقلًا على المؤلِّف، وهي أدلَّةٌ قويَّةٌ كافيةٌ لنفي النسبة، تؤكِّد ما ذهب إليه الدَّالي.

٣/٢: (الوسيط في الأمثال) المنسوب للواحدي

في بحثه (الوسيط في الأمثال المنسوب للواحدي تحقيق نسبته ونظرات فيه)،[٢] المنشور عن دار الكتب الثقافية بالكويت، ط١، ١٩٧٥م، تحقيق عفيف محمَّد عبد الرحمن، منسوبًا لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)= ردَّ الدَّالي نسبة هذا الكتاب إلى الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، واعتمد على أدلَّةٍ هي:

---

١ شواهد الشعر في كتاب سيبويه، ٥٩–٦٠.

٢ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٤٣.

الأوَّل: المؤلِّف يروي عن أبي زكريَّا التبريزي (ت ٥٠٢هـ) المتأخِّر عنه زمنًا، في موضعين (ص٩٠، ١٠٠)، بل في الموضوع الثاني سمع منه.

الثاني: يروي عن الفصيحي علي بن محمَّد بن علي بن أبي زيد (ت ٥١٦هـ) المتأخِّر عنه زمنًا، بل قرأ عليه ديوان الأخطل.

الثالث: يروي عن أبي محمَّد القاسم بن علي الحريري البصري (ت ٥١٦هـ) المتأخِّر عنه زمنًا.

وهذه الأدلَّة الثلاثة أدلَّةٌ تاريخيةٌ نافيةٌ قويةٌ غير منقوضة.

ونَقَدَ الدَّالي دليل المحقِّق الذي ذهب فيه إلى أنَّ الكتاب يتضمَّن إشاراتٍ إلى كتبٍ هي للواحدي، مثل: (الوسيط) و(الوجيز) و(البسيط)، بأنَّ هذه الكتب هي كتب في الأمثال، وليست كتب الواحدي التي في التفسير، «وليس تشابه كتابين في الاسم بمقتضٍ أن يكونا واحدًا، ولا أن يكونا لمؤلِّفٍ واحدٍ، أو في موضوعٍ واحدٍ». وهذا كلامٌ صحيحٌ تدلُّ عليه الشواهد الكثيرة.

ومن الشواهد على تشابه الاسم بين أكثرَ من مؤلَّف ولأكثر من مؤلِّف، كتاب (الآمل والمأمول) المشترك في الاسم بين الجاحظ والكرخي، كما مرَّ،[١] والكتب الكثيرة التي عنونت باسم (معاني الحروف) حيث يوجد لكثيرٍ من العلماء كتابٌ بهذا الاسم، مثل الرُّمَّاني (ت ٣٨٤هـ)، وعلي بن فضال المجاشعي (ت ٤٧٩هـ)،[٢] ومثال ذلك أيضًا عنوان (الأشباه والنظائر) حيث يوجد كتاب بهذا الاسم لكلٍّ من: مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، وابن نُجيم (ت ٩٧٥هـ).[٣] و(إكمال تهذيب الكمال) يوجد كتاب بهذا الاسم لكلٍّ من: علاء الدين مُغلطاي (ت ٧٦٢هـ)، وابن الملقِّن (ت ٨٠٤هـ)،[٤] ومن ذلك أيضًا كتاب (الفرائد والقلائد)، الذي

١ آثار الجاحظ دراسة توثيقية، ١٨١.

٢ بحث كتاب معاني الحروف المنسوب إلى الرمَّاني، تحقيق اسمه ونسبته إلى ابن فضال المجاشعي، ٤٩٨، مجلة عالم الكتب، مج٢٣، ع٥- ٦.

٣ المخطوطات العربية مشكلات وحلول، ٣٣.

٤ السابق، ٣٤.

نسب للثَّعَالِبي، ولأبي علي الحسن بن الحسين الرَّخَّجِي (ت ٤٣٠هـ)، ولأبي نشوان اليمني الحِميري (ت ٥٧٣هـ)، ولأبي الحسين علي بن الصغاني الأهوازي (ت٤٣٦ هـ تقريبًا).[١]

فأدلَّة الدَّالي، كلُّ دليلٍ منها وحده كافٍ لنفي نسبةِ هذا الكتاب عن الواحدي.

٢/٤: (شرح الفصيح) المنسوب للزمخشري

كتاب (شرح الفصيح) المنسوب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، كتب عن نسبته كلٌّ من: يحيى الجبوري في كتابه (ابن درستويه)، وعلي مشري في كتابه (أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة)، وإبراهيم الغامدي في مقدِّمة تحقيقه للكتاب، وفي بحث (الردُّ الصحيح لمن حاول دفع نسبة شرح الفصيح)؛ حيث ردَّ على بهاء الدين عبد الوهَّاب الذي كتب بحث (الجواب الصحيح لمن نسب إلى الزمخشري شرح الفصيح)، وردَّ عليه بهاء الدين ببحث ثانٍ، ثمَّ تدخَّل الدَّالي ببحثٍ دافعًا نسبتَه عن الزمخشري، فردَّ عليه عبد العزيز المانع ببحث (الدليل الشافي على تأمُّلات ونظرات الدَّالي في شرح الفصيح للزمخشري)؛ ثمَّ ردَّ الدَّالي على ردِّ المانع، ثمَّ تدخَّل عبد الله العزَّام ببحث (شرح الفصيح ليس للزمخشري بل للأسترابادي)، فهذه تسع موادَّ في نسبة كتابٍ واحد، منها أكثر من بحثٍ في عدد واحد من أعداد مجلَّةٍ واحدة.[٢]

وفي بحث (شرح الفصيح المنسوب للزمخشري، تحقيق نسبته ونظرات فيه)،[٣]

---

١ دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث، ٤٢٠، ٤٢١.

٢ انظر: ابن درستويه عبد الله بن جعفر بن المرزبان الفارسي (ت ٣٤٧هـ)، ١٧٠-١٧٣، وأبو هلال العسكري وآثاره في اللغة، ٧٢، ومقدِّمة تحقيق شرح الفصيح، للزمخشري، ٣٠، وبحث شرح الفصيح [المنسوب] للزمخشري تحقيق نسبته ونظرات فيه، مجلة عالم الكتب، مج٢٠/ ع١، ٣١، وبحث شرح الفصيح المنسوب للزمخشري ليس له البتَّة، مجلَّة عالم الكتب، ١٩٩، مج٢١/ ع٢-٣، وبحث الدليل الشافي على تأمُّلات ونظرات الدالي في شرح الفصيح للزمخشري، عالم الكتب، مج ٢٠/ ع٤، بحث الردُّ الصحيح لمن حاول دفع نسبة شرح الفصيح، مجلة عالم الكتب، ٩٩، مج٢٤/ ع٢، وبحث شرح الفصيح ليس للزمخشري بل للإستراباذي، مجلَّة عالم الكتب، مج٢١،ع ٢-٣، ٢٥٠.

٣ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٢٣٥.

الذي علَّق على تحقيق كتاب شرح فصيح ثعلب للزمخشري، تحقيق إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي، المنشور في معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بمكَّة المكرَّمة، ١٤١٧هـ، دفع الدَّالي في هذا البحث نسبته إلى الزمخشري ورجَّح نسبتَه لأبي علي الأستراباذي؛ وكان المحقِّق أشار إلى أنَّ عبد القادر البغدادي نقل في كتابه (شرح أبيات مغني اللبيب) (٤/ ٨٨)، وفي (حاشيته على شرح بانت سعاد) (٢/ ٧٩) نصَّين من (شرح الفصيح) لأبي علي الحسن بن أحمد الأستراباذي، ونقلاه موافقان لما في الكتاب الذي حقَّقه (ص٤٤٤، ٣٠٢). ولكنَّه رأى أنَّ الاحتمالات التي تدفع صحَّة نسبته إلى الأستراباذي كثيرةٌ، ذكر منها: أن يكون الأستراباذي نقل هذين النصَّين من (شرح الزمخشري) ولم يُشر، أو أن يكون نقل من مصادر أخرى وافق فيها الأستراباذي أو نقل من مصادره، أو تكون النسخة التي نقل منها البغدادي منسوبةً إلى الأستراباذي خطأ.

وقد ردَّ الدَّالي على هذه الأدلَّة النافية عن الأستراباذي بالآتي:

الأوَّل: احتمال أن يكون كتب على الورقة الأولى من النسخة التي كانت بين يدي البغدادي اسمَ الشارح خطأً يمكن أن يقال أيضًا عن النسخة التي وقف عليها اللَّبْلي في (تحفة المجد الصريح) ونقل عنها ثلاثة وسبعين نصًّا وكلُّها موجودة في الكتاب المحقَّق، والتي هي عمدة الأدلَّة التي جعلت المحقِّق ينسبه إلى الزمخشري.

وكلا القولين؛ قول الغامدي والدَّالي ليسا دليلًا على شيء، ولكنَّهما احتمالان استئناسيَّان.

الثاني: ما قاله المحقِّق من أنَّ الاحتمالاتِ التي تدفع صحَّة نسبة الكتاب إلى الأستراباذي كثيرةٌ. غيرُ مقبولٍ ولا يُعتدُّ به؛ لأنَّه لم يبيِّن شيئًا من هذه الاحتمالات الكثيرة، وإن أراد بها الأدلَّة التي تثبت صحَّة نسبته إلى الزمخشري فإنَّها غيرُ صالحةٍ ولا كافيةٍ لدفع النسبة عن الأستراباذي.

وقول الغامدي ليس دليلًا على شيء؛ لأنَّه قول مرسل، وردُّ الدَّالي ليس فيه دليلٌ على شيء.

الثالث: ما قاله المحقِّق من أنَّ ما ذكره البغدادي لا ينهض لمدافعة الأدلَّة والقرائن التي تؤيِّد نسبة الكتاب إلى الزمخشري، فإنَّ ما ذكره اللَّبْلي والبغدادي سواءٌ في هذا الباب، ولا ينفي احتماليَّةَ نسبة الكتاب إلى الزمخشري أو إلى الأستراباذي.

وقول الغامدي ليس فيه دليلٌ على شيء، وردُّ الدَّالي ردٌّ منطقي، فكلا النقلين مستويان في درجة الحجِّيَّة، وهما دليلان تاريخيَّان؛ كلاهما مثبت.

ومن نواقض مثل هذا النوع من الأدلَّة بُعدُ المدَّة الزمنيَّة بين وفاة المؤلِّف والإشارة التاريخية في المصادر، إذ ربَّما يُوضع الكتاب على المؤلِّف بعد وفاته مباشرة، أو خلال هذه الفجوة التاريخية، وظهرت هذه النواقض في كتاب (الآمل والمأمول) الذي نسبته نسخته للجاحظ بعد ثلاثة قرون من وفاته، و(التبصُّر بالتجارة) الذي بين الإشارة إليه عند الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ووفاة مؤلِّفه؛ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) قرنان تقريبًا، و(الحنين إلى الأوطان) الذي بين وفاة مؤلِّفه المزيَّف؛ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) والإشارة إليه عند ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) ثلاثة قرون تقريبًا، و(مائة كلمة) الذي بين وفاة مؤلِّفه المزيَّف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) والإشارة إليه عند الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) قرن ونصف تقريبًا، و(المحاسن والأضداد) الذي بين وفاة مؤلِّفه المزيَّف الجاحظ، والإشارة التاريخية عند ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) ما يقرب من أربعة قرون.

الرابع: اضطراب المحقِّق في أبي عليٍّ المذكور في الكتاب، فجعله مرَّةً أبا علي المرزوقي، ومرَّةً أبا علي القالي، ومرَّةً أبا علي الفارسي، وجعل أبا علي المذكور في غير هذه المواضع هو أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري شيخَ الزمخشري، الذي أشار إليه الزمخشري أيضًا في كتابه (الفائق).

وتجاهل المحقِّق إمكانيَّةَ أن يكون أحد آباء عليٍّ المذكورين هو أبو عليٍّ الأستراباذي رغم أنَّه ذكر أيضًا احتمال نقل الزمخشري عن شرح الأستراباذي. كما أنَّه لا يصحُّ البتَّة أن يكون أبو عليٍّ المذكوُر في هذا الكتاب إلَّا رجلًا واحدًا.

وقول الغامدي والدَّالي ليسا دليلين على شيء، ولكنَّهما احتمالان.

الخامس: مستحيل زمنيًّا أن يُقصد بأبي عليٍّ المذكورِ في الكتاب أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري شيخ الزمخشري؛ لأنَّه في الموضع الذي ورد فيه في الكتاب روى عن أبي أحمد العسكري (ت ٣٨٢هـ)، بينما كانت وفاة أبي علي النيسابوري تقديرًا (٤٩٢هـ)، ولأنَّ أبا علي هذا روى عن ابن مهدي عن ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) والدَّالي لم يعرفه وقدَّر أنَّه لا يبعد أن تكون ولادته نحو سنة (٣١٠هـ)، ووفاته نحو (٤٠٠هـ) تقديرًا، ويبعد أن يروي عنه أبو عليٍّ النيسابوري المولودُ تقديرًا (٤٠٢هـ).

أبو علي المذكور في كتاب الفائق هو أبو علي الفارسي بغير شكٍّ، ونُقولُ الزمخشري عنه موجودةٌ في كتبه.

واستشفَّ الدَّالي أنَّ أبا علي المذكور في مواضعَ من الكتاب هو صاحب الكتاب لا سيَّما أنَّه مقرونٌ بالتَّرحُّم عليه، وأبو علي هذا روى عن أبي أحمد العسكري، وروى عن ابن مهدي، فالنظر يُوجب أنَّ صاحب الكتاب هو أبو علي، وهو من تلامذة أبي أحمد العسكري وابن مهدي. والاعتراض بأنَّ مؤلِّف الكتاب روى عن الفرَّاء في موضع بقوله «أنشدنا الفرَّاء»، فهذا خطأٌ من الناسخ أو ممَّن نقل عنه، وصوابه «أنشد الفرَّاء»، كما أتى في مواضعَ من الكتاب. كما أنَّ الاعتراض بأنَّه ورد في الكتاب عن المؤلِّف: «وسمعت أبا حاتم يقول سمعت أبا زيد». فذهب الدَّالي إلى أنَّ في السند سقطًا بيَّنه وورَد هذا السندُ في مواضعَ من الكتاب، وتمامُه: «قال أبو علي المؤلِّف: وسمعت أبا أحمد العسكري، قال: سمعت الدُّريدي يقول: سمعت أبا حاتم...».

وذهب الدَّالي إلى أنَّ غالب الظنِّ أنَّ أبا عليٍّ صاحبَ الكتاب هو أبو علي الحسن بن أحمد الأستراباذي، وكان من آثاره التي ذكرتها المصادرُ (شرحَ الفصيح).

وكلام الدَّالي خليطٌ من الاحتمالاتِ والأدلَّة التاريخية، وتأويلِ ما ينقضها.

ودفع الدَّالي ما يضعف هذه النسبة مثل نقول اللَّبْلي عن الزمخشري الموجودة في الكتاب محلِّ البحث، ودفع ذلك بأنَّه ربَّما تكون النسخة التي وقف عليها اللَّبْلي منسوبةً إلى الزمخشري، أو كانت تحمل اسمَ صاحبها، فاجتهد في نسبتها

إلى الزمخشري، أو أنَّ النسخة التي وقف عليها اللبلي هي شرح الزمخشري، ونقل الزمخشري من شرح الأستراباذي.

وذكر الدَّالي أنَّه يترتَّب على نسبة هذا الكتاب إلى الأستراباذي معرفةُ كتبٍ له لم تذكرها مصادر ترجمته، مثل كتاب (تفسير القرآن) و(غريب الحديث) و(الأمثال) و(المثلث).

وقد وقع في هذه الدفوع في ما أخذه على المحقِّق من وضع احتمالاتٍ وتأويلاتٍ لا دليل عليها.

وقد عاد لهذه القضيَّة مرَّةً أخرى في بحثه (شرح الفصيح المنسوب للزمخشري ليس له البتة مناقشة ما أتى به الغامدي فيما رآه الدليل الشافي في نسبته وبيان تهافته وبطلانه)،[1] بعد أن ردَّ إبراهيم الغامدي على بحثه السابق بتعقيب عنوانه: (الدليل الشافي على تأمُّلات ونظرات الدَّالي في شرح الفصيح للزمخشري) في مجلَّة عالم الكتب، العدد الرابع، المجلَّد العشرين، المحرَّم- صفر ١٤٢٠هـ/مايو —يونيو١٩٩٩م. وهو ردودٌ على ردود، وليس فيه أدلَّةٌ جديدةٌ غيرُ تحديد علي بن مهدي، فهو أبو الحسن علي مهدي الفارسي روى عنه أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي (نحو ٣٣٠-نحو٤١٠هـ) في كتابه الفصوص أشياء رواها ابن مهدي عن شيوخه، ومنهم أبو بكر محمَّد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) وقد حضر ابن مهدي وفاةَ شيخه ابن الأنباري...».

وما زال كتاب (شرح فصيح ثعلب) المنسوب للزمخشري يحتاج إلى جهدٍ -يسَّره الله- للمقارنة بين الأدلَّة التي استخدمها الباحثون الذين تناولوه والتحكيم بينهم، على غرار ما فعلت مع كتاب (الحجَّة في القراءات السبع وعللها) في بحثي (الفصل في نسبة كتاب الحجَّة في القراءات السبع المنسوب لابن خالويه).[2]

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٢/ ٣٠٩.

٢ مجلَّة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٢٣، ع٤.

٥/٢: رسالة (مسألة في كلمة الشهادة) إملاء الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري[١]

اكتفى في تحقيق نسبتها بأنَّ ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) نقل عنها في كتابه (مغني اللبيب) (ص٧٤٦)، وفي رسالته في (إعراب لا إله إلا الله).

وهو دليلٌ تاريخيٌّ مثبتٌ. وهو غيرُ كافٍ بسبب بُعْد المدَّة الزمنيَّة بين وفاة الزمخشري وابن هشام، وهي ما يقرب من قرنين وربع، كما سبق توضيحُه وذكرُ أمثلةٍ عليه.

-٣-

نصوص حقَّقها ولم يحقِّق نسبتها

هناك نصوص لم يتعرَّض الدَّالي لنسبتها عند تحقيقها، وهي:

١/٣: (سفر السعادة وسفير الإفادة)

في مقدِّمة تحقيق كتاب (سفر السعادة وسفير الإفادة) لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، لم يتعرَّض لتحقيق النسبة تحت مبحثٍ مستقلٍّ؛ ربَّما لسببين (ص٥٥):

الأوَّل: اعتماده على أصل المؤلِّف بخطِّه، وقد جزم بأنَّه نسخة المؤلِّف وهي مسوَّدة الكتاب بدليل الإلحاقات في الهامش بعد تمام الكتاب وانفرادها بزيادات ليست في النسخ الأخرى، وتردُّد عبارات السماع والقراءة على المؤلِّف، وما جاء في خاتمة النسخة من تصريح بالانتساخ عن هذه النسخة ومن عبارات السماع والقراءة على المؤلِّف ومن طِباق السماع الملحقة بها، وهذا دليلٌ تاريخيٌّ مثبتٌ خالٍ من النواقض.

---

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٣/ ١٩٩.

الثاني: اعتماده على ثلاث نسخ، عليها إجازات المؤلِّف بخطِّه: وهذا دليلٌ تاريخيٌّ مثبتٌ قويٌّ، خالٍ من النواقص، وهي التزوير والإلحاقُ. فرأى الدَّالي هذين الدليلين كافيين في إثبات النسبة، وهو محقٌّ.

٢/٣: كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)

حقَّقه الدَّالي، ونشرته مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ولم يُفرد فيه مبحثًا خاصًّا لتحقيق النسبة؛ اعتمادًا على تواتر نسبته قديمًا وحديثًا.

٣/٣: كتاب (الكامل في الأدب) للمبرد (ت ٢٨٥هـ)

حقَّقه الدَّالي ونشرته مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ولم يعقد فيه مبحثًا خاصًّا لتحقيق نسبته؛ اعتمادًا على اشتهاره على مرِّ العصور والدهور، وكثرة من خدموه تعليقًا أو شرحًا أو تصحيحًا أو نشرًا وتحقيقًا، واستفاضة روايته عن المبرد بأسانيدَ معروفة.

٤/٣: كتاب (بقية الخاطريات) لابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)

طبع بمجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الصباح، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م. وهو استدراك سقط بمقدار عشرين لوحة تقريبًا سَقَط من تحقيق علي ذو الفقار شاكر، المنشور في دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ولم يعقد فيه مبحثًا لتحقيق النسبة.

٥/٣: كتاب (كشف المشكلات وإيضاح المعضلات) لجامع العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ)

حقَّقه الدَّالي ونشره في مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الصباح، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م. ولم يُفرد مبحثًا خاصًّا لتحقيق نسبته، رغم أنَّه توسَّع جدًّا في مقدِّمته وفي وصفه، وربَّما ترك ذلك اعتمادًا على النسخ الثلاث التي اعتمد عليها في التحقيق، وعلى استفاضة نسبته في المصادر المختلفة.

٦/٣: رسالة أخبار في النحو رواية أبي طاهر عبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم (ت ٣٤٩هـ) عن شيوخه[١]

لم يتعرَّض لتحقيق نسبتها.

٧/٣: رسالة العُجالة في تفسير الجلالة جمع أحمد بن محمود الجُخَندي (ت ٧٠٠هـ أو نحوها)[٢]

اعتمد فيها على نسخةٍ وحيدةٍ في مجموعٍ في مكتبة برلين برقم (٢٤٠٦)، ولم تذكر منسوبةً له في مصدر، ولا يوجد أثرٌ محقَّقٌ للمؤلِّف يقارن به الأسلوب والمادَّة، وليس في مادَّتها ما يؤكِّد أو ينفي نسبتها.

الخاتمة

حقَّق الدَّالي نسبة تسعة نصوص، منها أربعةٌ حقَّق نسبتها أثناء قيامه بتحقيق نصِّها مثل: (كتاب الإبانة)، و(رسالة مسائل في علم العربية والتفسير)، و(رسالة ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل)، وكلُّها لجامع العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، ورسالة (مسألة في كلمة الشهادة) للزمخشري.

ومنها خمسةٌ حقَّق نسبتها بناء على مطالعته لتحقيقات الآخرين، مثل: (كتاب إعراب القرآن المنسوب للزَّجَّاج)، و(الآمل والمأمول) للجاحظ، و(شرح أبيات سيبويه) المنسوب لأبي جعفر النحَّاس، و(الوسيط في الأمثال) للواحدي، و(شرح الفصيح) المنسوب للزمخشري.

وهناك سبعةٌ حقَّق نصَّها ولم يحقِّق نسبتها في مبحث خاصٍّ، مثل: كتاب (سفر السعادة) لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، وكتاب (الكامل) للمبرِّد (ت ٢٨٦هـ)، وكتاب (بقيَّة الخاطريات) لابن جنِّي (ت ٣٩٢هـ)، وكتاب (كشف المشكلات) لجامع

١ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٣/ ٧.
٢ الحصائل في علوم العربية وتراثها، ٣/ ٢١٥.

العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، ورسالة (أخبار في النحو) لأبي طاهر عبد الواحد، و(العُجالة في تفسير الجلالة) للخُجَندي (ت ٧٠٠هـ أو نحوها).

وتنوَّعت الأدلَّة التي استخدمها بين: أدلَّةٍ تاريخيةٍ، وأدلَّةٍ مقارنةٍ، وأدلَّةٍ أسلوبية، وأدلَّةٍ استنباطية، وأدلَّة المحال عقلًا على المؤلِّف، وقد قيَّم الباحث كلَّ دليلٍ من هذه الأدلَّة مفردًا، ثمَّ قيَّمه مع مجموع الأدلَّة المستخدمة في تحقيق النسبة.

وهناك من الأدلَّة ما عدَّه الدَّالي دليلًا وهو ليس دليلًا، وهناك ما ذكره مرسلًا ولم يعدَّه دليلًا، وهو دليلٌ معتبر.

وكانت جهود الدَّالي مميَّزةً في مضمار تحقيق النسبة، خاصَّة في تحقيق آثار جامع العلوم الباقولي؛ إذ لم تظهر أدلَّةٌ تخالف ما ذهب إليه في نسبة أحد الكتب التي تعرَّض لها -بحسب اطِّلاعي- غير أنَّ كتاب (شرح فصيح ثعلب) المنسوب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ما زال بحاجةٍ إلى مزيد جهدٍ لحلِّ إشكاليَّة نسبتِه.

المصادر والمراجع

الكتب

- آثار الجاحظ دراسة توثيقيَّة، محمَّد محمود الدروبي، رسالة ماجستير بكلِّيَّة الدراسات العليا، الجامعة الأردنيَّة، رمضان ١٤١٤هـ / شباط ١٩٩٤م.
- الآمل والمأمول، المنسوب للجاحظ، رمضان ششن، نشرته دار الكتاب الجديد، ط٢، ١٩٨٣م.
- الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة، جامع العلوم الباقولي، ت محمَّد أحمد الدَّالي، وزارة الأوقاف، الكويت، ٢٠٠٩م.
- أدب الكاتب، لابن قتيبة، ت محمَّد أحمد الدَّالي، مؤسَّسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦م.
- أصالة الجاحظ، شارل بيلا، لجنة المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦١/ ١٩٦٢م.
- بقيَّة الخاطريَّات، لابن جنِّي، محمَّد أحمد الدَّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الصباح، ١٩٩٢م.
- تحقيق نسبة النصِّ التراثي النثري مختلف النسبة إلى مؤلِّفه، محمَّد علي عطا، رسالة دكتوراه بجامعة عين شمس، ٢٠١١م.
- الحصائل في علوم العربية وتراثها، محمَّد أحمد الدَّالي، دار النوادر، ط١، ٢٠١١م.
- الحنين إلى الأوطان، محمَّد بن سهل بن المرزبان، ت جليل العطيَّة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- دراسات توثيقيَّة وتحقيقيَّة في مصادر التراث، محمود عبد الله الجادر، جامعة بغداد، ١٩٩٠م.
- ابن درستويه، عبد الله بن جعفر بن المرزبان الفارسي، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧٣م/ ١٩٧٤م.
- سفر السعادة وسفير الإفادة، علم الدين السخاوي، ت محمَّد أحمد الدَّالي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- شرح الفصيح، للزمخشري، ت إبراهيم الغامدي، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أمِّ القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكَّة المكرَّمة، ١٤١٧هـ.

- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، خالد عبد الكريم جمعه، الدار الشرقيَّة، ط٢، ١٩٨٩م.
- الشوق والعتاب، محمَّد بن سهل بن المرزبان، ت جليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
- الكامل، للمبرد، ت محمَّد أحمد الدَّالي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، جامع العلوم الباقولي، ت محمَّد أحمد الدَّالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المخطوطات العربية مشكلات وحلول، عابد المشوخي، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- معجز أحمد، لأبي العلاء المعرِّي، ت عبد المجيد دياب، دار المعارف، ١٩٨٦م.
- منهج تحقيق نسبة النصِّ النثري، محمَّد علي عطا، في دار ملامح للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتَّحدة، ط١، ٢٠٢٠م.
- أبو هلال العسكري وآثاره في اللغة، علي كاظم المشري، دار كيوان للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م.
- الوسيط في الأمثال، المنسوب للواحدي، ت عفيف محمَّد عبد الرحمن، دار الكتب الثقافية بالكويت، ط١، ١٩٧٥م.

البحوث والدوريات

- «الآمل والمأمول منحول للجاحظ»، عبد الله العويشق، مجلَّة كلِّيَّة اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، ج٣، (ص ٢٧٣ – ٢٨٢)، عام ١٩٧٣م.
- «الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ»، إبراهيم السامرَّائي، مجلَّة مجمع اللغة العربية بالأردن، العدد ٢٣ ،٢٤، س٧، (ص١٣٧-١٥٣)، ربيع الأوَّل- رمضان ١٤٠٤هـ، كانون الثاني- حزيران، ١٩٨٤م.
- «حول نسبة كتاب الحجَّة في القراءات السبع لابن خالويه»، عبد العال سالم مكرم، مجلَّة اللسان العربي، المجلَّد التاسع، ج١، المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المغرب، د ت.
- «الدليل الشافي على تأمُّلات ونظرات الدَّالي في شرح الفصيح للزمخشري»، لإبراهيم الغامدي، عالم الكتب، مج ٢٠/ ع٤، المحرَّم- صفر، ١٤٢٠هـ/ مايو - يونيو، ١٩٩٩م.

- «الردُّ الصحيح لمن حاول دفع نسبة شرح الفصيح»، لإبراهيم الغامدي، مجلَّة عالم الكتب، مج٢٤/ ع٢ (رمضان- شوال ١٤١٩هـ/ يناير- فبراير ١٩٩٩م).
- « كتاب الآمل والمأمول المنسوب للجاحظ، تحقيق نسبته ونظرات فيه»، محمَّد أحمد الدَّالي، مجلَّة الفيصل، الرياض، العدد١٠٢، ١٩٨٥م.
- «شرح الفصيح [المنسوب] للزمخشري: تحقيق نسبته ونظرات فيه»، للدالي، مجلَّة عالم الكتب، مج٢٠/ ع١، ص٣١، رجب- شعبان، ١٤١٩هـ/ نوفمبر- ديسمبر، ١٩٩٨م.
- «شرح الفصيح ليس للزمخشري بل للإستراباذي»، لمحمَّد عبد الله العزام، مجلَّة عالم الكتب، مج٢١،ع ٢-٣، (رمضان- شوال- ذو القعدة- ذو الحجة)، ١٤٢٠هـ/ (يناير- فبراير- مارس- أبريل)، ٢٠٠٠م.
- «شرح الفصيح المنسوب للزمخشري ليس له البتَّة»، لمحمَّد الدَّالي، مجلَّة عالم الكتب، مج٢١/ ع٢-٣ (رمضان- شوال/ ذو القعدة- ذو الحجة ١٤٢٠هـ (يناير- فبراير/ مارس- إبريل ٢٠٠٠م).
- «الفصل في نسبة كتاب الحجَّة في القراءات السبع المنسوب لابن خالويه»، محمَّد علي عطا، مجلَّة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٢٣، ع٤، (شوال-ذو الحجة ١٤٤٢هـ/ مايو-يونيو٢٠٢١م).
- «كتاب معاني الحروف المنسوب إلى الرمَّاني: تحقيق اسمه ونسبته إلى ابن فضال المجاشعي»، سيف بن عبد الرحمن العريفي، مجلَّة عالم الكتب، مج٢٣، ع٥-٦، (الربيعان- الجماديان ١٤٢٣هـ)، (مايو - يوليو- أغسطس٢٠٠٢م).

البحث اللغوي عند الدالي

محمَّد مصطفى الكَنْز

كلية التربية الأساسية - الكويت

ملخَّص

المشروع المعرفيّ للدالي لُغويٌّ تُراثيٌّ بامتياز، وهو يمتدُّ عبر جناحين كبيرين هما البحثُ والتحقيقُ، ويتجلَّى في هذا المشروع التّماهي بين هذين الحقلين؛ إذ يجمع الدالي في بحوثه بين آليّات التحقيق وشخصيّة الباحث، وفي تحقيقاته بين آليّات البحث وشخصيّة المحقِّق، فالمسألة اللغويّة عنده أشبه بكتابٍ يُحقِّقه، والكتاب الذي يُحقِّقه أشبه بمسألةٍ لغويّةٍ يبحث فيها.

يسعى البحث إلى استظهار المعالمِ الرئيسة لحقل البحث اللغويّ عنده، بالوقوف على سِماته وميادينه وآليّاته، وقد كان من أبرز سِماته: الجزئيّةُ والاستقصاء والمراجعة، ومن أبرز ميادينه: النقدُ اللغويّ والتصويب اللغويّ، ومن أبرز آليّاته: التصويرُ والتمثيل والشرح والتفسير والتأصيل والانتخاب والتفريع والاستطراد والتدرُّج والاستدراك والإحصاء والإحالة.

الكلمات المفتاحيَّة: البحث اللغوي، البحث الجزئي، التحقيق اللغوي، النقد اللغوي، التصويب اللغوي، محمد الدالي.

The Linguistic Study of al-Dālī

Dr. Mohammad Mostafa Al-kanz

Abstract

The cognitive project of al-Dālī is an extremely traditional linguist, and it goes through two main majors: research and investigation. In this project, he is combining between these two fields that in his research, he combines the mechanisms of investigation and the personality of the researcher. Also, in his investigations between the mechanisms of the research and the personality of the investigator, the linguistic issue for him is more like a book he investigates in, and the book he is investigating in is more like a linguistic issue that he is researching.

Furthermore, this study attempted to reveal the main features of his field of linguistic research, by examining its features, fields, and mechanisms. Among his highlighted features: Partial, tracking and reviewing. Among his highlighted fields: linguistic criticism and linguistic correction. Among his highlighted mechanisms: imaging, representation, explanation, interpretation, rooting, election, branching, extending, gradation, rectification, statistics, and referral.

Keywords: linguistic research, partial research, linguistic investigation, linguistic critt icism, linguistic correction, Muḥammad al-Dālī.

مدخل

تستجلي هذه الدراسة التجربةَ البحثيَّةَ للدكتور الدالي رحمه الله (ت ١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م) في دراسته لمسائل العربية، بهدف بيان المعالم الرئيسة لهذه التجربة في ميادينها وآليَّاتها، ودعوة الباحثين إلى استلهامها والسير على وفق الصُّوى التي أرسى الدالي رحمه الله دعائمَها.

ويتوزَّع هذه الدراسةَ ثلاثةُ محاور:

١- سمات البحث اللغوي عند الدالي.

٢- ميادين البحث اللغوي عند الدالي.

٣- آليَّات البحث اللغوي عند الدالي.

والمتابع للمنجَز البحثي للدالي[١] يجد أنَّه لم يُعْنَ باتِّجاهات علم اللغة الحديث، أو ما يُسمَّى باللسانيَّات الحديثة،[٢] غير أنَّه يمكن أن نرصد بعضَ الموضوعات التي تقترب على استحياءٍ من هذا الميدان، كما في بحوث: في الطريق إلى مصطلحٍ علميٍّ عربيٍّ موحَّد،[٣] ومعجمات الموضوعات المفردة في القرآن الكريم،[٤] واللغة

١ لا يقتصر البحث اللغوي عند الدالي على بحوثه التي نشرها في مجلَّات البحث العلمي ثمَّ جَمَعها في كتابه الحصائل، بل إنَّه يمتدُّ ليشمل نظراته اللغوية التي كان يُحشِّي بها على تحقيقاته، ففي هذه الحواشي يتجلَّى عالمًا لغويًّا كبيرًا. وهذا يعني أنَّ النظر اللغوي عنده واسع وممتدٌّ، ويشمل أعماله التحقيقية وأعماله التي تمحَّضت لبحث مسائل العربية.

٢ يمكن أن نرصد في هذا السياق أنَّ مدرسة الشام الحديثة في الميدان اللغوي يبرز فيها الاهتمام بالتراث مقارنًا باهتمامها باللسانيَّات الحديثة، بينما يبرز في مدرسة المغرب الحديثة الاهتمام باللسانيَّات مقارنة باهتمامها بالتراث، وتقف المدرسة المصرية الحديثة وسطًا بين المدرستين؛ فنجد أنَّ اهتمامها بالتراث يضارع اهتمامها باللسانيَّات الحديثة. ويمكن استقراء ذلك من خلال ما تلفظه المطابع من دراسات وأبحاث.

٣ شارك به في ندوة إقرار منهجيَّة موحَّدة لوضع المصطلح العلمي وسبل توحيده، التي عقدها اتِّحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بمجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٥ إلى ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٩م. وهو في الحصائل، ١/ ١٧٠.

٤ شارك به في ندوة قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢م.

العربية بيت الفصحى والعامِّيَّة،[١] وكما في إشارته لقضيَّة التطوُّر اللغوي،[٢] أو نظراته الأسلوبية كما في تحقيقه نسبة كتاب (ما تلحن فيه العامَّة) للباقولي؛ حيث احتجَّ بالسمة الأسلوبية التعليمية التي يتميَّز بها الباقولي في مصنَّفاته.[٣]

والذي يطَّلع على بحوثه اللغوية يدرك بوضوحٍ أنَّها امتدادٌ أصيلٌ لتحقيقاته اللغوية، والميدانان -البحثُ والتحقيقُ- لهما الطابع التراثي الذي يصبغ المشروع المعرفي الذي أنجزه، وهذا ما يجعلنا نقول بقدرٍ كبيرٍ من اليقين: إنَّ المشروع المعرفي للدالي هو مشروعٌ لغويٌّ تراثيٌّ بامتياز، وهو يمتدُّ عبر جناحين كبيرين، هما: البحث والتحقيق. يقول محمَّد عبد المجيد الطويل في تقديمه لكتاب الحصائل: "إنَّه -أي: الدالي- يُذكِّرنا بعصور العربية الخالدة، وشيوخها الكبار، ولا يبعد أن تقول: هذا نَفَسٌ من أبي عليٍّ الفارسي، وهذا مَثَلٌ من ثقافة ابن جنِّي، مرورًا بشيوخ العلم في العصر الحديث".[٤]

والدالي بهذا الطابع الذي ميَّز مشروعه نموذجٌ صادقٌ لاحترام الاختصاص المهني والإخلاص للمسؤوليَّة الأكاديميَّة[٥] التي أنيطت به، وقد أدَّى رسالتَه على أكمل ما يكون الأداء، وأتمّ ما يكون الوفاء.

ونظرةٌ سريعةٌ إلى فهارس كتابه (الحصائل)[٦] بأجزائه الثلاثة تبيِّن لنا صدق ذلك.[٧] كما أنَّ له أبحاثًا ومقالاتٍ أخرى غيرُ مذكورةٍ في (الحصائل)، ومنها:[٨]

---

١ شارك به في ندوة مركز تعريب العلوم الصحِّيَّة (أكمل)، في الكويت، ٩/ ٥ / ٢٠٠٤م.

٢ الحصائل، ١/ ٦٣، ٦٤، ٦٧.

٣ السابق، ٣/ ٢٧٠.

٤ السابق، ١/ ٦.

٥ وهو تخصُّص اللغة العربية الذي شغله في ثلاث جامعات: دمشق (١٩٨٤- ١٩٩٢م)، وقطر (١٩٩٢- ١٩٩٧م)، والكويت (٢٠٠١- ٢٠٢٠م).

٦ نشرته دار النوادر، سورية - لبنان- الكويت، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٧ ١/ ٢٢٢، ٢/ ٤٩٩- ٥٠٠، ٣/ ٣٤٢.

٨ الثلاثة الأُوَل مذكورة في آخر كتاب أخبار في النحو رواية أبي طاهر، بعنوان (آثار المحقِّق)، ٦٣. وقد نشرته الجفان والجابي، نيقوسيا، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

* بدوي الجبل قمَّة الشعر في هذا العصر.[1]

* المصحِّح في صحافتنا الأدبية.[2]

* ملاعب الأسنَّة.[3]

* معجمات الموضوعات المفردة في القرآن الكريم.[4]

* اللغة العربية بيت الفصحى والعامِّيَّة.[5]

وغير خافٍ أنَّ تحقيقاتِه كلِّها تحقيقاتٌ لغويةٌ، ومنها:[6]

* أدب الكاتب لابن قُتيبة.[7]

* المجتنى لابن دريد.[8]

* سِفْر السعادة لعَلَم الدين السَّخاوي.[9]

* الكامل للمبرِّد.[10]

* مسائل نافع بن الأزرق.[11]

---

١ جريدة الثورة عدد ٤٨٦٥، بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٧٩م.

٢ جريدة الثورة، عدد ٤٩٠١، بتاريخ ١٧/ ٢ / ١٩٧٩م.

٣ المجلَّة العربية، عدد ١٢، ١٩٨١م.

٤ شارك به في ندوة قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢م.

٥ شارك به في ندوة مركز تعريب العلوم الصحِّيَّة (أكمل)، في الكويت، ٩/ ٥ / ٢٠٠٤م.

٦ مرتَّبة زمنيًّا بحسب النشر.

٧ نشرته مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.

٨ نشرته دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، والجفان والجابي ١٩٩٧م.

٩ كان أطروحته لنيل درجة الماجستير من جامعة دمشق عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، بإشراف العلَّامة شاكر الفحَّام رحمه الله، ثمَّ نشره مجمع اللغة العربية بدمشق، عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م. كما نُشر في دار صادر ببيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠ نشرته مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

١١ نشرته الجفان والجابي، نيقوسيا، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

* جواب المسائل العشر لابن بَرِّي.[١]

* الإقناع للمطرِّزي.[٢]

* تفسير غريب ما في كتاب سيبويه لأبي حاتم السِّجِسْتاني.[٣]

هذا بالإضافة إلى التراث اللغوي لجامع العلوم الباقولي (ت ٥٤٣هـ) وهو من علماء القرن السادس الهجري، وقد قيَّض الله له رجلًا من أبناء القرن الخامس عشر الهجري هو أحمد راتب النفَّاخ (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م) ليعرِّف الناس به،[٤] ثمَّ أكمل تلميذه الدالي (ت ١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م) ما فعله شيخه النفَّاخ، وعكف على مؤلَّفات الباقولي، وأماط اللثام عنها، وردَّ إليه حقَّه.[٥] وهذا من أسرار الله عزَّ وجلَّ في هذا الكون أن يهيِّئ لعباده من يُعرِّف الناس بأقدارهم وإن امتدَّ الزمن وطال. والدرس الأعظم الذي نفيده من ذلك أن يُخْلص الباحث لفنِّه، ويعلم أنَّ جهدَه غيرُ ضائعٍ، وإن لم يلتفت له أبناء عصره، أو العصور التي تلي عصره، فسيأتي جيلٌ في زمن يُقدِّره الله يَعْرف فضلَه ويقرأ علمَه.

ولعلَّنا نلاحظ التشابُه بين وفاة الباقولي والدالي، فالأوَّل تُوفِّي في العام الثالث والأربعين من القرن السادس الهجري، والثاني تُوفِّي في العام الثالث والأربعين من القرن الخامس عشر الهجري؛ أي: أنَّ وفاة الدالي جاءت بعد وفاة الباقولي بتسعة قرون مكتملة.

١ نشرته دار البشائر، دمشق، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢ نشرته جامعة قطر، ١٩٩٩م.

٣ نشرته دار البشائر، دمشق، ٢٠٠١م.

٤ كتب النفَّاخ عن الباقولي مقالتين في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق: الأولى: نشرت في مج٤٨، ج٤، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، والآخِرة: نشرت في مج ٤٩، ج١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٤م.

٥ كان قد نُشِر أحد مصنَّفات الباقولي منسوبًا لغيره، وهو كتاب جواهر القرآن ونتائج الصَّنعة، نشره إبراهيم الأبياري بعنوان إعراب القرآن المنسوب إلى الزجَّاج عام ١٩٦٣م، ثمَّ صحَّحَ عنوانَ الكتاب ونسبتَه إلى الباقولي أحمد راتب النفَّاخ. كما نَشر الدالي مقالتين تتَّصلان بهذا الكتاب: الأولى: بعنوان كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجَّاج هو كتابُ الجواهر لجامع العلوم الأصبهانيِّ، في مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج ٦٦، ج١، عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م. وأعاد نشرها في الحصائل، ٢/ ١٠٤. والآخرة: بعنوان صلةُ الكلام في كتاب الجواهر لجامع العلوم الأصبهانيِّ وتحقيق اسمه، في مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٣، ج٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. وأعاد نشرها في الحصائل، ٢/ ٢٨٤. ثمَّ نشر الكتاب بعنوانه الصحيح منسوبًا للباقولي جواهر القرآن ونتائج الصنعة، وقد صدر عن دار القلم بدمشق، عام ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

وقد عكف الدالي على مُصنَّفات الباقولي درسًا وتحقيقًا، وهي كما يأتي:[1]

* كَشْف المشكلات وإيضاح المعضلات.[2]

* مسائل في علم العربية والتفسير؛ وهي من إملاء جامع العلوم.[3]

* ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل.[4]

* الاستدراك على أبي عليٍّ الفارسيِّ في الحُجَّة.[5]

* الإبانة في تفصيل ماءات القرآن، وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة.[6]

* جواهر القرآن ونتائج الصَّنْعة.[7]

وقد أشار أيمن أحمد ذو الغنى -وهو من تلاميذه المقرَّبين إليه- إلى أنَّ شيخه كان عاكفًا على كتابين آخرين للباقولي:

الأوَّل: بعنوان (الملخَّص في الوقف والابتداء)، وذكر أنَّه قطع شوطًا بعيدًا في تحقيقه والتعليق عليه، ويُتوقَّع أن يصدرَ في قُرابة ١٢٠٠ صفحة.

الثاني: (شرح اللُّمَع لابن جنِّي)، وكان قد صنع لمخطوطة الكتاب فهارسَ شاملةً قبل أن يحقِّقه، ولم يزل عازمًا على تحقيقه حتَّى آثرَ به طالبَيْن من طلَّاب قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وقدَّم إليهما مخطوطات الكتاب؛ ليكون موضوعًا

---

١ مرتَّبة زمنيًّا بحسب النشر.

٢ نشره مجمع دمشق عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، وكان في الأصل أطروحته لدرجة الدكتوراه من جامعة دمشق ١٩٨٧م.

٣ نُشر في مجلَّة جامعة دمشق، مج ١٤، العدد ٤، عام ١٩٩٨م. وأعيد نشره في كتاب الحصائل، ٣/ ٢٤٣.

٤ وهو رسالة نشرتها مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٤، ج١، عام ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م. وأعيد نشرها في كتاب الحصائل، ٣/ ٢٦٧.

٥ نشرته مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦ صدرت طبعته الأولى عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ثمَّ صدرت طبعته الثانية عن دار البشائر بدمشق، عام ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٧ نشرته دار القلم بدمشق، عام ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

لأطروحتَيهما في الدراسات العليا، بإشراف تلميذه د. محمَّد عبد الله قاسم.[١]

ويبيِّن لنا الاستعراض الذي سلف أنَّ التجربة البحثيَّة للدالي كانت تجربةً لغويةً تراثيةً بامتياز.

-١-

١- سمات البحث اللغوي عند الدالي

١- ١ السمة الجزئية

ينحو البحث اللغوي عند الدالي في أغلبه نحو البحث الجزئي لمسائل العربية،[٢] حتَّى إنَّ بعض ظواهر العربية التي عُني بها -رغم قِلَّتها- قد نحا بها نحو الجزئيَّة أيضًا، وجاء حديثُه عنها عامًّا مكرورًا،[٣] كما أنَّ مشروعه البحثي يخلو من التأطير لأيِّ نظريَّةٍ، أو حتَّى الإلماح إلى شيءٍ من ذلك.

فإذا نظرنا إلى هذه المسائل التي جُعلت عناوين لبحوثه اللغوية، من مثل: عبارة: هل لك في كذا وكذا،[٤] قولهم: لِيَهْنِك كذا،[٥] الواو العاطفة بمعنى مع،[٦] من كلام العرب قولهم: لأيًا فعلت كذا،[٧] لغة أكلوني البراغيث،[٨] من كلام العرب قولهم: أمَّا أنت منطلقًا انطلقت،[٩] من مسائل العربية: هل يُنصب ظرف الزمان على المصدر؟[١٠]

---

١ هذا ما ذكره في مقالته التي حملت عنوان: محمَّد أحمد الدالي وجامع العلوم، وهي المنشورة على شبكة الألوكة بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠٢٠م. https://www.alukah.net/culture/0/139265/

٢ يمكن إدراك هذا بمجرَّد النظر إلى عناوين بحوثه اللغوية التي عُني بها، والتي أشرتُ إليها في ما سبق.

٣ كما في بحثيه عن: الاشتقاق، الحصائل ١/ ٢١٠ – ٢١٥، والإعراب، الحصائل، ١/ ٢١٧ – ٢٢٠.

٤ الحصائل، ١/ ١١.

٥ السابق، ١/ ١٩.

٦ السابق، ١/ ٣٦.

٧ السابق، ١/ ٥٣.

٨ السابق، ١/ ٦٣.

٩ السابق، ١/ ٨٩.

١٠ السابق، ١/ ١٠٢.

...إلخ، إذا نظرنا إليها تأكَّد صدقُ ما نذهب إليه من أنَّ البحث اللغوي عنده في مجمله ذو طابعٍ جزئي.

غير أنَّ الدالي في بحثه لمسائل العربية ذات الطابع الجزئي كان مَعْنيًّا في كلِّ مسألة يدرسها بالبحث عن الخيط الأوَّل الذي انبثقت منه هذه المسألة، مع جمع الأشباه والنظائر في سياقٍ واحد، فالمسألة التي يبحثها وإن بَدَتْ جزئيَّةً إلَّا أنَّه كان يَنْظمها في سياقها العامِّ الشامل؛ وعلى سبيل المثال في دراسته لمسألة (قولهم: لِيَهْنِك كذا)[1] نراه يبحث عن خيطها الأوَّل، وهو تنوُّع لغاتها؛ فيجد أنَّ فيها ثلاثَ لغاتٍ صحيحةٍ: ليَهْنِئْك وليَهْنِيك وليَهْنِك، ثمَّ يَسْلُك هذه اللغات ضمن إطارين عامَّين ينتظمانها؛ وهما تخفيف الهمزة وإبدالها، ثمَّ ينطلق من هذين الإطارين بحثًا وتحليلًا.

١- ٢ الاتِّساع في الاستشهاد

للدالي نَفَسٌ طويل في إيراد الشواهد، وصبرٌ عجيبٌ على تتبُّعها في مصادرها، وهذه القدرة الاستقرائيَّة الهائلة لشواهد العربية قد ميَّزت تجربته البحثيَّة، ولا شكَّ أنَّ براعته فيها هي من تَجلِّيات براعته في ميدان التحقيق وتوفُّره على أمَّات كتب التراث؛ ومن أمثلة ذلك أنَّه ذكر (٣٩) شاهدًا شعريًّا على مجيء الواو بمعنى (مع)،[2] وفي مسألة (هل لك في كذا وكذا) ذكر (٢٣) شاهدًا للوجه الأوَّل[3] من أوجه هذه المسألة، وذكر (٥) شواهد للوجه الثاني منها،[4] وشاهدًا واحدًا للوجه الثالث،[5] و(١٣) شاهدًا للوجه الرابع،[6] وذكر (٦) شواهد للوجه الخامس.[7] وهذا الأمر وإن أثقل بحث المسألة، إذ يمكن الاكتفاء بشاهد أو شاهدين، فإنَّه مفيدٌ في التيسير على الباحثين في جمع الشواهد المتناثرة في مكانٍ واحد، ولا سيَّما أنَّها شواهدُ من عصورٍ مختلفةٍ،

١ الحصائل، ١/ ١٩.
٢ في بحثه: الواو العاطفة التي بمعنى مع، الحصائل، ١/ ٣٦.
٣ وهو أن يدخل حرف الجرِّ (في) على اسم ذات، الحصائل، ١/ ١٢-١٣.
٤ وهو أن يدخل حرف الجرِّ (في) على مصدر صريح، الحصائل، ١/ ١٤.
٥ وهو أن يدخل حرف الجرِّ (في) على المصدر المؤوَّل من (أن) وصلتها، الحصائل، ١/ ١٤.
٦ وهو أن يحذف حرف الجرّ (في)، الحصائل، ١/ ١٤-١٥.
٧ وهو أن تقع (إلى) موقع (في). الحصائل ١/١٦.

وقد يأتي باحثٌ آخر فينظر في هذه الشواهد مجموعةً فيستقرئ منها ما لم يستقرئه الدالي، وقد يستنبط منها ما لم يستنبطه. والعمل الجمعي الحصري لهذه الشواهد مفيدٌ لمن يرتاد حقل الإحصاء أو الدرس الأسلوبي أو التطوُّر الدلالي أو ميدان المعاجم التاريخية، كما أنَّه مفيدٌ من جهة أنَّ مرحلة الدراية لا بدَّ أن تُسبَق بمرحلة الرواية، بل لا تستقي الدراية أفكارها إلَّا بالبناء على معطيات الرواية. قصارى القول: إنَّ هذا العمل الاستقرائي لا ينبغي أن ننظر إليه معزولًا عن جهده في تتبُّعه في بطون الكتب، وهو عمل شاقٌّ لا يعرفه إلَّا من مارسه.

وتتنوَّع شواهده لتشمل القرآن الكريم بقراءاته المختلفة والحديث النبويَّ والشعر وأقوال العرب النثرية. ويأتي الشعر في مقدِّمة هذه الشواهد من حيث الكثرة،[١] كما تتنوَّع شواهد الشعر لتشمل الشعراء الجاهليّين والمخضرمين والإسلاميّين. وقد احتجَّ ببعض الشعراء الذين هم خارج الحدِّ الزمني المقرَّر عند اللغويّين، وسيأتي تفسير هذا.

وتأتي أقوال العرب النثرية في المرتبة الثانية من حيث كثرةُ الاحتجاج بها،[٢] ثمَّ القرآن الكريم،[٣] ثمَّ الأحاديث النبويَّة.[٤]

وقد التزم بتوثيق شواهده توثيقًا تامًّا، وعَزْوِها إلى قائليها، وذِكْر رواياتها المختلفة، مستفيدًا في ذلك من آليّات التحقيق التي يجيدها. وفي القليل النادر كان يذكر الشاهد غير معزوٍّ إلى قائله؛ ومن ذلك قوله: "ومنه قول كوفي لصاحبه"،[٥] ولم يُحدِّد لنا هذا الكوفي، ومنه قوله: "وقول أعرابي لبعضهم"،[٦] دون أن يحدِّد لنا هذا الأعرابي. وممَّا تكرَّر مرارًا

١ ذكر في الحصائل ١٨٠ شاهدًا شعريًّا، وقد اقتصرتُ على الحصائل؛ لأنَّه يشتمل على بحوثه اللغوية مجموعةً، لذا فهو صالح لأن يكون مجالًا للإحصاء والتمثيل، وأن يكون عيّنة للدراسة، وقد ذكرتُ آنفًا أنَّ البحث اللغوي عنده لا يقتصر على بحوثه اللغوية التي جمعتْها دفّتا الحصائل، بل تمتدُّ لتشمل نظره اللغوي الواسع في حواشيه التي كان يصنعها على تحقيقاته لكتب التراث اللغوي.

٢ ذكر في الحصائل ٤٣ قولًا نثريًّا.

٣ ذكر في الحصائل ٢٦ آية قرآنيَّة.

٤ ذكر في الحصائل ٥ أحاديث: في مسألة (لِيَهْنِك) احتجَّ بثلاثة أحاديث، وفي مسألة (أكلوني البراغيث) احتجَّ بحديثين.

٥ الحصائل، ١/ ١٢.

٦ الحصائل، ١/ ١٢.

قوله: "قول الراجز"،[1] وقوله: "قول الشاعر"،[2] هكذا دون تعيين، والعذرُ ملتمَسٌ له؛ لأنَّ المصادر الأصليَّة لهذه الشواهد لم تذكر اسم القائل.[3]

١- ٣ السمة النقدية

يتَّسم البحث اللغوي عند الدالي بكثرة تعقُّباته للغويين قدماء ومُحْدَثين، وتَنوُّعِ مظاهر نقدِه لهم، والجُرأة في مناقشة آرائهم، ولا يكاد يخلو بحثٌ من بحوثه من نقد وردٍّ، وهذه التعقُّباتُ لكثرتها تَستحقُّ أن يُفْرَد لها بحثٌ مستقلٌّ.

ونظرةٌ سريعةٌ إلى هؤلاء اللغويين الذين تَعقَّبهم الدالي بالردِّ[4] تُبيِّن بوضوحٍ صدقَ ذلك:

من القدماء[5]	من الـمُحْدَثين[6]
سيبويه (ت ١٨٠هـ)[7]	محمَّد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م)[8]

١ على سبيل المثال: الحصائل، ١/ ١٢، ١/ ١٣، ١/ ١٩، ١/ ٧٢. ١/ ١٢-١٣، ١٩، ٧٢.

٢ على سبيل المثال: الحصائل، ١/ ٤٣، ١/٨٦، ١/٦٩، ١/٧١، ١/٩١، ١/٩٣، ١/١٠٧. ١/ ٤٣، ٨٦، ٦٩، ٧١، ٩١، ٩٣، ١٠٧.

٣ ذكر علماء النحو أنَّه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعْرَف قائله، وعلَّة ذلك الخوف من أن يكون لمولّد أو لمن لا يوثَق بفصاحته. نصَّ عليه ابن الأنباري في الإنصاف، ١/ ٢٨٢، ٢/ ٣٥٥، ٢/ ٣٧٣، ٢/ ٣٥٥، ٣٧٣، والسيوطي في الاقتراح، ١٢٣. ومدار الأمر على مَخْرج الرواية وصدق الرواة والثقة بهم. قال ابن الطيِّب الفاسي: الواجب كون الشاهد معروف الحال حال الاستشهاد به، وطرو الجهالة بقائله بعد ذلك لقصور الهمم لا يضرُّ في ثبوت ما ثبت به حال معرفته، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ١/ ٦٢٧. على أنَّ الدالي هاهنا لم يحتجَّ بهذه الشواهد غير المعروف أصحابها -على وجه الخصوص- لبناء آراء جديدة، بل كان يذكرها على جهة الاستطراد والاستئناس لا التأسيس والبناء.

٤ هذا المسرد للتمثيل لا للإحصاء؛ ولو ذهبنا مذهب الإحصاء لطال الأمر. ولذلك قلت: إنَّ النقد اللغوي عند الدالي ميدان فسيح، وهو حريٌّ ببحث مستقلٍّ.

٥ الأسماء مرتَّبة ترتيبًا زمنيًّا.

٦ الأسماء مرتَّبة ترتيبًا زمنيًّا.

٧ الحصائل، ١/ ٥٩.

٨ السابق، ١/ ٨١، ١/ ١٠٣ حاشية ٣.

من القدماء[٥]	من الـمُحْدَثين[٦]
يونس (ت ١٨٢هـ)[١]	عبَّاس حسن (ت ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)[٢]
الفَرَّاء (ت ٢٠٧هـ)[٣]	عبد الخالق عُضيمة (ت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م)[٤]
أبو عُبَيْدة (ت ٢١٠هـ)[٥]	رمضان عبد التوَّاب (ت ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م)[٦]
الأخفش (ت ٢١٥هـ)[٧]	خليل عمايرة (ت ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م)[٨]
ابن قُتَيْبة (ت ٢٧٦هـ)[٩]	يوسف الصيداوي (ت ١٢٤٢هـ = ٢٠٠٣م)[١٠]
الزَّجّاج (ت ٣١١هـ)[١١]	حسن الملخ[١٢]
ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[١٣]	شوقي المعرّي[١٤]
النحَّاس (ت ٣٣٨هـ)[١٥]	

١ الحصائل، ١/ ٧٦ حاشية ٥.
٢ السابق، ١/ ٨٠، ١/ ١٠٣، ١/ ١١١.
٣ السابق، ١/ ٧٦ حاشية ٥، و١/ ٧٩.
٤ السابق، ١/ ٧٣، حاشية ٢.
٥ السابق، ١/ ٧٩.
٦ السابق، ١/ ٨١، ١/ ٩٢.
٧ السابق، ١/ ٧٧ حاشية ١، و١/ ٧٩.
٨ السابق، ١/ ٨٢.
٩ السابق، ١/ ٥٩.
١٠ عقد الدالي دراسة كاملة لنقد كتاب الكَفَاف، ليوسف الصيداوي، وجعل لها عنوان جزاف الكَفَاف، وقد نُشرت أوّلًا في مجلّة الدراسات اللغوية بالرياض، مج ٢، العدد ٣، رجب - رمضان ١٤٢١هـ - أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٠م. ثـمَّ نُشرت ثانيًا في الحصائل، ٢/ ٣٧٢. وكتاب الكَفَاف صدر عن دار الفكر بدمشق ودار الفكر المعاصر ببيروت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١ الحصائل، ١/ ٧٦.
١٢ السابق، ١/ ٨١.
١٣ السابق، ١/ ٥٩.
١٤ كتب الدالي في نقده مقالة مطوَّلة بعنوان: (ما هكذا تُورَد يا سعد الإبل، وقول أبي العلاء المعرِّي: تَعَبٌ كلُّها الحياة، صحيح، وقول شفيق جبري شاعر الشام: عَلّمتم الناس... ما الجود، جزل فصيح - وقفة مع د. شوقي المعرّي في قول له خطَّأ فيه قولَ أبي العلاء، وضعَّف أسلوبَ شاعر الشام). وقد نُشرت هذه المقالة أوَّلًا في مجلَّة بُناة الأجيال بدمشق، العدد ٣٣، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠، ونُشرت ثانيًا في كتاب الحصائل، ٢/ ٣٦٠.
١٥ الحصائل، ١/ ٥٩، و١/ ٧٦ حاشية ٥، و١/ ٧٩.

من القدماء[٥]	من الـمُحْدَثين[٦]
ابن السّيرافي (ت ٣٦٨هـ)[١]	
أبو عليٍّ الفارسي (ت ٣٧٧هـ)[٢]	
ابن جِنّي (ت ٣٩٢هـ)[٣]	
ابن سِيدَه (ت ٤٥٨هـ)[٤]	
الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)[٥]	
ابن الشَّجَري (ت ٥٤٢هـ)[٦]	
الباقولي (ت ٥٤٣هـ)[٧]	
السُّهَيْلي (ت ٥٨١هـ)[٨]	
ابن حوط الله الحارثي (ت ٦١٢هـ)[٩]	
ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)[١٠]	
ابن الناظم (ت ٦٨٢هـ)[١١]	
الرَّضِي (ت ٦٨٦هـ)[١٢]	
ابن أبي الرَّبِيع (ت ٦٨٨هـ)[١٣]	

١ الحصائل، ١/ ٥٩.
٢ السابق، ١/ ٧٦ حاشية ٥، و١/ ١٠٢.
٣ السابق، ١/ ١٠٢، ١/ ١١٠.
٤ السابق، ١/ ٥٩.
٥ السابق، ١/ ٥٩، و١/ ٧٤ حاشية ١.
٦ السابق، ١/ ١٠٣.
٧ السابق، ١/ ١٠٣، و ١/، وكشف المشكلات، ٢/ ٦٩٤، حاشية ٣.
٨ السابق، ١/ ١٠٣.
٩ السابق، ١/ ٦٤- ٥٦، حاشية ٢.
١٠ السابق، ١/ ٤٥، ١/ ١٠٣. ١/ ٤٥، ١٠٣.
١١ السابق، ١/ ٤٥.
١٢ السابق، ١/ ٤٥.
١٣ السابق، ١/ ٦٤- ٥٦، حاشية ٢.

من القدماء[5]	من الـمُحْدَثين[6]
أبو حيَّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)[1]	
ابن كَيْكَلْدي العلائي (ت ٧٦١هـ)[2]	
ابن هشام (ت ٧٦١هـ)[3]	
ابن عَقِيل (ت ٧٦٩هـ)[4]	
بدر الدين العَيْني (ت ٨٥٥هـ)[5]	
خالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ)[6]	
السيوطي (ت ٩١١هـ)[7]	
الأشموني (ت٩٢٩هـ)[8]	
البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)[9]	

حتَّى إنَّ الرجل الذي نذر الدالي شطرًا كبيرًا من حياته لتحقيق تراثه اللغوي وهو الباقولي لم يَسْلَم من تعقُّبه ونقدِه ووصفه بالخطأ والسهو؛[10] ومن ذلك -على سبيل التمثيل- قوله تعالى: ﴿وَهَـٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢]؛ قال الباقولي: "(هذا) مبتدأ، و(بعلي) خبر، و(شيخًا) نصب على الحال، والعامل في الحال إمَّا معنى الإشارة التي دلَّت عليها (ذا)، أو معنى التنبيه الذي دلَّت عليه (ها). قال -أي الزجَّاج- وهذا من لطائف العربية. وإنَّما قال ذلك لأنَّ قوله: (شيخًا) ينوب عن قوله: (والدًا) أي: وهذا

١ الحصائل، ١/ ١٠٣.
٢ السابق، ١/ ٤٥.
٣ السابق، ١/ ٤٥، ١/ ١٠٣.
٤ السابق، ١/ ١٠٣.
٥ السابق، ١/ ١٠٣، حاشية ٣.
٦ السابق، ١/ ٤٥.
٧ السابق، ١/ ١٠٣.
٨ السابق، ١/ ٤٦.
٩ السابق، ١/ ٥٩، ١/ ١٠٢. ١/ ٥٩، ١٠٢.
١٠ كَثُر تَعقُّب الدالي للباقولي ونقده، وهذا مبثوث في الحواشي التي صنعها في تحقيق كتبه، وفي بحوثه اللغوية أيضًا، وهو موضوع - لتعدُّد جوانبه- يستحقُّ أن يُفْرَد ببحث مستقلٍّ.

بعلي والدًا".[١]

ثمَّ علَّق الدالي على ذلك في الحاشية قائلًا: سها الشيخ عن موضع لطف نصب الحال وغموضه في العربية، وما ذهب إليه من أنَّ قوله: (شيخًا) ينوب عن قوله: (والدًا) قولٌ غريبٌ لا معنى له. ومعنى الآية واضح؛ يقول تعالى على لسان زوج إبراهيم لمَّا بُشِّرت بإسحاق: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾. والمعنى ظاهرٌ غيرُ محتاجٍ إلى تأويل؛ عجبتْ من أن تلد وقد بلغتْ هي وزوجها السنَّ التي لا يلد مَنْ بَلَغَها من الرجال والنساء، فيكون الولد من مثلها ومثل بعلها على السنِّ التي هما بها شيئًا عجيبًا. وقد بيَّن الزجَّاج موضع اللطف والغموض في نصب الحال هنا؛ قال: "الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو وغامِضه؛ وذلك أنَّك إذا قلت: هذا زيد قائمًا، فإن كنت تقصد أن تُخبر من لم يعرف زيدًا أنَّه زيد لم يجز أن تقول: هذا زيد قائمًا؛ لأنَّه يكون زيدًا مادام قائمًا، فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنَّما تقول للذي يعرف زيدًا: هذا زيد قائمًا، فيعمل في الحال التنبيهُ، والمعنى: انتبه لزيدٍ في حال قيامه، أو أشير إلى زيدٍ في حال قيامه؛ لأنَّ (هذا) إشارةٌ إلى ما حضر".[٢]

وتتَّسم نقودُ الدالي وتعقُّباتُه بالطابع الجزئي؛[٣] إذ وُجِّهتْ إلى بعض المسائل اللغوية الفرعية، ولم أرَ له نقدًا متكاملًا إلَّا لكتاب يوسف الصيداوي (الكَفاف).[٤] وهذا الطابع الجزئي راجعٌ إلى الصبغة العامَّة التي تصبغ تجربته البحثيَّة؛ وهي النظرة الجزئيَّة لمسائل العربية، بعيدًا عن الاهتمام بظواهرها.

كما تتَّسم نقوده بكثرة الشواهد التي يسوقها لتأييد رأيه، ونلاحظ على طريقة

١ كشف المشكلات، ٢/ ٦٩٣- ٦٩٤.

٢ كشف المشكلات، ٢/ ٦٩٤، حاشية ٣. وهناك نقودٌ أخرى تعقَّب بها الدالي الباقولي في بحثه: جولة جامع العلوم الأصبهاني الباقولي مع أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٤، ج٣، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، وهو منشور في الحصائل، ١/ ١١٩.

٣ جَدَى المسائل الجزئيَّة درسًا ونقدًا محدود الفائدة، والجدل العلمي المنتج حقًّا هو الذي يتجاوز حدود الجزئيَّات إلى الكليَّات، وأكثر منه نفعًا وأثرًا ما يتجاوزهما إلى حَقْل البَيْنيّات.

٤ الحصائل، ٢/ ٣٧٢.

سرد هذه الشواهد افتقادَها إلى نظامٍ تُرتَّب وَفْقَه ومنهجٍ يضبطها، كما أنَّ آراء بعض من نقدهم كانت لها اعتباراتُها الصحيحة وأدلَّتها القويَّة، والقارئ لآراء الدالي عليه أن ينتبَّه إلى أنَّ تعقُّبه لرأيٍ ما لا يعني تخطئتَه، وإن صرَّح الدالي بالتخطئة، بل إنَّ بعض تعقُّباته لم تكن صحيحةً، وسيأتي بيان ذلك.

وتَسلُّح الدالي بآليّات التحقيق قد ساعده على مراجعة نسبة الأقوال لأصحابها، ونقد من يعزوها خطأً إلى غير أصحابها؛ ومن ذلك قوله: "ذهب الخليل والمبرِّد وأكثر النحويين إلى أنَّ الجارَّ إذا حُذف قبل (أنْ) و(أنَّ) - كما في: جئتُك أنَّك تحبُّ المعروف، والتقدير: لأنَّك تحبُّ المعروف- فإنَّ المصدر المؤوَّل منهما ومن صلتيهما في موضع النصب. وذهب الكسائي وغيره إلى أنَّه باقٍ على جرِّه. والظاهر أنَّ سيبويه يميل إلى هذا القول. وقد غلط كثيرٌ من النحويين فعَزَوْا إلى الخليل قول الكسائي ومن وافقه، وعَزَوْا إلى سيبويه قول الخليل، فقد قال سيبويه[١] عقيب ما ذكره ممَّا حُذف فيه الجارُّ قبل (أنَّ) وتأوله الخليل على النصب: "ولو قال إنسان: إنَّ (أنَّ) في موضع جرٍّ في هذه الأشياء، ولكنَّه حرفٌ كثر استعمالُه في كلامهم، فجاز حذف الجارِّ فيه... لكان قولًا قويًّا... والأوَّل قول الخليل".[٢]

ومن ذلك أنَّ بعض النحاة[٣] عزا إلى عبد القاهر الجرجاني أنَّه يرى أنَّ العامل في المفعول معه هو الواو من غير قيد.[٤] وهذا الفهم مبنيٌّ على عدم تتبُّع رأي الجرجاني في مصنَّفاته وتحريره؛ إذ إنَّه قيَّد ذلك بتقدُّم الفعل؛ ومن ذلك قوله: "ولا تَنْصِب الواو بمعنى (مع) إلَّا وقبلها فعل".[٥] وقوله: "والواو لا عمل لها، وإنَّما يعمل الفعل بإعانتها له النصب".[٦] ولا ريب أنَّ الدالي قد أفاد القدرة على تحرير الأقوال وتتبُّعها

١ الكتاب، ١/ ٤٦٤- ٤٦٥.

٢ الحصائل، ١/ ١٧- ١٨.

٣ ومنهم: ابن مالك في التسهيل، ٩٩، وابنه في شرح ابن الناظم، ٢٨١، والرضي في شرح الكافية، ١/ ١٩٥، وابن هشام في أوضح المسالك، ٢/ ٢٤٣، وخالد الأزهري في شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٣٤٤، والأشموني في شرحه على الألفيَّة، ٢/ ١٣٥.

٤ فهموا ذلك من كلامه في أسرار البلاغة، ١٥٩، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٥.

٥ الجمل، ٢٠.

٦ المقتصد، ١/ ٦٦٠. وينظر دلائل الإعجاز، ٦.

من مصادرها وعَزْوها إلى أصحابها -من ميدان التحقيق الذي برع فيه.

١- ٤ المراجعة العلمية

نلمح سمةً أخرى من سمات التجربة البحثيَّة للدالي؛ وهي المراجعة العلمية المستمرَّة لما يكتب إمَّا بالزيادة وإمَّا بالتعديل؛ ومن ذلك قوله في مسألة (لأيًا فعلت كذا):[١] "والذي يقطع بأنَّه نُصِب على الظرفيَّة -أي: لفظ لأيًا- قول ذي الرُّمَّة: تَنُوءُ بأُخْراها فَلَأْيًا قيامُها... قال شارح الديوان: أي: بعد بطء قيامها؛ فـ (قيامها) مبتدأ، ولأيًا ظرفٌ منصوبٌ متعلِّق بالخبر المحذوف". ذكر ذلك حين نشر بحثه المعنون بـ (من كلام العرب قولهم: لأيًا فعلتُ كذا) في مجلَّة جامعة دمشق عام ١٩٩٣م.[٢] ولمَّا ضمَّن هذا البحث كتابَه الحصائل المنشور عام ٢٠١١م ذكر في الحاشية هذا التعليق: "ثمَّ رأيتُ في أيَّار ٢٠٠٨ الإمام المرزوقي قد ذهب إلى أنَّ (لأيًا) انتصابُه انتصابُ الظروف في شرحه للمفضَّليَّات، في ما نقله عنه التبريزي في شرح اختيارات المفضَّل".[٣]

ومن مظاهر مراجعاته العلميَّة أيضًا: ما ذكره في معرض بيان استدراكات الباقولي على أبي عليٍّ الفارسي؛ قال: "وله في الاستدراك عليه كتاب ذكره باسم (الاستدراك على أبي عليٍّ) في الجواهر، ومواضع من كشف المشكلات وسمَّاه (المستدرك) في موضعين من كشف المشكلات، ولم ينته إلينا". ثمَّ علَّق في الحاشية بقوله: "ثمَّ وقفنا عليه وحقَّقناه، وطُبع بالكويت عام ٢٠٠٧م".[٤] والكتاب المذكور هو كتاب (الاستدراك على أبي عليٍّ في الحُجَّة)، نشرته مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، الكويت، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

ومن ذلك ما ذكره في معرض سرد مصنَّفات الباقولي؛ حيث قال: "صنَّف كتبًا كثيرةً في فنونٍ شتَّى، لم ينته إلينا منها إلَّا ثلاثة كتبٍ؛ وهي: كشف المشكلات

١ الحصائل، ١/ ٦٠.

٢ مج ٩، العددان ٣٥ و ٣٦.

٣ الحصائل، ١/ ٦٠، حاشية ١.

٤ السابق، ١/ ١٢١، مع حاشية ٥ في الصفحة نفسها.

وإيضاح المعضلات، وشرح اللمع، والجواهر". ذكر ذلك في الدراسة التي حَمَلتْ عنوان (جولة جامع العلوم الأصبهاني الباقولي مع أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة)، وهي منشورةٌ في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلَّد ٦٤، الجزء ٣، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م. ثمَّ أعاد نشرَها في الحصائل ١/ ١١٩، وعلَّق على هذه الفقرة في الحاشية قائلًا: "ثمَّ وقفنا على غيرها من كتبه ورسائله، انظر مقدِّمة تحقيقنا لكتابيه الاستدراك والإبانة".[١]

ومن ذلك تعليقُه على إحدى عبارات الباقولي في تحقيقه لكتاب (ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل)، وكان قد نشره في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٩م؛[٢] قال الباقولي: "وقيل: سِنِمَّار هو الذي بنى شُنيفا ومارِدًا بتيماء، فقتله عادياء اليهودي"، فعلَّق عليه في الحاشية بقوله: "لم أجد هذا القول".[٣] وحين أعاد نشر هذا التحقيق في كتاب الحصائل، علَّق على عبارة الباقولي في الحاشية قائلًا: "لم أجد هذا القول. ثمَّ وجدته في المنمَّق ٢٧٨، دلَّني عليه الأخ الصديق محمَّد أجمل أيُّوب الإصلاحي في رسالته المؤرَّخة بتاريخ ١ محرَّم ١٤٢٢هـ = ٢٥ آذار ٢٠٠١م".[٤]

ونلمح ممَّا سبق دقَّة توثيق الدالي لتواريخ هذه الفوائد التي يفيدها، وهو لا يأنف من ذكر اسم من أفاده، ولو كان من طلَّابه أو أقرانه.

ومن مراجعاته: ما ذكره أيمن أحمد ذو الغنى؛ قال: "ثمَّ وقف الأستاذ بعدُ على نسخٍ خطِّيَّةٍ لم يكن أصابها من قبلُ -أي: نسخةٍ خطِّيَّةٍ جديدةٍ من كتاب كشف المشكلات للباقولي- فيها زياداتٌ مهمَّةٌ وفوائدُ نافعةٌ، وقد هيَّأ الكتابَ لنشرةٍ جديدة مَزيدةٍ ومنقَّحة باعتماد تلك الأصول، يسَّر الله صدورَه قريبًا".[٥] ولا أعرف شيئًا عن هذه النشرة الجديدة. وعمومًا فإنَّ مراجعاتِه تستحقُّ أن يُفْرد لها دراسةٌ مستقلَّة.

---

١ الحصائل، ١/ ١١٩، حاشية ٣ من الصفحة نفسها.

٢ ج١، مج٧٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣ ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل، ٥٦، حاشية ١١٧.

٤ الحصائل، ٣/ ٢٩٤.

٥ ذكر ذلك في مقالة له على شبكة الألوكة بعنوان: محمَّد أحمد الدالي وجامع العلوم، منشورة بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠٢٠م. /https://www.alukah.net/culture/0/139265

١- ٥ سمات أخرى

يمكن أن نرصد بعض السمات الأخرى التي تتَّصف بها تجربته البحثيَّة، ومنها: الإتقان والنظام والوفاء: أمَّا الإتقان فلاتِّصال الدالي بكتب التراث اتِّصالًا وثيقًا، وامتدادِ هذا الاتِّصال حتَّى وفاته رحمه الله. والاتِّصالُ بكتب التراث يعلِّم الإتقان، وينشئ باحثين فيهم من صفات القوَّة والرجولة ما يشهد بها من عرفَهم. والقارئ لأبحاثه أو تحقيقاته يجد فيها من نَفَس القدماء ونَظَرِهم، ولو أنَّ قارئًا اطَّلع على أبحاثه اللغوية ولم يرَ اسمه لظنَّ أنَّ ما يقرؤه أحدُ المصنَّفات التراثيَّة العتيقة.

ولِطُول صُحْبته للباقولي تجد فيه من نَفَسه وإتقانه وأسلوبه في لونٍ من ألوان التماهي العجيب؛ حتَّى إنَّه ليخيَّل لك وأنت تقرأ له أنَّ الذي يتحدَّث هو الباقولي؛ فإذا قال الباقولي: "وهو كما أعلمتُك"،[١] و"فما بالُك إذا قرأت"،[٢] و"هذا هو الصحيح كما أنبأتُك"[٣] - قال الدالي: "هذا لعمري معنى الكلام"،[٤] و"هذا ما انتهيتُ إليه"،[٥] و"عسى أن أكون قد أصبتُ".[٦]

ومن مظاهر هذا التأثُّر أنَّه سمَّى أحد أبحاثه على غرار تسمية الباقولي لأحد مصنَّفاته، وهو البحث الذي يحمل عنوان (جولة جامع العلوم الأصبهاني الباقولي مع أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة)؛[٧] وقد ذكر الدالي سببَ هذه التسمية فقال: "لأنِّي رأيتُ جامعَ العلوم في نقده لأبي الفتح عثمان بن جنِّي يقول: فهذا جولةٌ مع عثمان في المحتسَب".[٨]

١ ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل، ٣٨.

٢ السابق، ٤١.

٣ كشف المشكلات، ٢/ ٧٦٤.

٤ الحصائل، ١/ ١١٢.

٥ السابق، ١/ ١١٢.

٦ السابق، ١/ ١١٢.

٧ نشر في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٤، ج ٣، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م. وضمنه كتابَ الحصائل، ١/ ١١٩.

٨ الحصائل، ١/ ١٢٢، وقول جامع العلوم ورد في كشف المشكلات، ٢/ ١٢٥٨.

ونقل أيمن أحمد ذو الغنى عن شيخه الدالي قوله: "وقد أثمرتْ صُحْبتي الطويلةُ لآثار الجامع القرآنيَّة أنْ خرجتُ بتفسيرٍ تامٍّ لكتاب الله تعالى، جمعتُ فيه ما حرَّرتُ من مسائل العربية في القرآن، وما أدَّاه إليَّ طولُ النظر والتفكُّر فيه، وبعضُ هذه المسائل والنظرات والتقييدات والتحريرات، ممَّا لم أُسبَق إليه بفضل الله تعالى، وعسى أن يُعينَ سبحانه على إتمام هذا التفسير اللغوي البلاغي لكتاب الله، على النحو الذي يحبُّ ربُّنا ويرضى".[١]

وأمَّا النِّظام فلاتِّصاله بميدان التحقيق، وهو ميدان يُعلِّم النظام منذ البدء في رحلة البحث عن النُّسَخ المخطوطة، ثمَّ ترتيبِها على حسب أهميتها، مرورًا بإقامة النص، ثم التوثيق، وانتهاءً بالفهرسة.

وأمَّا الوفاء، فالدالي - كما عرفتُه وجلستُ بين يديه[٢] وقرأتُ له- هو جنديٌّ مخلصٌ من جنود العربية، وليس مجرَّدَ أكاديميٍّ مشغولٍ بأمور التدريس، بل كان يمور صدره بهموم العربية، والذي يتتبَّع معالم مشروعه يدرك بوضوح أنَّ الرجل كان يحمل بين جنبيه رسالةً ساميةً نحو العربية: ماضيها وحاضرِها ومستقبلها، دليل ذلك أنَّ اهتمامه التصنيفي لم يقتصر فحسب على التحقيق والبحث، بل امتدَّ إلى المطالبة بتمكين العربية في المجتمع العربي، والتنبيهِ على خطورة وسائل الإعلام في ذلك المنحى، كما تبدو هذه الرسالة في دعوته لاستثمار آفاق الاشتقاق، واستشرافه لآفاق المصطلح والمعجم.

١ ذكر ذلك في صفحته على الفيسبوك بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٢١م، بعنوان: شذرات دالية، أيمن أحمد ذو الغنى، بتاريخ ٢٩/١١/ ٢٠٢١م.

https://www.facebook.com/azoulghina/posts/10226795119934861?__cft__[0]=AZXGx6vyA6KHcda6xjUjny-buTXBwTxymx4FxHxcN6SMxuWG7NHK9J6goOgh4fYr593XuQEEyhEcGQvGg3M2lucaSHidJoItOZ0HoPmqSX-V5ZECztr5ttYQCidZPZRF404WI&__tn__=%2CO%2CP-R

٢ حدث ذلك عدَّة مرَّات في الكويت، في ديوانية الشيخ علي الصُّباح، وهي ملتقى علميٌّ خصيب يجمع عددًا من المختصِّين في علوم العربية، وقد رأيتُ منهم: د. محمَّد عبد المجيد الطويل، ود. محمَّد حسَّان الطيَّان، ود. عدنان غزال، ود.عبد الرحمن الحقَّان، والباحثين وائل الرومي، ومحمَّد الزمامي، وآخرين ممَّن نَدَّتْ عن الذاكرة أسماؤهم.

والذي يقرأ مثل هذه العناوين -التي أذكرها على وجه التمثيل لا الحصر-[١] يستبين له بوضوحٍ تلك الرسالة السامية التي كان يحملها نحو العربية:

* المصحِّح في صحافتنا الأدبية.[٢]

* في وسائل الإعلام، ثقافة كُتَّابها ولغتهم.[٣]

* في الطريق إلى مصطلحٍ علميٍّ عربيٍّ موحَّد.[٤]

* معجمات الموضوعات المفردة في القرآن الكريم.[٥]

* اللغة العربية بيت الفصحى والعامِّيَّة.[٦]

وممَّا يلحق بالوفاء طابع الغَيْرة على العربية، والأدلَّة على ذلك كثيرةٌ، وأكتفي بذكر عبارة قالها في مَعْرض ردِّه على شوقي المعرِّي:[٧] "ولولا ذلك كلُّه، وأنَّ ترك الذِّياد عن العربية وغياب النقد العلمي أو قِلَّته ممَّا جَرَّأ من اجترأ من دكاتير الجامعات وغيرهم ممَّن تَصدَّروا قبل الأوان، وتَزبَّبوا وهم حِصْرِم، فقالوا في العلم بظنِّهم، وحكموا بلا بَيِّنة ولا برهان = لم أتكلَّف كتابةَ هذه الكُلَيْمات في قولٍ صحيحٍ عابه الدكتور، وقولٍ فصيحٍ مستعملٍ حكم الدكتور بضعفه وقلَّة استعماله".[٨]

١ مرتَّبة زمنيًّا.

٢ جريدة الثورة، عدد ٤٩٠١، بتاريخ ١٧/ ٢ / ١٩٧٩م.

٣ شارك به في ندوة اللغة العربية والإعلام التي عقدها المجمع العلمي بدمشق من ٢١ - ٢٣ / ١١/ ١٩٩٨م. وهو مضمَّن في الحصائل، ١/ ١٥٦.

٤ شارك به في ندوة إقرار منهجيَّة موحَّدة لوضع المصطلح العلمي وسبل توحيده، التي عقدها اتِّحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بمجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٥ إلى ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٩م. وهو مضمَّن في الحصائل، ١/ ١٧٠.

٥ شارك به في ندوة قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢م.

٦ شارك به في ندوة مركز تعريب العلوم الصحِّيَّة (أكمل)، في الكويت، ٩/ ٥ / ٢٠٠٤م.

٧ جاء ذلك في ردِّهِ المعنون بـ (وقفة مع د. شوقي المعرِّي في قول له خَطَّأ فيه قولَ أبي العلاء، وضعَّف أسلوبَ شاعر الشام)، وهو منشور في مجلَّة بناة الأجيال، دمشق، عدد ٣٣، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م. وأعاد نشره في الحصائل، ٢/ ٣٦٠. وشاعر الشام المذكور هنا هو الشاعر شفيق جبري (ت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م).

٨ الحصائل، ٢/ ٣٦١.

ويتجاوز طابعُ التميُّز الذي اختاره في أعماله البحثيَّة والتحقيقيَّة إلى التميُّز في اختيار المجلَّات البحثيَّة الرائدة في العالم العربي لينشر فيها أعماله، ولعلَّنا نرصد منها:

* مجلَّة جامعة دمشق.
* مجلَّة الدراسات اللغوية بالرياض.
* مجلَّة المجمع العلمي ببغداد.
* مجلَّة المجمع العلمي بدمشق.
* مجلَّة مجمع اللغة العربية بعَمَّان.
* مجلَّة معهد المخطوطات العربية.

-٢-

٢- ميادين البحث اللغوي عند الدالي

شملت ميادين البحث اللغوي عند الدالي: الأصوات والصرف والنحو والبلاغة والدلالة، والناظر إلى عناوين بحوثه التي ضمَّنها كتابه الحصائل[١] يدرك أنَّ النحو يأتي في المرتبة الأولى من هذه الميادين من حيث عدد الأبحاث، وله بحثٌ واحدٌ صرفيٌّ وهو (الاشتقاق)، وبحثٌ واحدٌ له علقة بميدان الأصوات وهو (الهمزة والألف) وتتخلَّله بعض قضايا الصرف والرسم الإملائي.[٢] وليست له أبحاثٌ تمحَّضت لميدانَي البلاغة والدلالة، بيد أنَّ قضاياهما متناثرةٌ عبر البحوث النحوية في مظهر جليّ من مظاهر تآخذ علوم العربية؛ كما في حديثه عن: الصُّوَر اللغوية لعبارة (هل لك في كذاٍ وكذا)،[٣] والصُّوَر اللغوية لعبارة

١ أشرتُ إلى ذلك في مدخل هذا البحث.

٢ وهناك مسائل صوتيَّة أخرى متناثرة ضمن بحوثه أو حواشيه على تحقيقاته؛ كهمز الواو الساكنة، الحصائل، ٣/ ٢٧٦، و٣/ ٢٧٧)، والإشباع، الحصائل، ٣/ ٢٧٨، و٣/ ٢٨١، و٣/ ٢٨٨)، وتخفيف الهمزة، الحصائل، ٣/ ٢٩٠.

٣ الحصائل، ١/ ١١- ١٢.

(لأيًا فعلتُ كذا)،[1] وكما في حديثه عن: التشبيه،[2] والاعتراض،[3] وهمزة التقرير،[4] وهمزة الإنكار الإبطالي،[5] وهمزة التعجُّب،[6] والاستفهام المحض على النفي،[7] والالتفات.[8]

كما أنَّ حواشيه التي كان يصنعها على تحقيقاته مملوءةٌ بمسائل الأصوات والصرف والنحو والبلاغة والدلالة.

إذن يأتي النحو في المرتبة الأولى من اهتماماته من حيث عددُ الأبحاث، وقد لاحظتُ أنَّ ميدان النحو عنده يتوزَّعه حقلان رئيسان، هما: النقد اللغوي والتصويب اللغوي.

٢-١- أ- النقد اللغوي وملاحظي عليه

ذكرتُ في ما سبق أنَّ النقد اللغوي عند الدالي يمثِّل سمةً واضحةً من سمات تجربته البحثيَّة، وأنَّه يتَّسم بالجزئيَّة والاتِّساع، وأنَّ كثيرًا من اللغويين قديمًا وحديثًا قد نالهم نصيبٌ من تعقُّباته.

والمتابعة العلمية بالنقد والتمحيص لجهود العلماء أمرٌ له أثره الحميد في حيويَّة العلم ودفعه إلى الأمام، وهو بابٌ خصيبٌ من أبواب تقويم المعرفة، وتكاد تكون هذه السُّنَّة الحَسَنة -وهي الحِسْبة العلمية- مفقودةٌ في دراساتنا المعاصرة؛ فقد غاب حُماة الثُّغور الواقفون على أبواب العلم، الذين يقرؤون وينقدون، وخَلَفَ من بعدهم الخوَّارون، فتلبَّث اللفظُ وأحجم المعنى، وكان عاقبة ذلك أن تصدَّر المشهدَ العلمي الأنصافُ والأثلاثُ والأرباع.[9] "وإذا كانت المراجعة واجبةً لما تُخرجه قرائحُ العلماء

١ الحصائل، ١/ ٥٣.
٢ السابق، ١/ ٣٧، ١/ ٣٨، ١/ ٤٨، ١/ ١٠٦. ١/ ٣٧-٣٨، ٤٨، ١٠٦.
٣ السابق، ١/ ٤٨.
٤ السابق، ١/ ١٠٥.
٥ السابق، ١/ ١٠٥.
٦ السابق، ١/ ١٠٧.
٧ السابق، ١/ ١٠٨.
٨ السابق، ٣/ ٢٩٠.
٩ رضي الله عن الفاروق؛ كان من دعائه: اللهم إنّي أعوذ بك من جَلَد الفاجر، وعَجْز الثِّقَة.

المجتهدين، فإنَّها -بقياس الأولى- أوجبُ في زمان يكابد فيه العلمُ من الأسقام ما يستعصي تشخيصُه، ويعزُّ على المتطبِّبين دواؤُه".[١]

وتبنِّي رأيٍ ما أمرٌ محمود في ذاته، لكنَّ غيرَ المحمود هو تخطئة الآراء الأخرى التي لها أدلَّةٌ صحيحةٌ، والشَّرَك الذي يقع فيه كثير من اللغويين[٢] في ميدان النقد اللغوي هو الانطلاق من زاوية بحثيَّة معينَّة تُسْلِمهم إلى تبنِّي رأيٍ ما، واقتران هذا بمصادرة الآراء الأخرى دون الالتفات إلى اختلاف الزاوية البحثيَّة التي انطلق منها أصحابُها وأسلمتهم إلى تَبنِّي ما ارتأوه.

إنَّ بعض نقوده التي وجَّهها للعلماء كانت تنطلق من زاويةٍ بحثيَّةٍ غير الزاوية البحثيَّة التي انطلق منها هؤلاء العلماء، واختلافُ زاوية البحث ليس مُسوِّغًا للنقد، نعم تصحُّ التخطئة إذا اتَّحدت زاوية النظر، واتَّفقت نقطة الانطلاق، فإنَّ اختلاف النتائج حينئذٍ يستحقُّ النظر. ومن نماذج ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٢]؛ فقد خطَّأ الدالي العلماءَ الذين حملوها على لغة (أكلوني البراغيث)، وانطلق في ذلك من كون الواو عاطفة،[٣] وعليه فإنَّه يرى أنَّ الضمير في (أسرُّوا) يعود إلى (الناس) التي تَقدَّم ذِكْرُها في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾... ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى﴾ [الأنبياء: ١-٢]، وعلى هذا تُعْرَب (الذين) بدلًا من الضمير، وقد أُتِيَ به للتبيين.[٤] غير أنَّ تخطئته لمن حمل الآية على لغة (أكلوني البراغيث) لا تصحُّ؛ لأنَّ

١ في اللسانيَّات العربية المعاصرة دراسات ومُثاقفات، لسعد مصلوح، ١٢. وفي ختام نقد الدالي لكَفاف الصيداوي قال: وأجدني أردِّد قول الأستاذ الجليل الدكتور سعد مصلوح في كلام له: ولا بدَّ من إحياء وظيفة الحسبة الإسلامية في مجال العلم والمعرفة لحماية العقول؛ وذلك لأنَّ حماية العقل هي من مقاصد الإسلام بإجماع أهل الأصول. الحصائل، ٢/ ٤٣٠.

٢ من القدماء والمحدثين. وكثيرًا ما أقول لطلَّابي: انتبهوا عند اختلاف الآراء، فإنَّ التخطئة لا تصحُّ إذا اختلفت زوايا البحث، وتنوَّعت نقاط الانطلاق، إيَّاكم أن تنظروا إلى النتائج معزولة عن المقدِّمات التي أفرزتْها.

٣ الحصائل، ١/ ٧٦.

٤ هذا الرأي قال به من القدماء: سيبويه، الكتاب، ١/ ٢٣٦، وأبو حاتم، المذكَّر والمؤنَّث، ١٩٥، والفرَّاء، معاني القرآن، ٢/ ١٩٨، والنحَّاس، إعراب القرآن، ٣/ ٦٣، والزمخشري، الكشَّاف، ٢/ ٥٦٢، والطباطبائي في: الميزان، ١٤/ ٢٥١. وقد أشار الدالي إلى ذلك في الحصائل، ١/ ٧٦. ومن المحدثين: عبَّاس حسن، النحو الوافي، ٢/ ٧٤، ومحيي الدين عبد الحميد، في أصول اللغة، ٢/ ٢٠٩، ورمضان عبد التوَّاب، بحوث ومقالات في اللغة، ٧٠، وحسن الملخ، نظريَّة الأصل والفرع في النحو العربي، ١٤٦، وخليل عمايرة، آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، ٣٩. وقد أشار الدالي إلى ذلك في الحصائل، ١/ ٨٠.

الذين حملوها على هذه اللغة انطلقوا من كون الواو للاستئناف، وعليه فإنَّ الكلام مقطوعٌ عمَّا قبله، واستدلالهم هذا مُتَّجِه، لانطلاقه من زاويةٍ بحثيَّةٍ صحيحة.

ومثل ذلك تَخْطئتُه لمن حمل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] في قراءة حمزة والكسائي،[١] وقوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ [مريم: ٨٧] – فقد خطَّأ من حمل هذه الآيات على لغة (أكلوني البراغيث)، وهو تعقُّبٌ لا يصحُّ؛ لاختلاف زاوية النظر في هذه الآيات من رأي إلى آخر.

وتضمَّنتْ بعضُ نقوده إيراداتٍ غيرَ صحيحة؛ ومن ذلك ما احْتَجَّ به لنفي وقوع لغة (أكلوني البراغيث) في ما احتجَّ به العلماء من آيات وأحاديث؛ حيث قال: "ويلزم من أجاز تأويل بعض الآي والأحاديث على هذه اللغة أن يُجيز القياس عليها في سعة الكلام".[٢] وهذا إلزامٌ غيرُ صحيحٍ بل فيه تحكُّم، قصارى الأمر أنَّ النحاة فسَّروا هذه الصيغ على هذه اللغة من باب البحث لها عن تأويلٍ تُوَجَّه من خلاله، ولغة (أكلوني البراغيث) لغةٌ فصيحةٌ نطق بها من يُحتجُّ بلغته، وصنيع النحاة هذا لا يعني الإلزامَ بتداولها، كما أنَّ عدم تفسير هذه النصوص على هذه اللغة لا يعني إنكارَها. ولو ذهبنا نُطبِّق هذا الإلزام لأهدرنا لغات القبائل الواردة في النصوص المحتجِّ به، وعلى سبيل المثال لغة (لزوم المثنَّى الألف) التي وُجِّه بها قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]،[٣] ليس معنى توجيه النحاة الآية على هذه اللغة – أنَّهم يوجبون على جمهرة أبناء العربية التزامَها تحدُّثًا وكتابة، وإنَّما هم فحسب يبحثون لها عن مخرجٍ لغويٍّ صحيح.

ومن نقوده ما كان مبنيًّا على خلط في تنزيل أقوال النحاة؛ ومن ذلك قوله في مسألة (لأيًا فعلتُ كذا): "واختلفوا في جهة انتصاب قولهم: (لأيًا): فقيل: نُصب

١ السبعة، ٣٧٩.

٢ الحصائل، ١/ ٧٩.

٣ وهي قراءة أبي جعفر وابن عامر ونافع وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم، السبعة، ٤١٩، والبحر، ٦/ ٢٥٥، وينظر مصادر أخرى في معجم القراءات للخطيب، ٥/ ٤٤٩. ولهذه القراءة توجيهات أخرى تنظر في البحر، ٦/ ٢٥٥.

على المصدر بالعامل المذكور... وقيل: نُصب بنزع الخافض... وقيل: هو مصدرٌ في موضع الحال... والصحيح من القول في ذلك أنَّهم نَصبوا (لأيًا) نصب الظروف من الزمان... والذي يقطع بأنَّه نُصب على الظرفيَّة قول ذي الرُّمَّة: تَنُوء بأُخْراها فلأيًا قيامُها... قال شارح الديوان: أي: بعد بطء قيامها؛ فـ (قيامها) مبتدأ و(لأيًا) ظرفٌ منصوب متعلِّق بالخبر المحذوف، والقول بانتصابِه على غير هذا الوجه: الحال أو نزع الخافض أو المصدر فاسد".[١] والخلط هنا ناتجٌ من كون (لأيًا) في بيت ذي الرُّمَّة قد وردتْ في سياق جملةٍ اسميَّة، أمَّا إعراب النحاة الذي خطَّأه الدالي فكان لشواهد أتتْ فيها (لأيًا) في سياق جملةٍ فعليَّة؛ وإعرابهم لها على المصدريَّة أو الحالية أو النصب بنزع الخافض صحيحٌ مُتَّجِه في هذه الشواهد. ومن العجيب أنَّه قد ساق (٤٠) شاهدًا[٢] وردت فيها (لأيًا) في سياق جملةٍ فعلية، وهي الشواهد التي نظر فيها النحاة.[٣]

ومن نقوده ما كان مبنيًّا على فهمٍ غير صحيحٍ لما يعترض عليه؛ ومن ذلك نقده للباقولي في توجيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٣١]؛ حيث قال الباقولي: "إن شئت كانت التاء للخطاب -أي: في قوله تعالى: (تَحُلُّ)- على تقدير: أو تَحُلّ أنت يا محمَّد قريبًا من دارهم، وإن شئت كانت التاء للتأنيث؛ أعني تأنيث (قارعة)؛ أي: أو قارعة تَحُلُّ قريبًا من دارهم؛ أي: قارعة حالَّة قريبًا من دارهم".[٤]

ثمَّ علَّق في الحاشية قائلًا: "هذا قولٌ متكلَّفٌ نقله عنه أبو البركات في البيان غير مصرِّح بنقله عنه، وهو قولٌ لا يصحُّ، ولا حاجة إلى إضمار (قارعة)، وقد تقدَّم ذكرُها، وعاد عليها الضمير في تَحُلُّ".[٥]

١ الحصائل، ١/ ٥٩ - ٦٠.

٢ السابق، ١/ ٥٣ - ٥٩.

٣ ومن هؤلاء النحاة: سيبويه والنحَّاس وابن السيرافي وابن قتيبة وابن الأنباري والزمخشري وابن سيده والبغدادي، ينظر: الكتاب، ١/ ١٨٦، وشرح القصائد التسع، ٣٠٣، وشرح أبيات سيبويه، ٢/ ٥٦، وغريب الحديث، لابن قتيبة، ٢/ ٤٧٤، وشرح المفضليَّات، ٨٠١، والفائق، ٢/ ٣٢، والمخصَّص، ١٤/ ٢٢٦، والخزانة، ١/ ٤٢٩.

٤ كشف المشكلات، ١/ ٦٣٤.

٥ السابق، ١/ ٦٣٤، حاشية ٥.

وقد فهم الدالي من توجيه الباقولي للآية أنَّه توجيه إعراب، والصواب أنَّه توجيهُ معنًى، فذِكْرُه للضمير هنا هو من باب تفسير المعنى لا تفسير الإعراب، وقد نبَّه النحاةُ على ضرورة التفريق بين الأمرين،[1] وشدَّد على ذلك ابنُ جنِّي في خصائصه فعقد له بابًا بعنوان "بابٌ في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى".[2] ومن أمثلة ما أورده قوله: "ومنه قولُهم: أهلَك والليلَ، فإذا فسَّروه قالوا: أراد: الْحَقْ أهلَك قبل الليلِ. وهذا لعمري تفسير المعنى لا تقدير الإعراب؛ فإنَّه على: الحَقْ أهلَك وسابِقِ الليلَ".[3] وقال السيوطي: "وتفسير المعنى يُتسمَّح فيه من غير مراعاة ما تقتضيه الصِّناعة الإعرابيَّة".[4] وقال أيضًا: "كثيرًا ما يقول المفسِّرون: هذا تفسير معنى وهذا تفسير إعراب، يعني هذا من باب بيان المعاني وليس من باب بيان الإعراب، يعني أنَّ المتكلِّم الآن يُبيِّن معنى الكلام ولا يُعْرِب وفق صناعة النحو، والفرق بينهما أنَّ تفسير الإعراب لا بدَّ فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، والبحث عن الفعل والفاعل والمفعول... وتفسير المعنى لا تضرُّه مخالفةُ ذلك".[5]

٢- ١- ب - الاستدراك على العلماء

ممَّا يلحق بالنقد اللغوي عند الدالي سُهْمَتُه في الاستدراك على العلماء، وهذا من تَجلِّيات قُدْرته على التتبُّع والاستقراء، وقد أفاد ذلك من ميدان التحقيق الذي برع فيه، ولعلَّ أبرز مظهرٍ لذلك ما فعله في تحقيقه لكتاب (الإبانة في تفصيل ماءات القرآن، وتَخْريجها على الوجوه التي ذكرها أربابُ الصناعة) للباقولي؛[6] حيث بلغت عدَّةُ ماءات القرآن التي درسها الباقولي ٢٣٩٨ (ما) في قراءة حفص، فاستدرك عليه

١ وقد يُعبِّرون عن ذلك فيقولون: هذا حَلُّ معنى لا حَلُّ إعراب. كما في حاشية الصبَّان على شرح الألفية، ١/ ١١٧، ٢/ ٤٦.

٢ الخصائص، ١/ ٢٨١.

٣ السابق، ٣/ ٢٦٤.

٤ الحاوي للفتاوي، ٢/ ٣٣٢.

٥ الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ٣٢٠.

٦ صدرت طبعتُه الأولى عن وِزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة بالكويت، عام ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ثمَّ صدرت طبعتُه الثانية عن دار البشائر بدمشق، عام ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٢١٨ (ما). وذكر الباقولي خمسَ ماءاتٍ وقعت في غير قراءة حفص، فيكون مجموع ماءات القرآن ٢٦٢١ (ما).

وهذا الاستدراك الذي أنتج هذا الإحصاء المنظَّم هو تَجلٍّ واضحٌ للإفادة من مُعطيات الفهرسة المعروفة في ميدان التحقيق، التي برع الدالي فيها براعة كبيرة.

٢- ١- ج - الإحصاء

يلحظ القارئ للمنتج المعرفي للدالي اهتمامه بالإحصاء اهتمامًا كبيرًا، وهو موضوعٌ بحاجةٍ إلى دراسةٍ مستقلَّة. والإحصاء عنده على أنواع: فمنه إحصاء كلمات؛ كما في إحصائه لماءات القرآن الكريم، ومنه إحصاء مسائلَ أو مصادرَ أو شواهدَ أو موادَّ؛ وقد رصدتُ نماذج لذلك:

- **إحصاء المصادر**: ومن ذلك قوله في الدراسة التي أعدَّها عن (السيوطي النحوي): "وبلغتْ عدَّةُ المصادر التي صرَّح بنقله - أي: السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر- منها ٢٧٨ مصدرًا، في الفهرس الذي صنعه عبد العال سالم مكرم لطبعة الأشباه والنظائر التي حقَّقها".[١]

وقوله: "وبلغتْ عدَّةُ المصادر التي صنع منها السيوطي كتابه - أي: الهمع- ١٤٥ كتابًا في الفهرس الذي صنعه عبد العال سالم مكرم لطبعة همع الهوامع التي حقَّقها".[٢]

- **إحصاء الشواهد**: ومن ذلك قوله: "وقد اشتمل الكتاب - أي: الهمع- على ١٨٢١ شاهدًا من شواهد العربية، واشتمل ارتشاف الضرب على ١٣٨٧ شاهدًا. وأمَّا شرح شواهد مغني اللبيب فهو شرحٌ للأبيات التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب، وعِدَّتُها ١٢٠٠ بيت في الطبعة التي حقَّقها مازن المبارك ومحمَّد

١ الحصائل، ١/ ١٤٥.

٢ السابق، ١/ ١٤٨.

علي حمد الله".[1]

- **إحصاء المسائل**: ومن ذلك قوله: "والذي وقفنا عليه من نُسخ سؤالات نافع بن الأزرق المفردة: مخطوطة دار الكتب الظاهرية من المجموع ذي الرقم ٣٨٤٩، وعدَّة مسائلها ٥٢ مسألة... وعدَّة المسائل في مخطوطة دار الكتب المصرية التي حقَّقها إبراهيم السامرَّائي ٢٤٨ مسألة. أمَّا المصادر التي روت خبر هذه المسائل... فهي المعجم الكبير للطبراني، ومجمع الزوائد للهيثمي، وعدَّة المسائل فيهما ٣١ مسألة، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري وعدَّة المسائل فيه ٥٠ مسألة، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي وعدَّة المسائل فيه ١٩٠ مسألة، والكامل للمبرِّد وذكر المبرِّد ٧ مسائل منها. وفي المخطوطات والمصادر من المسائل ما اشترك في روايته، وفيهما ما انفرد بعضُهما بروايته. فإذا جُمع ما اشتُرِك فيه وما انفرد بعضُهما به، تَحَصَّل ٢٨٧ مسألة".[2]

* **إحصاء الموادّ**: ومن ذلك قوله: "وأوسعُ ما كُتب في هذا الباب –في ما أعلم– كتابُ معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمَّد العدناني، وعِدَّةُ موادِّ هذا المعجم ٢١٣٥ مادَّة، تَلقَّف كثيرًا منها من الصحف والمجلَّات ومذيعي المذياع والتلفاز".[3]

وقوله: "ثمَّ طُبع سنة ٢٠٠٦ كتاب معجم أخطاء الكتاب لصلاح الدين الزعبلاوي بعد وفاة مؤلِّفه سنة ٢٠٠١ رحمه الله وأجزل مثوبته، وفيه ١١٧٣ مادَّة".[4]

٢- ٢ التصويب اللغوي

إذا كان النقد اللغوي يُعنى بنقد الآراء؛ فإنَّ التصويب اللغوي يُعنى باللحن، أو ما يسمَّى بـ (قل ولا تقل). وقد شارك الدالي في ميدان التصويب اللغوي مُحقِّقًا وباحثًا؛ فأمَّا التحقيق فيتجلَّى في تحقيقه لكتاب الباقولي (ما تلحن فيه العامَّةُ في

---

١ الحصائل، ١/١٤٩.

٢ مسائل نافع بن الأزرق، المقدِّمة، ٨ – ٩.

٣ الحصائل، ١/ ١٥٧– ١٥٨.

٤ السابق، ١/ ١٥٧، حاشية ٣.

التنزيل)، وهو رسالةٌ نَشَرتها مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق،[١] وأعاد نشرها في كتاب الحصائل.[٢] ويبدو أنَّ هذا النوع من التصانيف قد انفرد به الباقولي؛ قال الدالي: "ولا أعرف أحدًا ألَّف في لحن العامَّة في التنزيل".[٣]

وفي هذه الرسالة ذكر الباقولي ثلاثين موضعًا ممَّا تلحن فيه العامَّة من القرَّاء من غير المتقنين منهم. والمراد باللحن: الخطأ ومخالفة الصواب، وهو ضربان: جليٌّ وخفيٌّ. فأمَّا الجليُّ: فهو تغيير الحركات والسكنات وتصحيف الحروف وزيادتها ونقصانها. وأمَّا الخفي: فهو تغيير صفات الحروف دون ذواتها.[٤]

وهذا الرسالة إضافةً إلى إلمامها بكلمات القرآن الكريم التي يقع فيها لحنٌ من العامَّة، فإنَّ الدالي قد صنع لها حواشيَ متقنةً تعليقًا على عبارات المتن، وهي مملوءة بالقضايا الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، كما أنَّه وَجَّه ما غمض من ألفاظ المتن، وفيها تعقُّباتٌ على الباقولي.[٥]

وأمَّا الأبحاث والمقالات التي تَعرَّض فيها للتصويب اللغوي، فأذكر منها:

* المصحِّح في صحافتنا الأدبية.[٦]

* في وسائل الإعلام: ثقافة كُتَّابها ولغتهم.[٧]

* ما هكذا تُورد يا سعد الإبل، وقول أبي العلاء المعرِّي: "تَعَبٌ كلُّها الحياة" صحيح، وقول شفيق جبري شاعر الشام : عَلَّمتم الناسَ... ما الجودُ" جزل فصيح – وقفة مع شوقي المعرِّي في قولَ له خَطَّأ فيه قول أبي العلاء، وضَعَّف أسلوب

١ مج٧٤، ج١، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.
٢ الحصائل، ٣/ ٢٦٧.
٣ السابق، ٣/ ٢٧٠.
٤ السابق، ٣/ ٢٧٠ – ٢٧١.
٥ على سبيل المثال: الحصائل، ٣/ ٢٧٨، ٣/ ٢٨١، ٣/ ٣٨٣. ٣/ ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣.
٦ جريدة الثورة، عدد ٤٩٠١، بتاريخ ٢/١٧ / ١٩٧٩م. وهو غير موجود في الحصائل.
٧ بحث ألقي في ندوة: اللغة العربية والإعلام، التي عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق من ٢١ إلى ٢٣/ ١١ / ١٩٩٨م. وقد نشر أوَّلًا في مجلَّة مجمع دمشق، المجلَّد ٧٤، ج٣، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. ونشر آخرًا في كتاب الحصائل، ١/ ١٥٦.

شاعر الشام.[1]

وتبدو في هذا الميدان غَيْرةُ الدالي على العربية، واستشعارُه الخطر المحدق بها جرَّاء تَفشِّي اللحن على ألسنة أبناء العربية، وفي لغة وسائل الإعلام المقروءة التي هي: "من أخطر وسائل نشر المعرفة في عصرنا بما تشتمل عليه من موادَ ذاتِ صلةٍ بالفنون الأدبية والفنِّ والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك... وهي بهذا الاعتبار إحدى أخطر وسائل إذاعة اللغة ونشرها وتَنوُّع أساليبها وإدخال المصطلحات المستحدَثة إليها. وهي وسائل وأدواتٌ بيد مُتولِّيها ومُسْتعمليها؛ فقد تكون أدوات بناءٍ، وقد تكون أدوات هدمٍ".[2]

وهو لا يكتفي بأن يصف هذا الداء دون أن يُبيِّن أسبابه؛ ومن الأسباب التي ذكرها:

- طبيعة المقرَّرات الجامعية: "فطالبُ اللغة العربية لا يُحصِّل فيها إلَّا نُتفًا من مقرَّرات موزَّعةٍ على فصول. وغير قليل من المقرَّرات لا يرتفع إلى مرتبة المقرَّر الجامعي الذي كُتب في أغراضٍ علميةٍ تُكْسِب الطالبَ العلم الذي أُلِّفَتْ فيه".[3]

- تقصير بعض الأساتذة في الارتقاء بلغتهم: "وغير قليل ممَّن يتولَّى التدريس في فروع الدراسة المختلفة، ومنهم من يتولَّى تدريس اللغة العربية - لم يُحصِّلوا من المعرفة بلسانهم ما يُعينهم على العبارة عن أغراضهم بلغةٍ سليمةٍ".[4]

- سوء لغة الترجمة عن اللغات الأخرى: "والتراجمة الذين يتصدَّرون للترجمة عن اللغات الأجنبية إن أتقنوا اللسان الأجنبي، وعرفوا أساليبه، وتَمكَّنوا من ناصية التعبير به -فإنَّ أكثرهم قد فاته أن يُحصِّل بلغته قدرًا صالحًا من المعرفة بمفردات لغتهم وقوانينها وأساليبها. فإذا ما ترجموا نقلوا أشياء ممَّا نقلوها بلغةٍ حروفُها عربيةٌ،

---

١ نشر أوَّلًا في مجلَّة بناة الأجيال بدمشق، العدد ٣٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠. ونشر آخِرًا في كتاب الحصائل، ٢/ ٣٦٠.

٢ الحصائل، ١/ ١٥٧.

٣ السابق، ١/ ١٥٩.

٤ السابق، ١/ ١٥٩.

وفيها مخالفة لأصول كلام العرب وأساليبهم في البيان".[١]

ولإتقان العربية واجتناب اللحن، دعا إلى التزوُّد "بزادٍ لغويٍّ عِمادُه القرآن الكريم والشعر النفيس والنثر العالي"،[٢] كما اقترح بعض عيون كتب التراث للعكوف على أساليبها في البيان العالي؛ ومنها "البيان والتبيُّن[٣] والكامل وعيون الأخبار والأغاني ولسان العرب وتفسير الطبري وسيرة ابن إسحاق وديوان الفرزدق ومعجم الأدباء ...إلخ".[٤]

كما نبَّه إلى أهمِّيَّة مرحلة الطفولة في التكوين اللغوي؛ فـ"الطفل يسمع الإعلان ويراه، ويسمع المغنِّي أو يسمعه ويراه، ويحفظ شيئًا ممَّا يُلقَى عليه في المدرسة، ويسمع ويرى من حوله كيف يتكلَّمون، فيُحاكي ما سمع وما رأى، ولا يقتصر أثر ذلك كلِّه على فساد لغته، بل يتعدَّاها إلى غيرها من ضروب المحاكاة، وفي ذلك خطرٌ أيُّ خطر".[٥]

واقترح عدَّة وسائل للنهوض بالعربية، منها:[٦]

- إعداد المعلِّم الكفءِ القادر على التكلُّم بالعربية المبينة.

- تعيين أكفأ المعلِّمين وأجودِهم لغةً في المرحلة الابتدائية؛ لأنَّها أخطر مراحل التعليم.

- إعداد مقرَّرات الدراسة إعدادًا جيِّدًا، وضبطها ضبطًا كاملًا في المرحلة الابتدائية، وضبط المواضع التي يَحتاج بيانُها إلى الضبط بعد ذلك.

- التزام من يتولَّى تدريس اللغة العربية وغيرها من مُقرَّرات الدراسة اللغةَ

---

١ الحصائل، ١/ ١٥٩.

٢ السابق، ١/ ١٦٠.

٣ ذكره باسم البيان والتبيين (بياءين).

٤ الحصائل، ١/ ١٦٠.

٥ السابق، ١/ ١٦١.

٦ السابق، ١/ ١٦٧ – ١٦٨.

الفصيحةَ.

- اتِّباع طُرق التدريس الصالحة التي تُحبِّب المادَّة إلى الطالب، ولا سيَّما مادَّةُ اللغة العربية.

- العناية بمقرَّرات اللغة العربية عنايةً خاصَّةً، وإعدادها إعدادًا جيِّدًا، ويُراعى أن تشتمل على نصوصٍ كثيرة من القرآن الكريم والحديث وكلام العرب الفصيح في شعرها ونثرها. وأمَّا مقرَّر القواعد فالعناية فيه تكون بأساليب العربية وبالنحو الوظيفي.

- أن يكون لحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والنصوص حظٌّ من المادَّة المقرَّرة، ويمتحن فيها الطالب امتحانًا شفهيًّا يُظهر جودة حفظه وضبطَ قراءته.

- أن يُغرس في نفس الطالب حبُّ القراءة والمطالعة، ويُشجّع على ذلك.

- أن يكلَّف الطالب بالكتابة في موضوعات تُظهر مستواه اللغوي والثقافي.

- أن تُستبعد القواعد النحوية من مقرَّر اللغة العربية لغير المختصِّين، وأن تختار نصوصٌ تناسب القسم الذي اختار الطالب الدراسة فيه.

واقترح لإصلاح لغة وسائل الإعلام:[1]

- أن تلتزم العربية الفصيحة.

- أن يُمتحَن من يرغب في العمل في وسائل الإعلام امتحانًا حقيقيًّا يُظهر اقتدار الممتحِن على العبارة عمَّا يُريد بلغةٍ سليمة.

- أن يُعيَّن مُحرِّرو وسائل الإعلام من الأَكْفاء المتقنين للغتهم.

- أن تَخْضع للمراقبة اللغوية والأسلوبية، فيُجاز منها ما يُجاز بعد إصلاحه وتدقيقه.

١ الحصائل، ١/ ١٦٥ - ١٦٦.

ولا يفوتني وأنا أتحدَّث عن سُهْمة الدالي في هذا الميدان أن أُنَبِّه إلى أنَّ التصويب اللغوي بابٌ من أبواب الاجتهاد، لا ينبغي أن يَلِجَه إلَّا من أُوتي آلةَ النظر الصحيح، وامتلك أدوات الترجيح والاستدلال، وكان بصيرًا بالاستقراء الجيِّد لنصوص العربية. وكثيرٌ من المصنَّفات التي تحمل عناوين: التصويب اللغوي، وقل ولا تقل، والأخطاء الشائعة، وأخطاء الإعلاميين، ومعاجم الأغلاط وغيرها - تحتاج إلى مراجعةٍ وإعادة نظرٍ وتنقية، فإنَّ كثيرًا ممَّا تُخطِّئه هذه المصنَّفات تُجيزه العربية.

وأخطر ما في الأمر -وهذا ممَّا عَمَّت به البلوى في وسائل التواصل الاجتماعي- أن يقرأ أحدُهم تصويب أسلوب ما أو تخطئته، ثمَّ يُسارع إلى نَقْله ونشره دون تحقيقٍ ونظر، فيتلقَّفه عنه الآخرون بمحض التسليم والقبول، ثمَّ ينشرونه هم بدورهم، وهكذا يَسْرِي الأسلوب بين الناس سريان النار في الهشيم دون تدبُّرٍ في حقيقة صحَّته أو خطئه.

٢-٣- ميادين لغوية أخرى

يمكن أن نرصد بعضَ الميادين اللغوية الأخرى التي عُني الدالي بها، من مثل:

- **المصطلح**، وقد أفرد له دراسةً بعنوان (في الطريق إلى مصطلحٍ علميٍّ عربيٍّ موحَّد).[١]

- **المعجم**، وقد أفرد له دراسةً حملت عنوانَ (معجمات الموضوعات المفردة في القرآن الكريم).[٢]

- **الإعلام والعربية**، وقد أفرد لذلك دراسةً بعنوان (في وسائل الإعلام: ثقافة كتَّابها ولغتهم).

---

١ هو في الأصل بحث ألقي في ندوة: إقرار منهجيَّة موحَّدة لوضع المصطلح، التي عقدها اتِّحاد مجامع اللغة العربية في مجمع اللغة العربية بدمشق من ٢٥ إلى ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٩م. ثمَّ نشر أوَّلًا في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٥، ج ٣، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م. ثمَّ نشر آخِرًا في الحصائل، ١/ ١٧٠.

٢ شارك به في ندوة قسم اللغة العربية بجامعة الكويت، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢م.

- **الفصحى والعامِّيَّة**، وقد أفرد لذلك دراسةً بعنوان (اللغة العربية بيت الفصحى والعامِّيَّة).[١]

كما يمكن أن نرصد داخل بحوثه النحوية اهتمامًا ببعض القضايا اللغوية العامَّة: كالإعراب،[٢] والعامل،[٣] والعلَّة،[٤] والقياس،[٥] والإجماع،[٦] ولغات القبائل العربية،[٧] والضرورة الشعرية،[٨] والتطوُّر اللغوي،[٩] والاحتجاج بالحديث النبوي،[١٠] والحمل على المعنى،[١١] والإعراب على الجوار،[١٢] والتوليد،[١٣] والتقليب،[١٤] والنحت،[١٥] والإبدال.[١٦] وأمَّا قضايا الخلاف النحوي فقد تناولها بالطريقة نفسها التي تناولها بها القدماء، وغلب عليها الطابع الجزئي؛ لأنَّ المسائل التي كان يدور حولها النقاش هي أساسًا مسائل جزئيَّة. وكانت طريقتُه في مسائل الخلاف أن يذكر الآراء المختلفة في المسألة أو العبارة موضع البحث، ثمَّ يعزو كلَّ رأيٍ إلى صاحبه بذكر اسمه، هذا هو الغالب عنده.

كذلك يمكن أن نرصد داخل هذه البحوث اهتمامًا ببعض المسائل اللغوية

١ شارك به في ندوة مركز تعريب العلوم الصحِّيَّة (أكمل)، في الكويت، ٩/ ٥ / ٢٠٠٤م.

٢ يتَّفق مع جمهور النحاة في أنَّ حركات الإعراب دوالٌ على معان، وأنَّهم قد أقاموا مُصنَّفاتهم على أساس ذلك، فدرسوا المرفوعات والمنصوبات والمجرورات. كما يتَّفق مع البصريين في أنَّ الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال. الحصائل، ١/ ٢١٧.

٣ تنطلق توجيهات الدالي لأساليب العربية التي بحثها من فكرة العامل، وهذا يعني احتفاءه به كسائر النحاة.

٤ الحصائل، ١/ ١٩، ١٠٢.

٥ السابق، ١/ ١٩، ٨٣.

٦ السابق، ١/ ١٧، ٣٦.

٧ السابق، ١/ ٦٤.

٨ السابق، ١/ ٢٩، ٣٠، ٨٣.

٩ السابق، ١/ ٦٣- ١/ ٦٤- ١/ ٦٧.

١٠ السابق، ١/ ٧٥.

١١ السابق، ٣/ ٢٨٢.

١٢ السابق، ٣/ ٢٩١.

١٣ السابق، ٢/ ٢١٤.

١٤ السابق، ٢/ ٢١٣.

١٥ السابق، ٢/ ٢١٤.

١٦ السابق، ٢/ ٢٣١.

الفرعية: كمعاني الواو العاطفة،[١] وإبدال الهمزة ياءً لغير علَّة،[٢] وإعلال صيغة (مُخْرِجِيَّ) الواردة في الحديث الشريف: (أو مُخْرِجيَّ هم؟)،[٣] وإلحاق الضمير بالفعل المسنَد إلى اسم ظاهر،[٤] والمؤنَّث المجازي،[٥] وألف الإلحاق،[٦] وإعلال الفعل (يوقنون).[٧]

٢-٤- توزُّع الظواهر

حَظِيَتْ بعضُ الظواهر اللغوية باهتمام الدالي، وهي ظواهر قليلةٌ، وجاء اهتمامه بها مُوزَّعًا عبر أبحاثه، فلا تكاد تجد بحثًا استقلَّ ببيان ظاهرة؛ ومن هذه الظواهر: التخفيف والحذف؛ وهذا التوزُّع ناتجٌ عن الطابع الجزئي الذي يصبغ تجربته البحثيَّة؛ إذ يمكن استقراءُ الظاهرة الواحدة عبر عدَّة مسائل متفرِّقة؛ فالحذف مثلًا لم يحظَ بدراسةٍ متكاملةٍ في بحثٍ مستقلٍّ، بل إنَّه تعرَّض له في عدَّة مواضع من بحوثه؛ فمثلًا في توجيهه لعبارة (هل لك في كذا وكذا)؛ أشار إلى حذف المبتدأ؛ والتقدير: هل لك في كذا وكذا حاجة أو أَرَبٌ أو رغبة؟ وعلَّة هذا الحذف كثرةُ الاستعمال والرغبةُ في التخفيف، لا سيَّما هذه الأساليب السائرة القائمة على الإيجاز.[٨]

وفي توجيهه لعبارة (أمَّا أنت منطلقًا انطلقتُ معك)؛[٩] أشار إلى حذف (كان)؛ والتقدير: أن كنت منطلقًا، ثمَّ حُذفت (كان) وعُوِّض عنها بـ (ما)، وانفصل الضمير،

١ الحصائل، ١/ ٣٦.

٢ السابق، ١/ ٢٧.

٣ السابق، ١/ ٦٤- ٥٦، حاشية ٢.

٤ كما في لغة (أكلوني البراغيث)، وقد وصفها بأنَّها: قليلة شاذَّة عُزيت إلى طيء وأزد شنوءة وبلحارث بن كعب... والألف والواو والنون فيها حروف دالَّة على التثنية أو الجمع، والاسم الظاهر هو المسنَد إليه الفاعل أو نائبه. السابق، ١/ ٦٤.

٥ السابق، ٣/ ٢٩١.

٦ السابق، ٣/ ٢٩٣.

٧ السابق، ٣/ ٢٧٦.

٨ السابق، ١/ ١١.

٩ السابق، ١/ ٨٧.

وأُدْغمت نون (أن) في (ما)، فصارت: أمَّا أنت منطلقًا انطلقتُ معك.[1]

وفي بيت الأعشى (من الطويل):

ألـم تغتمضْ عيناكَ ليلة أرمدا وعادَكَ ما عاد السليمَ المسهَّدا

رفض توجيهَه على حذف مصدرٍ عاملٍ في الظرف، والتقدير: ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمد.[2]

وفي بيت ذي الرُّمَّة (من الطويل):

تَنـوء بأُخْراهـا فلَأْيًـا قِيامُهـا وتمشي الهُوَيْنى من قريب فتبهرُ

ذهب إلى أنَّ (لأيًا) منصوب على الظرفية، على تقدير (في) أو الباء، أو (بعد لأي)، وحذفت (بعد) وأقيمت (لأيًا) مُقامها.[3]

ورغم توزُّع ظاهرة الحذف عبر عدَّة مسائل جزئيَّة كما نرى، فإنَّه يمكن أن نستنبط بعض القواعد المهمَّة في توجيهها، ومنها:

- بعض العبارات القديمة تجري مجرى الأمثال، ولذا تقوم على الإيجاز.[4]
- كثرة الاستعمال مؤدِّيةٌ إلى التخفيف.[5]
- في استقرار اللغة وثبات صيغها قيمةٌ عظمى.[6]
- الموروث له قوَّة القبول.[7]

---

١ ومن أبرز الشواهد التي يُحتَجُّ بها لذلك قولُ العبَّاس بن مرداس (من البسيط):
أبا خُراشةَ أمَّا أنت ذا نَفَرٍ فإنَّ قومي لم تأكلهمُ الضَّبُعُ

٢ الحصائل، ١/ ١٠٩.

٣ السابق، ١/ ٥٩.

٤ السابق، ١/ ١١.

٥ السابق، ١/ ١١، ١٦، ١٨، ٥٣، ٨٩.

٦ السابق، ١/ ٦٤.

٧ السابق، ١/ ٦٣.

- الأمثال تترسَّخ ألفاظها وتكتسب دلالتها من استخدام الناس لها.[١]

- الحذف ينتج عنه نوعٌ من المجاز؛ بسبب انتقال الكلمة من حكمٍ كان لها إلى حكمٍ ليس بحقيقةٍ فيها.[٢]

وكما هو واضحٌ فإنَّ كلَّ هذه المعالجات هي معالجاتٌ جزئيَّةٌ لا تكشف لنا عن جوهر هذه الظاهرة، ولا تضع أيدينا على مكامن عبقريَّتها وفَرادتها في العربية. والمتأمِّل لها يدرك أنَّها بابٌ من أبواب ثقة العربية في عقول أبنائها، فالعربية تُؤمن بقدرة أبنائها على إدراك ما ليس مذكورًا في الكلام. والحذف أيضًا باب من أبواب التنبيه على فضيلة الوقت، فالعربية تحافظ على أوقات أبنائها؛ حين تعطيهم الكلامَ المختصرَ غيرَ منقوص المعنى، وحين تُعلِّمهم أنَّ ما يُدرَك بالكلام الموجز فلا داعي للإطناب فيه إلَّا لعلَّة.

وإذا كان العظيم ابن جنِّي قد جعل الحذف مظهرًا من مظاهر شجاعة العربية،[١] فإنَّه يحقُّ لنا أن نجعله أيضًا مظهرًا من مظاهر شجاعة أبناء العربية. وحين درس النحاةُ الحذفَ ومعهم روح المغامرة والجرأة التي استصحبوها من العربية كان صنيعُهم عجبًا من عجب؛ وذلك أنَّ نظرهم للنصِّ العربي لم يقتصر على وضع قواعدَ للكلام المذكور، بل تجاوزوا ذلك إلى وضع قواعدَ للكلام غير المذكور.

٢-٥- شواهد الدالي

ذكرنا في ما سبق أنَّ تجربة الدالي البحثيَّة تتَّسم باتِّساع الاستشهاد، ونضيف هنا أنَّ الشواهد التي يسوقها على أنواع: فمنها نوعٌ يحتجُّ به لرأيٍ يتبنَّاه،[٤] ومنها نوعٌ يَرُدُّ به على رأيٍ يرفضه،[٥] ومنها نوعٌ يستطرد في ذكره على جهة الاستئناس

١ الحصائل، ١/ ٩٠.

٢ السابق، ١/ ١٠٥، ١٠٦.

١ الخصائص، ٢/ ٣٦٢، ٢/ ٤٤٩.

٤ على سبيل المثال: الحصائل، ١/ ٥٩-٦٠، ٩٠- ٩١، ١٠٧، ١١٠-١١١.

٥ على سبيل المثال: الحصائل: ١/ ٩٦.

لتأييد وجهٍ لغويٍ، وليس من أجل الاحتجاج به أصالةً. وهذا النوع الأخير يُفسِّر لنا مجيءَ شواهدَ كثيرةٍ تَجاوزت الحدَّ الزمني المقرَّر عند اللغويين للاحتجاج بها، والناظر لهذه الشواهد لأوَّل وهلةٍ قد يصف الدالي بمُخالفته منهج اللغويين في الالتزام بما رسموه من هذه الحدود، غير أنَّ هذا الوهم يزول إذا عُرف أنَّ هذه الشواهد لم يُؤتَ بها للاحتجاج أصالةً، وإنَّما للاستئناس استطرادًا، ومعرفة الحدود الزمنيَّة لعصور الاحتجاج ممَّا لا تخفى عن صغار الباحثين فضلًا عمَّن هم في مقام الدالي. ومن هؤلاء الشعراء المذكورة شواهدُهم استطرادًا: العبَّاس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ)،[١] وأبو تمَّام (ت ٢٣١هـ)،[٢] وإبراهيم الصولي (ت ٢٤٣هـ)،[٣] وابن المعتزِّ (ت ٢٩٦هـ)،[٤] وابن دُريد (ت ٣٢١هـ)،[٥] وأبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧هـ)،[٦] والشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)،[٧] وأبو العلاء المعرِّي (ت ٤٤٩هـ)[٨] ...إلخ.

ولنا على سرد شواهده ملاحظ[٩]

الأوَّل: عدم ترتيبها زمنيًّا.

والثاني: تداخل الشواهد الشعرية بالنثرية، دون نظامٍ واضح.

والثالث: اختلاط الأقوال المعروف أصحابُها بالمجهولة، من غير أن يكون لسردها منهجٌ محدَّد.

وقد تأمَّلتُ هذا السرد محاولًا أن أقف على منهجه فيه، أو أن أعرف ملامح الترتيب الذي سلكه، فلم أظفر بشيءٍ، ويبدو لي أنَّه كان يذكرها بحسب ما تعنُّ له

١ الحصائل، ١/ ١٥.
٢ السابق، ١/ ٢١.
٣ السابق، ١/ ٢٦.
٤ السابق، ١/ ٢٦.
٥ السابق، ١/ ٢٢.
٦ السابق، ١/ ١٤.
٧ السابق، ١/ ٢١.
٨ السابق، ١/ ٢١.
٩ هذه سمة عامَّة عند الدالي في سرد شواهده، يدركها من يتتبع بحوثه اللغوية التي ضمَّها كتابه الحصائل.

دون خطَّةٍ مرسومةٍ، وقد كان حريًّا به أن يفيد من آليَّات التحقيق في ترتيب شواهده على وفق نظامٍ محدَّدٍ ومنهجٍ منضبط. وعلى سبيل المثال في سرده لشواهد الوجه الأوَّل من وجوه عبارة (هل لك في كذا وكذا)[١] ذكر (٢٣) شاهدًا على هذا الترتيب:[٢]

- قول الحسن بن علي (نثر) (ت ٤٩هـ وقيل: ٥٠هـ)
- قول كوفي لصاحبه (نثر) (القائل مجهول)
- قول عمرو بن معدي كَرِب لحُبَّى الكندية (نثر) (ت ٢١هـ)
- قول أبي سفيان بن حرب للأعشى ميمون (نثر) (ت ٣١هـ)
- قول أبي السائب المخزومي لغرير بن طلحة الأرقمي (نثر) (ت ٧٠هـ)
- قول أعرابي لبعضهم (نثر) (القائل مجهول)
- قول عبد الملك لنُصَيْب (نثر) (ت ٨٦هـ)
- قول الزِّبْرِقان للحُطَيْئة (نثر) (ت ٤٥هـ)
- قول أبي إسحاق[٣] النديم لضيفه (نثر) (ت ٢٣٥هـ)
- قول الراجز (شعر) (القائل مجهول)
- قول تأبَّط شرًّا (نثر) (ت ٨٠ ق هـ)
- قولهم في المثل (نثر) (القائل مجهول)
- قول الخليل لأبي الدقيش (نثر) (ت ١٧٠هـ)
- قول أميَّة بن الأسكر (شعر) (ت ٢٠هـ)

---

١ وهو الوجه الذي يدخل فيه حرف الجرِّ (في) على اسم ذات.

٢ الحصائل، ١/ ١٢-١٣. وينظر أمثلة أخرى فيه: ١/ ٢٠-٢١، ١/ ٢٣-٢٤، ١/ ٣٩-٤٤، ١٥٣-٥٨، ١/ ٦٧- ٧٢.

٣ هكذا ذكره، والصواب (إسحاق النديم) بدون (أبي). ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١١/ ١١٨.

- قول كعب بن زهير (شعر) (ت ٢٦هـ)
- قول بُجَيْر لأخيه كعب بن زُهَيْر (شعر) (ت ؟ هـ)[١]
- قول النَّجاشي[٢] (شعر) (ت ٤٠هـ)
- قول الراجز (شعر) (القائل مجهول)
- قول أوس[٣] (شعر) (ت ٢ق هـ)
- قول أعرابيَّة بمكَّة لإسماعيل بن مسلم (نثر) (القائل مجهول)
- قول حسَّان (شعر) (ت ٥٤هـ)
- قول العبَّاس لأبي طالب (نثر) (ت ٣٢هـ)
- قول أبي محمَّد الفَقْعسي (شعر) (ت ؟ هـ)[٤]

٣- آليَّات البحث اللغوي عند الدالي

يتجلَّى في المشروع المعرفي الذي خلَّفه الدالي التماهي بين البحث والتحقيق؛ فهو في بحوثه يجمع بين آليَّات التحقيق وشخصيَّة الباحث، وفي تحقيقاته يجمع بين آليَّات البحث وشخصيَّة المحقِّق، فالمسألة اللغوية عنده أشبهُ بكتابٍ يحقِّقه، والكتاب الذي يُحقِّقه أشبه بمسألةٍ لغويةٍ يبحثها.

وهذا يؤكِّد أهمِّيَّة التسلُّح بمعارف العربية في تذليل علومها والعلوم الحافَّة بها، كما يؤكِّد أنَّ الخلل في الوقوف على آليَّاتها ليس فحسب طريقًا إلى الخلل في فهم هذه العلوم، بل هو أيضًا طريقٌ إلى الخلل في التفكير عمومًا؛ وممَّا نُقل عن

١ لم أهتد إلى تاريخ وفاته.

٢ هو الشاعر المعروف، واسمه قيس بن عمرو. ترجمته في الأعلام، ٥/ ٢٠٧.

٣ هو أوس بن حُجْر.

٤ لم أهتد إلى تاريخ وفاته، وقد أشارت بعض كتب التراجم إلى أنَّه عاصر حروب الردَّة. الإصابة، ٤/ ١٨٩، برقم: ١١٠٩، ومعجم ما استعجم، (ب ط ا ح) ١/ ٢٥٦.

الفيلسوف الكبير زكي نجيب محمود قوله: "إذا دبَّ خَللٌ في اللُّغة دبَّ خللٌ في التَّفكيرِ".[١] إنَّ نقطةُ البدء للتمكُّن من علوم الحضارة الإسلامية يجب أن تنطلق من الحرف العربي؛ يقول الفرَّاء: "قلَّ رجلٌ أنعمَ النظر في العربية ثمَّ أراد علمًا غيره، إلَّا سهَّل عليه".[٢]

ويستطيع المتتبِّع لبحوث الدالي أن يرصد بعض الآليَّات البحثيَّة التي انتهجها؛ ومنها: التصوير، والتمثيل، والشرح والتفسير، والاستقصاء والتتبُّع، والأشباه والنظائر، والتأصيل، والانتخاب، والتفريع والاستطراد، والتدرُّج.

٣-١- التصوير

اعتاد الدالي أن يفتتح مسائله اللغوية بوضع تصويرٍ موجزٍ لها يوضِّحها ويُقرِّبها إلى قُرَّائه، وكأنَّه يلخِّصها لهم ابتداءً؛ ومن ذلك على سبيل التمثيل قولُه في مُفتتَح بحثه المعقود للواو العاطفة التي بمعنى (مع): "الواو أُمُّ أحرف العطف. وهي تدلُّ على شيئين: العطف والجمع المطلق من غير ترتيبٍ في قول جمهور النحويين. فتعطف الشيء على سابقه وعلى لاحقه وعلى مصاحبه، ويكون الكلام معها في حكم جملتين... وتستعمل للعطف والمصاحبة التي يشتمل عليها الجمع؛ لأنَّها بعض أحواله، فتكون بمعنى (مع). وهي إذا كانت بمعنى (مع) لم يكن الكلام معها في حكم جملتين، بل كان المعطوف والمعطوف عليه جاريين مجرى الاسم الواحد".[٣]

وقد سلك هذه الآليَّة نفسها في تحقيقاته؛ إذ كان يفتتح مقدِّماتها بتصوير فحوى الكتاب وبيان موضوعه؛ يقول في مقدِّمة تحقيقه لكتاب مسائل نافع بن الأزرق: "وهي مسائل عن معاني ألفاظٍ من غريب القرآن سأل نافع بن الأزرق عنها ابنَ عبَّاس، وطالبه أن يأتي بشواهد على ما يفسِّره من معاني الألفاظ من شعر العرب.

---

١ نقلًا عن: عبقريَّة اللغة العربية، لمحمَّد عبد الشافي القوصي، ١٨٥.

٢ معجم الأدباء، ١/ ١٧، وقريب من هذا قول أبي عمر الجرمي: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه، طبقات النحويين واللغويين، ٢٥.

٣ الحصائل، ١/ ٣٦.

وصورة المسألة أن يقول نافع: أخبرني عن قوله تعالى... فيذكر اللفظ المسؤول عنه. فيقول ابن عبَّاس: كذا. فيقول نافع: وهل كانت العرب تعرف ذلك؟ فيقول ابن عبَّاس: نعم، أما سمعتَ قول الشاعر... فيذكر الشاهد، أو نحو هذا".[١]

٣-٢- التمثيل

انتهج الدالي هذه الآلية لتقريب المسألة من الأذهان، وهو مسلكٌ تربويٌّ تعليميٌّ مهمٌّ في توضيح مسائل العلم؛ ومن ذلك قوله: "فإذا قلت: جاء زيد وعمرو، احتمل تصاحبهما في المجيء، واحتمل مجيء أحدهما قبل الآخر، وكان تقدير الكلام: جاء زيد وجاء عمرو".[٢]

وقوله: "وذلك نحو قولهم: كلُّ رجل وضَيْعَتُه، وأنت وشأنك، وأنت أعلم ومالك".[٣]

وقوله: "واشتقُّوا من أسماء الزمان فقالوا: أصافَ وأخْرفَ وأرْبعَ وأصبحَ: إذا دخل في الصيف والخريف والربيع والصباح. ومن أسماء المكان فقالوا: أَنْجَد وأَتْهَم وأَشْأم: إذا أتى نجدًا وتهامة والشام. ومن أسماء الأعلام فقالوا: تَنزَّر وتَقيَّس: إذا انتسب إلى نزار وقيس. ومن أسماء الأعداد فقالوا: ثَنَّيْتُه: جعلتُه اثنين، وثَلَّثتُ القوم: صرت لهم ثالثًا. ومن أسماء الأصوات فقالوا: فأفأ: ردَّد الفاء، وجأجأ بإبله: إذا دعاها لتشرب بقوله: جئ جئ. ومن حروف المعاني فقالوا: سوَّف ولالى وأَنْعمَ: إذا قال: سوف ولا ونعم".[٤]

٣-٣- الشرح والتفسير

انتهج الدالي هذه الآلية لتفسير عبارات اللغويين، ولتفسير ما أشكل من مفردات

١ مسائل نافع بن الأزرق، المقدِّمة، ٧ – ٨.

٢ الخصائل، ١/ ٣٦.

٣ السابق، ١/ ٣٦.

٤ السابق، ١/ ٢١٢.

الشواهد التي يحتجُّ بها؛ ومن ذلك تفسيره لعبارة الجرجاني: "والواو بمعنى (مع)... ولا تنصب الواو بمعنى (مع) إلَّا وقبلها فعل"،[١] فيقول: "وظاهر كلامه على أنَّه ذهب إلى أنَّ الواو هي الناصبة للمفعول معه بشرط تقدُّم الفعل وفي هذا نظرٌ، وهو أنَّه إذا كانت هي الناصبة فلم اشترط تقدُّمَ الفعل؟".[٢]

ومن ذلك تعليقه على قول البغدادي: "على قول أبي علي[٣] يكون الاعتراض بجملةٍ اسميَّةٍ، وعلى قول ابن جنِّي يكون الاعتراض بجملةٍ قسمية. وإنَّما لم يذكر عطف (تَهْيامي)[٤] على اسم (إن) لكونه بديهيًّا واضحًا".[٥] ثمَّ فسَّره الدالي بقوله: "وهذا من البغدادي اعتذارٌ لابن جنِّي، وهو اعتذارٌ لأبي عليٍّ أيضًا. وهو وإن لم يصرِّح بأنَّ الواو العاطفة هنا بمعنى (مع) فإنَّه فسَّرها بذلك في شرح معنى البيت الذي نقلناه".[٦]

ومن أمثلة تفسير ما أشكل من مفردات الشواهد التي يأتي بها شرحُه لقول عُبَيْد ابن أيُّوب العَنْبَريّ:

فإنِّي وتَرْكي الإنسَ من بعد حُبِّهمْ … وصَبْـريَ عمّن كنتُ ما إنْ أُزايلُهْ
لَكالصَّقْـر جَلَّى بعدمـا صاد قُنْيةً … قَديـرًا ومَشْـويًّا عَبيطًـا خَرادِلَـهْ[٧]

وفسَّر الدالي ما أشكل من مفرداته فقال: "أُزايله: أُفارقه، وجَلَّى: نظر، والقُنْية: ما اكتسب، والقَدير: ما يُطْبَخ في القِدْر، والعَبيط: الطَّرِيُّ، والخَرادل: القِطَع".[٨]

---

١ الجمل، ٢٠.
٢ الحصائل، ١/ ٤٦.
٣ أي: الفارسي.
٤ أي: في قول كُثَيِّر:
وإني وتَهْيامي بعَزّة بعدما … تَخلَّيْتُ مما بيننا وتَخلَّتِ
لَكالمرتجي ظِلَّ الغَمامة كُلّما … تَبوّأ منها للمَقِيل اضْمَحَلَّتِ
٥ شرح أبيات المغني، ٦/ ٢٠٦.
٦ الحصائل، ١/ ٤٨. والشرح المنقول عن البغدادي هو قوله: إنِّي مع وجدي المفرط بها الآن بعدما تركتها وتركتني مثل الذي يرجو ظلَّ الغمامة وقاية لحرِّ الشمس، فهو كلَّما جلس تحتها زالت عنه، فهو لا ينتفع بظلِّها أبدًا، فكذلك وَجْدي بها الآن لا ينفعني بعد انقطاع أسباب الوُصْلة بيننا. شرح أبيات المغني، ٦/ ٢٠٧.
٧ من الطويل. وهما في الكامل، ١/ ٤٤٠.
٨ الحصائل، ١/ ٤٠، حاشية ٦.

٣-٤- الاستقصاء والتتبُّع

البصمة المعرفية للدالي في مشروعه الذي نذر حياتَه له بميدانيه: البحث اللغوي والتحقيق هي الاستقصاء والتتبُّع، وأبرز مظهرٍ لذلك هو اتِّساع آفاق الاستقراء عنده؛ وقد برز ذلك في تتبُّع الشواهد في ما أسميته من قبل باتِّساع الاستشهاد، ويمكن أن نرصد مظاهرَ أخرى لآليَّة الاستقصاء عند الدالي، ومنها:

- **استقصاء آراء اللغويين** قديمًا وحديثًا في المسألة اللغوية موضع البحث.[١]

- **تَتبُّع حركة الاستدلال** التي انتهجها اللغويُّون قديمًا وحديثًا في المسألة اللغوية موضع البحث.[٢]

وصنيع الدالي هنا مهمٌّ للغاية، وهو حريٌّ بأن يستثمر في تتبُّع حركة العلم وقياس مدى تطوُّره.

- **استقصاء المصادر**؛ وهي تشمل: مصادرَ شواهد المسألة،[٣] ومصادرَ آراء اللغويِّين فيها.[٤]

ويبدو لي أنَّه قد استقى آليَّة التتبُّع والاستقصاء من ميدان التحقيق؛ إذ إن أوَّل خطوةٍ يخطوها المحقِّق في هذا الميدان هي تتبُّع نسخ المخطوطة واستقصاء آثارها في مكتبات العالم.

٣-٥- الأشباه والنظائر

اعتاد الدالي أن ينتهج آليَّة قَرْن المسألة التي يبحثها بنظيراتها أو بما له علاقةٌ

١ ومن نماذج ذلك البحث الذي أعدَّه عن لغة (أكلوني البراغيث)؛ وتتبَّع فيه أقوال النحاة القدماء والمحدثين، وكان من المحدثين الذين تتبَّع أقوالهم: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، وعبَّاس حسن، ورمضان عبد التوَّاب، وحسن الملخ، وخليل عمايرة. الحصائل، ١/ ٦٣ – ٨٣.

٢ من نماذج ذلك البحث الذي أعده عن مسألة (أمَّا أنت منطلقًا انطلقتُ). الحصائل، ١/ ٨٩.

٣ الحصائل، ١/ ٦٧ – ٧٤ مع حواشيها.

٤ السابق، ١/ ٦٤ حاشية ٢.

بها، والدالي بهذا النهج ينطلق من الجزئيَّات إلى ميدانٍ أوسعَ هو الأشباه والنظائر، وهذا أمرٌ مهمٌّ يجب أن يُستثمر في الوقوف على مسالك التفكير النحوي وآليَّاته عند النحاة؛ قدمائِهم ومُحدَثيهم.

ومن ذلك عبارة (هل لك في كذا وكذا) التي درسها من خلال صورها الخمس:[١]

أوَّلها: أن يدخل حرف الجرِّ (في) على اسم ذات.

وثانيها: أن يدخل حرف الجرِّ (في) على اسم معنى.

وثالثها: أن يدخل على (أن) وصلتها.

ورابعها: أن يحذف قبل (أن) وصلتها.

وخامسها: أن تكون (إلى) مكان (في).

ومن ذلك: عبارة (لِيَهْنِك كذا) التي درسها من خلال لغاتها الثلاث:[٢]

الأولى: (لِيَهْنِئْك) بإسكان الهمزة للجازم، وهي لغة من حقَّق الهمزة.

والثانية: (لِيَهْنِيك) بياء ساكنة.

والثالثة: (لِيَهْنِك) بحذف الياء.

ومن ذلك: عبارة (لأيًا فعلت كذا) التي درسها من خلال لغاتها الأربع:[٣]

الأولى: لأيًا فعل، أو يفعل.

والثانية: لأيًا بلَأْيٍ فعل، أو يفعل.

والثالثة: لأيًا بعد لأي فعل، أو يفعل.

---

١ الحصائل، ١/ ١١ – ١٢.

٢ السابق، ١/ ١٩.

٣ السابق، ١/ ٥٢.

والرابعة: بلأي فعل، أو يفعل.

٣-٦- التأصيل

والمراد به ردُّ المسألة اللغوية موضعِ البحث إلى أصلها الدلالي أو الاستعمالي أو إلى أوَّلِ رأي قيل فيها. وكلُّ هذه الأنواع الثلاثة لها نماذج في بحوثه:

فمن نماذج التأصيل الدلالي تأصيلُه لدلالة عبارة (هل لك في كذا وكذا)؛ يقول: "ممَّا حُذِف في الكلام لكثرة استعمالهم إيَّاه قولُهم للمخاطب إذا أرادوا سؤاله هل يرغب في شيء أو في فعل شيء هم راغبون في أن يجد عنده قبولًا له - : (هل لك في كذا وكذا). فإذا أرادوا إلى رغبتهم في موافقته على ما سألوه دعوتَه إليه أوقعوا (إلى) مكان (في)، فقالوا: (هل لك إلى كذا وكذا). وذلك منهم تخيير للمخاطب؛ فإن شاء أجابهم إلى ما سألوه، وإن شاء لم يجب".[١]

ويقول في التأصيل الدلالي لعبارة (لأيًا فعلت كذا): "من عبارات العربية التي كثر دورها على ألسنتهم في التعبير عن وقوع معنىً من المعاني التي تقع شيئًا فشيئًا بعد جهدٍ ومشقَّةٍ وبطء - قولهم: (لأيًا فعل كذا) بتقديم اللفظ الذي هم به أعنى، وهو (لأيًا)، وربَّما أخَّروه يريدون: فعل ذلك بعد بطءٍ ومشقَّةٍ وشدَّةٍ وجهد. والأصل في اللأي: البطء، يقال: لَأَى يَلْأَى لَأْيًا: إذا أبطأ".[٢]

وفي التأصيل الاستعمالي للغة (أكلوني البراغيث) يقول: "بقيتْ في العربية ألفاظ وأمثلة وأساليب تخالف الأصول الوضعيَّة التي استقرَّت عليها اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن، جاءت مَنبَهة على أصل كان مستعملًا في طور من أطوار اللغة، أو يجب استعماله، ثمَّ تركوه طلبًا للخِفَّة".[٣]

ويقول: "وبقيتْ في العربية لغة قليلة لبعض القبائل خالفت هذا الأصل الذي استقرَّت عليه الفصحى، وجاءت مَنبَهة على الأصل الأوَّل الذي كان مستعملًا في

١ الحصائل، ١/ ١١.
٢ السابق، ١/ ٥٣.
٣ السابق، ١/ ٦٣.

طورٍ من أطوار اللغة في زمنٍ ما، وهو إلحاق علامات التثنية والجمع بالفعل المسنَد إلى اسم ظاهر مثنى أو جمع...".[١]

ويقول: "ولمَّا يزل الناس يستعملون هذه اللغة في لغة الخطاب العامِّيَّة في غير موضعٍ من البلدان العربية، ومنها سورية ولبنان ومصر؛ يقولون: (ظلموني الناس) ونحوه".[٢]

وهذا التأصيل كما هو واضحٌ يبحث في تاريخية الصيغة من جهة أصلها الوضعي والاستعمالي.

ومن مظاهر التاريخية أيضًا عند الدالي التنقيب في جذور المسألة موضع البحث لمعرفة أوَّل رأيٍ قيل فيها ومن قال به، وهذا النهجُ يدخلنا في حقل تأريخ الأفكار، وسيأتي نموذجٌ لذلك بعد قليل.

٣-٧- الانتخاب

استخدم الدالي هذه الآلية في مسائل الخلاف؛ فكان ينتخب من مجموعة آراءٍ ما يترجَّح منها عنده، والترجيح باب من أبواب الاجتهاد، وله صلةٌ بميدان التحقيق، حين يُرجِّح المحقِّق لفظةً وردت في إحدى النُّسَخ المخطوطة على أخرى وردت في نسخة أخرى، في ما يُعرف بفروق النُّسَخ.

والآراء التي كان يُرجِّحها الدالي هي لمسائلَ جزئيةٍ، وقد لاحظتُ أنَّ بعض وجوه الخلاف التي ناقشها ورجَّح فيها رأيًا لا ينبني عليها تَنوُّعٌ في المعنى؛ ومن ذلك مثلًا ترجيحه لمذهب الكسائي في مسألة (هل لك أن تفعل كذا وكذا)؛ إذ ذهب جمهور النحاة إلى أنَّ هناك جارًّا محذوفًا قبل المصدر المؤوَّل؛ وأصل هذه العبارة: هل لك في أن تفعل كذا وكذا، وهذا المصدر المؤوَّل في محلِّ نصب على نزع الخافض، واختار الكسائي أنَّه باقٍ على جَرِّه.[٣]

١ الحصائل، ١/ ٦٤.

٢ السابق، ١/ ٦٧.

٣ الحصائل، ١/ ٧.

ويُعلِّل الدالي لترجيح رأي الكسائي بقوله: "لأنَّ المنصوب على نزع الخافض لا يقع هذا الموقع، ولا يكون له تَعلُّق، والمعنى قائمٌ على تَعلُّق (أن) وصلتها بمتعلِّقها المحذوف".[1]

والخلاف في إعراب المصدر في هذه المسألة -كما هو واضحٌ- لا يتعلَّق به كبيرُ فائدةٍ، اللهمَّ إلَّا الفائدةَ المعرفية المتعلِّقة بضبط قواعد النصب على نزع الخافض، وسواء نُصب المصدر على نزع الخافض أو بقي على جَرِّه، فلا يترتَّب على ذلك ثراءٌ في المعنى.

والجَدى الحقيقي في مثل هذه المباحث النحوية هو التفتيش عن الثراء المعرفي الذي يمتاز به الدرس النحوي؛ من حيث تَنوُّعُ الآراء، واختلافُ جهات الاحتجاج، وهو بهذه المائزة -وهي مائزةٌ عامَّةٌ للحضارة الإسلامية- لا يَعْرف الرأي الواحد ولا الحُجَّة الواحدة، بل هو قائمٌ على التنوُّع ضمن منظومة الأنا والأنا. لكنَّ الأعظم جدًى في رأيي هو استلهامُ هذا التنوُّع واستشرافُ مستقبل العربية من خلاله، والعلم الحقيقي ليس مجرَّد القواعد والمناهج والنظريَّات المبثوثة في بطون الكتب، وإنَّما ما يجعلنا نعيد اكتشافَ أنفسنا والكونِ الذي حولنا، وإذا اكتشف الإنسان نفسه والكون الذي حوله، اصطلح معهما، وتلك غايةٌ عظمى يسعى إليها العلم.

٣-٨- التفريع والاستطراد

انتهج الدالي آلية التفريع والاستطراد، فلم تقتصر دراسته للمسألة التي يبحثها على الموضع المبحوث منها، بل كان يستطرد في بيان ما له عُلْقةٌ بها على جهة التفريع؛ ومن ذلك على سبيل التمثيل مسألة (هل لك في كذا وكذا) فلم يكتف ببيان صورها اللغوية والدلالية وإعرابها، بل استطرد في دراسة عدَّة مسائل فرعية؛ كمسألة رفع الاسم الواقع بعد ظرف أو جارٍّ ومجرور معتمدين على الاستفهام،[2]

١ الحصائل، ١/ ١٨.

٢ السابق، ١/ ١٧.

ومسألة حذف حرف الجرِّ،[١] ومسألة تعلُّق الجارِّ والمجرور،[٢] ومسألة النصب على نزع الخافض.[٣]

وفي مسألة (لِيَهْنِك كذا) لم يكتف ببيان صورها اللغوية والدلالية وإعرابها، بل تطرَّق إلى عدَّة مسائل فرعيةٍ؛ ومنها: إبدال الهمزة ياء لغير علَّة،[٤] وتحقيق الهمزة،[٥] وتخفيف الهمزة في الشعر،[٦] وحذف الهمزة في ضرورة الشعر،[٧] وحذف الهمزة في السعة.[٨]

٣-٩- التدرُّج

التدرُّج في بحث المسألة بالانتقال من فكرة إلى أخرى على جهة الترتيب يدلُّ على تنظيم الأفكار وترتيبها في عقل صاحبها، وكلَّما كانت أفكار الباحث واضحةً في عقله مرتَّبةً في تفكيره ظهر أثر ذلك جليًّا في ما يكتب، وكلَّما كانت الأفكار غير واضحةٍ أو مُشتَّتة ظهر أثر ذلك في ما يكتب فأتى بحثه مبعثرًا غير مرتَّب، وشابَهُ الغموضُ والاضطراب. وآلية التدرُّج واضحةٌ لمن يتابع بحوث الدالي، وفي النموذج التالي صدق ذلك.

٣-١٠- نموذج عامٌّ يُجلِّي آليَّات البحث عند الدالي

اخترتُ مسألة نصب ظرف الزمان على المصدر لأُجلِّي من خلالها الآليَّات التي ينتهجها الدالي في بحوثه اللغوية؛ وهي الدراسة التي حَملتْ عنوان (من مسائل

١ الحصائل، ١/ ١٦، ١٧.
٢ السابق، ١/ ١٧.
٣ السابق، ١/ ١٨.
٤ السابق، ١/ ١٩، ٢٣.
٥ السابق، ١/ ٢٥.
٦ السابق، ١/ ٢٧.
٧ السابق، ١/ ٢٩.
٨ السابق، ١/ ٢٥، ٣٠.

العربية: هل يُنصب ظرف الزمان على المصدر كما يُنصب المصدر على الظرف؟).[1]

- بدأ الدالي هذه المسألة بالبحث عن الخيط الأوَّل الذي يمكن أن يُوصِلنا إليها، من باب جمع النظائر في سياقٍ واحدٍ، وخيط هذه المسألة هو مسألةٌ أخرى تبحث نصب المصدر على الظرف.

إذن الدالي في بحث مسألة نصب الظرف على المصدر من مسألة نصب المصدر على الظرف.[2]

- صوَّر لنا المسألة الأصليَّة التي جعلها منطلقًا لدراسة المسألة محلِّ البحث، وقرَّبها بالتمثيل لها، وذكر مصادرها، كي يدلف منها إلى المسألة التي يبحثها.[3]

- أصَّل المسألة تاريخيًّا بالبحث عن أوَّل من تحدَّث فيها، وهو أبو عليٍّ الفارسي.[4] وهذا التأصيل الذي انتهجه مهمٌّ جدًّا في بيان الروافد الأولى التي تستقي منها المسألة ماءَها وغذاءَها، فإذا قطعنا الماء والغذاء عنها فقد قضينا عليها، وهذا ما كان يرمي إليه. وصنيعه هذا له علاقةٌ بتاريخية الأفكار والتأثيل لها. ويتَّضح لنا أنَّه حين يردُّ على رأيٍ ما فإنَّه ينتهج ما أسمِّيه بالضربة القاضية؛ وذلك أنَّه لا يناقش حواشي هذا الرأي وفروعَه، بل يذهب إلى أصوله وجذوره الضاربة في الأعماق فيقتلعها، فلا تقوم لهذا الرأي بعد ذلك قائمةٌ.

- ذَكَر الحُجَّة التي استند إليها الفارسي في تعضيد رأيه؛ وهي قول الأعشى (من الطويل):

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أَرْمَدا وبتَّ كما بات السليمُ مُسهَّدا[5]

- بيَّنَ الأصل الدلالي الذي انطلق منه الفارسي ومن تابعه؛ قال: "وإنَّما ذهب أبو

---

١ نُشرت أوَّلًا في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٦، ج ١، ٢٠٠١م، وأعيد نشرها في الحصائل، ١/ ١٠٢.
٢ الحصائل، ١/ ١٠٢.
٣ السابق، ١/ ١٠٢.
٤ السابق، ١/ ١٠٢.
٥ السابق، ١/ ١٠٢.

عليٍّ ومَنْ تابعه إلى القول بانتصاب (ليلة) على المصدر لا على أن تكون ظرفًا؛ لأنَّ قوله: (ألم تغتمض) الهمزة فيه عندهم للتقرير بلفظ جماعة، أو للإنكار الإبطالي بلفظ آخرين. وهمزة التقرير إذا لحقتْ لفظ النفي عاد إيجابًا... وهمزة الإنكار الإبطالي تقتضي أنَّ ما بعدها غير واقع، فلزم ثبوته إن كان منفيًّا؛ لأنَّ نفي النفي إثبات... فمعنى (ألم تغتمض) على التقرير أو الإنكار الإبطالي: اغتمضت. وجَعْلُ الليلة ظرفًا للاغتماض فيه إثباتٌ للاغتماض فيها، وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه عطف عليه قوله: (وعادك ما عاد السليم المسهَّدا) في رواية، أو (وبتَّ كما بات السليمُ مُسهَّدا) في روايةٍ أخرى، فأثبت له الاغتماضَ في الأوَّل، وعطفَ عليه ما فيه نفي لما أثبته. وهذا لا يصحُّ؛ إذ كيف يُثبت له الاغتماض في ليلة وينفيه عنه في قوله: (وبت مسهَّدا)؟. هذا معنى كلام أبي عليٍّ في إنكاره أن تكون الليلة ظرفًا، ومنه أخذ الآخذون".[1]

ونلاحظ ممَّا سبق انتهاجه آلية الشرح والتفسير لرأي أبي عليّ الفارسي.

- تَتبَّعَ دوران شاهد المسألة في التراث اللغوي ابتداءً بديوان الأعشى مرورًا بالمصادر النحوية، فذكر ثمانية وعشرين مصدرًا، مُعرِّجًا على ذِكْر الروايات المختلفة للبيت، وشَرْح بعض ألفاظه،[2] وهذا مَظْهرٌ من مظاهر اقتداره على التتبُّع والاستقصاء، وهو أيضًا تَجلٍّ واضحٌ لشخصيَّة المحقِّق التي يحملها بين جنبيه أنَّى اتَّجه، وكما قلتُ فإنَّ عادته في مسائله التي يبحثها أن يدرسها بروح المحقِّق.

- ذكر أنَّ كلام الفارسي قد نقله عنه البغدادي في شرح أبيات المغني،[3] ولم يُسمِّ البغدادي الكتاب الذي نقل عنه رأي الفارسي؛ قال الدالي: "على خلاف المعهود منه"؛[4] أي: أنَّ صنيع البغدادي هذا على خلاف المعهود منه في الحرص على ذكر مصادره. والدالي هنا يبيِّن لنا مائزةً مهمَّةً من موائز السمات البحثيَّة التي اتَّسم بها البغدادي؛ وهي ذكر مصادره. ولا شكَّ أنَّ إدراكه لذلك لا يكون إلَّا بطول صحبةٍ لتراث البغدادي، وتبصُّرٍ جيِّد بآليَّات منهجه.

١ الحصائل، ١/ ١٠٦.

٢ السابق، ١/ ١٠٣، حاشية ٣.

٣ شرح أبيات المغني، ٧/ ٣٠١.

٤ الحصائل، ١/ ١٠٤، حاشية ١.

- تظهر شخصيَّة الدالي التحقيقية حين يقول: (ولم أُصِبْ كلام أبي عليٍّ في ما بين يدي من كتبه وهي: المسائل المنثورة، والحَلَبيات، والبَصْريات، والعَسْكريات، والبَغْداديَّات، والإيضاح، وكتاب الشِّعَر، والتَّعْليقة، والحُجَّة، والشِّيرازيات، والإغفال).[1]

وهذا يدلُّ لما ذكرتُه آنفًا من القدرة الاستقصائية الهائلة التي يتميَّز بها في اتِّساع الاستقراء، والصبرِ الواسع، وكلاهما قد استقاه من ميدان التحقيق، فالمحقِّق البارع هو القادر على عزو الأقوال إلى مصادرها الأصليَّة لا الوسيطة. وهكذا يبدو لنا التماهي بين ميداني التحقيق والبحث عنده؛ فالمسألة اللغوية تبدو وكأنَّها كتابٌ يُحقِّقه، والكتاب الذي يُحقِّقه يبدو وكأنَّه مسألةٌ لغويةٌ يبحثها.

- ذكر من نَقَل كلام الفارسي وتابعه على رأيه؛ كابن جنِّي وابن الشَّجَري والباقولي والسُّهَيْلي وابن مالك وابن هشام وابن عَقِيل وأبي حَيَّان والسيوطي والبغدادي.[2] ومن المُحْدَثين محمَّد محيي الدين عبد الحميد[3] وعبَّاس حسن.[4]

- ذكر أمرًا مهمًّا؛ وهو أنَّ مناقشة كلام أبي عليٍّ الفارسي وما احتجَّ به من بيت الأعشى هو مناقشةٌ لكلام كلِّ من تابعه من النحاة قديمًا وحديثًا. والدالي هنا يُؤسِّس لأمرٍ مهمٍّ يتعلَّق بعدَّة علوم أبرزها: الترجيح والخلاف والتطوُّر العلمي، وهو أنَّ كلمة السرِّ في هذه العلوم جميعها كامنٌ في تاريخية المسألة والوقوف على جذورها، أو ما يعرف بعلم تأريخ الأفكار. إنَّ معرفة نقطة البدء التي تنطلق منها أيُّ مسألةٍ علميةٍ تنطوي على خطرٍ كبير؛ فإذا كانت البداية صحيحة فإنَّ ما يُبْنَى عليها صحيح، وإذا كانت البداية غير صحيحةٍ فإنَّ ما يُبْنَي عليها غير صحيح. ولذلك فإنَّ الترجيح بين الآراء المختلفة يتطلَّب دراستها تاريخيًّا، كما أنَّ علمي الخلاف والتطوُّر العلمي لا يُنتجان معرفةً علميةً صحيحةً بدون التبصُّر بهذه الأصول التاريخية، وكذلك فإنَّ مناقشة آراء العلماء لا تتمُّ على الوجه الصحيح بدون الدراسة التاريخية لجذورها.

١ الحصائل، ١/ ١٠٤، حاشية ١.
٢ السابق، ١/ ١٠٣.
٣ السابق، ١/ ١٠٣، حاشية٣.
٤ السابق، ١/ ١١١.

- أتى برأي الفارسي من كلام الفارسي نفسه، وأردفه بذكر العلَّة التي اعتلَّ بها لتعضيد رأيه الذي ذهب إليه؛ في أنَّ الظرف (ليلة) منصوب على المصدر. قال الفارسي: "(ليلة) منصوب نصب المصادر؛ أي: اغتماض ليلة أرمد، وليست (ليلة) ظرفًا؛ لأنَّ المعنى ليس على ذلك؛ إذ ليس التقدير: ألم تغتمض عيناك في ليلة أرمد، وإنَّما أراد أن اغتماضه كان يسيرًا كاغتماض الأرمد في ليلته".[١]

- أتى برأي الفارسي من كلام تلميذه ابن جنِّي في كتابيه: (الخصائص) و(المحتسَب)، وهذا مظهرٌ من مظاهر التتبُّع والاستقصاء، ونلمح في سرد الدالي لكلام ابن جنِّي في هذين المصدرين تَنْبيهَه على الفرق بين الكلامين، وما امتاز به أحدُهما عن الآخر. قال: "وقال في المحتسَب -ولم يرد في الخصائص-: ...إلخ".[٢] كما نَقَل عن ابن جنِّي قولًا آخر مُصدِّرًا ذلك بقوله: "قال في المحتسب -وكلامه فيه أتمُّ وأوفى ممَّا في الخصائص-...".[٣]

إنَّنا نستطيع أن نتبيَّن بوضوحٍ أنَّ الدالي ليس مجرَّدَ باحثٍ عاديٍّ، بل هو قارئٌ بصيرٌ، يعكف على مصادره ويُخلِص نَفْسَه لها، دليل ذلك استجلاؤه الفروقَ التي تَعِنُّ له في أثناء القراءة، وهو حين يُنبِّه على الفروق التي بين نصَّي (الخصائص) و(المحتسَب)، فلأنَّه يراهما أشبه بنسختين مخطوطتين يقابل إحداهما بالأخرى، ويُحرِّر فروق ما بينهما. وإذا كانت اللغة هي المفتاح الجوهري لبراعة الدالي مُحقِّقًا، فإنَّ التحقيق هو المفتاح الجوهري لبراعة الدالي لغويًّا.

- أتى بكلام ابن الشَّجَري في المسألة ليُبيِّن أنَّه تابَعَ أبا عليٍّ في ما ذهب إليه.

ولعلَّنا نلاحظ ممَّا سبق حسن الترتيب والتدرُّج؛ إذ بدأ أوَّلًا ببيان كلام الفارسي من كلام الفارسي نفسه، ثمَّ بيَّنه ثانيًا من كلام تلميذه ابن جنِّي، ثمَّ من كلام العلماء الذين عُنوا بالمسألة. وحسن الترتيب هذا مُستقًى من ميدان التحقيق، حين يُوثِّق المحقِّق نصًّا ما من مصدره الأصلي أوَّلًا، ثمَّ من المصادر الأخرى.

---

١ نقله عنه البغدادي في شرح أبيات المغني، ٧/ ٣٠١.

٢ الحصائل، ١/ ١٠٥.

٣ السابق، ١/ ١١٠.

– استطرد في تفسير رأي الفارسي ومن تبعه، فقال: "والكلام عندهم مبنيٌّ على أنَّ التشبيه وقع بالمصدر وهو (الاغتماض)، والتقدير: (ألم تغتمض عيناك اغتماضًا مثل اغتماض ليلة أرمد)، فحذف (اغتماضًا)، ثمَّ حذف صفته المضافة (مثل)، وأقام المضاف إليه مُقام المضاف، فصار: (ألم تغتمض عيناك اغتماضَ ليلةِ أرمد)، ثمَّ حذف المصدر المضاف (اغتماض)، وأقام المضاف إليه وهو (ليلة) مقامه، فنُصبت (ليلة) على المصدر".[1]

وهذا الإمعان في الشرح والتفسير والبيان فضلًا عن كونه منحًى تربويًّا تعليميًّا فإنَّ له دورًا كبيرًا في تقريب المسألة من الأذهان، هو أيضًا منحًى معرفيٌّ استكشافيٌّ يستكنه فيه الدالي –وتلك طبيعة النحوي البارع– العمليَّاتِ التي تمرُّ بها صيغ العربية حتَّى تستقرَّ على ما هي عليه، ولعلَّنا لاحظنا عمليَّات الحذف وما لحقها من عمليَّات الإحلال؛ فعبارة (ألم تغتمض عيناك ليلة أرمد) مرَّت بثلاث مراحل من الحذف، ومرحلتين من الإحلال. والعربية بهذا الاستكناه تنطوي على حركةٍ داخليةٍ أشبه بحركة التفاعلات الكيمائية التي يُؤثِّر فيها عنصر على آخر، وتَتَّحد فيها عناصر لإنتاج عنصر جديد، ويذوب فيها عنصر من أجل ميلاد عنصر جديد. وهذا يدلُّ على أنَّ صيغ العربية –وإن بدتْ لنا في ظاهرها ثابتة مُستقرَّة– تمور في باطنها كما يمور البركان. إنَّ النحوي البارع حين يدرس صيغةً ما من صيغ العربية لا ينبغي أن يقنع بأنَّه مجرَّدُ باحثٍ، وإنَّما هو كعالم الأحياء (بيولوجي) الذي يدرس تطوُّر أحد الكائنات الحيَّة. إنَّ عبارة (ألم تغتمض عيناك ليلة أرمد) هي الصورة المتطوِّرة عن عبارة (ألم تغتمض عيناك اغتماضًا مثل اغتماض ليلة أرمد).

والدالي في انتهاجه هذه الطريقة التربوية التعليمية في الشرح والتوضيح متأثِّر بالباقولي حين يشرح ويوضِّح، وقد أشار الدالي نفسه في مقدِّمة تحقيقه لكشف المشكلات إلى سليقة المعلِّم التي يتمتَّع بها الباقولي،[2] كما أشار إلى ذلك في مقدِّمة تحقيقه لكتاب ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل.[3]

١ الحصائل، ١/ ١٠٦.

٢ كشف المشكلات، ١/ ١٤.

٣ ما تلحن فيه العامَّة، ٢٨، نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق، والحصائل، ٣/ ٢٧٠.

- شَرَح ما أشكل من مفردات بيت الأعشى؛ فقال: "(ألم تغتمض عيناك)؛ أي: ألم تنم (ليلة) أي: ليلةً مثلَ ليلةِ (أرمدا) أي: رجل أرمد. والرَّمَد: وَجَعُ العين وانتفاخُها، (وعادك) أي: وانتابَك (ما عاد) أي: ما انتاب (السليم) أي: اللديغ الذي لَدغَتْه الأفعى، قيل له ذلك تَفاؤلًا بسلامته (المسهَّدا) أي: الذي سَهَّده أي: أرَّقَه الوجع ومنعه الرُّقاد".[1]

- بيَّن رأيه في المسألة فقال: "وظاهر معنى البيت -أي بيت الأعشى- على خلاف ما ذهبوا إليه، وليلة فيه على بابها وهي ظرفٌ لعدم الاغتماض، والتشبيه وقع بالليلة لا بالاغتماض".[2]

- احتجَّ لرأيه وأتى بستَّة شواهدَ تعضيدًا لما ذهب إليه، أجاز فيها النحاة نصب الظرف على المصدر، ثمَّ ردَّ على استدلال النحاة بها، وبَيَّن ما يراه في كلامهم من الاضطراب.

- ردَّ على قول الفارسي في ما ذهب إليه، وهذا يقتضي ضمنًا الردَّ على من تابعه من النحاة. والتحقيق العلمي يقتضي أنَّ قول الفارسي ومن تابعه له وجاهته العلمية لانطلاقه من دلالة البيت، وهو أنَّ اغتماضه كان يسيرًا كاغتماض الأرمد في ليلته، ويؤيِّده قوله في الشطر الثاني: (وبِتَّ كما بات السليم مُسهَّدا). وقد انطلق أبو عليٍّ في هذا التقدير من كون الاستفهام في (ألم) للتقرير. بينما انطلق الدالي من كون الاستفهام للتعجُّب، أو أنَّه استفهام محض على حقيقته. فنقطة البحث مختلفة، وتقدير الفارسي ومن تابعه صحيح، وتقدير الدالي أيضًا صحيح. غير أنَّ تقدير الدالي يُؤدِّي بنا إلى الوقوف عند ظواهر الصيغة، ويحرمنا من استبطانها، ويَحُول بيننا وبين تَبَصُّر العمليَّات الكيميائية التي مَرَّتْ بها حتَّى استقرَّتْ. والشَّرَكُ الأكبر الذي قد يقع فيه بعض الباحثين في العربية هو قَصْر رؤيتهم على وجه دون وجه، والعربية بما فيها من مَسالك الاتِّساع ومرونة القول لا تَعْرف هذا السجن، بل تقتضي من الباحث أن يُوازي اتِّساعها ومرونتها بما أسمِّيه انفتاحَ النظر واتِّساعَ التأمُّل. إنَّ

١ الحصائل، ١/ ١٠٧ - ١٠٨.

٢ السابق، ١/ ١٠٦.

العربية لغة لا تعرف مُصادرةَ النظر، وليس فيها إقصاءُ رأيٍ له وجاهتُه العلمية. العربية مبنيَّة على قَبُول الآخر قبولًا مرحَّبًا به، وقد تَواتر في أدبيَّاتهم قولُهم: "من فُرِقَ له عن عِلَّة صحيحة وطريقٍ نَهِجة، كان خليلَ نَفْسه، وأبا عمرو فِكْره".[1]

- خطَّأ ابنَ جِنِّي في استدلاله على نصب الظرف على المصدر بقول سبرة بن عمرو الفقعسي:

وطعنـةُ مُستبسـلٍ ثائرٍ　　　يَـرُدُّ الكتيبـةَ نصـفَ النهـار[2]

حيث ذهب ابن جنِّي إلى أنَّ (نصف) منصوبٌ على المصدر لا على الظرف.[3] وقد انتبه الدالي إلى اضطراب كلام ابن جنِّي فمرَّةً أوَّل البيت على معنى: يَرُدُّ الكتيبة رَدَّ نصف النهار، وهذا يقتضي أنَّه منصوبٌ على المصدر. ومرَّةً أخرى أوَّله على معنى: يَرُدُّ الكتيبة مقدارَ نصف يوم، أو على معنى: يَرُدُّ الكتيبة ستَّ ساعات، وهذا يقتضي أنَّه منصوب على الظرف.[4]

ونلاحظ في رَدِّ الدالي على ابن جنِّي إجلالَه له وإنزالَه محلَّه من التوقير والاعتراف بإمامته؛ فقال: "هذا كلام الإمام أبي الفتح".[5]

ويقتضي التأمُّل البصير لعبارة ابن جنِّي أن نقول: إنَّها تخلو من الاضطراب الذي وصمها به الدالي؛ إذ إنَّ قوله: (يَرُدُّ الكتيبة مقدار نصف يوم)، على معنى: يَرُدُّ الكتيبة رَدَّ مقدار نصف يوم، وقوله: (يَرُدُّ الكتيبة ستَّ ساعات)، على معنى: يَرُدُّ الكتيبة رَدَّ ستِّ ساعات. ويؤيِّد هذا كلامه الأوَّل الذي افتتح به المسألة حين قال: (يَرُدُّ الكتيبة رَدَّ نصف النهار). وهذا يعني نفي التناقض عن عبارته.

- خطَّأ العينيَّ مرَّتين:

---

١ الخصائص، ١/ ١٩١.

٢ البيت من المتقارب. ينظر: النوادر، ٤٣٩، الخصائص، ٣/ ٣٢٢، والمحتسب، ٢/ ١٢٢، المقاصد النحوية، ٣/ ٦٦.

٣ الخصائص، ٣/ ٣٢٦، والمحتسب، ٢/ ١٢٢.

٤ الحصائل، ١/ ١١٠.

٥ السابق، ١/ ١١٠.

الأولى: حين ذهب العينيُّ إلى أنَّ (أرمدا) في بيت الأعشى أصله: (ليلة أرمدِ) بجر (أرمد) على الإضافة، ولكنَّه نصب للضرورة ليوافق (مُسهَّدا) في الشطر الثاني.[١] قال الدالي: "والصواب أنَّه ممنوع من الصرف؛ لأنَّه وَصْفٌ على وزن أَفْعَل، وهو مجرور بالإضافة وعلامةُ جرِّه الفتحة عِوَضًا عن الكسرة والألف للإطلاق".[٢]

والحقُّ أنَّ ما ذهب إليه العيني صحيح؛ لأنَّه يعني بالجرِّ على الإضافة: جَرَّ (أرمد) على نِيَّة الإضافة، والتقدير: ليلة أرمد العينين. والممنوعُ من الصرف إذا أُضيف جُرَّ بالكسرة على ما تقرَّر عند النحاة.

الثانية: حين تابع العينيُّ ابنَ جنِّي في نصب الظرف (نصف) في قول سبرة الفقعسي على المصدر.[٣] وما قلناه هناك من الانتصاف لابن جنِّي نقوله هنا في الانتصاف للعيني. رحم الله ساداتنا النحاة.

* خطَّأ عبَّاسَ حسن في تمثيله لنصب الظرف على المصدر، في قوله: "نحو: فلان يلهو ويمرح؛ لأنَّه لم يحي ليلة المريض؛ ولم يعش ساعة الجريح".[٤] وقد رأى الدالي أنَّ كلام عبَّاس حسن فيه اضطراب؛ فتارةً فسَّر ما مَثَّل به على أنَّه بمعنى: (لم يحي حياة ليلة المريض ولم يعش عيشة ساعة الجريح). وهذا يعني أنَّ الظرف هنا منصوب على المصدر. وتارةً فسَّره على معنى: (لم يحي في ليلة كليلة المريض ولم يعش في ساعة كساعة الجريح). وهذا يعني النصب على الظرفية.[٥]

والحقُّ أنَّ عبارة عبَّاس حسن ليس فيها اضطرابٌ؛ إذ تفسيرُه الأوَّلُ الذي صدَّر به تمثيلَه يوضِّح تفسيره الثاني ويُبيِّنه.

* خطَّأ محيي الدين عبد الحميد في تجويزه أن يكون (أرمدا) في بيت الأعشى

١ المقاصد النحوية، ٣/ ٦٥.

٢ الحصائل، ١/ ١٠٣ – ١٠٤، حاشية ٣.

٣ السابق، ١/ ١١٠.

٤ النحو الوافي، ٢/ ٢١٨.

٥ الحصائل، ١/ ١١١.

منصوبًا على نزع الخافض، أو أن يكون فعلًا ماضيًا مسندًا إلى ألف الاثنين.[1] ويقتضي الإنصاف أن نقول: إنَّ صنيع الدالي هنا فيه تضييقٌ للأوجه المتاحة في إعراب (أرمد) ومُصادرةٌ على الأوجه الأخرى، وقد كان محيي الدين عبد الحميد أوسعَ نظرًا وأرحبَ أفقًا؛ حيث ذكر جميع الأوجه المتاحة التي يمكن تجويزُها في إعراب (أرمدا)، ومنها الوجه الذي اختاره الدالي واقتصر عليه. إنَّ التعامل مع لغةٍ كاللغة العربية يقتضي الانتباه لاتِّساع مَسالكها وتَفنُّن ضُروب القول فيها، وإنَّ هذا الاتِّساع ينفي ما يسلكه بعضُ الباحثين من قصر زوايا النظر على جهة دون أخرى، وعليه فإنَّ الرأي الذي له علَّةٌ مقبولةٌ أو دليلٌ صحيحٌ لا تجوز تَخْطئتُه.

* من وجوه التفريع والاستطراد عند الدالي: حديثه عن التشبيه والاستفهام المحض عن النفي، فبيَّن وقوعه في كلامهم، وأتى بشواهد على ذلك، وذكر بعض الإيرادات التي تَرِد عليها وأجاب عنها.[2] ومن ذلك حديثه عن همزة الاستفهام التي للتعجُّب.[3] وهذا الاستطراد دليل التدفُّق العلمي والامتلاء المعرفي وسعة الاطِّلاع، والباحث الممتلئ علمًا كالنهر الممتلئ ماء حين يفيض على شطآنه. وكي يصل الباحث إلى هذه المرحلة فعليه أن يتحلَّى بالنَّفَس الطويل والصبر والإتقان، ويجمع هذا كلَّه الوفاءُ للعلم والإخلاص له.

* يتجلَّى في شخصيَّة الدالي صفة التواضُع، فبعد أن بحث المسألة وأتى على رأي أبي عليٍّ الفارسي ومن تبعه من قواعده، وأبان عن رأيه واستدلَّ له- قال: "فإذا صحَّ هذا -وهو صحيح إن شاء الله- ...إلخ". ولعلَّنا نلمح في عبارته أنَّه صدَّرها بأداة الشرط (إذا) وقرنها بتقديم المشيئة.[4]

---

١ ذكر ذلك في تعليقه على شرح الأشموني، ٢/ ٣٥٢. وذكر الدالي أنَّ كلام محيي الدين عبد الحميد مذكور في ٢/٣٢٢. ولا أعرف الطبعة التي رجع إليها. ويبدو لي أنه وهم في كتابة رقم الصفحة.

٢ الحصائل، ١/ ١٠٨- ١٠٩.

٣ السابق، ١/ ١٠٧- ١٠٨.

٤ وسمة التواضع عند الدالي بارزة أيضًا في تحقيقاته، يقول في مقدِّمة تحقيقه لكتاب الإبانة: وما عمَلي إلَّا آثارٌ ونتائجُ عن محاولتي فهمَ كلامهم، ومعارضةَ أقوالهم في تصانيفِهم، ومعرفةَ أخذِ بعضِهم عن بعض، واختيارِ بعضِهم قولًا على قول. فمن كلامهم علَّقتُ... ومن كلامهم استدركتُ عليهم، ومن كلامهم اختَرتُ ما اختَرت، وممَّا بسَطوه من أصول العربيَّة خالفتُهم في ما خالفوه منها في بعض أقوالهم، ورأيت غيرَ ما رأوا. مقدِّمة الإبانة

* تتجلَّى الأمانة العلمية للدالي ليس فحسب في ما ينقله عن القدماء وعزوِه إليهم، بل أيضًا في ما ينقله عن المُحْدَثين وعزوه إليهم. من ذلك قوله: "نخلص إلى القول: إنَّ (ليلة) في قول الأعشى جاءت منصوبة على بابها من كونها ظرفًا للعامل قبلها (ألم تغتمض)، والاستفهام فيه عن الفعل المنفي ومعناه التعجُّب". ثمَّ ذكر في الحاشية تعليقًا على هذا الكلام: "هذا قول قوم في بيت الأعشى لم يُسمِّهم المعرِّي في عبث الوليد ٤٩١- ٤٩٣، ونصَّ على أنَّه وَجْهٌ أجازه الكوفيون، وذكر مذهب أبي عليٍّ فيه أنَّ قوله: (ألم) تقرير وإيجاب، والتقرير عنده: ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلةٍ أرمدا؛ أي: قد كان ذلك. وقد وقفتُ على كلام المعرِّي سنة ٢٠٠٧ بعد نشر البحث بنحو ستِّ سنوات، دلَّني عليه وائل الرومي في الكويت، جزاه الله خيرًا".[١]

* نلمح هنا سمةً من سمات التجربة البحثية للدالي، وهي المراجعة العلمية المستمرَّة لما يكتب؛ إمَّا بالزيادة وإمَّا بالتعديل؛ ذلك أنَّه كان قد نشر بحثه هذا في مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ٢٠٠١م، وأنَّ هذه الزيادة التي أفاده إيَّاها وائل الرومي جاءت بعد ستِّ سنوات من نشر البحث، ولمَّا أعاد نشر البحث في (الحصائل) أشار إلى ذلك كما رأينا.

كلمة أخيرة

أشكر للأستاذ الدكتور فيصل الحفيان -حفظه الله- تشجيعَه لي على خوض غمار هذه الدراسة، والحقُّ أنَّه قد أحسن إليَّ حين جعلني أطَّلع عن قرب على المنجز المعرفي للدالي، وهو منجزٌ يضع الرجلَ في الطبقة العالية من الباحثين المحقِّقين، على خلاف ما اعتدنا أن نراه في كثير من دراسات الباحثين المعاصرين المختصِّين في العربية؛ إذ يخرجُ منها القارئ كما دخل إليها، دون أن تزداد معرفته بالعربية شيئًا ذا بالٍ. وهنا أستعير كلمةً للعبقريّ الحسَّاني حسن عبد الله حفظه الله، وهي قوله: "فَرْقٌ بين امتلاء الأوراق وامتلاءِ النفوس".[٢] وحقًّا إذا لم تمتلئْ نفسُ

في تفصيل ماءات القرآن، ٩.

١ كان الأستاذ وائل الرومي من طلَّاب الدالي المقرَّبين إليه، إبَّان إقامة الدالي في الكويت (٢٠٠١- ٢٠٢٠م).

٢ مقدِّمة ديوانه عِفْتُ سكون النار، ٦.

الباحث ونفسُ القارئ من أيِّ دراسةٍ علميةٍ جادَّةٍ، فإنَّ ذلك إضاعةٌ للوقت، وإنفاقٌ للجهد في غير ما طائل.

أسأل الله أن ينفعنا بما عَلَّمنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يرفع بالعلم درجاتنا في الدنيا والآخرة، وأَتَمثَّل قولَ السكَّاكيِّ رحمه الله الذي قَدَّم به لكتابه (مفتاح العلوم): "عسى إذا قُيِّضَ في اللحد المضجع أن يُدْعَى لي بدعوة تُسْمَع".[١]

١ مفتاح العلوم، ٧.

المصادر والمراجع

- آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، خليل عمايرة، دار البشير، عمَّان الأردن، ١٩٨٩م.
- الإبانة في تفصيل ماءات القرآن، وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة، الباقولي، ت محمَّد الدالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م. ودار البشائر، دمشق، ط٢، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ت محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
- أخبار في النحو (رواية أبي طاهر)، الجفان والجابي، نيقوسيا، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- أدب الكاتب، ابن قُتيبة، ت محمَّد الدالي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: هـ. ريتر، طبعة مصوَّرة، مكتبة المثنَّى، بغداد، ١٩٧٩م.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- إعراب القرآن، النحَّاس، ت زهير غازي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط٣، بيروت، ١٩٨٨م.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- الإقناع، المطرِّزي، ت محمَّد الدالي، جامعة قطر، ١٩٩٩م.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله، السيوطي، تحقيق محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، ابن هشام، ت محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١٥، ١٩٦٧م.
- البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي، مطابع النصر الحديثة، الرياض.
- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.

- بدوي الجبل قمَّة الشعر في هذا العصر، محمَّد الدالي، جريدة الثورة عدد ٤٨٦٥، بتاريخ ٦/ ١/ ١٩٧٩م.
- تسهيل الفوائد، ابن مالك، ت محمَّد كامل بركات، دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧م.
- تفسير غريب ما في كتاب سيبويه، أبو حاتم السِّجِسْتاني، ت محمَّد الدالي، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠١م.
- جزاف الكفاف، محمَّد الدالي، مجلَّة الدراسات اللغوية، الرياض، مج ٢، العدد ٣، رجب - رمضان ١٤٢١هـ- أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٠م.
- الجمل، عبد القاهر الجرجاني، ت علي حيدر، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢م.
- جواب المسائل العشر، ابن بَرِّي، ت محمَّد الدالي، دار البشائر، دمشق، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- جواهر القرآن ونتائج الصَّنْعة، الباقولي، ت محمَّد الدالي، دار القلم، دمشق، عام ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.
- جولة جامع العلوم الأصبهاني الباقولي مع أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة، محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٦٤، ج ٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- حاشية الصبَّان على شرح الأشموني لألفيَّة ابن مالك، أبو العرفان الصبَّان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- الحاوي للفتاوي، السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م
- الحصائل، محمَّد الدالي، دار النوادر، سورية - لبنان- الكويت، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- خزانة الأدب، البغدادي، بولاق، ١٢٩٩هـ.
- الخصائص، ابن جنِّي، ت محمَّد علي النجَّار، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ديوان (عِفْتُ سكون النار)، الحسَّاني حسن عبدالله، مطبعة المدني، القاهرة.
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ت شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٢م.
- الاستدراك على أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة، الباقولي، ت محمَّد الدالي، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي بالكويت، عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- سِفْر السعادة، عَلَم الدين السَّخاوي، ت محمَّد الدالي، مجمع اللغة العربية، دمشق، عام

١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م. ودار صادر، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرسالة، ط٥، ١٩٨٥م.
- شرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي، ت محمَّد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦م.
- شرح أبيات المغني، البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقَّاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٣م.
- شرح ألفيَّة ابن مالك، ابن الناظم، ت عبد الحميد السيِّد، دار الجيل، بيروت.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار الكتب العربية.
- شرح القصائد التسع المشهورات، أبو جعفر النحَّاس، ت أحمد خطاب، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٣م.
- شرح الكافية، الرضي، دار الباز للنشر، مكَّة، طبعة مصوَّرة عن الشركة الصحافية العثمانية، ١٣١٠هـ.
- شرح المفضليَّات، ابن الأنباري، ت كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
- صلةُ الكلام في كتاب الجواهر لجامع العلوم الأصبهانيّ وتحقيق اسمه، محمَّد الدالي، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٣، ج٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- طبقات النحويِّين واللغويِّين، الزُّبَيْدي، ت محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢.
- عبقريَّة اللغة العربية، محمَّد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظَّمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- غريب الحديث، ابن قتيبة، ت عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٧م.
- الفائق، الزمخشري، تحقيق علي محمَّد البجاوي ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧١م.
- في أصول اللغة، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- في الطريق إلى مصطلح علمي عربي موحَّد، محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٥، ج ٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- في اللسانيَّات العربية المعاصرة دراسات ومُثاقفات، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥م.

- في وسائل الإعلام: ثقافة كُتَّابها ولغتهم، محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع دمشق، مج٧٤، ج٣، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- فيض نشر الانشراح من روض طيّ الاقتراح، ابن الطيِّب الفاسي، ت محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- الكامل، المبرد، ت محمَّد الدالي، مؤسَّسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاَّج - تحقيق نسبته واسمه وتعريف بمؤلِّفه، أحمد راتب النفاَّخ، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٤٨، ج٤، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجَّاج هو كتابُ الجواهر لجامع العلوم الأصبهانيِّ، محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج ٦٦، ج١، عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- كتاب إعراب القرآن المنسوب للزجاَّج، أحمد راتب النفَّاخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٩، ج١، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٤م.
- الكتاب، سيبويه، بولاق، ١٣١٦هـ.
- الكشَّاف، الزمخشري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٨م.
- كَشْف المشكلات وإيضاح المعضلات، الباقولي، ت محمَّد الدالي، مجمع دمشق، عام ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- الكَفاف، يوسف الصيداوي، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ما تلحن فيه العامَّة في التنزيل، الباقولي، ت محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٧٤، ج١، عام ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.
- ما هكذا تُورَد يا سعد الإبل، وقول أبي العلاء المعرِّي: "تَعَبٌ كلُّها الحياة" صحيح، وقول شفيق جبري شاعر الشام: عَلَّمتم الناس... ما الجود" جزل فصيح - وقفة مع د. شوقي المعرِّي في قول له خطَّأ فيه قولَ أبي العلاء، وضعَّف أسلوبَ شاعر الشام، محمَّد الدالي، مجلَّة بُناة الأجيال بدمشق، العدد ٣٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- المجتنى، ابن دريد، ت محمَّد الدالي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م. والجفان والجابي، ١٩٩٧م.
- المحتسَب، ابن جنِّي، تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المخصَّص، ابن سيده، تحقيق الشنقيطي وعبد الغني محمود، بولاق، ١٣٢١هـ.
- مسائل في علم العربية والتفسير، الباقولي، ت محمَّد الدالي، مجلَّة جامعة دمشق، مج

١٤، العدد٤، عام ١٩٩٨م.

- مسائل نافع بن الأزرق، الباقولي، ت محمَّد الدالي، الجفان والجابي، نيقوسيا، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- المصحِّح في صحافتنا الأدبية، محمَّد الدالي، جريدة الثورة، عدد ٤٩٠١، بتاريخ ٢/١٧ / ١٩٧٩م.
- معاني القرآن، الفرَّاء، تحقيق محمَّد علي النجَّار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، ١٩٥٥م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، ت إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، القاهرة.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد البكري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- مفتاح العلوم، السكَّاكي، ضبطه وعلَّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- المقاصد النحوية، بدر الدين العيني، بهامش خزانة الأدب، طبعة بولاق، ١٢٩٩م.
- المقتصد، عبد القاهر الجرجاني، ت كاظم بحر المرجان، بغداد، ١٩٨٢م.
- ملاعب الأسنَّة، محمَّد الدالي، المجلَّة العربية، عدد ١٢، ١٩٨١م.
- من كلام العرب قولهم: لأيًا فعلتُ كذا، مجلَّة جامعة دمشق عام ١٩٩٣م، مج ٩، العددان ٣٥ و ٣٦.
- من مسائل العربية: هل يُنصب ظرف الزمان على المصدر كما يُنصب المصدر على الظرف؟ محمَّد الدالي، مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٧٦، ج ١، ٢٠٠١م.
- الميزان في تفسير القرآن، محمَّد حسين الطباطبائي، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٩٧٣م.
- النحو الوافي، عبَّاس حسن، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٥م.
- نظريَّة الأصل والفرع في النحو العربي، حسن الملخ، دار الشروق، عمَّان الأردن، ٢٠٠١م.
- النوادر، أبو زيد الأنصاري، ت سعيد الخوري، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.

مواقع إلكترونية

- شذرات دالية، أيمن أحمد ذو الغنى، منشور بتاريخ ٢٩/ ١١/ ٢٠٢١م.

https://www.facebook.com/azoulghina/posts/10226795119934861?__cft__[0]=AZXGx6vyA6KHcda6xjUjnybuTXBwTxymx4FxHxcN6SMxuWG7NHK-9J6goOgh4fYr593XuQEEyhEcGQvGg3M2lucaSHidJoItOZ0HoPmqSXV5ZEC-ztr5ttYQCidZPZRF404WI&__tn__=%2CO%2CP-R

- محمَّد أحمد الدالي وجامع العلوم، أيمن أحمد ذو الغنى، منشور بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠٢٠م.

https://www.alukah.net/culture/0/139265/

صنعة الفهارس والملاحق والمستدركات

عند الدالي[1]

ضياء الدين القالش

جامعة حلب - سورية

ملخَّص

يتناول هذا البحث جانبًا مهمًّا من جوانب العمل في تحقيق المخطوطات، وهو صناعة الفهارس والملاحق والمستدركات عند واحدٍ من أبرز أعلام المحقِّقين في عصرنا، وهو الدكتور محمَّد أحمد الدالي، وذلك من خلال استقصاء دقائق صنعته في فهارس تحقيقاته، وتتبعُّ ما كتبه هو عن منهجه في الفهرسة، والاستفادةِ ممَّا عرفه الباحثُ وعايَنَه من جهود الدالي في ذلك من خلال تلمذته له وسماعه منه.

حاولتُ في هذا البحث الكشفَ عن مظاهر عناية الدالي بالفهرسة، وما تحلَّى به من الصفات المُعينة على تجويد ذلك العمل، وما التزمه من طرائق الضبط والتقييد وصناعة السجلَّات والفهارس الخاصَّة وإحكام صنعة التحقيق، ممَّا كان له عظيم الأثر في صناعة الفهارس عنده. وعُنيت ببيان ما تفرَّد به الداليُّ في الفهرسة والملاحق والمستدركات، وما أضافه إلى هذه الصنعة من ابتكارٍ وتجديدٍ وضبطٍ وتجويد.

الكلمات المفتاحيَّة: صناعة المَلاحق، صناعة المستدرَكات، تحقيق المخطوطات، مكمِّلات التحقيق، سجلَّات المحقَّق.

---

١ لم أترجم لأستاذنا الجليل اعتمادًا منِّي على الأبحاث الأخرى التي أُفرِدت لسيرته. وكنتُ تلمذت له منذ عام ١٩٩٧م، وحظيت بملازمته زمنًا في جامعة دمشق وفي بيته العامر بها، وأخذت عنه من العلم وصنعة التحقيق ما وفِّقت لحمله، وشرفت بمشاركته في شيء يسير من النسخ والمقابلة والفهرسة في ما يعمل فيه، وتحقَّقتُ صنعته في أعماله، وكان الاتِّصال الهاتفي خير مسعف بيننا في غربته وغربتي، إلى أن فارقَنا إلى دار الخلد في ٢١/ ١١/ ٢٠٢١م، رحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته، وجزاه عنَّا وعن العربية خير الجزاء.

The Allamah Proofreader Dr. Muḥammad Aḥmad al-Dālī's Indices, Appendices, and Complements

Dr. Dyiaa Adeen Alkalesh

Abstract

This research tackles a significant aspect of manuscripts proofreading; that is indices, appendices, and complements of one of the most prominent proofreading scholars in our era, Dr. Muḥammad Aḥmad al-Dālī, through surveying the details of his indices proofreading, following up what he wrote about his methodology in indexing, and taking advantage of al-Dālī's efforts that the researcher knew and examined throughout the course of being a student of his.

Throughout this research, I tried to explore the manifestations of al-Dālī's indices, all the specific features that he has had in perfecting his work, along with all the approaches of disciplining, limitations, registers making, special indices, and excelling the art of proofreading, which had a great impact on his indexing. I highly took care through this research that al-Dālī had highly unique method in indexing, appendices and complements, and what he added to this workmanship like innovation, revival, accuracy and perfecting his work.

Keywords: Indexing, Appendices, Complements, Manuscripts Proofreading, Complements of Proofreading, and Registers of Proofreader.

يتَّفق المحقِّقون والمؤلِّفون في أصول صنعة التحقيق على أنَّ الفهارس من أَولى ما ينهض له المحقِّق الحاذق، وأنَّها السبيل إلى تيسير وصول القارئ إلى مادَّة الكتاب المحقَّق واقتناص فوائده، وأنَّها علمٌ له أصولٌ وقواعدُ راسخةٌ في جوانب منه، وفنٌّ يتيح للسالك سبيله الاجتهاد والتوسُّع بحسب ما يقتضيه مقام الكتاب المحقَّق وحالُه.

ولمَّا كان أستاذنا العلَّامة المحقِّق الدكتور محمَّد أحمد الدالي من أبرز المحقِّقين في زمانه، وأجودِهم صنعةً وعنايةً بدقائق هذا الفنِّ، وكانت الفهارس ممَّا عُني به عنايةً فائقةً = اخترتُ ذلك الجانب عنوانًا لهذا البحث. وممَّا لزّني إلى هذا الاختيار أنَّ الجوانب الأخرى من صنعة التحقيق عنده تناولتها الأقلام أو كادت، ومنها ما هو قيد الكتابة.

وساعدني في هذا الاختيار ما أعرفه عن قصَّته مع الفهارس، وأنَّه الجانب الذي تطول ملازمته إيَّاه في أعماله، فهو وهي خليلان لا يفترقان، ولِما حدَّثني، ورأيتُ مِصداقه في أعماله مِنْ تحكيكه فيها ورعايته إيَّاها رعايةً صادقةً عزَّ نظيرها، ولِما رأيت من أنَّ فهارسه مرآةٌ صادقةٌ تكشف عن جهده الواسع في التحقيق وما اختصَّ به في هذا الميدان، بلْهَ ما تكشفه من فوائد الكتاب المحقَّق ونفائسه، ويظهر أثرها في كلِّ خطوةٍ من خطوات تلك الصنعة عنده.

لِما مضى ولغيره سلكتُ دراسةَ هذا الجانب مستعينًا بكتبه المحقَّقة من أوَّل كتابٍ حقَّقه إلى آخر ما وقفتُ عليه منها، واصفًا عمله ومحلِّلًا ومعلِّلًا ما وسعني ذلك، متتبِّعًا تطوُّر صنعته تلك في أثناء ذلك التاريخ الطويل مع التحقيق، محاولًا ما أمكن إبرازَ مظاهر عنايته بالفهرسة وما اختصَّ به وأضافه إلى هذا الجانب المهمِّ من صنعة التحقيق.

في معنى الفهرسة وقيمة صنعتها وأصالتها في تراثنا

الفِهْرِس: لفظة فارسيَّة الأصل، معرَّبة عن لفظة (فِهْرِسْت) عندهم.[١] نقلها العرب إلى لغتهم واشتقُّوا منه الفعل، فقالوا: فَهْرَسَ كتابَه فَهْرَسةً، وجمعُ الفِهرس فهارس. واشتقُّوا منه اسم الفاعل واسم المفعول، فقالت: فَهْرَس فلانٌ الكتابَ فهو مُفهرِس، والكتاب مُفهرَس، والعمل نفسه فَهْرَسة.[٢]

وذكروا في معناه أنَّه: كتابٌ ودفاتر تُذكر فيه الأعمال ويكون في الديوان، وقد تكتب فيه أسماء الأشياء،[٣] وأنَّه: جملة العدد للكتب،[٤] وأنَّه: الكتاب الذي تُجمع فيه الكتب.[٥] والذي حقَّقه الشهاب الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ) أنَّ معناه: إجمالُ الأشياء لتعديد أسمائها وحصرُها مطلقًا على الترتيب.[٦]

واستُعملت هذه الكلمة في تراثنا من لدن النديم (ت ٤٣٨هـ)، واشتهر استعمالها، وصارت تدلُّ على أربعة معانٍ: **الأوَّل**: كتابٌ يضمُّ أسماء الكتب والتقاييد والرسائل المقروءة، مثل (**الفِهرست**) النديم. **والثاني**: كتابٌ يحوي أسماء المشايخ المستفاد منهم والمتلقَّى عنهم وأسماء الكتب التي سُمعت عليهم، مثل (**فهرسة ابن خير الإشبيلي**) (ت ٥٧٥هـ). **والثالث**: بطاقةٌ تتضمَّن تفاصيل توثيق الكتاب إن كان مطبوعًا، ثمَّ إضافات أخرى في وصفه إن كان مخطوطًا. **والرابع**: قائمةٌ في أوَّل الكتاب أو في آخره تتضمَّن ذِكر أبواب الكتاب وفصوله ومباحثه وأعلامه واستشهاداته، وكلَّ ما يكشف عن كنوزه، ويعين على الإفادة منه.[٧]

---

١ في معاجم اللغة الفارسية أن (فهرست) لفظ فارسي فهلوي، أصله (پهرست، pehrest).

٢ انظر: القاموس المحيط، (فهرس)، وتاج العروس، (فهرس)، وشفاء الغليل، ٢٣٤، وتصحيح الكتب وصنع الفهارس (تعليق الشيخ أبو غدَّة)، ٤٥-٤٦، وفي الأدب واللغة (بحث ثقافة المفهرس)، ٢/ ٧٨٣.

٣ انظر: مفاتيح العلوم، ٣٩، وشفاء الغليل، ٢٤٣.

٤ انظر: المدخل إلى تقويم اللسان، ٢٥٥، وشفاء الغليل، ٢٣٤.

٥ انظر: القاموس المحيط (فهرس)، وتاج العروس (فهرس).

٦ انظر: شفاء الغليل، ٢٣٤، والمذكور لهذه اللفظة في المعاجم الفارسيّة معنيان: الجدول الذي يشتمل على أبواب الكتاب وفصوله في بداية الكتاب أو نهايته، وهو الكتاب الذي يتضمَّن أسماء الكتب.

٧ انظر: في الأدب واللغة (بحث ثقافة المفهرس)، ٢/ ٧٨٣-٧٨٤.

والمعنيان الأخيران هما الشائعان المعروفان في أيَّامنا للفهرسة. والذي يعنينا في هذا البحث هو الأخير منها.

ولهذا المعنى تسمياتٌ أخرى غيرُ لفظة (الفهرس) مستعملةٌ في هذه الصنعة، وهي: الثَّبَت والكشَّاف والسرد والجريدة والمحتوى والمفتاح والإقليد والدليل والبرنامج.[١]

واخترت في هذا البحث لفظة (الفِهرس) وما يشتقُّ منها لكثرة استعمالها ووضوح معناها في الذهن، ولأنَّ العلَّامة الدالي اقتصر عليها في ما حقَّقه من الأعمال.

ويمكن تعريف الفهرس بأنَّه: دليلٌ مُلحَق بالكتاب يُساعد على الوصول إلى معلوماته في أسرع وقتٍ وأيسر طريقة.[٢]

ثمَّ لا يخفى على الناظر ما للفهارس من قيمةٍ عاليةٍ في عمل المحقِّق، فلا يوصَف كتاب محقَّق بالجودة إذا خلا منها أو قصَّر فيها، لاحتياج القارئ والباحث إليها، "إذ الفهارس ما وُضعت إلَّا لتمكين القارئ مِن أن ينتفع بالكتاب غاية الانتفاع"،[٣] ولهذا قالوا: "الفهارس مفاتيح الكتب".[٤]

وعلماء التحقيق متَّفقون على أنَّ لكلِّ كتابٍ منهجًا خاصًّا في فَهرَسته، في طريقتها وعددها وحجمها، وذلك بحسب مادَّة الكتاب وطريقته ومكانته، وما يتطلَّبه الباحث فيه من المسائل والفوائد. ومثلُ ذلك يقال في ترتيب الفهرس مع الفهارس الأخرى، فالأحسن في ذلك أن يقدَّم مِن الفهارس أهمَّها وأشدَّها مِساسًا بموضوع الكتاب.[٥]

---

١ انظر: تحقيق نصوص التراث، ١٢٢، ومحاضرات في تحقيق النصوص، ٢٥١.

٢ صغت هذا التعريف من جملة تعاريف وضوابط مذكورة في كتب تحقيق النصوص. انظر لتلك التعاريف: محاضرات في تحقيق النصوص، ٢٥٣، وعلم التحقيق، ٤١٧، وأبجديات البحث في العلوم الشرعية، ٧٢-٧٣، ومناهج تحقيق التراث، ٢١٣.

٣ تحقيق النصوص ونشرها، ٩٣، وانظر: مناهج تحقيق التراث، ٢١٣.

٤ تصحيح الكتب وصنع الفهارس، ٤٢.

٥ انظر: تحقيق النصوص ونشرها، ٩٣، ٩٨، وقواعد تحقيق المخطوطات، ٢٧-٢٨، وتحقيق التراث العربي، ٢٩٠.

والفهرس بهذا المعنى سابقةٌ قديمةٌ عند العرب في مؤلَّفاتهم في ترتيب المعاجم وكتبِ التراجم والبلدانِ وغيرها، وانتهى إلينا غيرُ قليلٍ من الكتب والمخطوطات التي ألحِقَت بها فهارس للأبواب والأعلامِ والشعرِ وغيرها مشفوعةً بأرقام الألواح التي وردَت فيها.[١] ومن هنا لا تصحُّ نسبة ذلك إلى المستشرقين بعد اكتشاف الطباعة،[٢] فالمستشرقون مقتبسون لا مبتكرون، ولهم فضل التوسُّع في هذا التنويع الحديث، ومحقِّقونا في هذا العصر زادوا فيها ما وسعهم الجهد.

ومن المحقِّقين العظماء الذين أولوا صنعةَ الفهرسة عنايتهم، وزادوا فيه ما شاؤوا، ودقَّقوا في كثير من جوانبه، واختصُّوا بطرائقَ فيه، العلَّامة المحقِّق الدكتور محمَّد أحمد الدالي رحمه الله تعالى، وهو الذي عمل في مجال التحقيق أزيَد من أربعين سنة، ونذر لذلك وقته وجهده، فما يكاد يعطي من وقته لغير صنعة التحقيق إلَّا القليل، وكان للفهرسة من ذلك الجهد نصيبٌ أيُّ نصيب. وفي ما يأتي خبر ذلك وتفصيله.

مظاهر عنايته بالفهرسة

تحلَّى الدالي بالصبر والتأنِّي وإطالة النظر والتحكيك في ما تولَّاه من أعمال علميَّة، وهو ما وصفه به أستاذه الدكتور الفحَّام في تقديمه لواحدٍ من أوائل أعماله، فقال عنه: "إنَّه يتبيَّن قبل أن يُقدِم، ويتثبَّت قبل أن يقطع، ثمَّ يمضي في طريقه مروِّيًا متأنِّيًا، على هدًى من أمره".[٣] ثمَّ زاد على الأيَّام في ما وصفه به ما شاء، فتراه شديدَ

١ للتوسُّع في هذا الموضوع انظر ما كتبه الشيخ أحمد شاكر وما علَّقه وزاده الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدَّة رحمهما الله تعالى في: تصحيح الكتب وصنع الفهارس، ٤٢-٤٤، ٥٣، ٥٧، ٧٥-٩٥، وتحقيق النصوص ونشرها، ٩٢، وتحقيق التراث العربي، ٢٨٤-٢٨٨، وعلم التحقيق، ٤١٨-٤٢٢، ومحاضرات في تحقيق النصوص، ٢٥٥.
وزِد عليها ما وقفتُ عليه أنَّ كتاب المعوَّل في شرح أبيات المطوَّل لوحدي الرومي (ت ١١٢٦هـ) انتهى إلينا مصدَّرًا بفهرس للأبواب مذكورًا حيال كلِّ باب رقمَ اللوح الذي ورد فيه، مشفوعًا بفهرس للشواهد الواردة في الكتاب مرتَّبة على أوائل الأبيات ترتيبًا ألفبائيًّا، وأورد في ذلك الفهرس البيت أو الشطر كاملًا على نحو ما جاء في الكتاب، وذُكر أمام كلِّ بيت رقم اللوح الوارد فيه، واستغرق ذلك الفهرس ستَّة ألواح من كتاب لا تزيد ألواحه على سبعة وعشرين ومئة لوح.

٢ انظر: أصول نقد النصوص، ١١٦-١٢١، وقواعد تحقيق المخطوطات، ٢٧، وتحقيق التراث العربي، ٢٨٩.

٣ مقدِّمة سفر السعادة، ١/ ١٠.

الاحتراز عظيمَ التأنّي، يتلبَّث غايةَ التلبُّث في ما يعمل، وظهر ذلك ظهورًا جليًّا في صناعة الفهارس عنده، فكان كأنَّه خُلق لهذه الصنعة، والفهرسة ليست بالعمل الهيّن، ولا يصبر عليها إلَّا مَن وافقت من طبيعته حظًّا وافرًا، وقعدت من همَّته مقعدَ المتمكّن. وفي هذا يقول العلَّامة المحقِّق عبد الفتَّاح أبو غدَّة: "عمل الفهرسة عمل جافٌّ يابس، لا تُقبِل النفس عليه بانشراحٍ، ويتذمَّر المرء منه سريعًا، ويتململ من طوله إذا كان طويلًا، ولكنَّ أفرادًا يُؤتيهم الله الصبرَ واستحلاءَ بعض الأعمال الجافَّة الشاقَّة، فتراهم لا يرتاحون إلَّا بها. حكمة بالغة".[1]

والداليُّ إلى ذلك مُولع بالتقييد والضبط في أدنى أموره وأعلاها، في باب العلم وفي غيره، لا ترِد إلى ذهنه شاذَّةٌ إلَّا قيَّدها، ولا تمرُّ به فاذَّةٌ إلَّا ضبطها، ولا يُذكر أمامه ما لا يعرفه من عنوانات الكتب وفوائد العلم إلَّا سجَّله، على نحوٍ من الترتيب والتنظيم والضبط عجيب، ثمَّ يعود إلى مكتبته وسجلَّاته ليتحقَّق ممَّا التقط ويدوِّنه في مكانه من دفاتره.

صنع لنفسه كثيرًا من الفهارس والسجلَّات التي يقيِّد فيها ما يعنُّ له من الفوائد والصيود في أثناء مطالعاته وبحوثه وتحقيقاته واتِّصاله بأهل العلم، كسجلِّه الذي سمَّاه (قيد الأوابد)، وحدَّثني عنه مرارًا، فيذكر لي أسلوبًا أو فائدةً، ويقول لي: جعلتُ ذلك في (قيد الأوابد). وهو سجلٌّ مقسَّمٌ إلى أقسامٍ بعدد حروف العربيَّة مرتَّبةٍ بترتيبها، ثمَّ يقسِّم كلَّ حرف أقسامًا بعدد سائر الحروف. وذكر لي فهارس أخرى لا سبيل لذكرها ههنا، وليس التفصيل فيها ممَّا نحن منه بسبيل. تلك الفهارس كانت خيرَ معينٍ له في ضبطِ غير قليل المسائل والألفاظِ والأساليب، فكثيرًا ما أفاد منها في تعليقه على المسائل، واستخرج منها مادَّةَ جملةٍ من الأبحاث والمقالات المتعلِّقة بأساليب العربيَّة ومسائلها. وكانت من أسباب تقدُّمه في صنعة التحقيق عامَّةً والفهرسة خاصَّة.

وصنع لنفسه فهارس لبعض الكتب المطبوعة في بعض جوانبها التي يحتاج إليها ممَّا أخلت به فهارس محقِّقيها، وصنع مثل ذلك لبعض المصادر المخطوطة، وكثيرًا

[1] تصحيح الكتب وصنع الفهارس، ٦٦.

ما حدَّثني عن صُنعه فهارسَ للمسائل والأبنية في بعض المطبوعات،[١] وفهارسَ للشواهد ونحوها في بعض المخطوطات، من أمثال كتاب (**الحجَّة**) لأبي عليٍّ و(**معاني القرآن وإعرابه**) للزجَّاج.[٢] فهذا معجم (**مقاييس اللغة**) لابن فارس و(**شرح الحماسة**) للمرزوقي و(**البيان والتبيين**) و(**الحيوان**) للجاحظ جميعُها بتحقيق عبد السلام هارون، وقد خلت من فهرس الآيات وجملةٍ من الفهارس اللازمة لأمثالها.

وكان الداليُّ يُعيد فهرسة بعض الجوانب التي رتَّبها المحقِّقون على غير المعتاد من طرائق الفهرسة ممَّا يحتاج معه الباحث إلى وقتٍ أطولَ في البحث، من مثل ما صنع عبد السلام هارون في فهرس الآيات في تحقيقه (**رسائل الجاحظ**) وغيره، إذ رتَّب الآيات على الموادِّ اللغوية،[٣] وهو ترتيبٌ عجيبٌ؛ ومثل ما صنع محمَّد عبده عزَّام في فهرس قوافي **ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي**، إذ رتَّبها بحسب حروف الهجاء موزَّعةً على أغراض الشعر المختلفة، وكنت أشكو إليه عسر البحث عن قافية في ذلك الديوان، فينصحني بصناعة فهرس الشعر لنفسي على الطريقة المعتادة فيه، لتجنُّب ذلك العَنَتَ، وصونًا للوقت المبذول في كلِّ مرَّة أحتاج فيها إلى البحث فيه.

وكان إذا وقف على خَلَلٍ في فهرس من فهارس الكتب المطبوعة الملازمةِ له في عمله، بسقوط بعض موادِّ ذلك الفهرس، أو اضطرابٍ في أرقام الصفحات، لابتنائها على غير التجربة الأخيرة من تجارِب الطبع، عاد فدقَّق ذلك الفهرس لنفسه وأصلحه في نسخته، ليستقيم له التعويلُ عليه.

واعتنى بصنع الفهارس المفصَّلة في جميع كتبه المحقَّقة، وركب فيها النمط الصعب، إذ عُرف بعنايته بفهارس مسائل العلوم ومصطلحاتها وتنظيمها وتفصيلها، وهي نوعُ فهارس مُحوِجة إلى وقتٍ وجهدٍ زائدين على فهارس الشواهد والأعلام

١ وكان رحمه يشكو إلى مَن يُلازمه ويُطارحه حديث العلم والتحقيق إخلالَ تلك الكتب بما يحتاج إليه منها هو وغيره من الفهارس اللازمة لها، ممَّا يتطلَّبه الكتاب المحقَّق تطلُّبًا ظاهرًا، ويُبدي عجبه الشديد من إهمال المحقِّق لمثل ذلك.

٢ وهما مَن الكتب التي كان ينوي تحقيقها، وليت الذاكرة تُسعِف، فأعُدَّ تلك الكتب والمخطوطات التي صنع لها ما صنع من الفهارس، ليفيد منها غاية الإفادة في تحقيقاته، على وجه الدقَّة والاستقصاء في ما يحتاج إليه منها.

٣ وأشاد الأستاذ هارون بهذه الطريقة في كتابه تحقيق النصوص ونشرها، ٩٥-٩٦.

ونحوِها لا يعلمه إلَّا مَن جرَّب العمل فيه، وابتكر لبعض الأعمال أنواعًا من الفهارس اقتضاها منهج العمل فيها، واصطنع لكلِّ عمل ما يناسبه من الفهارس ممَّا يفيد العاملين في عددٍ من حقول المعرفة المتَّصلة بالكتاب الذي يُحقِّقه، وهو في فهارس الشواهد والأعلام والقبائل وغيرها من الفهارس المألوفة عند المحقِّقين يسلك مسالكَ، فيها جِدَّة تدلُّ على دقَّةٍ بالغةٍ وجهدٍ كبيرٍ، أذكر تفصيل جوانبه في ما يأتي:

ما اختصَّ به في منهج صناعة الفهارس

وممَّا اختصَّ به أنَّه كان يصنع كثيرًا من فهارس الكتاب قبل التعليق على النصِّ، ولا سيَّما فهارس الشواهد والأمثلة وفهارس المسائل، وهو ما حدَّثني به مرارًا عن كثير من الكتب التي حقَّقها، وصرَّح به في غير ما موضع، فمن ذلك قوله في كلمته عن تحقيق (**الكامل**): "فرأيت أن أحَكمَ وسيلة تُعينني على تحقيق الكتاب كما ينبغي له = أن أصنع له فهارس شاملةً مفصَّلة قبل الإقدام على التعليق عليه. فصنعتُ له قبل أن أضع يدي في التعليق فهارس القرآن والحديث والأشعار ومسائل العربية وغيرها. وقد أعانتني هذه الفهارس التي صنعتُها على شدَّة ضبطِ مادَّة الكتاب؛ ما سلف منها وما سيأتي. فإنَّ عَبْرَ الكتاب ممَّا يُصلحه، فقد يكون في ما يأتي تصحيح ما سلف، والعكس"،[1] ومنه ما صرَّح به في ملحق تاريخ العمل بكتاب (**الجواهر**) أنَّه أتمَّ صناعة فهارسه، وهي الفهارس (١١-٢٨)، إبَّان فراغه من الكتاب.[2]

والداليُّ حين يصنع تلك الفهارس المبكِّرة يعتمد لها أرقام المخطوط الذي جعله أصلًا في عمله. وهو إنَّما يفعل ذلك زيادةً منه في ضبط مادَّة الكتاب، واستحضارِ ما يتكرَّر فيه من الأعلام والشواهد والمسائل وما يتفرَّق ذِكره في غير ما موضع من الكتاب، فيستعين به على كشف أسباب ذلك، من سهو المؤلِّف وتعدُّدِ مصادره واختلافِ رأيه وتعدُّد الإبرازات واضطرابِ نسخ الكتاب وغيرِ ذلك ممَّا تراه مبسوطًا في تعليقاته في مواضعَ كثيرةٍ جدًّا. ويعينه ذلك على تحصيل خلاصة رأي المؤلِّف

١ من حديث الكامل للمبرِّد وتحقيقه، ضمن كتاب الدكتور خالد عبد الكريم جمعة الميعان الغائب الحاضر، ٢٦٩-٢٧٠.

٢ جواهر القرآن ونتائج الصنعة، ٤/ ١٩٥٩.

في المسألة الواحدة التي تعدَّد ذِكره لها في كتابه، ويساعده على التعليق والتنبيهِ في إحالة كلِّ موضع على نظيره بدقَّةٍ وإحكام.

ثمَّ إنَّه بعد أن يفرغ من تحقيق الكتاب الذي يعمل فيه، يتمِّم الفهارس التي لم يصنعها من قبل، ممَّا لا سبيل إلى صنعه قبل الفراغ من العمل كفهرس المصادر والمراجع وفهرس النقول، أو ما لا يزيده فائدة في ما ذكرناه آنفًا. ثمَّ يعود إلى الفهارس التي صنعها قبلُ فيغيِّر أرقامها من ألواح المخطوط إلى صفحات المطبوع. وهو لمَن جرَّبه جهدٌ عظيمٌ زائدٌ على ما يصنعه المحقِّقون.

وهذه الطريقة أتاحَت له تنقيحَ تلك الفهارسِ ومعاودةَ النظر فيها مرارًا، إبَّان مراجعته إيَّاه في كلِّ مرَّة لِما صنعها من أجله. وهذا من أسباب دقَّة فهارسه، وقلَّة ما فيها من الخطأ والسقط والتكرار وغير ذلك، ممَّا أنت واجده في أعمال كثيرٍ من المحقِّقين الأعلام.

والفهارس عنده دليلٌ للكتاب المحقَّق ومرآةٌ لعمل المحقِّق فيه، إذ تُظهِر الفهارس عنده ما تضمَّنه الكتاب من المسائل والشواهد والأعلام وغيرها مرتَّبةً منظَّمة، وتكشف عن جهد المحقِّق في ضبط المسائل وتحقيقها والاجتهادِ فيها، وضبطِ الأعلام، وتخريجِ الشواهد وإكمالها ونسبتها، وتخريجِ النقول، والتوسُّعِ في المصادر، والاستدراكِ على المؤلِّفين والمحقِّقين. وهو ما لا تكاد تجده على هذا الوجه من التفصيل في فهارس غيره.

فالناظر في (**فهارس جواهر القرآن ونتائج الصنعة**)[١] مثلًا يقف فيها على ما بذله من جهدٍ في ضبط القراءات وتمييز صحيحها من شاذِّها، ويعرف الأبيات التي اجتهد المحقِّق في نسبتها وبيان ما اختُلف في نسبته منها، ويعرف الأبياتَ التي استكمل المحقِّق صدرَها أو عجزها وما ضبط من عروضها، ويرى ضبطَه الأعلام وبيانه لِما رَكِبه جامع العلوم من إغماض ذِكر كثير منها وهَجرِه المعتاد في إيرادها. والمتدبِّرُ في تلك الفهارس يعرف طريقة جامع العلوم في النقل عن

١ وهي الجزء الرابع برُمَّته من الكتاب.

مصادره ويقف على جهود المحقِّق في كشفها وبيانِ منهج المؤلِّف في النقل عنها، ويعرف مِن الفهارس ما حقَّقه الداليُّ في إعراب بعض الآي ونسبةِ بعض الآثار ورواية بعضِ الشواهد، واجتهادَه في جملةٍ من مسائل العربية وأساليبها، واستدراكَه على بعض المحقِّقين.

ومن منهج الدالي في صناعة الفهارس أن يسأل أهل العلم في كلِّ اختصاصٍ له أدنى صلةٍ بمَا يعمل فيه عمَّا يحتاجون إليه من الفهارس في الكتاب الذي يحقِّقه، سمعت ذلك منه غيرَ مرَّة، ولعلَّه من أسرار تفنُّنه في هذه الصنعة وتنبُّهه على مواضعَ من الفهرسة سبق إليها غيرَه واعتنى بها ممَّا لا يُقدَّر أن يُصنَع مثلها للكتب التي صنعها لها، ولا سيَّما فهارسِ العلوم المختلفة لكتب الأدب واللغة، وبعضِ الفهارس اللطيفة التي تراها مفرَّقةً في جملةٍ من تحقيقات المحقِّقين، وتجدها مجتمعةً في غير واحد من أعماله، وأوضحُ مثالٍ على ذلك ما صنعه في فهارس **الكامل** و**الاستدراك** **والإبانة** و**جواهر القرآن**.

ومن خصائص عمله في الفهرسة الإبانةُ عن منهجه في ذلك وتفصيلُه، إذ فعل ذلك في مقدِّمة فهارس **الكامل**،[1] ولم يكرِّره على ذلك الوجه في ما تلاه من الكتب التي حقَّقها اكتفاءً بما ذكره فيه. ثمَّ تراه يشرح في الحواشي ما قدَّر أنَّه مبهَمٌ أو مجمَلٌ من عنوانات الفهارس، ويُبين عن مقاصده فيها إبانةً من غير إطالة وتكرار، أو يفصِّل عنوان الفهرس تفصيلًا ظاهرًا كاشفًا عن مراده به.

وممَّا يميِّز منهجَه في صنع الفهارس أنَّه يديم الاجتهاد في ما يصنعه، فلا يسير على طريقةٍ واحدةٍ، بل تراه يزيد في كلِّ فهرس شيئًا يُناسب الكتاب الذي يُحقِّقه، ويعدِل في اللاحق عمَّا رأى غيره أولى منه، فتراه يبتكر في كلِّ تحقيقٍ جديدٍ أنواعًا من الفهارس، أو يضيف إلى بعض الأنواع دقائقَ من شأنها أن تزيد الفائدة من تلك الفهارس، وتُساعد على سرعة تطلُّب ما يُطلب بها، مع فضل تدقيقٍ وتحقيقٍ، على نحو ما نراه في ما يأتي:

١ انظر مقدِّمة فهارس الكامل، ٤/ ٥-٦.

ما انفرد به من أنواع الفهارس

المتتبِّعُ لِما صنعه من فهارس الكتب التي حقَّقها يقف على أنواع من الفهارس لم يُسبق إليها، قاده إليها منهجُه في التحقيق وخصوصيَّة عمله في بعض ما تناوله من الكتب:

فمن ذلك فهرس شوارد الفوائد،[١] وكان صنع هذا الفهرس في تحقيقه (**سفر السعادة**) لعلم الدين السخاوي، المطبوع طبعته الأولى في سنة ١٩٨٣م،[٢] وصنع مثله في تحقيقه كتاب (**المجتبى**) لابن دُريد، المطبوع سنة ١٩٩٧،[٣] وجعلهما لشوارد الفوائدِ الواقعة في المتن ممَّا لم تتَّسع له سائر الفهارس ولبعضِ الفوائد في حواشي التحقيق، ثمَّ استغنى عن شوارد الفوائد في المتن في ما حقَّقه بعد بما زاده من الفهارس المشتملة على تلك الفوائد، وأخلصه بعد ذلك لشوارد الفوائد في حواشي التحقيق، وصنع ذلك في ثلاثةٍ من مؤلَّفات جامع العلوم: أوَّلها كتاب (**الاستدراك على أبي عليٍّ في كتاب الحجَّة**)، المطبوع سنة ٢٠٠٧م،[٤] يليه كتاب (**الإبانة عن ماءات القرآن**)، المطبوع سنة ٢٠٠٩م،[٥] وآخرها (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**)، المطبوع سنة ٢٠١٩م.[٦] وأشار في هذا الفهرس إلى الفوائد والتحقيقات والاستدراكات التي ضمَّنها حواشيَ التحقيق، وذلك في مسائلَ من علم العربيَّة واللغة والتفسير والشعر، وما أصلحه في مطبوعات المصادر التي عوَّل عليها ككتاب (**الحجَّة**) و(**كتاب سيبويه**) و(**معاني القرآن وإعرابه**) للزجَّاج وغيرها، وما استدركه على العلماء في المسائل التي ناقش فيها جامع العلوم، ممَّا هو جديرٌ بالتنبيه عليه

١ صنع محمود الطناحي في تحقيقه أمالي ابن الشجري المطبوع سنة ١٩٩٢م فهرسًا سمَّاه: الفوائد والتنبيهات من التعليقات، ٣/٦١٤-٦١٦، وتبعه في ذلك الفهرس وتسميتِه زكريَّا سعيد عليّ في تحقيقه كتاب مقدِّمة تفسير ابن النقيب المطبوع سنة ١٩٩٥م، ٦٤٥-٦٥٣، وقسَّمه تقسيمًا حسنًا جدًّا. والدالي سابق عليهما في أصل الفهرس في سفر السعادة، وإن كان توسُّعه فيه وتنظيمه له جاء متأخِّرًا عنهما في تحقيقه الاستدراك وما بعده.

٢ انظر: سفر السعادة، ٣/ ١٥١-١٥٢.

٣ انظر: المجتبى، ٢٢٢.

٤ انظر: الاستدراك، ٧٢٩-٧٣٢.

٥ انظر: الإبانة، ٥٨٣-٥٨٤.

٦ انظر: جواهر القرآن، ١٩٥١-١٩٥٥.

والتنويه به.

وحمله على إضافة هذا الفهرسِ منهجُه في تحقيق هذه الكتب، وما ألزم نفسَه به من التتبُّع والاستقصاء في كلِّ مسألة واستجلاء ما فيها، حتَّى زادت التعاليق على حجم المتن في أكثر الأحيان. وكان تحقيقه لكتاب (**تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية**) لأبي حاتم السجستاني حقيقًا بهذا الفهرس، إذ عملُه فيه يقع قريبًا ممَّا صنعه في تحقيق الكتب الثلاثة المذكورة لجامع العلوم، لكنَّه لأمرٍ ما لم يصنعه فيه.

ومن ذلك **فهرس المصطلحات** في تحقيقه كتاب (**كشف المشكلات**)،[1] والجِدَّة فيه أنَّه خصَّصه لِما ورد في الكتاب من مصطلحات الكوفيين التي استعملها المؤلِّف في بعض المواضع، وبعض مصطلحات البصريين التي حلَّ غيرُها محلَّها أو تركها المتأخِّرون، وهو فهرسٌ اقتضته طبيعة الكتابِ ومنهجُ مؤلِّفه في الإعراب في ذِكر بعض ما يذكره من المصطلحات وأسماء الكتب والأناسي. وأعاد هذا الفهرس في تحقيقه (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**)، وزاد فيه غيرَ ذلك ممَّا يقلُّ من المصطلحات.[2]

ومن ذلك الفهرس الإحصائي لماءات القرآن الكريم، وهو من فهارس تحقيقه كتاب (**الإبانة في تفصيل ماءات القرآن**) لجامع العلوم،[3] وهو إحصاءٌ دقيقٌ لعدد ماءات القرآن الكريم بصورها المختلفة، وعددِها في كلِّ صورةٍ منها على حِدة، ما ورد منها في قراءة حفصٍ وغيرها من القراءات، جاء في صفحتين، واستغرق جهدًا عظيمًا، ذكر في حاشيةٍ له في آخر الفهرس أنَّه اعتمد فيه على جمع ما تفرَّق من الماءات في (**المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن**)، ثمَّ ذكر في تاريخ العمل في الكتاب أنَّه عرضه على القرآن الكريم مرَّتين وأنَّه استدرك في المرَّة الثانية أربع ماءاتٍ كانت فاتتْه في الأولى،[4] وعِدَّة الماءات في هذا الفهرس (٢٦٢١).

---

١ انظر: كشف المشكلات، ٣/ ١٧٢.

٢ انظر: الجواهر، ٤/ ١٨٨٩-١٨٩٠.

٣ انظر: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن الكريم، ٥٣٥-٥٣٦.

٤ انظر: الإبانة في تفصيل ماءات القرآن الكريم، ٦٠٧-٦٠٨.

وهو فهرس تطلَّبه منهجُه في تحقيق **الإبانة**، والكتاب في أصله إحصاءٌ لماءات القرآن الكريم، فتثبَّث من ذلك، فوقف على أنَّ جامع العلوم فاته من ذلك الإحصاء (٢١٨) موضعًا، فاستدركها عليه، وأضافها في متن الكتاب، وصنع لذلك كلِّه فهرسًا شاملًا لِما عدَّه المؤلِّف ولِما استدركه المحقِّق. وفي هذا الفهرس خدمةٌ جليلةٌ لكتاب الله تعالى، إذ اشتمل على إحصاءٍ دقيقٍ لمواضع ورود أداةٍ من أدواته، فيه استدراك على مَن سبقه ممَّن صنع ذلك، ولهذا الفهرس فائدةٌ في الكتاب المحقَّق وصلةٌ وثيقةٌ به، ويمكن استخراجه على حِياله والاستفادة منه بوصفه جدولًا إحصائيًّا دقيقًا في الدراسات المتعلِّقة بالعربيَّة والقرآن الكريم.

ومن ذلك فهرس مناهل المصنِّف في تأليف كتابه، وجعله من فهارس تحقيقه كتاب (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**) لجامع العلوم،[1] وكسره على قسمين: ما ذَكَر أصحابها ولم يُسمِّ كتبهم، وما أَخَذ منها تاركًا ذِكرها وذِكر أصحابها معًا. أورد في هذا الفهرس المصادرَ التي عبَّ منها المصنِّف مادَّة الكتاب، ومواضعَ ورودها في هذا المطبوع. وهو فهرسٌ طريفٌ مفيدٌ لمَن يبحث عن أثر كتابٍ أو مؤلِّفٍ من هؤلاء في **الجواهر**، وهو مفيد للمحقِّق في صنع دراسته عنه في هذا الجانب، وهو صورةٌ دقيقةٌ بيِّنةٌ عن مصادر جامع العلوم وطريقته في الأخذ عنها ونسبةِ أخذه عن كلِّ واحد منها. وهو كاشفٌ عن جهد المحقِّق في تخريج تلك النقول، واجتهاده في التأتِّي إليها. ولم يُخلِ ذلك الفهرس من تحوُّطه واحترازه المعروفَين في نسبة الأقوال، فأشار فيه إلى ما كان من النقول منسوبًا إلى مَن نسبه إليه على سبيل الظنِّ أو التقدير أو المقاربة لا على سبيل القطع واليقين.

وثمَّة فهارسُ طريفةٌ يغلب على الظنِّ انفراده بها، فمن ذلك فهرسا (**المعرَّب من الكلام الأعجميِّ**)، و(**ما تلحن فيه العامَّة**) في تحقيقه كتاب (**تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية**)،[2] وأورد فهارس أخرى طريفةً موجزةً في تحقيق (**الاستدراك**) و(**الإبانة**) و(**الجواهر**)، لا سبيل إلى القطع باختصاصها به إلَّا بعد التتبُّع

١ انظر: جواهر القرآن، ١٩١٨-١٩٢٠.

٢ انظر: تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية، ٣٧٦-٣٧٧.

والاستقصاء لجهود جميع المحقِّقين قبله، وهو ممَّا لا يتيسَّر في هذا البحث.

ما أضافه من الدقائق في أنواع الفهارس المشهورة عند المحقِّقين

أضاف الدالي في **فهرس الآيات** في تحقيقه كتاب **الاستدراك** ملاحظة مهمَّة، وهي أنَّه ميَّز الآيات التي هي من مسائل الاستدراك بعلامةٍ خاصَّةٍ، وقد يكون في الآية غيرُ ما مسألةٍ فتُكرَّر العلامة.[1] وفي هذا دقَّةٌ تغني عن عدَّة فهارس.

وفي **فهرس الشعر**، أضاف تمييزه أبيات المعاني بعلامةٍ خاصَّة في فهرس الأشعار والأرجاز في تحقيقه (**سفر السعادة**).[2] وذلك لعناية السخاوي بها في بعض أبواب الكتاب. والتزم في فهرس الشعر في تحقيقه (**تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية**)، المطبوع سنة ٢٠٠١م، وما بعده من التحقيقات = أن ينصَّ على أوَّل البيت وقافيته وبحره وقائله وموضع وروده، ثمَّ ينبِّه على ما زاده المحقِّق من الصدور والأعجاز وما عزاه من الأبيات بوضع ذلك بين معقوفتين، ويشير في الفهرس إلى ما وقع في نسبته خلافٌ من الأبيات أو لم يُوقَف على نسبته، وإلى الشعر الذي انفردت بذِكره بعضُ النسخ ولم يرِد في الأصل.

وفي **فهرس الشعراء** مع قوافيهم في تحقيقه كتاب (**الكامل**) أورد مع الشعراء المذكورين في متن الكتاب أسماء الشعراء الذين وردت لهم أبياتٌ فيه ولم يُصرَّح بهم.[3] وهو في هذا يجعل جهد المحقِّق شديدَ الصلة بعمل المؤلِّف ومن تمامه، ويُبرز عنايته بفهرسة جهد المحقِّق في تعاليقه.

وفي **فهرس اللغة** في تحقيقه (**سفر السعادة**) ميَّز بإشارةٍ خاصَّةٍ ما ورد في مادَّة هذا الفهرس من الأبنية، وميَّز بإشارةٍ أخرى ما كان ممَّا اتَّفق لفظُه واختلف معناه.[4] ثمَّ صار يُفرِد ذلك في فهارس خاصَّةً في ما تلاه من الأعمال. وأضاف إلى هذا

١ انظر: الاستدراك، ٦٧٤.
٢ انظر: سفر السعادة، ٣/ ٢٥.
٣ انظر: الكامل، ١٩٩/٤
٤ انظر: سفر السعادة، ٣/ ١٠٦.

الفهرس في تحقيقه كتاب (**الكامل**) ما جاء من اللغة في تعليقات الأخفش، وما ورد في هوامش النسخة (أ) من اللغة الواردة في نصوصٍ منقولةٍ عن جملةٍ من العلماء، ونقله في حواشي التحقيق، ورمز إلى الأوَّل في الفهرس بالحرف (ت)، ورمز إلى الثاني بالحرف (ح)، مضافين إلى رقم الصفحة التي ورد ذلك فيها. وهو من العناية بفهرسة الحواشي والتعليقات.

وفي **فهرس الأعلام** أضاف التراجم إلى هذا الفهرس، فعل ذلك في (**سفر السعادة**)،[١] و(**كشف المشكلات**).[٢] والداليُّ ممَّن يرغب عن ترجمة الأعلام في التعليق على النصِّ، ويرى أنَّها من العمل الذي لا طائل تحته، ولا سيَّما الأعلام المشهورين، إلَّا أن يكون في ترجمة العَلَم ما يكشف في النصِّ غامضًا ويبيِّن مبهمًا، فهذا ممَّا لا بدَّ منه عنده. والظاهر أنَّه في تحقيق الكتابين السالفين أُلزِم بخلاف ما يرى في شأن تراجم الأعلام، إذ كان الكتابان في الأصل رسالتين جامعيتين، فاجتهد في جَعل التراجم مع الفهارس، فيتخفَّف منها في التعاليق ولا يخالف ما حُمل عليه من المنهج فيها، ويعضِّد هذا أنَّه لم يفعل ذلك في غيرهما من أعماله. وفي فهرس الأعلام من تحقيقه (**الاستدراك**)[٣] و(**الإبانة**)[٤] و(**الجواهر**)[٥] لم يكتفِ بالصيغة المشهورة للعَلَم مع ذِكر أرقام الصفحات التي مرَّ ذِكر العَلَم فيها، بل نبَّه على ورود الاسم بصيغ مختلفةٍ في الكتاب، فجامع العلوم يذكر أبا عليٍّ الفارسي مرَّةً بكنيته ومرَّةً بلفظ الأستاذ وأخرى بلفظ الفارس وتارةً بالكناية عنه وغير ذلك من طرائق الذِّكر، وفعل ذلك في سائر الأعلام، فنبَّه الداليُّ على ذلك كلِّه وأمثاله في الفهارس، وفي هذا دقَّةٌ تضفي على فهرس الأعلام فوائدَ كثيرةً يلتمسها من يراجعه تزيد على تعداد مواطن ذِكر ذلك العَلَم في الكتاب.

وفي **فهرس الأمم والقبائل والجماعات والفرق** فهرسَ الداليُّ ما مرَّ منها مكنِّيًا

١ انظر: سفر السعادة، ٣/ ١٦٢.

٢ انظر: كشف المشكلات، ٣/ ١٧٣.

٣ انظر: الاستدراك، ٧٢١-٧٢٥.

٤ انظر: الإبانة، ٥٨٠-٥٨١.

٥ انظر: جواهر القرآن، ٤/ ١٨٩٧-١٩٠٩.

عنه في ضمير المتكلِّمين،[1] كقولهم: (عندنا) و(نحن) وأشباه ذلك من الكنايات، ممَّا لا يلتفت إليه صنَّاع الفهارس في الغالب.

وفي **فهرس مطالب الكتاب**، أضاف في تحقيقه (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**) أنْ صَنَع هذا الفهرس على ثلاث صور: فهرس مطالب الكتاب كما رتَّبها المؤلِّف، وفهرس أبواب الكتاب مرتَّبةً على علومها، وفهرس أبواب الكتاب مرتَّبة على المسائل ترتيبًا ألفبائيًّا؛ وذلك لطرافة ترتيب أبواب الكتاب واشتمالها على جملةٍ من العلوم، ليسهل على القارئ والباحث الوصول إلى بغيته من الكتاب على الوجوه التي يحتاج إليها منه.

الملاحق والمستدركات

من الملاحق عنده ما يتَّصل بإعادة الطبع، فقد كان إذا ما أعاد طبع كتاب حقَّقه جعل ما زاده من الفهارس مفردًا في ملحقٍ في الغالب، ففي الطبعة الثانية من تحقيق (**سفر السعادة**) الصادرة سنة ١٩٩٥م، جعل في آخر فهرس المصادر والمراجع ملحقًا، سمَّاه: "ملحق بفهرس مراجع التحقيق ومصادره مشتمل على ما رجعت إليه منها بعد طبع الكتاب أوَّل مرَّة عام ١٩٨٣م".[2] وهو ضربٌ من التوثيق والتأريخ لمراحل عمله في التحقيق حَرَص عليه التزامًا منه بإبقاء كلِّ عمل دالًّا على المرحلة التي صنعه فيها، وهو ما صرَّح به في مقدِّمة الكتاب المذكور آنفًا بقوله: "ولم أشأ أن أُحدِث في عملي الذي عملته في زمنٍ بعينه (عام ١٩٨٢) ما من شأنه أن يخرَج به عن ثوبه الأوَّل الذي ظهر به للناس أوَّل مرَّةٍ محافظةً منِّي على ما كان في مرحلة بعينها هو صورةٌ عنها".[3] وأعاد ذلك الضرب من الإلحاق في الإبرازة الثانية لكتاب (**كشف المشكلات**) التي فرغ منها ٢٠٢١م قبيل وفاته رحمه الله،[4] وسمَّاه: "ملحق فيه المصادر الموقوفُ عليها

١ انظر: جواهر القرآن، ٤/ ١٩١٠-١٩١٣.

٢ انظر: سفر السعادة، ٣/ ٢٤٤.

٣ انظر: سفر السعادة، ١/ ٦ (مقدِّمة الطبعة الثانية).

٤ فرغ منها في ٥/ ٣/ ٢٠٢١م، بحسب ما ذكر في تاريخ العمل في الكتاب. وتصدر قريبًا عن دار القلم بدمشق.

بعد الطبعة الأولى عام ١٩٩٥ حتَّى عام ٢٠١٩م".

ومن الملاحق والمستدركات ما يتَّصل بالوقوف على مُهمٍّ بعد الفراغ من العمل، على نحو ما فعل في (**الكامل**)، إذ جعل في آخر فهارسه مُلحقًا هو تعليقات مختارة من كتاب (**القرط على الكامل**) للإمامين البَطَلْيَوسي والوقَّشي؛ إذ وقف عليه بعد الفراغ من تحقيق (**الكامل**)، كما ذكر في مقدِّمة الفهارس.[١] وجعل في آخر تحقيقه كتاب (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**) مستدركًا أورد فيه زياداتٍ انفردت بها مخطوطة قونية (يق) ولم تُذكر حيثُ وقعَت في مواضعها من تلك المطبوعة؛[٢] إذ وقف على هذه المخطوطة بعد فراغه من تجربة الطبع النهائيَّة، فأجرى بعد معارضتها ما ينبغي من وجوه التغيير والتبديل والتعديل والإصلاح في مقدِّمة التحقيق ومتن الكتاب والتعاليق والفهارس،[٣] وجعل الزيادات في المستدرك المذكور لتعذُّر إدخالها في المتن بعد تمام إخراج الكتاب ومراجعة فهارسه.

ومن الملاحق ما يتَّصل باجتهاده في جانبٍ من جوانب التحقيق، على نحو ما فعل في تحقيق (**كشف المشكلات**)، إذ جعل قبل فهارسه ملحقًا أودع فيه أكثر ما وقف عليه في تحقيق الكتاب من فروق النسخ،[٤] لئلَّا يثقل هوامش التحقيق، واكتفى في حواشي التحقيق بإثبات ما لا يستغنى عن ذكره منها في موضعه لداعٍ اقتضاه التعليق وما إلى ذلك.[٥] ثمَّ هجر هذه الطريقةَ في ما تلاه من التحقيقات، إلى أن عاد إليها بأَخَرة في تحقيقه كتاب (**جواهر القرآن ونتائج الصنعة**).[٦] والظاهر أنَّه عدل عنها في الإبرازة الثانية لتحقيق (**كشف المشكلات**). وعندي أنَّ هذا الفهرس ممَّا تصعب مراجعته، ولو أبقاه في مواضعه من حواشي النصِّ لكان أحسن.

وأوقفني على فهارسها الأخ الحبيب الأستاذ أيمن ذو الغنى، تطلَّبها لي من الأخوة في دار القلم، من أجل هذا البحث. شكر الله له.

١ انظر: الكامل، ٤/ ٦.

٢ انظر: جواهر القرآن، ٣/ ١٦٤٧-١٦٥٣.

٣ ذكر ذلك في مقدِّمة التحقيق وتاريخ العمل في الكتاب. انظر: جواهر القرآن، ١/ ٥٧-٦٠، ٤/١٩٥٩.

٤ انظر: كشف المشكلات، ٥-٦٥.

٥ ذكر ذلك في مقدِّمة التحقيق، ٩٨.

٦ انظر: جواهر القرآن، ٣/ ١٦٥٤-١٦٨٠.

ومن الملاحق ما يتَّصل بخصوصيَّةٍ التزمها في تحقيقاته، ومن ذلك ذِكرُه تاريخ العملَ في الكتاب الذي يُحقِّقه، يثبته في آخر كلِّ شيء من الكتاب. والتزم إيراد هذا الملحق في أكثر أعماله، وقد يضيف قبل اسم هذا الملحق لفظ (خاتمة).[1] وينصُّ في هذا الملحق على تواريخ مراحل العمل في الكتاب مع زمان كلِّ مرحلةٍ ومكانها، وينوِّه فيه بمَن أعانه من أهل العلم على كشف بعض النُّسخ المخطوطة للكتاب أو تحصيلها. وإنَّك واجدٌ في هذا الملحق أثارةً من منهجه في التحقيق وتعليلًا لبعض ما وقع فيها ممَّا يخالف النمط المعتاد في غيرها.

وهذا الملحق الأخير يعضِّد ما ذكرته أوَّلًا من عنايته بالفهرسة والاحتفاء بتقييد الدقائق وتوثيق ما الغالب على غيره إهمالُه أو تركُ شيءٍ منه.

خاتمة

أظهر البحث أنَّ الداليَّ له اختصاص بالضبط والتقييد وإحكام صنعة التحقيق، وكان له عظيم الأثر في صناعة الفهارس عنده، ولم يكن عملُه فيها مقتصرًا على فهارس ما حقَّقه من كتبٍ، بل كانت له عنايةٌ خاصَّةٌ بفهرسة جملةٍ من مصادره المطبوعة والمخطوطة، وله سجلَّات خاصَّة مفهرسة لتقييد شوارد الفوائد ممَّا يمرُّ به.

وتبيَّن أنَّه اختصَّ بطريقةٍ فريدةٍ في فهرسة ما يحقِّقه من الكتب، هي أنَّه يُفهرِس نصَّ الكتاب قبل التعليق عليه، لتكون الفهارس مِعوانًا له في ضبط مادَّة الكتاب قبل أن تكون دليلًا للقارئ والباحث. وبدا أنَّ الفهارس عنده دليلٌ إلى دقائق المتن المحقَّق، وهي مرآةٌ صادقةٌ لعمل المحقِّق وصنعته.

وأظهر البحثُ أنَّ له ابتكارًا لأنواع من الفهارس يغلب على الظنِّ أنَّه لم يُسبق إليها، كفهرس مناهل المصنِّف في تأليف كتابه، وفهرس شوارد الفوائد، وبعض الفهارس الإحصائية = وأنَّ له اجتهادًا في دقائقَ ولطائفَ أضافها إلى الفهارس المشهورة كفهرس الآيات الشعر والأعلام واللغة وغيرها.

---

[1] انظر: الكامل، ٤/ ٥٩٠، والاستدراك، ٧٥٧-٧٥٨، والإبانة، ٦٠٧-٦٠٨، والجواهر، ٤/ ١٩٥٨-١٩٥٩، وأضاف إليه لفظ (خاتمة) في كشف المشكلات، ٣/ ٢١٥-٢١٦، والمجتنى، ٢٤٦، وجواب المسائل العشر، ١٣٨.

وأثبت البحث أنَّ له عنايةً خاصَّةً بالملاحق والمستدركات، اختصَّ ببعضها لأسبابٍ اقتضاها منهجُه في العمل أو ما اختصَّ به من ظروف، كإعادة الطبع، والوقوف على مُهمٍّ بعد الفراغ لا سبيلَ إلى وضعه في مكانه، واجتهاد خاصٍّ به في بعض جوانب التحقيق، وأنَّه امتاز بتذييل أكثر تحقيقاته بملحقٍ فيه تاريخ العمل في الكتاب، ضابطٍ لتاريخ كلِّ مرحلة من مراحل التحقيق ومكانِها، موثِّقٍ لِما له صلةٌ بالعمل وتحصيل مخطوطاته، كاشفٍ لجملة من منهجه في العمل، زيادةً منه في الضبط والإتقان.

المصادر والمراجع

- **الإبانة في تفصيل ماءات القرآن وتخريجها على الوجوه التي ذكرها أرباب الصناعة**، جامع العلوم الأصبهاني الباقولي، ت محمَّد أحمد الدالي، وِزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، ط١، ٢٠٠٩م.
- **أبجديَّات البحث**، فريد الأنصاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.
- **الاستدراك على أبي عليٍّ الفارسي في الحُجَّة**، جامع العلوم الأصبهاني الباقولي، مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي في الكويت، ط١، ٢٠٠٧م.
- **أصول نقد النصوص ونشر الكتب**، محاضرات ألقاها المستشرق الألماني برجستراسر بكليَّة الآداب بالقاهرة سنة ١٩٣١/ ١٩٣٢م، أعدَّها وقدَّم لها محمَّد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.
- **أمالي ابن الشجري**، ت محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- **تاج العروس**، الزَّبيدي، بتحقيق جماعة، طبعة وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٦٥-٢٠٠١م.
- **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوُّره**، عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
- **تحقيق النصوص ونشرها**، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
- **تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث**، الصادق الغرياني، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ١٩٨٩م.
- **تصحيح الكتب وصناعة الفهارس المعجمة وكيفيَّة ضبط الكتاب**، أحمد محمَّد شاكر، اعتنى به وعلَّق عليه وأضاف إليه عبد الفتَّاح أبو غدَّة، مكتبة السنَّة، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.
- **تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية**، أبو حاتِم السجستاني، ت محمَّد أحمد الدالي، دار البشائر، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
- **جواب المسائل العشر**، ابن بَرِّي، ت محمَّد أحمد الدالي، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.
- **جواهر القرآن ونتائج الصَّنعة**، جامع العلوم الأصبهاني الباقولي، ت محمَّد أحمد الدالي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠١٩م.
- **سِفر السعادة وسَفير الإفادة**، عَلَم الدِّين السَّخاوي، ت محمَّد أحمد الدالي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م،

- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**، الشهاب الخفاجي، ت محمَّد كشَّاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- **علم التحقيق للمخطوطات العربية**، فخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، ط١، ٢٠٠٥م.
- **في الأدب واللغة (دراسات وبحوث)**، محمود الطناحي، دار الغرب الإسلامي.
- **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، ت محمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- **قواعد تحقيق المخطوطات**، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٦، ١٩٨٢م.
- **الكامل في اللغة والأدب**، أبو العبَّاس المُبَرِّد، ت محمَّد أحمد الدالي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.
- **كتاب الدكتور خالد عبد الكريم جمعة الميعان الغائب الحاضر** (بحث من حديث الكامل للمبرِّد وتحقيقه للدكتور محمَّد أحمد الدالي)، مطبوعات جامعة الكويت، ٢٠١٤م.
- **كشف المُشكِلات وإيضاح المُعضِلات**، جامع العلوم الأصبهاني الباقولي، ط١، مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، ١٩٩٥م. وستصدر الطبعة الثانية منه قريبًا دار القلم بدمشق، ٢٠٢٢م، واستفدت من فهارسها المعدَّة للطباعة في هذا البحث.
- **المجتنى**، ابن دريد الأزدي، ت محمَّد أحمد الدالي، دار الجفَّان والجابي، دمشق وقبرص، ط١، ١٩٩٧م.
- **محاضرات في تحقيق النصوص**، فخر الدين قباوة وفيصل الحفيان وحسن عثمان و محمود مصري، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول، ط١، ٢٠١٧م.
- **المدخل إلى تقويم اللسان**، ابن هشام اللخمي، ت حاتم الضامن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- **المعوَّل في شرح أبيات المطوَّل**، لوحدي إبراهيم، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة شستربتي برقم (٣٥٩١).
- **مفاتيح العلوم**، الخوارزمي، المطبعة المنيرية، مصر، ١٣٤٢هـ.
- **مقدِّمة تفسير ابن النقيب**، ت زكريَّا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م. (وكان قد طُبع خطأ بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيِّم الجوزية، فصحَّح المحقِّق نسبته).
- **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدَثين**، رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

www.darulmakhtutat.org

Info@darulmakhtutat.org

Darul.Makhtutat.Ist

Darul.Makhtutat.Ist

Darul_Makhtutat_Ist

01 | 1443 AH
2021 AD

USÛL

With process comes access

A peer-reviewed annual on Arabic manuscripts from a theoretical, physical, and textual lens

İSTANBUL SULTANAHMET
VAKFI

Darul Makhtutat
ISVA

Darul Irfan
Istanbul